من الكتاب والسنة النبوية

تأليف

د. محمد بن يوسف الجوراني

راجعه وعلق عليه وقدم له

أ.د. عمر سليمان الأشقر

وجمعٌ من أهل العلم

دار النفائس
للنشر والتوزيع

الرُّقية الشرعية

من الكتاب والسنة النبوية

هَلْ سَمِعْتَ بِشِفَاءٍ كَالقُرآنِ ؟

الرُّقيةُ الشَّرعيَّةُ

مِنَ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ

تصنيفُ

مُحَمَّدُ بنُ يُوسُفَ الجُورانِي

غَفَرَ اللهُ لَهُ وَلِوالدِيهِ وَلِمَشَايِخِهِ وَلِلمُسلِمِينَ

رَاجعَهُ وَعلَّقَ عَليهِ وقَدَّمَ لهُ فَضِيلةُ الشَّيخ العَلَّامَةِ

أ.د عُمَر بن سُلَيمان الأشقر

حَفِظَهُ الله

وَجَمْعٌ مِنْ أهلِ العِلْمِ الفُضَلاءِ

دار النفائس

للنشر والتوزيع
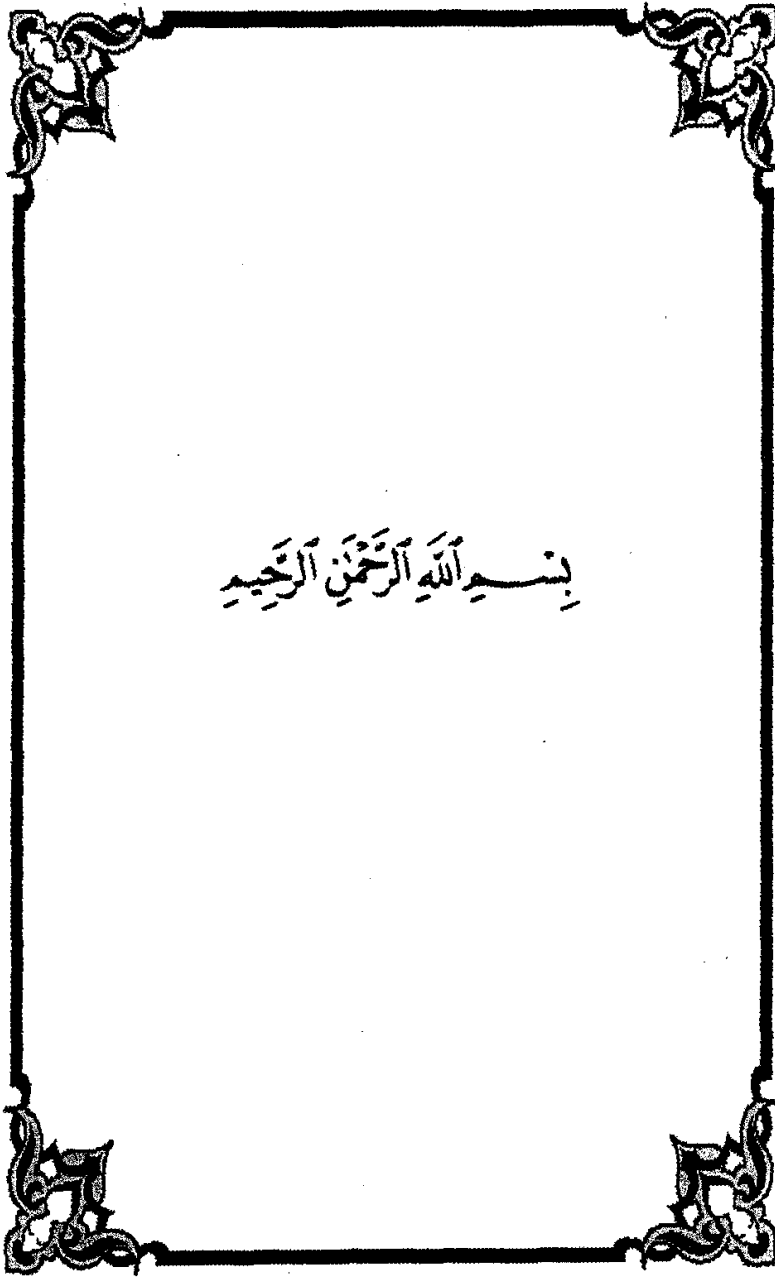
إهداءٌ

إلَىٰ وَالِدَيَّ الكَرِيمَينِ، أَحسَنَ اللهُ إلَيهِمَا في الدُّنيَا وَالآخِرَةِ.[1]

إلَىٰ مَنْ مَنَحَنِي كَثِيراً مِنْ عِلْمِهِ، وَأَدَبِه، وخُلُقِهِ، وَفَضلِهِ.

إلَىٰ مَنْ حَبَّبَ إلَىٰ قَلبِي الإحسَانَ إلَىٰ النَّاسِ، وَإنْ أَسَاؤُوا إلينَا !

إلَىٰ مَنْ حَرِصَ عَلى إفَادَتِي، فَمَا بَخِلَ عَلَيَّ، وَمَا فَتِئَ يَتَعَاهَدُنِي بَينَ الحِينِ والحِينِ، يُرشِدُنِي تَارةً، وَيُقَوِّمُنِي تَارةً، ويَدعُو لِي بِالتَّوفِيقِ تَارَاتٍ.

إلَىٰ القَلبِ، شَيْخِي العَلَّامَةِ «أَبِي حَمَد»[2] آنَسَ اللهُ وَحشَتَهُ يومَ القِيَامَةِ، وحَمِدَ أَفعَالَه وأَقوَالَه، وعَادَ عَليهِ بِالأَجرِ مَا انتَفَعَ مُنتَفِعٌ جَزاءَ إحسَانِهِ وَفَضلِهِ، وجَعلَهُ في أَعلَى عِلِيِّينَ مَع النَّبِيِّينَ، والصِّدِّيقِينَ، والشُّهَداءِ، والصَّالِحينَ، وحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقاً.

سَائِلاً المولَى جَلَّ في عُلاهُ أَن يُطِيلَ عُمُرَهُ، ويُحسِنَ عَملَه، وَيَختِمَ لنَا وَ لَهُ بِخَيرٍ، وَيَجزِيَهِ عَنِّي خَيرَ الجزَاءِ، إنَّه سُبحَانهُ خَيرُ مَسؤُولٍ.

إلَىٰ كُلِّ رَاقٍ أَحبَّ الخَيرَ والنَّفعَ والسَّعادةَ لِلنَّاسِ، وعَمِلَ رُقيَتَهُ : ﴿ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴾ (الإنسان:٩)

---

(١) تُوُفِّيَ والدِي رَحِمَهُ اللهُ أثناء مراجعة الكتاب للطبعة الرابعة؛ وقد كان نِعمَ الأب الصالح لأسرته؛ فاللَّهُمَّ ارْحَمه رحمةً واسعةً، وأنزل على قبره النُّور والرَّحمات، وأفسح له فيه مدَّ بصره، واجزِهِ من خير ما يُجزَى به الصالحون المؤمنون، واجمعنا به في مُستقرِّ رحمتك يا أكرم الأكرمين.

(٢) شيخنا أبو حمد حفظه الله، أول من أدخل علم الرقية الشرعية في الشبكة العنكبوتية ولعل اسم موقعه الشهير يدل على هذا؛ فهو الموقع الأول والمتميز الذي يجد كل عليل بغيته، وكل طالب علم وراقٍ يطمح نحو التميز في علم الرقية يجد فِيْهِ ضالته؛ فجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء وموقع الشيخ أثابه الله :

(لُقَط المرجان في علاج العين والسحر والجان)

فَلَم يَتَطلَّع إلَىٰ مَا في أَيدِي النَّاسِ، وعَلِمَ أَنَّ مَا عِندَهم زَائِلٌ، ومَا عِندَ الله بَاقٍ، وقَد فَازَ مَن ابتَاعَ بَاقِياً بِفَانٍ.

الفَقِيرُ إلَىٰ عَفوِ رَبِّهِ

محمد بن يوسف الجوراني

غفر الله له ولوالديه ولمشايخه وللمسلمين

□ □ □

مُقَدِّمَةُ الطَّبعَةِ الرَّابِعَةِ

الحَمدُ للهِ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلَى رَسُولِ اللهِ، وَبَعدُ..

فَدُونَكَ أَخِي القَارِئُ الكَرِيمُ، هَذِهِ الطَّبعَةُ الرَّابِعَةُ مِنْ جُهْدِ أَخِيكَ، أُقَدِّمُهَا لَكَ مُحتَفِلاً بِهَا وَمُغْتَبِطاً بِمَا كَانَ لَهَا مِنْ صَدَى طَيِّبٍ فِي أَرجَاءِ المعمُورَةِ، وَذَلِكَ الفَضلُ مِنَ اللهِ وَحدَهُ.

أَزُفُّهَا إِلَيكَ بَعدَ نَفَادِ الطَّبَعَاتِ السَّابِقَةِ فِي مُدَّةٍ وَجِيزَةٍ ـ وَبَعْدَ تَرْجَمَتِهَا لِخَمْسِ لُغَاتٍ ـ مَا كُنتُ أَحسِبُ لَهَا، وَالفَضلُ للهِ مِنْ قَبلُ وَمِن بَعدُ.

وَقَد امتَازَت هَذِهِ الطَّبعَةُ ـ وَالتَّمَامُ عَزِيزٌ ـ: بِالمُرَاجَعَةِ، وَالتَّنقِيحِ، وَالتَّصْحِيحِ، وَالإِضَافَةِ، وَضَبطِ النَّصِّ بِالشَّكْلِ؛ كُلُّ ذَلِكَ رَغبَةً فِي تَقدِيمِ مَادَّةٍ عِلْمِيَّةٍ مُمَيَّزَةٍ فِي المَضمُونِ وَالمَوضُوعِ وَالشَّكْلِ تَنفَعُ القَارِئَ الكَرِيمَ.

إِذْ «لا يَجْمُلُ بِالمُتَخَصِّصِ فِي مَادَّتِهِ، العَاكِفِ عَلَى دِرَاسَتِهَا، أَن تَكُونَ طَبَعَاتُ كِتَابِهِ صُورَةً وَاحِدَةً، لا أَثَرَ فِيهَا لِتَهذِيبٍ، أَو قِرَاءَاتٍ جَدِيدَةٍ؛ فَإِنَّ القُعُودَ عَنْ تَجدِيدِ القِرَاءَةِ سِمَةٌ مِنْ سِمَاتِ الهُمُودِ، وَلَونٌ مِنْ أَلوَانِ الجُمُودِ»[1].

وَعلَيهِ..

فَإِذَا كَانَ الأَبُ يَعتَنِي بِوَلَدِهِ وَفِلْذَةِ كَبِدِهِ، وَيَهتَمُّ بِنَشأَتِهِ عَلَى أَحسَنِ وَجْهٍ؛ فَإِنَّ الكِتَابَ النَّافِعَ، ابنٌ بَارٌّ، وَإِرثٌ صَالِحٌ إِنْ شَاءَ اللهُ، وَالعِنَايَةُ بِهِ قَد تَكُونُ أَشَدَّ مِن

---

(١) من مقدمة العلَّامة عبد الخالق عضيمة رَحِمَهُ اللهُ في تحقيقه «المغني في تصريف الأفعال» (٦).

تِلكَ ! وَإِذَا أَحَبَّ اللهُ عَبدَهُ، وَفَّقَهُ لِكِلا الأَمرَينِ، وَهَيَّأَ لَهُ الأَسبَابَ، وَأَقَرَّ عَينَهُ بِهِمَا فِي حَيَاتِهِ وَبَعدَ مَمَاتِهِ وَ ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢١].

وختَاماً :

فَالقَلبُ لِكُلِّ فَائِدَةٍ أَوشَارِدَةٍ مَفتُوحٌ، وَالصَّدرُ لِكُلِّ نَقدٍ بَنَّاءٍ مَفسُوحٌ؛ فَالمُؤمِنُ قَوِيٌّ بِإِخوَانِهِ، ضَعِيفٌ بِنَفْسِهِ.

فَجَزَى اللهُ كُلَّ مَن سَاهَمَ فِي النُّصحِ للهِ، وَلِلمُسلِمِينَ، ثُمَّ لأَخِيهِ.

وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحبِهِ أَجمَعِينَ.

وَالحَمدُ للهِ الَّذِي بِنِعمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ.

في صحن الكعبة في بيت الله الحرام ١٤٣٠هـ

❑ ❑ ❑
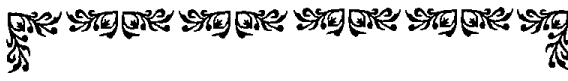
تَقدِيمُ فَضِيلَةِ الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهِيمَ شَقْرة

حَفِظَهُ اللهُ وَأطَالَ في عُمُرِهِ

الحَمدُ للهِ وَكَفَى، وَسَلامٌ وَصَلاةٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصطَفَى، أَمَّا بَعدُ :

فَمَن هُم أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنعَمَ اللهُ عَليهِم؛ أَن يَدخُلُوا الجَنَّةَ بِغَيرِ حِسَابٍ ؟

أَلَيسُوا هُمُ الَّذِينَ لا يَستَرقُونَ، وَلا يَكتَوُونَ، وَلا يَتَطَيَّرُونَ. نَعَم، إِنَّهُم هُم أُولَئِكَ، فَمَا أَعظَمَهَا مِن نِعمَةٍ، وَمَا أَجَلَّهُ مِن عَطَاءٍ، وَنِعمَتِ المَنزِلَةُ الَّتِي سِيقُوا إِلَيهَا، وَأَحَلَّهُم الله فِيها. وَهَل يُغبَطُ أُنَاسٌ، أَو نَفَرٌ مِن أَهلِ الجَنَّةِ بِأَحسَنَ مِن ذَلِكَ؟

هَؤُلاءِ الَّذِينَ قال فِيهِم رَسُولُهُم الأَمِينُ عَلَى وَحيِ رَبِّهِ ـ وَلا يقول شَيئاً إِلَّا بِإِذنِهِ: «يَدخُلُ الجَنَّةَ مِن أُمَّتِي سَبعُونَ أَلفاً بِغَيرِ حِسَابٍ؛ هُم الَّذِينَ لا يَستَرقُونَ، وَلا يَتَطَيَّرُونَ، وَلا يَكتَوُونَ، وَعَلَى رَبِّهِم يَتَوَكَّلُونَ ».

وَكَأَنِّي بِهَؤُلاءِ الأُلُوفِ السَّبعِينَ، وَهُم يَنعَمُونَ فِي الغُرُفَاتِ آمِنِينَ، لا يَسمَعُونَ فِيها لَغواً، وَلا تَأثِيماً، يُبَصَّرُونَ بِإِخوَانِهِم الَّذِينَ مِن دُونِهِم في الجَنَّةِ، يَقُولُونَ في أَنفُسِهِم :

«يَا لَيتَ إِخوَانَنَا هَؤُلاءِ، قَد أَصَابُوا مِن نَعمَائِنَا هَذِهِ الَّتِي نَحنُ فِيها مَا أَصَبنَا، وَأَلَمُّوا مِنَ الثَّوَابِ الَّذِي صَارَ إِلَينَا، وَأَعَدَّهُ الله سُبحَانَهُ لَنَا؛ فَنَكُونَ جَمِيعاً مَعاً عَلَى صَعِيدٍ وَاحِدٍ فِي الجَنَّةِ ؟ »

وَلَيسَ مِن شَكٍّ في أَنَّ هَذَا الَّذِي يَتَمَنَّونَهُ لإِخوَانِهِم؛ هُوَ شَيءٌ مِن تَمَامِ نِعمَةِ الله سُبحَانَهُ عَلَيهِم، فَقَد أَذهَبَ الله عَنهُم الحَزَنَ، وَأَذَاقَهُم حَلاوَةَ النَّعِيمِ، وَقَشَعَ

عن قُلُوبِهِم الغِلَّ، وَالحَسَدَ، وَأَمكَنَ قُلُوبَهُم مِن كُلِّ فَضَائِلِ الخَيرِ؛ فَصَارُوا إِلَىٰ مَا صَارُوا إِلَيهِ.

لَكِن؛ هَل يُمكِنُ أَن يَكُونَ لَهُم الَّذِي يَتَمَنَّونَهُ لإخوَانِهِم ؟

أَحسَبُ الأَمرَ مُستَحِيلاً؛ فَهُم الآنَ في دَارِ الجَزَاءِ، وَانقَطَعَتِ الأَعمَالُ عَنهُم في دَارِ العَمَلِ، إذاً، فَكُلُّ إنسَانٍ قَد صَارَ إِلَىٰ تِلكُم الدَّارِ بِعَمَلِهِ، وَأَيُّ عَمَلٍ أَطيَبُ، وَأَحسَنُ مِن عَمَلِ تِلكُم الأُلُوفِ السَّبعِينَ !؟

وَإِذَا كَانَ العَبدُ مُيَسَّراً لِمَا خُلِقَ لَهُ؛ فَعَلَيهِ أَن يَحرِصَ عَلَى مَا يَسَّرَهُ الله لَهُ مِن صَالِحِ العَمَلِ، وَمِن أَحسَنِ العَمَلِ الَّذِي يَنبَغِي أَن يَحرِصَ عَلَيهِ هُوَ؛ أَن يَلتَمِسَ لِنَفسِهِ طَرِيقاً يَذكُرُ رَبَّهُ فِيْهِ عَلَى أَقوَمِ جَادَّةٍ.

وَمِن أَطيَبِ الذِّكرِ - وَالذِّكرُ مِن أَجَلِّ العِبَادَاتِ - مَا نَزَلَ بِهِ الوَحيُ الأَمِينُ عَلَى نَبِيِّهِ صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلامُهُ عَلَيهِ، وَعَلَّمَهُ إِيَّاهُ، وَوَجَّهَ قَلبَهُ لَهُ، وَأَمَرَهُ أَن يُعَلِّمَهُ أُمَّتَهُ؛ كَيلا يَكُونَ فِيْهِ حَرَجٌ مِنهُ عَلَيهِ، وَلا عَلَيهِم.

وَالذِّكرُ فِيْهِ طُمَأنِينَةُ القَلبِ، وَرَاحَةُ النَّفسِ، وَسِيَاحَةُ السَّمعِ وَالبَصَرِ، وَلَمَّا سَأَلَ أَحَدُ الصَّحَابَةِ النَّبِيَّ ﷺ عن عَمَلٍ يُدِيمُ وَصله بِهِ، قال لَهُ : «لا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطباً بِذِكرِ الله»، وَلَيسَ مِن عَمَلٍ أَيسَرَ عَلَى الإنسَانِ، وَأَفضَلَ مِنَ الذِّكرِ؛ فَمَا أَسعَدَ العَبدَ الَّذِي تَأتِيهِ المنِيَّةُ، وَهُوَ يَذكُرُ اللهَ سُبحَانَهُ، وَيُحَرِّكُ لِسَانَهُ بِحُرُوفِ الشَّهَادَةِ، كَلِمَةِ التَّوحِيدِ العَظِيمَةِ؛ فَمَن لَقِيَ اللهَ بِهَا مُخلِصاً بِهَا قَلبُهُ، أَسكَنَهُ اللهُ الجَنَّةَ، وَسَعِدَ فِيها في بَحبُوحَةِ النَّعِيمِ.

وَمَا مِن عَمَلٍ مِن أَعمَالِ اليَومِ وَاللَّيلَةِ، وَلا حَالٍ مِن أَحوَالِهَا، إِلَّا وَقَد عَلَّمَ النَّبِيُّ صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلامُهُ عَلَيهِ، الأُمَّةَ ذِكراً، أَو أَكثَرَ، يَجِدُ فِيْهِ الذَّاكِرُ أَمناً وَهُوَ

يُجرِيهِ عَلَى لِسَانِهِ، مَوصُولاً بِقَلبِهِ، وَلا يَكَادُ الذَّاكِرُ يَكُونُ أَحرَصَ عَلَى شَيءٍ مِن حِرصِهِ عَلَى الذِّكرِ؛ لِمَا يَجِدُ مِن أَمنٍ في قَلبِهِ حِينَ يُجرِيهِ عَلَى لِسَانِهِ.

وَمِن أَطيَبِ الذِّكرِ؛ الأَذكَارُ الَّتِي تُعرَفُ بِالرُّقَى، وَهِيَ كَثِيرَةٌ، وكَثِيرَةٌ جِدّاً، وَلَيسَ مِن عَارِضٍ بَدنِيٍّ، أَو نَفسِيٍّ، إِلَّا وَله ذِكرٌ مَخصُوصٌ بِهِ، أَو ذِكرٌ عَامٌّ يَتَّسِعُ لِعَوارِضَ عِدَّةٍ، وَسَوَاءٌ أَكَانَ الذِّكرُ عَامَّاً، أَم خَاصّاً؛ فَإِنَّ لَهُ مِنَ التَّأثِيرِ في هَذَا العَارِضِ، أَو ذَاكَ، مَا لا يَجِدُ الإنسَانُ الذَّاكِرُ الرَّاقِي بُدّاً مَعَهُ، إِلَّا إِيرَادَهُ حِينَ تَكُونُ الحَاجَةُ دَاعِيَةً إِلَيهِ، بِإِخلاصٍ فِيْهِ، وَتَصدِيقٍ بِأَثَرِهِ، وَضَبطٍ لِحُرُوفِهِ.

وَقَد خَالَطَ هَذِهِ الرُّقَى ـ مَع الأَيَّامِ ـ شَيءٌ مِنَ التَّحرِيفِ، وَالإحدَاثِ في كَلِمَاتِهَا، وَتَرَاكِيبِهَا؛ حَتَّى غَدَت في حَاجَةٍ إِلَىٰ التَّحقِيقِ، وَالتَّدقِيقِ، وَتَصوِيبِ النَّظَرِ البَحثِيِّ فِيها؛ لِتَعُودَ إِلَيهَا عَافِيتُهَا، وَصَلاحُ أَمرِهَا، وَحُسنُ تَأثِيرِهَا في مُرَادَاتِهَا الَّتِي تُورَدُ لَهَا.

وَقَد أُلِّفت في هَذِهِ الأَذكَارِ وَالرُّقَى؛ رَسَائِلُ وَكُتُبٌ كَثِيرَةٌ، وَمِن أَشهَرِهَا كِتَابُ : «الأَذكَارُ» لِلإِمَامِ النَّوَوِيِّ، وَاختَصَرَهُ شَيخُ الإسلامِ ابنُ تَيمِيَّةَ، بِعِنوَانِ «الكَلِمُ الطَّيِّبُ» ثُمَّ تَنَاوَله الشَّيخُ المُحَدِّثُ مُحَمَّدُ نَاصِرُ الدِّينِ الأَلبَانِيُّ، بِالتَّحقِيقِ، وَالضَّبطِ تَحتَ عِنوانِ : «صَحِيحُ الكَلِمِ الطَّيِّبِ» وَإِن كَانَ الغَالِبُ فِيْهِ الأَذكَارَ المُتَعَلِّقَةَ بِأَحوَالِ اليَومِ وَاللَّيلَةِ.

وَقَد شَهَرَ بين النَّاسِ مِن عَقدٍ تَقرِيباً، رِسَالَتَانَ صَغِيرَتَانِ، وَذَاعَتا فيهِم ذُيُوعاً وَاسِعاً، لِمُؤَلِّفِهِمَا الدُّكتُورِ سَعِيدِ بنِ عَلِيِّ بنِ وَهفٍ القَحطَانِيِّ.

إِحداهُمَا : حِصنُ المُسلِمِ.

وَالثَّانِيةُ: في الرُّقَى وَالعِلاجِ بِهَا بِخَاصَّةٍ، يُقَرِّبُهُ الاسمُ الآخَرُ إِلَيهِ؛ فَيَكُونَانِ صِنوَينِ اثنَينِ، يُكَمِّلُ كُلٌّ مِنهُمَا الآخَرَ.

وَقد ذَاعَ الأَوَّلُ: «حِصنُ المُسلِمِ» في دُنيَا النَّاسِ ذُيُوعاً وَاسِعاً، وَطُبِعَ مِنهُ مَلايِينُ النُّسَخِ، وَتُرجِمِ إِلَىٰ لُغَاتٍ عِدَّةٍ، وَأَحسَبُ ذَلِكَ مِن عَلامَاتِ القَبُولِ الظَّاهِرَةِ لِهَذَا الكِتَابِ النَّافِعِ.

وَهُنَاكَ كُتُبٌ أُخرَى في هَذَا، كَانَ كَاتِبُوهَا كَحُطَّابِ لَيلٍ حَالِكٍ، لا يُعرَفُ فِيها الصَّوَابُ مِنَ الخَطَأَ، وَإِن كَانَ مَقدُوراً عَلَى مَيْزِهِمَا، كَانَ الصَّوَابُ فِيها بَاطِلاً، وَالخَطَأُ فِيها حَقّاً، ثُمَّ انظُر مِن بَعدُ، مَاذَا يَكُونُ مِنَ الآثَارِ الَّتِي تُرتَضَى عَلَى مَا هِيَ عَليهِ مِن خَلطٍ لا يُمَازُ بِهِ أَحَدُهُمَا مِنَ الآخَرِ؟

وَمَا كَانَ إِلَّا مِن مُجَرَّدِ الإعجَابِ بِهَذَا النَّصِّ، لا يَهُمُّ أَن يَكُونَ أَعجَمِيّاً، أَم عَرَبِيّاً عِندَ مَن أَذَاعَهُ وَكَتَبَهُ، ثُمَّ ذَاعَ في النَّاسِ.

وَيَأتِي هَذَا الكِتَابُ لأَحَدِ الأَبنَاءِ النُّجبَاءِ، هُوَ مُحَمَّدُ بنُ يُوسُفَ الجُورَانِيُّ، «الرُّقيَةُ الشَّرعِيَّةُ مِنَ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ» يُمَيِّزُهُ مِن سِوَاهُ أُمُورٌ:

أَوَّلاً: حُسنُ الاختِيَارِ، وَالانتِقَاءِ.

ثَانِيَاً: دِقَّةُ الضَّبطِ، وَوَضعِ كُلِّ لَفظٍ، أَو أَكثَرَ، وَسَوقِهِ بِدَلالَتِهِ إِلَىٰ الموضِعِ المُنَاسِبِ الَّذِي هُوَ لَهُ إِلَّا قَلِيلاً.

ثَالِثَاً: صِحَّةُ النَّصِّ، إِذ لَم يُجَاوِز في انتِقَائِهِ نَصَّ الآيَةِ مِنَ القُرآنِ، أَو الحَدِيثِ مِنَ السُّنَّةِ.

وَهَذَا شَرطٌ يَنبَغِي أَنْ لا يَتَحَوَّلَ عَنْهُ - وَلابُدَّ - الرَّاغِبُ في الرُّقيَةِ؛ ذَلِكُم أَنَّ الرُّقيَةَ ضَربٌ مِن ضُرُوبِ العِلاجِ وَالاستِشفَاءِ، وَهَذَا لا يَأتِي بِالثَّمَرَةِ المرجُوَّةِ إِلَّا بِأَن تَكُونَ وَحياً مِنَ الوَحيِ؛ قُرآنَاً، أَو سُنَّةً.

رَابِعَاً: وَكَمَا أَنَّ خَيرَ مَا يَرقِي بِهِ المُسلِمُ نَفسَهُ الآيَةُ مِنَ القُرآن، أَو الحَدِيثُ مِنَ السُّنَّةِ، فَإِنَّ خَيرَ مَن يَرقِي نَفسَهُ؛ هُوَ الرَّاقِي نَفسُهُ؛ فَأَن يَكُونَ الرَّاقِي المُحتَاجُ

الرُّقيَةَ نَفسُهُ، أَولَى بِأَن يَكُونَ هُوَ اليَرقِي نَفسَهُ؛ لأَنَّهُ الأَعلَمُ بِحَاجَتِهِ، وَبِالرُّقيَةِ الَّتِي يَحتَاجُهَا.

وَقَد سَبَقَ الدُّكتُورَ سَعِيداً جَزَاهُ اللهُ خَيراً، عَدَدٌ مِنَ المُؤَلِّفِينَ فِي الرُّقَى فِي العِلاجِ مِنَ العَينِ، وَالسِّحرِ، وَمِنَ الجِنِّ، وَمِنَ المُفِيدِ أَن نُنَبِّهَ إِلَىٰ أُمُورٍ لا بُدَّ مِنَ التَّنبِيهِ إِلَيهَا، وَهِيَ:

١. أَنَّ الرُّقيَةَ أَصبَحَت وَلِلأَسَفِ الشَّدِيدِ مِهنَةً يُتَكَسَّبُ بِهَا، امتَهَنَهَا عَدَدٌ مِنَ الَّذِينَ يَدَّعُونَهَا، حَتَّى صَارَت لَهَا عِيَادَاتٌ خَاصَّةٌ، وَحُدِّدَت أُجُورٌ لَهَا بِحَسبِ الحَالاتِ الَّتِي يُستَرقَى لَهَا، وَلا أَدرِي كَيفَ استَبَاحُوا أَخذَ الأُجرَةِ عَلَيهَا ؟

٢. وَلَعَلَّ استِبَاحَتَهُم أَخذَ الأُجرَةِ إِنَّمَا جَاءَهُم مِن قَولِهِ: «إِنَّ أَحَقَّ مَا أَخَذتُم عَلَيهِ الأَجرَ كِتَابُ اللهِ» لِلنَّفَرِ الَّذِينَ أَتَوا مَاءً، وَفِيهِم لَدِيغٌ، وَلَم يُضَيِّفُوهُم؛ فَطَلَبُوا مِثلَ هَذَا الجُعلَ، وَلَو أَنَّهُم أَصَابُوا حَقَّ الضِّيَافَةِ الَّتِي شَرَعَهَا اللهُ لَهُم عِندَ أَهلِ هَذَا المَاءِ حِينَ وَفَدُوا عَلَيهِم فِي سَفَرِهِم هَذَا، مَا طَلَبُوا ذَلِكَ، فَلَمَّا أَن أَصَابُوهُ؛ فَقَد أَصَابُوا حَقّاً لَهُم، وَهَذَا قَلَّمَا يُتَفَطَّنُ لَهُ !

٣. وَلَعَلَّ مِمَّا يُلبِسُ عَلَى البَعضِ قَولُ النَّبِيِّ عَلَيهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ تَسمِيَةَ الجُعلِ، بِالأَجرِ، وَهَذِهِ التَّسمِيَةُ لا تَعنِي أَكثَرَ مِن تَسمِيَةِ الشَّيءِ بِاسمٍ آخَرَ مُرَادِفُهُ، رُبَّمَا يُقَرِّبُ مَعنَاهُ بِأَوضَحَ مِمَّا يُقَرِّبُهُ اسمُ الجُعلِ، وَكَأَنَّهُ عَلَيهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ، حَتَّى لَو سَمَّاهُ أَجراً؛ فَإِنَّهُ لا يُغَيِّرُ مِن وَاقِعِ الأَمرِ شَيئاً؛ فَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي كَانَ مِنهُم هُوَ استِيفَاءَ حَقِّهِمُ الَّذِي جَحَدَهُ أَهلُ المَاءِ.

٤. هُنَاكَ بَعضُ الرَّاقِينَ وَقَعُوا فِي الفِتنَةِ الَّتِي أَضرَمُوا نَارَهَا بِأَنفُسِهِم، وَهُم يَرقُونَ النِّسَاءَ، وَالرُّقيَةُ ذِكرٌ، وَدُعَاءٌ، تَحتَاجُ إِلَىٰ الإِخلاصِ، وَصِدقِ التَّوَجُّهِ إِلَىٰ

اللهُ؛ فَأَينَ يُمكِنُ أَن يَكُونَ شِفَاءٌ عَلَى أَيدِيهِم ؟ وَهُم وَاقِعُوا هَذِهِ الفِتنَةَ طَوَاعِيَةً، وَحَاقَت بِهِم مَعصِيَتُهُم.

وَالرُّقيَةُ ـ إن وَافَقَت مِنَ الرَّاقِي صِدقَ التَّوَجُّهِ إِلَىٰ اللهِ بِإخلاصِهِ فِيْهِ، وَوَافَقَت صَاحِبَهَا الَّذِي هُوَ صَاحِبُهَا ـ كَانَ هَذَا الرَّاقِي رَاجِياً أَن يَكُونَ وَاحِداً مِن أُولَئِكَ الأُلُوفِ السَّبعِينَ.

خَامِسَاً : حُسنُ التَّبوِيبِ، وَالتَّرتِيبِ الَّذِي صَنَعَهُ المؤَلِّفُ؛ مِمَّا قَرَّبَ الانتِفَاعَ بِهِ، وَسَهَّلَ أَخذَ مَادَّتِهِ المصنُوعَةِ بِقَلَمِ المؤَلِّفِ الحَاذِقِ، وَذِهنِيَّتِهِ الحَاضِرَةِ الوَاعِيَةِ لِمَادَةِ كِتَابِهِ.

سَادِسَاً : مَا زَيَّنَ بِهِ كِتَابَهُ مِن مُلَحٍ، وَكَلِمَاتٍ طَيِّبَاتٍ لِبَعضٍ مِن أَهلِ العِلْمِ النُّبَهَاءِ؛ مِمَّا أَضَافَ إِلَىٰ الكِتَابِ شَيئَاً مِنَ البَهجَةِ، وَالوِدَادِ النَّفسِيِّ، وَزِيَادَةً فِي الرَّغبَةِ فِي قِرَاءَتِهِ.

وَأَخِيراً؛ فَإِنِّي أَسأَلُ اللهَ أَن يَعُودَ نَفعُ هَذَا الكِتَابِ عَلَى الأُمَّةِ، وَأَن يَرزُقَنَا جَمِيعاً الإخلاصَ فِي القَولِ وَالعَمَلِ إِنَّهُ سَمِيعٌ مُجِيبٌ.

وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصحَابِهِ وَالتَّابِعِينَ بِإحسَانٍ

كتبه

أبو مالك محمد إبراهيم شقرة

❑ ❑ ❑
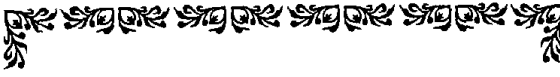
تَقدِيمُ فَضِيلَةِ الشَّيخِ العَلاَّمَةِ
أ.د. عُمَر بنُ سُليمانَ الأَشقَر

حَفِظَهُ الله وَأَطَالَ في عُمُرِهِ

الحَمدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلَى أَشرَفِ الأَنبِيَاءِ وَالمُرسَلِينَ، نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحبِهِ أَجمَعِينَ، أَمَّا بَعدُ :

فَقَد قَرَأَ عَلَيَّ الشَّيخُ الفَاضِلُ مُحَمَّدُ بنُ يُوسُفَ الجُورَانِيُّ، كِتَابَهُ المرقُومَ : «الرُّقيَةُ الشَّرعِيَّةُ مِنَ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ» وَقَد وَجَدتُهُ كِتاباً مُفِيداً نافِعاً في بَابِهِ، وَمَا بَدَا لِيَ فِيْهِ مِن مَلحُوظَاتٍ؛ أَملَيتُ عَليهِ تَصوِيبَهَا.

أَسأَلُ اللهَ العَلِيَّ القَدِيرَ أَن يَنفَعَ كَاتِبَهُ، وَقَارِئَهُ، وَأَنْ يُحسِنَ خِتَامَنَا في أَعمالِنَا كُلِّهَا.

وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحبِهِ أَجمَعِينَ.

أملاهُ

أ.د. عمر سليمان الأشقر

❑ ❑ ❑
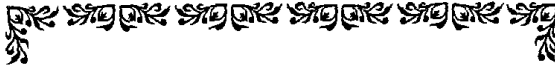
تَقدِيمُ فَضِيلَةِ الشَّيخِ الدُّكتُورِ
مُحَمَّدِ بنِ عَلِي البَار

عُضوُ الكُلِّيَّةِ المَلَكِيَّةِ للأَطِبَّاءِ بِلَندَن، وَمُستَشَارُ الطِّبِّ الإسلامِي
وَخَبِيرٌ في المجمَعِ الفِقهِيِّ الإسلاميِّ لِرَابِطَةِ العَالَمِ الإسلاميِّ
وَمجمَعِ الفِقهِ الإسلاميِّ في مُنَظَّمَةِ المُؤتَمَرِ الإسلاميِّ

الحَمدُ للهِ الَّذِي جَعَلَ الأَسبَابَ كُلَّهَا بِيَدِهِ، يُصَرِّفُهَا كَيفَ شَاءَ، وَلَمْ يَجعَلِ الأَسبَابَ آلِهَةً تُعبَدُ مِن دُونِ الله، فَجَعَلَهَا مَربُوبَةً مَقهُورَةً بِيَدِهِ، وَجَعَلَ مِن بَينِ هَذِهِ الأَسبَابِ مَا يُؤَدِّي إِلَىٰ الصِّحَّةِ، وَجَعَلَ مِنهَا مَا يُؤَدِّي إِلَىٰ المَرَضِ، كَمَا جَعَلَ مِنهَا مَا يُؤَدِّي إِلَىٰ النَّجَاةِ، وَمِنهَا مَا يُؤَدِّي إِلَىٰ النَّارِ، وَبِئسَ القَرَارُ.

وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلَى خِيرَتِهِ مِن خَلقِهِ، وَصَفوَتِهِ مِن إِنسِهِ وَجِنِّهِ، وَآلِهِ وَمَن وَالاهُ، وَهُوَ الَّذِي دَلَّ العِبَادَ وَأَرشَدَهُم إِلَىٰ مَولاهُم، وَأَعلَمَهُم أَنَّ التَّوَكُّلَ عَلَيهِ وَحدَهُ هُوَ سَبِيلُ المُهتَدِينَ الرَّاشِدِينَ، وَأَنَّ المَرَضَ وَالصِّحَّةَ بِيَدِهِ تَعَالَىٰ، كَمَا أَنَّ الأُمُورَ كُلَّهَا مِنهُ وَإِلَيهِ، وَقَد قَالَ ﷺ : «سَبعُونَ أَلفاً يَدخُلُونَ الجَنَّةَ لا حِسَابَ عَلَيهِم، الَّذِينَ لا يَكتَوُونَ، وَلا يَستَرقُونَ، وَلا يَتَطَيَّرُونَ، وَعَلَى رَبِّهِم يَتَوَكَّلُونَ» أَخرَجَهُ البُخَارِيُّ في «صَحِيحِهِ»، وَغَيرُهُ.

وَأَخرَجَ التِّرمِذِيُّ، عن النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قال : «مَن اكتَوَى، أَو استَرقَى، فَقَد بَرِئَ مِنَ التَّوَكُّلِ» قال عَنهُ: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، وَأَخرَجَهُ ابنُ حِبَّانَ في «صَحِيحِهِ»، وَالحَاكِمُ في «المُستَدرَكِ»، وَأَحمَدُ في «مُسنَدِهِ»، وَابنُ مَاجَه، وَالبَيهَقِيُّ.

وَذَكَرَ ابنُ مُفلِحٍ في «الآدَابِ الشَّرعِيَّةِ»، حَدِيثَ المُغِيرَةِ بنِ شُعبَةَ، يَرفَعُهُ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ : «لَم يَتَوَكَّل مَن أَرقَى، أَوِ استَرقَى» قال : إِسنَادُهُ جَيِّدٌ.

وَأَخرَجَ أَبُو دَاوُدَ، عَنْ زَينَبَ زَوجَةِ عَبدِ اللهِ بنِ مَسعُودٍ، عن زَوجِهَا قال: سَمِعتُ النَّبيَّ ﷺ يقول: «إنَّ الرُّقَى، وَالتَّمَائِمَ، وَالتِّوَلَةَ شِركٌ».

وَأَخرَجَ أَبُو دَاوُدَ أَيضاً، عن عَبدِ اللهِ بنِ عَمرِو بنِ العَاصِ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قال: «مَا أُبَالِي مَا أَتَيتُ إن أَنَا شَرِبتُ تِريَاقاً، أَو تَعَلَّقتُ تَمِيمَةً، أَو قُلتُ الشِّعرَ مِن قِبَلِ نَفسِي».

قال أَبُو دَاوُدَ: هَذَا كَانَ لِلنَّبِيِّ خَاصَّةً، وَقَد رَخَّصَ فِيْهِ قَومٌ، يَعنِي التِّريَاقَ.

وَذَكَرَ ابنُ تَيمِيَّةَ في «الفَتَاوِي»: خَلقاً مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ لَم يَكُونُوا يَتَدَاوَونَ بَل فِيهِم مَن اختَارَ المَرَضَ. كأُبيِّ بنِ كَعبٍ وَأَبي ذَرٍّ الغِفَارِيِّ، وَأَبي بَكرٍ الصِّدِّيقِ ﷺ جَمِيعاً.

وَقَد أَخرَجَ الشَّيخَانِ، عن ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما: أَنَّ امرَأَةً جَاءَت إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالت: يَا رَسُولَ اللهِ، ادعُ اللهَ أَن يَشفِيَنِي.

فقال: «إن شِئتِ دَعَوتُ اللهَ فَشَفَاكِ، وَإن شِئتِ صَبَرتِ وَلَكِ الجَنَّةُ».

قالت: يَا رَسُولَ اللهِ، أَصبِرُ، فَصَبَرَت.

وَكَانَ ابنُ عَبَّاسٍ يقول لأَصحَابِهِ: أَلا أُرِيكُم امرَأَةً مِن أَهلِ الجَنَّةِ؟ هَذِهِ المرأَةُ السَّوداءُ.

وَفي «الصَّحِيحَينِ»: أَنَّهَا كَانَت تَتَكَشَّفُ أَثنَاءَ نَوبَاتِ الصَّرعِ، فَطَلَبَت مِنَ النَّبِيِّ ﷺ أَن يَدعُوَ لَهَا أَن لا تَتَكَشَّفَ، فَدَعَا لَهَا بِذَلِكَ؛ فَصَارَت تُصرَعُ، وَلا تَتَكَشَّفُ.

وَمِنَ الوَاضِحِ أَنَّ هَذَا الصَّرعَ لَم يَكُن مِنَ الجِنِّ، كَمَا يقول ابنُ القَيِّمِ في «الطِّبِّ النَّبَوِيِّ»؛ لأَنَّهُ لَو كَانَ مِنَ الشَّيَاطِينِ لَدَعَا النَّبِيُّ ﷺ لَهَا وَأَخرَجَ الشَّيَاطِينَ، وَلَكِن هَذَا الصَّرعُ لَهُ أَسبَابٌ مَادِّيَّةٌ مَرَضِيَّةٌ، فَدَعَى لَهَا بِعَدَمِ التَّكَشُّفِ، وَصَبَرَت وَلَهَا الجَنَّةُ

وَلا شَكَّ أَنَّ التَّدَاوِي في أَقَلِّ أَحوَالِهِ مُبَاحٌ، إلَّا مَا كَانَ مِنَ التَّدَاوِي بِحَرَامٍ، مِثلُ الخَمرِ، وَالخِنزِيرِ، وَمِثلُ مَا يَمَسُّ العَقِيدَةَ مِنَ التَّدَاوِي عِندَ الكُهَّانِ، وَالسَّحَرَةِ، وَتَعلِيقِ التَّمَائِمِ، وَالرُّقَى بِغَيرِ القُرآنِ، وَبِكَلامٍ غَيرِ مَفهُومٍ، وَهُوَ الطِّلَّسمَاتِ، وَفي حَدِيثِ عَبدِ اللهِ بنِ مَسعُودٍ الَّذِي رَوَتهُ عَنْهُ زَوجَتُهُ زَينَبُ : «إِنَّ الرُّقَى وَالتَّمَائِمَ وَالتِّوَلَةَ شِركٌ» أَخرَجَهُ أَبو دَاوُدَ.

وَالرُّقَى : جَمعُ رُقيَةٍ، وَهِيَ قِرَاءَةُ شَيءٍ عَلَى المُصَابِ، أَوِ المَرِيضِ حَتَّى يَبرَأَ. وَالحَرَامُ مِنهَا مَا كَانَ مَجهُولاً، أَو مُطَلسَماً، أَمَّا مَا كَانَ مِن قِرَاءَةِ قُرآنٍ، أَو أَدعِيَةٍ، فَلا شَكَّ بِإِبَاحَتِهِ، وَالأَحَادِيثُ في هَذَا البَابِ كَثِيرَةٌ.

وَقَد قَامَ الشَّيخُ الفَاضِلُ الفَقِيهُ مُحَمَّدُ بنُ يُوسُفَ الجُورَانِيُّ في كِتَابِهِ المرقُومِ : «الرُّقيَةُ الشَّرعِيَّةُ مِنَ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ»بِتَوضِيحِ ذَلِكَ، وَقَد أَفَاضَ في البَابِ، فَأَقنَعَ وَأَمتَعَ، جَزَاهُ اللهُ خَيراً.

وَالتَّمَائِمُ : جَمعُ تَمِيمَةٍ، وَهِيَ خَرَزَاتٌ كَانَتِ العَرَبُ تُعَلِّقُهَا عَلَى أَولادِهَا اتِّقَاءَ العَينِ، وَهِيَ مُحَرَّمَةٌ، إِلَّا مَا كَانَ مِن قُرآنٍ يُعَلَّقُ عَلَى الأَطفَالِ؛ فَقَد فَعَلَ ذَلِكَ عَبدُ اللهِ ابنُ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما.

وَالتِّوَلَةُ ـ بِكَسرِ التَّاءِ المُشَدَّدَةِ وَفَتحِ الوَاوِ ـ : ضَربٌ مِنَ السِّحرِ، أَو قِرطَاسٌ يُكتَبُ فِيْهِ شَيءٌ مِنَ السِّحرِ، وَعَادَةً مَا يَكُونُ مِنَ المرأَةِ لِلحُصُولِ عَلَى مَحَبَّةِ زَوجِهَا.

وَالأَحَادِيثُ في التَّدَاوِي كَثِيرَةٌ جِدَّاً، وَقَد ذَكَرتُ مِنهَا نُبذَةً صَالِحَةً في كِتَابِي «أَحكَامُ التَّدَاوِي»، وَقَد تَدَاوَى رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَمَرَ أَصحَابَهُ بِالتَّدَاوِي ـ أَمرَ نَدبٍ لا وُجُوبٍ ـ وَتَدَاوَى أَصحَابُهُ وَآلُ بَيتِهِ.

وَاتِّخَاذُ الأَسبَابِ لا يُنَافي التَّوَكُّلَ؛ فَقَد كَانَ ﷺ أَكمَلَ النَّاسِ وَأَعظَمَهُم تَوَكُّلاً عَلَى الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وَمَع ذَلِكَ، فَقَد قَامَ بِالأَسبَابِ في عَالَمِ الأَسبَابِ، وَاستَعَدَّ لِكُلِّ أَمرٍ مِن أُمُورِهِ.

وَعِندَمَا هَاجَرَ إِلَىٰ المدِينَةِ اتَّخَذَ الأَسبَابَ، وَأَعَدَّ الرَّاحِلَةَ، وَالزَّادَ، وَالدَّلِيلَ، وَخَفَّى مَكَانَهُ عَلَى قُرَيشٍ الَّتِي كَانَت تُطَارِدُهُ، وَفِي حُرُوبِهِ كُلِّهَا كَانَ يَستَعِدُّ الاستِعدَادَ الكَامِلَ لِمُلاقَاةِ العَدُوِّ، وَيُعَمِّي عَلَى العَدُوِّ حَتَّى يَأخُذَهُ عَلَى غِرَّةٍ، وَكَانَ يَستَخدِمُ الرَّصَدَ حَتَّى لا يُفَاجِئَهُ العَدُوُّ، وَكَانَتِ المُبَادَرَةُ دَائِماً بِيَدِهِ.

يقول ابنُ القَيِّم في «زَادِ المعَادِ»: «وَفي الأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ الأَمرُ بِالتَّدَاوِي، وَأَنَّهُ لا يُنَافي التَّوَكُّلَ، كَمَا لا يُنَافيهِ دَفعُ دَاءِ الجَوعِ، وَالعَطَشِ، وَالحَرِّ، وَالبَردِ، بِأَضدَادِهَا، بَل لَا تَتِمُّ حَقِيقَةُ التَّوحِيدِ إِلَّا بِمُبَاشَرَةِ الأَسبَابِ الَّتِي نَصَبَهَا الله مُقتَضَيَاتٍ لِمُسَبَّبَاتِهَا، قَدَراً، وَشَرعاً، وَأَنَّ تَعطِيلَهَا يَقدَحُ في نَفسِ التَّوَكُّلِ كَمَا يَقدَحُ في الأَمرِ، وَالحِكمَةِ، وَيُضعِفُهُ مِن حَيثُ يَظُنُّ مُعَطِّلُهَا أَنَّ تَركَهَا أَقوَى في التَّوَكُّلِ؛ فَإِنَّ تَركَهَا عَجزاً يُنَافي التَّوَكُّلَ الَّذِي حَقِيقَتُهُ اعتِمَادُ القَلبِ عَلَى الله في حُصُولِ مَا يَنفَعُ العَبدَ في دِينِهِ وَدُنيَاهُ، وَدَفعِ مَا يَضُرُّهُ في دِينِهِ وَدُنيَاهُ، وَلا بُدَّ مَع هَذَا الاعتِمَادِ مِن مُبَاشَرَةِ الأَسبَابِ وَإِلَّا كَانَ مُعَطِّلاً لِلحِكمَةِ، وَالشَّرعِ؛ فَلا يَجعَلُ العَبدَ عَجزَهُ تَوَكُّلاً، وَلا تَوَكُّله عَجزاً».

وَيقول في «مِفتَاحِ دَارِ السَّعَادَةِ»، عِندَ حَدِيثِهِ عن أَحَادِيثِ العَدوَى وَمَا بَيَّنَ فِيها مِن تَعَارُضٍ ظَاهِرِيٍّ: «وَعِندِي في الحَدِيثَينِ مَسلَكٌ آخَرُ، يَتَضَمَّنُ إِثبَاتَ الأَسبَابِ وَالحِكَمِ وَنَفيَ مَا كَانُوا عَلَيهِ مِنَ الشِّركِ، وَاعتِقَادِ البَاطِلِ، وَوُقُوعِ النَّفيِ وَالإِثبَاتِ عَلَى وَجهِهِ؟ - أَي: لا عَدوَى، وَفِرَّ مِنَ المجذُومِ - فَإِنَّ العَوَامَّ كَانُوا يُثبِتُونَ العَدوَى عَلَى مَذهَبِهِم مِنَ الشِّركِ البَاطِلِ.. وَلَو قَالُوا: إِنَّهَا أَسبَابٌ، أَو

أَجزَاءُ أَسبَابٍ، إِذَا شَاءَ اللهُ صَرَفَ مُقتَضَيَاتِهَا بِمَشِيئَتِهِ وَإِرَادَتِهِ وَحِكمَتِهِ، وَإِنَّهَا مُسَخَّرَةٌ بِأَمرِهِ لِمَا خُلِقَت لَهُ، وَإِنَّهَا فِي ذَلِكَ بِمَنزِلَةِ سَائِرِ الأَسبَابِ الَّتِي رَبَطَ بِهَا مُسَبَّبَاتِهَا، وَجَعَلَ لَهَا أَسبَابَاً أُخَرَ تُعَارِضُهَا، وَتُمَانِعُهَا، وَتَمنَعُ اقتِضَاءَهَا لِمَا جُعِلَت أَسبَابَاً لَهُ، وَإِنَّهَا لا تَقضِي مُسَبَّبَاتِهَا إِلَّا بِإِذنِهِ وَمَشِيئَتِهِ وَإِرَادَتِهِ، وَلَيسَ لَهَا مِن ذَاتِهَا ضُرٌّ، وَلا نَفعٌ وَلا تَأثِيرٌ البَتَّةَ».

ثُمَّ قال: «فَالمقَامَاتُ ثَلاثَةٌ:

أَحَدُهَا: تَجرِيدُ التَّوحِيدِ، وَإِثبَاتُ الأَسبَابِ، وَهَذَا الَّذِي جَاءَت بِهِ الشَّرَائِعُ، وَهُوَ مُطَابِقٌ لِلوَاقِعِ فِي نَفسِ الأَمرِ.

وَالثَّانِي: الشِّركُ فِي الأَسبَابِ.

وَالثَّالِثُ: إِنكَارُ الأَسبَابِ بِالكُلِّيَّةِ؛ مُحَافَظَةً مِن مُنكِرِهَا عَلَى التَّوحِيدِ.

فَالمُنحَرِفُونَ طَرَفَانِ مَذمُومَانِ: إِمَّا قَادِحٌ فِي التَّوحِيدِ بِالأَسبَابِ، وَإِمَّا مُنكِرٌ لِلأَسبَابِ بِالتَّوحِيدِ. وَالحَقُّ غَيرُ ذَلِكَ، وَهُوَ إِثبَاتُ التَّوحِيدِ وَالأَسبَابِ، وَرَبطُ أَحَدِهِمَا بِالآخَرِ، فَالأَسبَابُ مَحَلُّ حُكمِهِ الدِّينِيِّ وَالكَونِيِّ، وَالحُكمَانِ عَلَيهَا يَجرِيَانِ، بَل عَلَيهَا يَتَرَتَّبُ الأَمرُ وَالنَّهيُ، وَالثَّوَابُ وَالعِقَابُ، وَرِضَا الرَّبِّ وَسَخَطُهُ، وَلَعنَتُهُ وَكَرَامَتُهُ، وَالتَّوحِيدُ تَجرِيدُ الرُّبُوبِيَّةِ وَالإِلَهِيَّةِ عن كُلِّ شِركٍ، فَإِنكَارُ الأَسبَابِ إِنكَارُ الحِكمَةِ، وَالشِّركُ بِالأَسبَابِ قَدحٌ فِي تَوحِيدِهِ، وَإِثبَاتُهَا وَالتَّعَلُّقُ بِالسَّبَبِ، وَالتَّوَكُّلُ عَلَيهِ، وَالخَوفُ مِنهُ، وَالرَّجَاءُ لَهُ وَحدَهُ هُوَ مَحضُ التَّوحِيدِ.

وَالمعرِفَةُ تُفَرِّقُ بَينَ مَا أَثبَتَهُ الرَّسُولُ ﷺ وَبَينَ مَا نَفَاهُ، وَبَينَ مَا أَبطَله، وَبَينَ مَا اعتَبَرَهُ، فَهَذَا لَونٌ، وَهَذَا لَونٌ، وَاللَّهُ المُوَفِّقُ لِلصَّوَابِ» اهـ. مُختَصَراً.

وَالمُؤمِنُ لا يُنكِرُ الأَسبَابَ، بَل يَعتَرِفُ وَيَعمَلُ بِهَا دُونَ أَن يَعتَقِدَ أَنَّهَا فَاعِلَةٌ بِذَاتِهَا؛ فَالأَمرُ كُلُّهُ للهِ مِن قَبلُ، وَمِن بَعدُ.

وَأَمرُ المُؤمِنِ كُلُّهُ مَنُوطٌ بِاللَّهِ سُبحَانَهُ وَتَعَالىٰ، وَقَلبُهُ مُعَلَّقٌ بِهِ، وَمَا شُرِعَ لَهُ مِنَ الصَّلاةِ، وَالصِّيَامِ، وَالزَّكَاةِ، وَالحَجِّ، وَسَائِرِ العِبَادَاتِ، تَجعَلُهُ للهِ ذَاكِراً في جَمِيعِ أَوقَاتِهِ إِلَّا مَا يَعتَرِيهِ مِنَ الغَفلَةِ، فَيَذَّكَّرُ وَيَعُودُ إِلَىٰ رَبِّهِ سَرِيعاً، وَصِلَةُ المُؤمِنِ بِرَبِّهِ لا تَعِزُّ، بَل تَزدَادُ وَخَاصَّةً عِندَ الابتِلاءَاتِ.

وَلِهَذَا؛ فَإِنَّ كَثِيراً مِمَّا وَرَدَ في الرُّقَى في كِتَابِ أَخِينَا الشَّيخِ الفَاضِلِ مُحَمدِ بنِ يُوسُفَ الجُورَانِيِّ مِنَ الآيَاتِ وَالأَحَادِيثِ وَالأَدعِيَةِ، هِيَ مِمَّا يَنبَغِي عَلَى المُسلِمِ الحَقِّ أَن يَجعَلَهَا مِن وِرْدِهِ اليَومِيِّ صَبَاحَاً وَمَسَاءً؛ فَهُوَ كِتَابٌ مَوثَّقٌ في مَصَادِرِهِ وَمَرَاجِعِهِ، حَتَّى ظَنَنتُهُ رِسَالَةً في الدِّرَاسَاتِ العُليَا.

وَهُنَاكَ ظَاهِرَةٌ لا يُقِرُّهَا الشَّرعُ وَلا العَقلُ، وَهِيَ انتِشَارُ مَن يَزعَمُونَ أَنَّهُم يُدَاوُونَ السِّحرَ، وَالجِنَّ، وَالعَينَ وَسَائِرَ الأَمرَاضِ، وَهَذِهِ ظَاهِرَةٌ مُلفِتَةٌ لِلنَّظَرِ؛ حَيثُ ظَهَرَ هَؤُلاءِ بِأَعدَادٍ كَبِيرَةٍ في كُلِّ أَقطَارِ العَالَمِ الإسلامِيِّ، وَهُم يَجمَعُونَ الثَّرَوَاتِ، وَالأَموَالَ مِن عَامَّةِ النَّاسِ، وَخَاصَّةً مِنهُم السُّذَّجِ، وَجَعَلُوا كِتَابَ اللهِ فُرصَةً للإثرَاءِ عَلَى حِسَابِ هَؤُلاءِ المَسَاكِينِ.

وَقَد حَدَثَت حَوَادِثُ كَثِيرَةٌ مِنَ الاعتِدَاء عَلَى النِّسَاءِ وَالخَلوَةِ بِهِنَّ مِن بَعضِ هَؤُلاءِ الذِين يَزعُمُونَ أَنَّهُم يَرقُونَ مِنَ السِّحرِ، وَالجِنِّ، وَالعَينِ.. إِلَخ، كَمَا حَدَثَت للأَسَفِ وَفَيَاتٌ بِسَبَبِ مَا يَقُومُ بِهِ بَعضُ هَؤُلاءِ، مِن زَعمِهِم إِخرَاجَ الجِنِّ، فَقَد قَامَ أَحَدُهُم بِخَنقِ امرَأَةٍ حَتَّى مَاتَت بِزَعمِهِ أَنَّهُ يَقتُلُ الجِنِّيَّ وَيُخرِجُهُ ! كَمَا أُصِيبَ بَعضُ المرضَى بِعَاهَاتٍ نَتِيجَةَ ضَربِ مَن يَدَّعِي إِخرَاجَ الجِنِّيِّ؛ حَيثُ يَضرِبُ الجِنِّيَّ بِعَصاهُ الغَلِيظَةِ حَتَّى يَخرُجَ !! وَهَكَذَا وَقَعَت حَوَادِثُ مُؤسِفَةٌ، وَمُسَجَّلَةٌ وَمُوَثَّقَةٌ في كَثِيرٍ مِنَ البُلدَانِ، وَمِنهَا المملَكَةُ العَرَبِيَّةُ السُّعُودِيَّةُ مِن هَؤُلاءِ المُرتَزِقَةِ.

وَقَد أَحسَنَ الشَّيخُ أَبُو العَالِيَةِ الجُورَانِيُّ في النَّكِيرِ عَلَى هَؤُلاءِ في كِتَابِهِ : «الرُّقيَةُ الشَّرعِيَّةُ»وَقَد رَأَيتُ مَن يُعَالِجُ السِّحرَ بِإِعطَاءِ الطِّفلِ المسحُورِ، مُسَهِّلاتٍ قَوِيَّةٍ حَتَّى خَرَجَت قِطَعٌ مِن أَمعَائِهِ ! رَأَينَاهَا تَحتَ المِجهَرِ، وَكَادَت تَقتُلُ الطِّفلَ لَولا فَضلُ الله سُبحَانَهُ وَتَعَالىٰ، ثُمَّ تَدَارُكُنَا لَهُ، وَكَم مِنَ المَآسِي مِن هَؤُلاءِ الجَهَلَةِ وَالكَذَبَةِ وَالأَفَّاقِينَ.

وَيَكفي المُؤمِنَ أَن يَقرَأَ كُلَّ يَومٍ آيَةَ الكُرسِيِّ، وَالمُعَوِّذَاتِ، وَغَيرَهَا مِنَ الأَدعِيَةِ، وَالأَذكَارِ الوَارِدَةِ، وَيَجعَلَهَا وِردَهُ، حَتَّى يَبتَعِدَ عن هَؤُلاءِ المُشَعوِذِينَ وَالأَفَّاقِينَ، وَاللَّهُ المُستَعانُ عَلَى مَا يَصِفُونَ.

د. محمد علي البار

❑ ❑ ❑
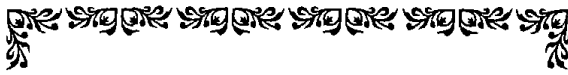
تَقدِيمُ فَضِيلَةِ الشَّيخِ الدُّكتُور
صَلاح بن عَبد الفتَّاح الخالِدي

حَفِظَهُ الله وَأَطَالَ في عُمُرِهِ

إنَّ الحَمدَ للهِ، نَحمَدُهُ وَنَستَعِينُهُ وَنَتُوبُ إلَيهِ وَنَستَغفِرُهُ، وَنَعوذُ باللهِ مِن شُرُورِ أَنفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعمالِنَا، مَن يَهدِهِ اللهُ فَلا مُضِلَّ لَهُ، وَمَن يُضلِل فَلا هَادِيَ لَهُ.

وَأَشهَدُ أَنَّ لا إلَهَ إلَّا اللهُ وَحدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَوَاتُ اللهِ عَليهِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحبِهِ أَجمَعِينَ، أَمَّا بَعدُ :

فَإنَّ مِنَ المُلاحَظِ انتِشَارَ الأَمرَاضِ المُختَلِفَةِ في هَذَا العَصرِ، مَع التَّقَدُّمِ الكَبِيرِ في الطِّبِّ وَالعِلاجِ، فَهُنَاكَ الأَمرَاضُ المادِيَّةُ، وَالأَمرَاضُ النَّفسِيَّةُ، وَهُنَاكَ الأَدوِيَةُ المادِّيَّةُ وَالمعنَوِيَّةُ، وَلَعَلَّ مِن أَسبَابِ كَثرَةِ الأَمرَاضِ، وَانتِشَارِهَا : ابتِعَادُ النَّاسِ عن شَرعِ الله، وَارتِكَابُهُم المعَاصِيَ وَالمُنكَرَاتِ، فَهَذِهِ الأَمرَاضُ العَدِيدَةُ عِقَابٌ مِنَ اللهِ لِلنَّاسِ، وَكُلَّما ازدَادُوا مِنَ الذُّنُوبِ وَالمعَاصِي، ازدَادَتِ الأَمرَاضُ انتِشَاراً.

وَيَعزُو كَثِيرٌ مِنَ المُسلِمِينَ الكَثِيرَ مِنَ الأَمرَاضِ الَّتِي تُصِيبُهُم إلَىٰ الجِنِّ، وَإذَا أَحَسَّ أَحَدُهُم بِأَعرَاضِ مَرَضٍ جِسمِيٍّ أَو نَفسِيٍّ، ذَهَبَ تَفكِيرُهُ فَوراً إلَىٰ الجِنِّ، وَاتَّهَمَ فُلاناً مِنَ النَّاسِ بِأَنَّهُ عَمِلَ لَهُ «عَمَلاً» وَسَلَّطَ عَليهِ الجِنَّ؛ فَدَخَلُوا إلَيهِ، وَاستَوطَنُوا في جِسمِهِ، وَتَلَبَّسُوهُ وَمَسُّوهُ، وَشَلُّوا حَرَكَتَهُ، وَعَطَّلُوا حَيَاتَهُ !!

وَمِن ثَمَّ انتَشَرَ الَّذِينَ يُعَالِجُونَ مِنَ الجِنِّ في مُجتَمَعَاتِ المُسلِمِينَ، وَلا تَكَادُ تَخلُو مِنهُم قَريَةٌ، أَو مَدِينَةٌ، وَقَدَّمُوا أَنفُسَهُم عَلَى أَنَّهُم مَاهِرُونَ في العِلاجِ، مُسَيطِرُونَ عَلَى

الجِنِّ، قَادِرُونَ عَلَى إخرَاجِهِم، وَإِرَاحَةِ المُصَابِينَ مِنهُم، وَمَا يَكَادُ يَزُورُ مُصَابٌ وَاحِداً مِنهُم، إِلَّا وَيُسَارِعُ بِتَشخِيصِ حَالَتِهِ بِأَنَّهُ قَد تَلَبَّسَهُ الجِنُّ، وَأَنَّهُ وَحدَهُ القَادِرُ عَلَى إخرَاجِهِم.

وَزَعَمَ هَؤُلاءِ بِأَنَّهُم لا يُعَالِجُونَ إِلَّا بِالقُرآنِ، وَيُتَمتِمُونَ عَلَى المُصَابِ - رَجُلاً كَانَ أَوِ امرَأَةً - كَلاماً يَزعُمُونَ أَنَّهُ قُرآنٌ يَتلُونَهُ، وَيَقُومُونَ بِحَرَكَاتٍ، وَتَصَرُّفَاتٍ مَبَالَغَةً فِي التَّهوِيلِ، وَالتَّمثِيلِ.

وَاختَلَطَ الحَقُّ بِالبَاطِلِ فِي مَوضُوعِ الأَمرَاضِ، وَالجِنِّ وَالعِلاجِ وَالرُّقَى، وَصَارَ الصَّادِقُونَ الصَّالِحُونَ مِنَ المُعَالِجِينَ قَلِيلِينَ أَمَامَ طَوَابِيرِ الدَّجَّالِينَ، وَالمُخَادِعِينَ وَالكَاذِبِينَ، وَأُسِيءَ استِخدَامُ العِلاجِ الشَّرعِيِّ، القَائِمِ عَلَى الرُّقَى الشَّرعِيَّةِ، وَالْتَبَسَ الأَمرُ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ!

ثُمَّ قَدْ دَعَتِ الحَاجَةُ إِلَىٰ تَحرِيرِ الكَلامِ فِي الرُّقيَةِ الشَّرعِيَّةِ، وَتَصفِيَتِهَا مِمَّا أُلحِقَ بِهَا مِن مُمَارَسَاتٍ، وَأَفعَالِ المُدَّعِينَ الكَاذِبِينَ.

فَقَامَ الأَخُ الكَرِيمُ الشَّيخُ مُحَمَّدُ بنُ يُوسُفَ الجُورَانِيُّ، بِهَذِهِ المُهِمَّةِ، جَزَاهُ اللهُ خَيرَ الجَزَاءِ، وَقَدَّمَ لِي بَحثَهُ: «الرُّقيَةُ الشَّرعِيَّةُ مِنَ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ» الَّذِي أَخَذَهُ مِن بَحثِهِ الأَكبَرِ: «نَفعُ الأَنَامِ بِمَا جَاءَ فِي التَّدَاوِي وَالرُّقَى عن نَبِيِّ الإِسلامِ»، وَله بَحثٌ ثَالِثٌ بِنَفسِ الموضُوعِ، سَمَّاهُ: «فِقهُ الرُّقيَةِ الشَّرعِيَّةِ».

وَقَد اطَّلَعتُ عَلَى هَذَا البَحثِ «الرُّقيَةُ الشَّرعِيَّةُ مِنَ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ» فَوَجَدتُهُ نَافِعاً مُفِيداً طَيِّباً إِن شَاءَ اللهُ.

وَكَانَ الشَّيخُ الجُورَانِيُّ فِيهِ حَرِيصاً عَلَى الالتِزَامِ بِالقُرآنِ وَالسُّنَّةِ، وَتَصَرُّفَاتِ سَلَفِ الأُمَّةِ وَعُلَمَائِهَا.

وَقَد نَزَّهَ بَحثَهُ عَنِ التَّجَاوُزَاتِ الشَّرعِيَّةِ فِي الأَفكَارِ وَالآرَاءِ، وَالأَقوَالِ، وَالأَذكَارِ، وَالتَّصَرُّفَاتِ.

وَأَرَى أَنَّهُ مُفيدٌ نَافِعٌ إن شَاءَ اللهُ يَستَفيدُ مِنهُ كُلُّ مَن يُطَالِعُهُ.

فَجَزَى اللهُ الشَّيخَ الجُورَانِيَّ خَيرَ الجَزَاءِ.

وكَتبهُ

د. صلاح عبد الفتاح الخالدي

❑ ❑ ❑
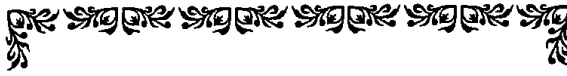
تَقدِيمُ فَضِيلَةِ الشَّيخِ الدُّكتُور مُحَمَّد بن مَحمُود أبو رُحيِّم

حَفِظَهُ الله وَأطَالَ في عُمُرِهِ

الحَمدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلَى رَسُولِنَا الكَرِيمِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحبِهِ أَجمَعِينَ، أَمَّا بَعدُ :

فَإِنَّ أَخَانَا الفَاضِلَ أَبَا العَالِيَةِ، قَد خَطَّ كِتَاباً في الرُّقيَةِ الشَّرعِيَّةِ، ثُمَّ دَفَعَهُ إِلَيَّ لِقِرَاءَتِهِ، فَوَجَدتُهُ نَافِعاً في بَابِهِ : عِلْماً، وَعَمَلاً.

جَمَعَ فِيْهِ رَعَاهُ اللهُ بَينَ التَّفصِيلِ الشَّرعِيِّ لِلرُّقيَةِ مِن حَيثُ الحُكْمُ، بِالتَّنصِيصِ عَلَيهَا كِتَاباً، وَمَا صَحَّ مِنَ الآثَارِ الوَارِدَةِ فِيها سُنَّةً.

وَمَا وَقَعَ عَليهِ اختِيَارُهُ مِن آيِ الذِّكرِ الحَكِيمِ؛ مِمَّا وَرَدَ بِهِ النَّصُّ، أَو مِمَّا اجتَهَدَ في اختِيَارِهِ؛ فَيَكفِي فِيْهِ القَولُ؛ بِأَنَّ القُرآنَ فِيْهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ، شِفَاءٌ مِمَّا وَقَعَ عَلَى القَلبِ، أَو النَّفسِ، أَو الرُّوحِ، أَو الجَسَدِ، أَو العَقلِ.

وَشِفَاءُ الدَّفعِ مِن غَوَامِضِ الطَّوَارِقِ، مِمَّا لا يَعلَمُهُ إِلَّا اللهُ، قال تَعَالَىٰ : ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الإسراء: ٨٢)

وَقال جَلَّ وَعَلا : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (يونس: ٥٧).

وَمَا اختَارَهُ حَفِظَهُ اللهُ مِنْ صَحِيحِ الأَدعِيَةِ الوَاقِيَةِ، وَالرَّافِعَةِ؛ دَلِيلٌ عَلَى سَلامَةِ عَقِيدَتِهِ، وَصِحَّةِ مَنهَجِهِ، في تَحَرِّي الحَقِّ، وَإِصَابَتِهِ الدَّاءَ بِالدَّوَاءِ الشَّافي.

فَجَزَى اللهُ أَخَانَا عَلَى جُهدِهِ، وَنَفَعَ بِهِ أَصحَابَ الحَاجَاتِ، وَاللهُ المُوَفِّقُ.

وكتب : د. محمد أبو رحيِّم
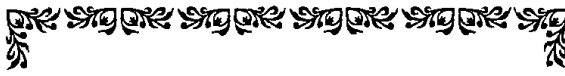
تَقدِيمُ فَضِيلَةِ الشَّيخِ الدُّكتُور
أحمَد بن سَعيد حوَّى

حَفِظَهُ الله وَأَطَالَ في عُمُرِهِ

الحَمدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلَى سَيِّدِ المُرسَلِينَ، وَبَعدُ.

فَقَد اطَّلَعتُ عَلَى رِسَالَةِ الشَّيخِ الفَاضِلِ مُحَمَّدِ بنِ يُوسُفَ الجُورَانِيِّ، في «الرُّقيَةُ الشَّرعِيَّةُ مِنَ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ» وَقَد وَجَدتُهَا رِسَالَةً مَاتِعَةً، مُفِيدَةً إن شَاءَ اللهُ.

وَالرُّقيَةُ كَمَا أَنَّهَا وَسِيلَةٌ نَافِعَةٌ بِإِذنِ اللهِ تَعَالَىٰ وَتَقدِيرِهِ؛ فَإِنَّهَا بَرَكَةٌ مِن بَرَكَاتِ هَذَا الدِّينِ، وَثَمَرَةٌ مِن ثِمَارِ وِرَاثَةِ النُّبُوَّةِ.

وَهَكَذَا يَنبَغِي أَن تَكُونَ، وَهَكَذَا يَنبَغِي أَن يَكُونَ الرَّاقِي، وَارِثَ النُّبُوَّةِ بِحَقٍّ، وَعِندَهَا تَكُونُ الرُّقيَةُ المُبَارَكَةُ النَّافِعَةُ إن شَاءَ اللهُ تَعَالَىٰ.

وَبِمِثلِ هَذَا يُقطَعُ الطَّرِيقُ عَلَى المُدَّعِينَ، وَالمُشَعوِذِينَ، وَالدَّجَّالِينَ.

لَعَلَّ هَذَا الكِتَابَ يُعِينُكَ عَلَى أَن تَعرِفَ الصَّوابَ، وَتَعرِفَ الطَّرِيقَ الصَّحِيحَ بِإِذنِ اللهِ تَعَالَىٰ. وَاللَّهُ أَعلَمُ.

د. أحمد سعيد حوَّى

❑ ❑ ❑
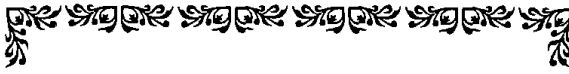
تَقدِيمُ فَضِيلَةِ الشَّيخِ المُعَلِّمِ
أنسُ بن حمَد العُوَيْد
حَفِظَهُ الله وَأَطَالَ في عُمُرِهِ

مُؤَسِّس مَوقِعِ «لُقَطُ المرجَانِ في عِلاجِ العَينِ وَالسِّحرِ وَالجانِّ» عَلَى الشَّبَكَةِ العَنكَبُوتِيَّةِ

إنَّ الحَمدَ للهِ، نَحمَدُهُ وَنَستَعِينُهُ وَنَستَغفِرُهُ، وَنَعوذُ بِاللَّهِ مِن شُرُورِ أَنفُسِنَا وَمِن سَيِّئَاتِ أَعمالِنَا، مَن يَهدِهِ الله فَلا مُضِلَّ لَهُ، وَمَن يُضلِل فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشهَدُ أَنَّ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبدُهُ وَرَسُولُهُ. أَمَّا بَعدُ:

فَقَد اطَّلَعتُ عَلَى كِتَابِ «الرُّقيَةِ الشَّرعِيَّةِ مِنَ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ» تَألِيفُ الشَّيخِ مُحَمَّدِ بنِ يُوسُفَ الجُورَانِيِّ وَفَّقَهُ اللهُ؛ فَقَد استَوفَى فِيهِ مَا يَتَعَلَّقُ بِالرُّقيَةِ الشَّرعِيَّةِ، تَعرِيفِهَا، وَحُكمِهَا، وَشُرُوطِهَا، وَأَسهَبَ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالرَّاقِي وَصِفَاتِهِ الَّتِي يَنبَغِي أَن يَتَحَلَّى بِهَا، فَأَلفَيتُهُ مُؤَلَّفاً مُفِيداً لِطَالِبِ العِلمِ، وَالمَرِيضِ عَلَى حَدٍّ سَوَاءٍ، وَأُوصِي بِقِرَاءَتِهِ، وَالاستِفَادَةِ مِنهُ.

جَزَى اللهُ المُؤَلِّفَ كُلَّ خَيرٍ، وَأَسأَلُ اللهَ تَعَالَىٰ أَن يَجعَلَهُ مِنَ العِلمِ الَّذِي يَنتَفِعُ بِهِ يَومَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ، إِلَّا مَن أَتَى اللهَ بِقَلبٍ سَلِيمٍ؛ فَقَد ثَبَتَ عن النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قال: «إِذَا مَاتَ ابنُ آدَمَ انقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِن ثَلاثٍ: صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَو عِلمٍ يَنتَفِعُ بِهِ، أَو وَلَدٍ صَالِحٍ يَدعُو لَهُ».

وَصَلَّى اللهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحبِهِ.

كَتَبهُ العَبدُ الفَقيرُ إلى عَفوِ رَبِّه: أبو حمد

شُكرٌ وَثَناءٌ

مِنْ بَابِ قَولِ المُصْطَفَى ﷺ: «لا يَشكُرُ اللهَ مَنْ لا يَشكُرُ النَّاسَ»[1].

فَعِرْفَاناً وَإجلالاً لِمَشَايِخِي الكِرَامِ، وَلأَهلِ الفَضْلِ الَّذِينَ أَخذتُ مِن أَوقَاتِهم وَجُهدِهِم في مُرَاجَعَةِ كِتَابِي وَتَصحِيحِهِ، أَسأَلُ المولَى جَلَّ في عُلاهُ أَن يَجزِيَهم عَنِّي خَيرَ الجَزَاءِ، وَأَن يُبَارِكَ في جُهُودِهِم، وَعِلْمِهِم، وأَوقَاتِهِم، وَأَن يَحفَظَهُم بِحِفظِهِ، ويَجعَلَهُم ذُخراً لِلإسلامِ وَالمُسلِمِينَ في مَشَارِقِ الأَرضِ وَمَغَارِبِهَا.

فَضِيلَةُ الشَّيخِ مُحَمَّد إبرَاهِيمَ شَقرَة حَفِظَهُ الله

فَضِيلَةُ الشَّيخِ الدُّكتُور مُحَمَّد بن علي البَار حَفِظَهُ اللهُ

فَضِيلَةُ الشَّيخِ الدُّكتُور صَلاح بنِ عبدِ الفتَّاح الخَالِدِي حَفِظَهُ اللهُ

فَضِيلَةُ الشَّيخِ الدُّكتُور مُحَمَّد بنِ محمُود أبو رُحَيِّم حَفِظَهُ اللهُ

فَضِيلَةُ الشَّيخِ المُعَلِّمِ أَنَس بن حمد العُوَيْد حَفِظَهُ اللهُ

وأَخُصُّ بِالشُّكرِ الجَمِيلِ، والعِرفَانِ الطَّوِيلِ، وَالدُّعَاءِ الجَزِيلِ لِشَيخَيَّ:

فَضِيلَةِ الشَّيخِ الأُستَاذِ الدُّكتُور عُمَر سُلَيمانَ الأَشقَر حَفِظَهُ اللهُ

وَفَضِيلَةِ الشَّيخِ الدُّكتُور أحمد بنِ سعيد حَوَّى حَفِظَهُ الله

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٨١١)، والترمذي (١٩٥٤) وأحمد في «مسنده» (٧٩٣٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وإسناده صحيح.

قال المنذري: رُوِيَ هذا الحديث، برفع «الله»، وبرفع «الناس»، وروي أيضاً: بنصبهما، وبرفع «الله»، ونصب «الناس»، وعكسه، أربع روايات «الترغيب والترهيب» (٢/ ٤٦)

وقال الحافظ الزين العراقي: «والمعروف المشهور في الرواية بنصبهما». «فيض القدير» للمناوي (٦/ ٢٢٥).

عَلَى مَا أَولَيانِي مِن مَزِيدِ حَفَاوةٍ وَإكرَامٍ، وَفائِقِ المحَبَّةِ والاهتِمَامِ فِي المُرَاجَعَةِ والتَّنقِيحِ، ومَا فَتَرَا عن التَّوجِيهِ والتَّصحِيحِ، كُلُّ ذَلِك، بِتَواضُعٍ جَمٍّ، وَخُلُقٍ رَفيعٍ، وَعِلمٍ مُتمَيِّزٍ، تَعرِفُ مِنهُمَا خُلُقَ العَالِمِ الرَّبَّانِيِّ، الَّذِي إذَا رَأَيتَهُ ذَكرتَ الله تَعَالىٰ.

فَاللَّهَ سُبحَانَه أَسأَلُ أَنْ لا يَحرِمَ الجَمِيعَ الأَجرَ وَالثَّوَابَ، رَفَعَ رَبِّي ذِكرَهُم، وَغَفَرَ لَهُم ذَنبَهُم، وأَلبَسَهُم لِبَاسَ العَافيةِ وَالسَّلامَةِ، وَخَتَمَ لَنَا وَلَهُم بِخَيرٍ، وَجَمَعَنَا بِهِم مَعَ الحَبِيبِ المُصطَفَى ﷺ فِي مَقعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُقتَدِرٍ.

والشُّكرُ مَوصُولٌ لِكُلِّ مَن نَصَحَنِي، أَو أَفَادَنِي، أَو أَشَارَ عَلَيَّ بِمَشُورَةٍ، واستَفَدتُ مِنها، عَلِمَ أَو لَمْ يَعلَمْ؛ فَأَسأَلُ اللهَ أنْ يَجزِيَهم عَنِّي خَيرَ الجَزَاءِ.

□ □ □

إضاءة

□ يقولُ ابنُ أَبي جَمرةَ رَحِمَهُ اللهُ بعدَ شَرْحِهِ لِقَولِ النَّبيِّ ﷺ لأَخي الرَّجُلِ الَّذي يَشتكِي وَجعَ بَطنِهِ : «اسقِهِ عَسَلاً» : «تكَلَّمَ نَاسٌ في هَذَا الحَدِيثِ، وَخَصُّوا عُمُومَهُ، وَرَدُّوهُ إلَى قولِ أَهلِ الطِّبِّ والتَّجربَةِ ! ولا خِلافَ بِغَلَطِ قَائِلِ ذَلِكَ؛ لأَنَّا إذَا صَدَّقنا أَهلَ الطِّبِّ ـ ومَدَارُ عِلْمِهِم غَالِباً عَلَى التَّجربَةِ الَّتِي بِنَاؤُهَا عَلَى الظَّنِّ غَالِبٌ ـ فتَصدِيقُ مَن لا يَنطِقُ عن الهَوَى أَولى بِالقَبُولِ في كَلامِهِم »[1].

□ ويَقُولُ شَيخُ الإسلامِ ابنُ تَيمِيَّةَ رَحِمَهُ اللهُ حِينَ سُئِلَ عن عِظَمِ آيَةِ الكُرسِيِّ في قُوَّةِ دَفعِهَا لِلشَّيَاطِينِ عن بَنِي آدَمَ، ومَشرُوعِيَّتِهَا : «فَهَذَا مِن أَفضَلِ الأَعمَالِ، وَهُوَ مِن أعمَالِ الأَنبِيَاءِ والصَّالِحِينَ؛ فَإِنَّهُ مَا زَالَ الأنبِيَاءُ، وَالصَّالِحُونَ يَدفَعُونَ الشَّيَاطِينَ عن بَنِي آدَمَ بِمَا أَمَرَ اللهُ بِهِ وَرَسُولُهُ »[2].

□ ويَقُولُ ابنُ قَيِّمِ الجوزِيَّةِ رَحِمَهُ اللهُ في نُكتَةٍ بَدِيعَةٍ لَهُ : «فَهُنَا أُمُورٌ ثَلاثَةٌ؛ مُوَافَقَةُ الدَّوَاءِ لِلدَّاءِ، وَبَذلُ الطَّبِيبِ لَهُ، وَقَبُولُ طَبِيعَةِ العَلِيلِ؛ فَمَتَى تَخَلَّفَ وَاحِدٌ مِنهَا، لَمْ يَحصُلِ الشِّفَاءُ، وَإِذَا اجتَمَعَت حَصَلَ الشِّفَاءُ وَلا بُدَّ بِإذنِ اللهِ سُبحَانَهُ وَتَعَالَى.

وَمَن عَرَفَ هَذَا كَمَا يَنبَغِي؛ تَبَيَّنَ لَهُ أَسرَارُ الرُّقَى، وَمَيَّزَ بَينَ النَّافِعِ مِنهَا وَغَيرِهِ، وَرَقَى الدَّاءَ بِمَا يُنَاسِبُهُ مِنَ الرُّقَى، وَتَبَيَّنَ لَهُ أَنَّ الرُّقيَةَ بِرَاقِيهَا وقَبُولِ المحَلِّ؛ كَمَا أَنَّ السَّيفَ بِضَارِبِهِ مَعَ قَبُولِ المحِلِّ لِلقَطْعِ، وَهَذِهِ إِشَارَةٌ مُطلِعَةٌ عَلَى مَا وَرَاءَهَا؛ لِمَن دَقَّ نَظَرُهُ، وحَسُنَ تَأَمُّلُهُ، واللهُ أَعلَمُ »[3].

---

(١) «بهجة النفوس» (٤ / ١٣٠)

(٢) «مجموع الفتاوى» (١٩ / ٥٦)

(٣) «مدارج السالكين» (١ / ٥٧).

❑ وقال سَيِّدُ قُطُب رَحِمَهُ اللهُ : «إنَّ هَذَا القُرآنَ لا يمنَحُ كُنُوزَهُ إلَّا لِمَن يُقبِلُ عَليهِ»[1].

❑ وَفِي دِرَاسَةٍ لِلدُّكتُورِ أَحمَدَ القَاضِي[2] بِعِنوَانِ : «تَأثِيرُ القُرآنِ عَلَى وَظَائِفِ أَعضَاءِ الجِسمِ البَشَرِيِّ» يقول :

«حَتَّى وَقتٍ قَرِيبٍ لَم يَكُن هُنَاكَ اهتِمَامٌ زَائِدٌ بِالقُوَّةِ الشِّفَائِيَّةِ لِلقُرآنِ، وَالَّتِي وَرَدَتِ الإشَارَةُ إلَيهَا في القُرآنِ، وَفي تَعَالِيمِ الرَّسُولِ ﷺ.

كَيفَ يُحَقِّقُ القُرآنُ تَأثِيرَهُ ؟ وَهَل هَذَا التَّأثِيرُ عُضوِيٌّ، أَو رُوحِيٌّ، أَو خَلِيطٌ مِنَ الاثنَينِ مَعاً ؟ وَلِمُحَاوَلَةِ الإجَابَةِ عَلَى هَذَا السُّؤالِ، بَدَأنَا بِإجرَاءِ البُحُوثِ القُرآنِيَّةِ فِي عِيَادَاتِ «أَكبَر» فِي مَدِينَةِ (بَنَمَا سِيتِي) بِوُلايَةِ (فُلُورِيدَا).

وَكَانَ هَدَفُ المرحَلَةِ الأُولَى مِنَ البَحثِ هُوَ إثبَاتَ مَا إذَا كَانَ لِلقُرآنِ أَيُّ أَثَرٍ عَلَى وَظَائِفِ أَعضَاءِ الجَسَدِ، وَقِيَاسَ هَذَا الأَثَرِ إن وُجِدَ.

وَاستُعمِلَت أَجهِزَةُ المُرَاقَبَةِ الإلِكتُرُونِيَّةِ المُزَوَّدَةِ بِالكُمبيُوتَرِ لِقِيَاسِ أَيَّةِ تَغَيُّرَاتٍ فُسيُولُوجِيَّةٍ عِندَ عَدَدٍ مِنَ المُتَطَوِّعِينَ الصُّمِّ أَثنَاءَ استِمَاعِهِم لِتِلاوَاتٍ قُرآنِيَّةٍ، وَقَد تَمَّ تَسجِيلُ، وَقِيَاسُ أَثَرِ القُرآنِ عِندَ عَدَدٍ مِنَ المُسلِمِينَ المُتَحَدِّثِينَ بِالعَرَبِيَّةِ، وَغَيرِ المُتَحَدِّثِينَ بِالعَرَبِيَّةِ، وَكَذَلِكَ عِندَ عَدَدٍ مِن غَيرِ المُسلِمِينَ.

وَبِالنِّسبَةِ لِلمُتَحَدِّثِينَ بِغَيرِ العَرَبِيَّةِ، مُسلِمِينَ كَانُوا، أَو غَيرَ مُسلِمِينَ؛ فَقَد تُلِيَت عَلَيهِم مَقَاطِعُ مِنَ القُرآنِ بِاللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ، ثُمَّ تُلِيَت عَلَيهِم تَرجَمَةُ[3] هَذِهِ المَقَاطِعِ بِاللُّغَةِ الإنجِلِيزِيَّةِ.

وَفِي كُلِّ هَذِهِ المجمُوعَاتِ، أَثبَتَتِ التَّجَارُبُ المبدَئِيَّةُ، وُجُودَ أَثَرٍ مُهَدِّئٍ مُؤَكَّدٍ لِلقُرآنِ فِي (٩٧ ٪) مِنَ التَّجَارُبِ المُجرَاةِ.

---

(١) «معالم في الطريق» (١٨).

(٢) عضو مجلس أمناء المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية، ومدير معهد الطب الإسلامي للتعليم والبحوث –أمريكا.

(٣) المراد بتلاوة الترجمة؛ قراءة ترجمة التفسير لمعاني القرآن لا على أنَّ الترجمة قرآنٌ؛ إذ لا اختلاف في جواز تفسيره بلغة غير العربية كما يُفسَّر بالعربية، أما الترجمة الحرفية فهي ممنوعة قطعاً.

وَقَد ظَهَرَ مِنَ الدِّرَاسَاتِ المبدَئِيَّةِ، أَنَّ تَأثِيرَ القُرآنِ المُهَدِّئ لِلتَّوتُّرِ، يُمكِنُ أَن يُعزَى إِلَىٰ عَامِلَينِ :

العَامِلُ الأَوَّلُ: هُوَ صَوتُ الكَلِمَاتِ القُرآنِيَّةِ بِاللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ، بِغَضِّ النَّظَرِ عَمَّا إِذَا كَانَ المُستَمِعُ قَد فَهِمَهَا، أَو لَمْ يَفهَمهَا، وَبِغَضِّ النَّظَرِ عن إِيمَانِ المُستَمِعِ.[1]

أَمَّا العَامِلُ الثَّانِي: فَهُوَ مَعنَى المَقَاطِعِ القُرآنِيَّةِ الَّتِي تُلِيَت، حَتَّى وَلَو كَانَت مُقتَصِرَةً عَلَى التَّرجَمَةِ الإِنجِلِيزِيَّةِ، بِدُونِ الاستِمَاعِ إِلَىٰ الكَلِمَاتِ القُرآنِيَّةِ بِاللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ.[2]

لَقَد أَظهَرَتِ النَّتَائِجُ المبدَئِيَّةُ لِبُحُوثِنَا القُرآنِيَّةِ فِي دِرَاسَةٍ سَابِقَةٍ، أَنَّ لِلقُرآنِ أَثَرَاً إِيجَابِيَّاً مُؤَكَّدَاً لِتَهدِئَةِ التَّوَتُّرِ، وَأَمكَنَ تَسجِيلُ هَذَا الأَثَرِ نَوعَاً وَكَمَّاً، وَظَهَرَ هَذَا الأَثَرُ عَلَى شَكلِ تَغَيُّرَاتٍ فِي التَّيَّارِ الكَهرَبَائِيِّ فِي العَضَلاتِ، وَتَغَيُّرَاتٍ فِي قَابِلِيَّةِ الجِلدِ لِلتَّوصِيلِ الكَهرَبَائِيِّ، وَتَغَيُّرَاتٍ فِي الدَّورَةِ الدَّمَوِيَّةِ وَمَا يَصحَبُ ذَلِكَ مِن تَغَيُّرٍ فِي عَدَدِ ضَرَبَاتِ القَلبِ، وَكَمِّيَّةِ الدَّمِ الجَارِي فِي الجِلدِ، وَدَرَجَةِ حَرَارَةِ الجِلدِ.

وَكُلُّ هَذِهِ التَّغَيُّرَاتِ تَدُلُّ عَلَى تَغَيُّرٍ فِي وَظَائِفِ الجِهَازِ العَصَبِيِّ التِّلقَائِيِّ وَالَّذِي بِدَورِهِ يُؤَثِّرُ عَلَى أَعضَاءِ الجَسَدِ الأُخرَى، وَوَظَائِفِهَا، وَلِذَلِكَ فَإِنَّهُ تُوجَدُ احتِمَالاتٌ لا نِهَايَةَ لَهَا لِلتَّأثِيرَاتِ الفِسيُولُوجِيَّةِ الَّتِي يُمكِنُ أَن يُحدِثَهَا القُرآنُ.

وَكَذَلِكَ فَإِنَّ مِنَ المعرُوفِ أَنَّ التَّوتُّرَ يُؤَدِّي إِلَىٰ نَقصِ المَنَاعَةِ فِي الجِسمِ، وَاحتِمَالِ أَن يَكُونَ ذَلِكَ عن طَرِيقِ إِفرَازِ «الكُورتِيزُول» أَو غَيرِ ذَلِكَ مِن رُدُودِ الفِعلِ بَينَ الجِهَازِ العَصَبِيِّ، وَجِهَازِ الغُدَدِ الصَّمَاءِ، وَلِذَلِكَ؛ فَإِنَّهُ وَمِنَ المنطِقِ افتِرَاضُ أَنَّ الأَثَرَ القُرآنِيَّ المُهَدِّئَ لِلتَّوَتُّرِ يُمكِنُ أَن يُؤَدِّي إِلَىٰ تَنشِيطِ وَظَائِفِ المَنَاعَةِ فِي الجِسمِ، وَالَّتِي بِدَورِهَا سَتُحَسِّنُ مِن قَابِلِيَّةِ الجِسمِ عَلَى مُقَاوَمَةِ الأَمرَاضِ، أَو الشِّفَاءِ مِنهَا، وَهَذَا

---

(١) وهنا تظهر فائدة الاستماع للرقية من الشريط؛ فالذي يسمعها من شريط قد سُجِّل خصيصاً للرقية وسُجِّل بِنِيَّةِ الرُّقية والشفاء؛ فسيكون أثره أعظم من شريط جُمِّع من عِدَّة ختمات وتلاوات . والتجربة شاهدة على ذلك .

(٢) وهذه هي أهمية سماع الرقية بتركيز، بخلاف من استمع لها وهو منشغل عنها، أو وهو نائم، فلا شك أن الأثر سيكون فِيهِ ضَعفٌ، بخلاف لو ركَّز فيها، وتفكَّر في معانيها . وليس الخَبَرُ كالمعاينة .

يَنطَبِقُ عَلَى الأَمرَاضِ المُعْدِيةِ وَالأَورَامِ السَّرطَانِيَّةِ، وَغيرِهَا.[1]

كَمَا أَنَّ نَتَائِجَ هَذِهِ التَّجَارِبِ المُقَارَنَةِ، تُشِيرُ إِلَىٰ أَنَّ كَلِمَاتِ القُرآنِ بِذَاتِهَا، وَبِغَضِّ النَّظَرِ عن مَفهُومِ مَعنَاهَا، لَهَا أَثَرٌ فِسيُولُوجِيٌّ مُهَدِّئٌ لِلتَّوتُّرِ في الجِسمِ البَشَرِيِّ.

وَمِنَ الجَدِيرِ بِالذِّكرِ في هَذَا المَقَامِ أَنَّ هَذِهِ النَّتَائِجَ المذكُورَةَ، هِيَ النَّتَائِجُ المبدَئِيَّةُ لِعَدَدٍ مَحدُودٍ مِنَ التَّجَارِبِ المُجرَاةِ عَلَى عَدَدٍ صَغِيرٍ مِنَ المُتَطَوِّعِينَ، وَبَرنَامَجُ البُحُوثِ القُرآنِيَّةِ مَازَالَ مُستَمِرّاً؛ لِتَحقِيقِ عَدَدٍ مِنَ الأَهدَافِ، وَهُوَ مَوضُوعٌ في غَايَةٍ مِنَ الأَهَمِّيَّةِ، وَيُبَشِّرُ بِنَتَائِجَ طَيِّبَةٍ، نَرجُو أَن تَكُونَ لَهَا فَائِدَةٌ عَمَلِيَّةٌ مُجزِيَةٌ»[2]

---

(١) وفي كتابي:«قَصَصٌ ذَاتُ عِبرةٍ في عَالَمِ الرُّقيَةِ الشَّرعِيَّةِ» قصص لأُناسٍ منَّ الله عليهم بالشفاء من هذا المرض الخبيث، والفضل لله وحده. واسمع هذه القصص في إصدارٍ خَاصٍّ: بعنوان «صَولاتٌ وَجَولاتٌ في عَالَمِ السِّحرِ والشَّياطِينِ» الإصدار الأول، وسيعقُبهُ ثلاث إصدارات، من إصدار المؤسسة؛ رياض للإنتاج الإعلامي . السعودية. الرياض.

(٢) انظر : مجلة الفرقان العدد (٤٤) إصدار جمعية المحافظة على القرآن الكريم بالأردن .

تنبيه :

يدَّعي أحدُ الأطباء الاستشاريين النفسانيين بأنَّ هذه التجارب متعذِّرة؛ لأنَّ فيها إخضاع أثر القرآن الكريم للتجربة وهو متغير ! ونفعه ثابت ! بل وصل به الأمر إلى أن يقول : (مهما قلنا وزيادة، فإنَّ العلاقة بين العلاج بالقرآن، والأثر الحاصل علاقة مُعقَّدة .. إلخ) !

وهذا قول مغلوط باطل؛ وغفلة كبيرة عن النصوص الشرعية المُبيِّنة أثره الحسيَّ بكل يُسرٍ وسهولة؛ لأنَّ القائمين على هذه التجارب لَم يطرأ الشك عندهم البتة – وهم الدُّعاة إلى الله تَعَالىٰ – في عظمة أثر كتاب الله تَعَالىٰ الثابت القطعي في الشفاء قبل أي سبب، بل هم في هذه التجارب ينطلقون لِيُبرهِنُوا ويُدلِّلوا على لونٍ من ألوان دلائل مصدره الرباني وعظمة أثره على النفوس قاطبة أمام الغرب الكافر، ويكفي في ردِّ هذا القول الفاسد دخول الكثير من غير المسلمين ـ بسبب هذه التجارب ـ في دين الإسلام هذا، وذلك لِمَا وجدوا فيه من الأثر الكبير في علاجهم وإصلاح حالهم، وشرح صدورهم، وهذا الذي عجز عن تحقيقه لهم أمهر أطبائهم وعلماء مختبراتهم، ومن ثم هدايتهم لطريق الإسلام. هذا أوَّلاً .

وثانياً : ـ وهم الحريصون على الطعن في كتاب ربِّنا ـ حين أقيمت هذه التجارب والدراسات ـ وهم أهل الدِّراسات كما يعرف البرفسور! ـ لم يطعنوا فيها، بل أبهرتهم النتائج وتأثَّروا بها والحمد لله .

ثم يقول بِفِكرٍ مغلوط : بأنه لو أجريت مقارنة بين أثر القرآن، وأثر الموسيقى !! وفاقت الموسيقى على أثر القرآن في التهدئة؛ فما الحكم ؟

ونقول: هذا قولٌ باطلٌ ساقطٌ مرفوض؛ لأنَّ المؤمن يعتقد اعتقاداً يَقينيّاً قطعياً؛ بأنَّ القرآن يَعلُو ولا
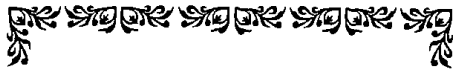
الأُرْجُوزَةُ الطِّبِّيَّةُ

يَقُولُ رَاجِي الفَضْلِ وَالنَّوَالِ ... مِنْ رَبِّهِ ذِي الطَّولِ وَالجَلالِ

مُحَمَّدُ ابنُ يُوسُفَ الجُورَانِي[1] ... مُؤَلِّفُ الكِتَابِ فِي عَمَّانِ

حَمْداً لِرَبِّي وَاسِعِ الهِبَاتِ[2] ... وَقَاضِي الأُمُورِ وَالحَاجَاتِ

ثُمَّ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ سَرْمَدَا[3] ... عَلَى النَّبِيِّ الهَاشِمِيِّ مُحَمَّدَا

وَآلِهِ وَصَحْبِهِ الأَطهَارِ ... السَّابِقِينَ لِلهُدَى الأَخيَارِ

وَبَعدُ فَالحَدِيثُ بِاختِصَارِ ... عَنْ رُقيَةِ العُيُونِ وَالأَسحَارِ

سُبحَانَ رَبِّي شَافِيَ الأَمرَاضِ ... وَهَادِيَ النُّفُوسِ مِنْ إعرَاضِ

إِلَى الطَّرِيقِ المُستَقِيمِ المُتَّبَعْ ... مُبَرَّأً مِن كُلِّ شِرْكٍ وَبِدَعْ

جَزَاؤُهُ النَّعِيمُ لِلأَبرَارِ ... وَفِي الجَحِيمِ مَوئِلُ الفُجَّارِ

فَنَحوَ شَرْعِ اللهِ وَلِّ[4] وَجهَك ... وَدِنْ[5] بِدِينِ اللهِ يَهدِ قَلبَك

وَالزَم طَرِيقَ الحَقِّ وَالأَخيَارِ ... وَكُن عَلَى المَسِيرِ فِي اصطِبَارِ

بِهِ تَنَلْ سَلاَمَةً فِي صَدرِكَ ... وَرِفْعَةً وَيَرضَى عَنكَ رَبُّكَ

=

يُعلَى عليه، ومحال قطعاً أن يَصدُقَ ذلك، وتَنزُّلاً فقد أثبتت التجارب عُلُوَّ القرآن على غيره؛ فهذا القول فِيْهِ دلالة على ضعف الإيمان، واليقين بكلام ربه، وما هذا بخُلقٍ للمؤمن؛ فعارٌ على أبناء المسلمين أن يخرج منهم من ينادي بهذه الأغلوطة؛ فكيف بمن يدَّعي العلم والمعرفة ! نسأل الله السلامة والعافية .

(١) نسبة إلى جورة عَسقلان في فلسطين، وتُسمَّى: عروس الشام لجمال طبيعتها البَهيَّة .

(٢) الهِبة : الهدِّية والعطيَّة.

(٣) السَّرمدا : إلى نهاية الزمن.

(٤) وَلِّ : اقصد وتوجَّه.

(٥) ودِنْ : اعتقد.

فَخُذْ بِنُصحِي وَاجتَهِد يَا صَاحِ   هَذَا طَرِيقُ السَّعدِ وَالفَلاحِ
وَإِنْ تُصِبكَ صِحَّةٌ فِي الجَسَدِ   أَو نِعمَةٌ فِي المَالِ أَو فِي الوَلَدِ
فَكُن شَكُوراً حَامِداً فِي الفَانِيَة   تَنَلْ مَزِيدَ أنعُمٍ فِي البَاقِيَة

وَإِنْ يُصِبكَ الهَمُّ وَالبَلاَءُ   وَتَعظُمُ اللَّأْوَاءُ[1] وَالأَدوَاءُ
فَكُنْ بِأَقدَارِ الإلَهِ رَاضِياً   وَلا تَكُنْ مُعتَرِضاً أَو شَاكِيا
وَاذكُر جَزَاءَ الصَّبرِ فِي الكِتَابِ   بِوَفرَةٍ يُعطَى بِلا حِسَابِ[2]
لِمَن عَلَى بَلاَئِهِ تَصَبَّرا   وَاحتَسَبَ الجَزَاءَ ثُمَّ كَبَّرا
تَكبِيرَةَ الإحرَامِ لِلصَّلاةِ   بِهَا تَقِرُّ أعيُنُ التُّقَاةِ[3]
وَقَد أبَاحَ دِينُنَا التَّدَاوِي   وَاللهُ رَبِّي وَحدَهُ المُدَاوِي
وَعَالِمٌ بِالدَّاءِ وَالدَّوَاءِ   وَمَكمَنِ الأمرَاضِ وَالشِّفَاءِ
فَإِن أَرَدتَ نَفعَ أَهلِ الطِّبِّ   فَاقصِد حَكِيماً عَارِفاً بِالطِّبِّ
وَاحذَر دَخِيلاً[4] يَستَبِيحُ المِهنَة   وَيَدَّعِي حَوزَ الذَّكَا وَالفِطنَة
وَيَدَّعِي مَا لَيسَ فِي الخَيَالِ   وَيَفتَرِي لأجلِ كَسبِ المَالِ
وَاعلَم بِأَنَّ الدَّاءَ لَيسَ إلَّا   فِي الرُّوحِ أَو فِي جَسَدٍ سَيَبلَى
أَو غَفلَةٍ تَكسُو شِغَافَ القَلبِ   أَو فِتنَةٍ تُغوِي صَحِيحَ اللُّبِّ[5]
لِكُلِّ دَاءٍ فِي الدُّنَى دَوَاءُ   إلَّا بَلاءً بَعدَهُ فَنَاءُ
سَلاَمَةُ القُلُوبِ فِي التَّصدِيقِ   وَالاعتِصَامِ بِالعُرَى الوَثِيقِ

---

(١) اللَّأْواء : الشدائد والمصائب.
(٢) لقوله تعالىٰ : ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (الزمر : ١٠).
(٣) لقوله تعالىٰ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ (البقرة : ١٥٣).
(٤) الدَّخِيل : من حُسب من الأطباء الأمناء ولم يلحق بهم في صفاتهم وأخلاقهم الحسنة؛ فأُلحق بهم بغير حق، فهو كالدَّخِيل عليهم؛ لتجرُّده من أخلاقيات المهنة الطبِّية الطيِّبة وما أكثرهم اليوم، لا سِيَّما الأطباء النَّفسَانِيِّين !
(٥) اللُّب : العقل الراجح النَّيِّر.

وَعِــبرَةٍ بِـــالأمرِ وَالنَّـــوَاهِي ... وَطَاعَـــةٍ إِذَا دَعَاهَـــا الدَّاعِي

وَفِي كِتَـــابِ اللهِ خَـــيرُ نَهــجِ ... فَلاَ تَكُن عن شَرعِـهِ فِي مَـرجِ[1]

مُـــــنَزَّلٌ مُـــــنَزَّهٌ شِـــــفَاءُ ... وَرَحمَـــــةٌ، مَــــا مِثلـــهُ دَوَاءُ

لِعَامَّـــةِ الهُمُـــومِ وَالأَسـقَامِ ... وَبالدَّلِيــــلِ مُوثَــــقُ كَلاَمِ

وَذَا الَّذِي يُقَـــالُ عَنْـــهُ رُقيَـــهْ ... شَرعِيَّـــةٌ مُبَاحَـــةٌ لاَ بِدْعَـــهْ

فَلَـــيسَ فيهَــا لَفظَـــةٌ مَجهُولَـــةٌ ... أَو تَمتَمَــاتُ كَاهِــنٍ مَجزُولَـــةٌ[2]

بَيِّنَـــةٌ وَاضِـــحَةُ المَعَـــانِي ... مِــن لَفـظِ آيِ مُحكَـمِ البَيَـانِ

وَجَـــازَ أَن تَكُـــونَ بِـــالدُّعَاءِ ... مُبتَـــدَأً بِالحَمـــدِ وَالثَّنَـــاءِ

يَقِينُنَـــا بِأَنَّهَـــا أَســـبَابُ ... وَلَـــيسَ مِنهَـــا بُــرءَةٌ لُبَـــابُ[3]

إِلَّا بتَقـــدِيرِ العَزِيـــزِ الأَوحَـــدِ ... سُـبحَانَهُ عَــن كُلِ قَــولِ مُلحِـدِ

وَذاكَ قَـــولِي وَاضِـــحٌ بالجُملَـــةِ ... لِمَـــن أَرَادَ رُقيَـــةً مِـــن عِلَّـــةٍ[4]

وَلِلرُّقَـــاةِ أَبـــذُلُ النَّـــصِيحَة ... مِــن جَعبَـــةٍ[5] خَبِـيرَةٍ سَـمِيحَة

فَـــإِن أَرَدتَ أَحـــسَنَ التَّـــوَاصِي ... فَطيِّـــبِ الأَعمَـــالَ بِـــالإخلاَصِ[6]

وَلتَجتَهِـــد لِتَنهَـــلَ العُلُومَـــا ... وَتُـــتقِنَ الفُنُـــونَ وَالأُصُـــولاَ

---

(١) أي : لا تكن في دين الله تخلط كيف شئت ؟ إنما عليك الالتزام بأوامره وامتثال شرائعه بعيداً عن الهوى.

(٢) مجزولة : قوية وبليغة، خلاف الركيكة.

(٣) البُرء : الصحة والعافية واللُّبَاب : الخالص، والمراد وليس منها عافية خالصة لعدم الاعتماد عليها فقط إنما هي - الرقية والعلاج بها - من أسباب الشفاء، وكله بيد الله وحده شافي الأمراض .

(٤) العِلة : المرض والآفة.

(٥) الجَعبة : بفتح الجيم، الكنانة ـ الحقيبة ـ توضع على ظهر الرَّامي ليضع فيها السِّهام وهي من الجلد، أعلاها واسع وأسفلها ضيق .

(٦) هذا مما أشار به علينا شيخُنا العلامة أ. د. عمر الأشقر، إذ يقول : «إنَّ في القلب طيباً، وطيبُه إخلاص العمل لله تَعَالىٰ» .

وَاحذرْ مِنَ ادِّعَاءِ عِلْمِ الغَيبِ ... وَكُلِّ فِعلٍ شَائِنٍ مُرِيبِ

وَلاَ تَكُنْ كَبَائِعِ الوِجدَانِ ... وَدِينِهِ بِالأَصفَرِ الرَّنَّانِ[1]

فَهَذِهِ مَنظُومَةٌ وَجِيزَة ... وَفي الكِتَابِ نُكتَةٌ[2] عَزِيزَة

وَجَادَ بالتَّقدِيمِ وَالإِشَارةِ ... وَأَلطَفِ التَّعلِيقِ والعِبَارَةِ

أَصحَابُ عِلْمٍ فَضلُهم جَلِيلُ ... وَشُكرُهم لِجُودِهم جَزيلُ

فَشيخِيَ المِفضَالُ أستاذِي عُمَر[3] ... نَقلتُ عَن مَجلِسهِ أَحلَى الدُّرَر

وشَيخِنا الفَقِيهِ ابنِ حَوَّى[4] ... أَنعِم بِهِ مِن عَلَمٍ مُزَكَّى

جَزَاهُمَا الإلهُ خيرَ أجرِ ... وكُلَّ مَن أَعَانَنِي بِأَمرِي

وَ الفَضلُ بَعدَ اللهِ لِلأَرِيبِ ... لِشَيخِنَا المحبُوبِ و القَرِيبِ

ابنُ العُوَيدِ[5] مَن أَرَدتُ قَصدَا ... وَ رُمتُهُ مَحَبَّةً وَ وُدَّا

فَالعُذرُ منكُم إن أكُن مُقَصِّرَا ... ولَم أكن عَنِ الخَطَا مُستَبصِرَا

وَالحَمدُ للهِ عَلَى نَعمَائِهِ ... وَطيِّبِ العَطَاءِ مِنَ آلائِهِ

وَأَفضَلُ الصَّلاةِ والتَّسلِيمِ ... عَلَى النَّبِيِّ المُصطَفَى الكَرِيمِ

❑ ❑ ❑

---

(١) الوجدَان : الضمير. الأصفر الرنان : كناية عن الذهب والمال. نسأل الله السلامة والعافية.

(٢) النُّكتَة : مسألة لطيفة استُنبطت بدقة نَظَر وإمعان فِكر.

(٣) هو شيخنا العلّامة الفقيه الأستاذ الدكتور «عمر بن سليمان الأشقر» حفظه الله ونفع به وأطال عمره لخدمة الإسلام والمسلمين.

(٤) هو شيخنا الفقيه الدكتور «أحمد سعيد حوى» حفظه الله ونفع به.

(٥) هو شيخنا المُعلِّم «أبو حمد» جزاه الله خيرٍ؛ فله الفضل بعد الله تعالى وحده في تعليمي علم الرقية الشرعية؛ فنفع الله به الإسلام والمسلمين، وأنَاله من خير ما يُعطاه المؤمنون الصالحون .

المقدمة

الحَمدُ للهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبدِهِ الكِتَابَ، تَبصِرَةً لأُولِي الأَلبَابِ، وأَودَعَهُ مِن فُنُونِ العُلُومِ والحِكَمِ، العَجَبَ العُجَابَ، وجَعلَهُ أَجَلَّ الكُتُبِ قَدْراً، وَأَغزَرَها عِلْماً، وأَعذَبَها نَظْماً، وَأَبلَغَها في الخِطَابِ؛ قُرآناً عَرَبِيّاً غَيرَ ذِي عِوَجٍ، لا شُبهَةَ فِيْهِ وَلا ارتِيابَ.

وَأَشهَدُ أَن لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، رَبُّ الأَربَابِ، الَّذِي عَنَتْ لِقَيُّومِيَّتِهِ الوُجُوهُ، وَخَضَعتْ لِعَظَمَتِهِ الرِّقَابُ.

وَأَشهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبدُهُ وَرَسُولُهُ، المبعُوثُ مِنْ أَكرَمِ الشُّعُوبِ وَأَشرَفِ الشِّعَابِ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَليهِ وَعَلَى صَحبِهِ الأَنجَابِ، صَلاةً وَسَلاماً دَائِمَينِ إِلَىٰ يَومِ المآبِ[1].

وَبَعدُ.

فَإِنَّ اللهَ خَلَقَ العِبادَ لِغَايَةِ العُبُودِيَّةِ، وَلِأَجلِ تَحقِيقِهَا أَسبَغَ عَلَيهِم النِّعَمَ وَالآلاءَ؛ فَأَصَحَّ أَبدَانَهُم، وَأَحسَنَ صُوَرَهُم، وَخَلَقَهُم في أَحسَنِ تَقوِيمٍ، وَسَخَّرَ لَهُم الأَرضَ وَجَعَلَهَا ذَلُولاً؛ لِيَمشُوا في مَنَاكِبِها، وتَفَرَّدَ سُبحَانَهُ بِالرِّزقِ عن غَيرِهِ، ولَم يَجعَلهُ بِيَدِ مَخلُوقٍ؛ لِتَطمَئِنَّ قُلُوبُهُم، فَلا يَنشَغِلوا عن عِبَادَتِهِ بِرِزقِهِم وَمَتَاعِهِم، وَأَوجَدَ لَهُم مَا بِهِ

---

(١) من مقدِّمة الإمام السُّيوطي رَحِمَهُ اللهُ في «الإتقان في علوم القرآن» (١ / ٣)

صَلاحُ مَعاشِهِم، وَهَنَاءُ حَيَاتِهِم في شَتَّى المجَالاتِ، كُلُّ ذَلِكَ؛ حَتَّى يُحَقِّقُوا الغَايَةَ الَّتِي مِن أَجلِهَا خَلقَهُم، فقَالَ سُبحَانَهُ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات :٥٦)، إِنَّهَا العُبُودِيَّةُ الحقَّةُ للهِ الوَاحِدِ القَهَّارِ.

فَالشَّرِيعةُ جَاءت لِتَحقِيقِ مَصَالحِ العِبَادِ؛ فَكُلُّ خَيرٍ؛ حَثَّت عَليهِ، وَدَعَت إِلَىٰ فِعلِهِ، وَكُلُّ شَرٍّ، نَهَت عَنْهُ، وَحَذَّرَت مِنهُ «وَإِنَّمَا يعرِفُ ذَلِكَ مَن كَانَ خَبِيراً بِأَسرَارِ الشَّرعِ ومَقاصِدِهِ، ومَا اشتَمَلت عَليهِ شَرِيعَةُ الإسلامِ مِنَ المحَاسِنِ الَّتِي تَفُوقُ التَّعدَادَ، ومَا تَضَمَّنَتهُ مِن مَصَالحِ العِبَادِ في المعَاشِ وَالمعَادِ، ومَا فِيها مِنَ الحِكمةِ البَالِغةِ، والرَّحمَةِ السَّابِغةِ، والعَدلِ التَّامِّ »[1].

ولِعِظَمِ مَصَالِحِ العُبودِيَّةِ؛ قَد بَعَثَ اللهُ الرُّسلَ لِلنَّاسِ؛ لِيُقِيمُوا شَرعَهُ، ويُثبِتُوا سُلطَانَهُ، وَيكُونَ الدِّينُ كُلُّه للهِ؛ فَالسَّعِيدُ في الدَّارَينِ مَن قَبِلَهُ وارتَضَاهُ؛ إذ لا يَقبَلُ اللهُ غَيرَهُ، وهُوَ القَائِلُ سُبحَانَهُ : ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ (آل عمران : ٨٥)، وَالشَّقِيُّ مَن استَنكَفَ عَنْهُ وهَجَرَهُ ورَاءَهُ ظِهرِيّاً.

وَلِهَذَا كَانَت مُهِمَّةُ الرُّسُلِ مِن أَعظَمِ المهَامِّ وأَجلِّهَا؛ إذ يَقُولُ المولَى سُبحَانَهُ : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ (فصلت : ٣٣).

فَأَيُّ شَرَفٍ، وأَيُّ عِزَّةٍ لِلمُسلِمِ أَن يَكُونَ دَاعِيةً عِندَ بَابِ المَلِكِ، ومُنَادِياً عَلَى مَأدُبَتِهِ ؟

تَاللّهِ مَا أَروَعَ حَياةً كَهَذِهِ، ومَا أَصفَى رُوحاً سَمَت نَحو الرَّحمَنِ والعَمَلِ في مَرضَاتِهِ، فَطُوبَى لِمن استَعمَله رَبُّهُ في طَاعَتِهِ.

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٢٠ / ٥٨٣)

وانظر : «إعلام الموقعين» (٤/ ٣٣٧) فصل: الشريعة مَبنِيَّة على مصالح العباد؛ فإنه مهمٌّ جداً.

إنَّ الطَّرِيقَ لِهَذهِ السَّعادَةِ يَسِيرَةٌ عَلَى مَن يَسَّرَهَا اللهُ عَليهِ، وَلا أَنفَعَ في الدَّلالَةِ عَليهِ إلَّا مِمَّن سَارَهُ ورَكِبَهُ وتَقلَّدَ زِمَامَهُ، وذَاقَ طَعمَ الحُبِّ فِيْهِ، ووَجَدَ بُغيَتَهُ وَمحبَّتَهُ، نَجِدُ ذَلِك عِندَ العَالِمِ الرَّبَّانِيِّ؛ شَيخِ الإسلامِ ابنِ تَيمِيَّةَ رَحِمَهُ اللهُ، إذ يقُولُ : «وَلَيسَ لِلخَلقِ صَلاحٌ إلَّا في مَعرِفَةِ رَبِّهِم وَعِبادَتِهِ، وإذَا حَصَلَ لَهُم ذَلِكَ؛ فَمَا سِواهُ إمَّا فَضلٌ نَافِعٌ، وَإمَّا فُضُولٌ غَيرُ نَافِعةٍ، وإمَّا أَمرٌ مُضِرٌّ »[1].

ونَقَلَ عَنْهُ تِلمِيذُهُ ابنُ قَيِّمِ الجوزِيَّةِ رَحِمَهُ اللهُ: «مَنْ أَرَادَ السَّعَادَةَ الأَبَدِيَّةَ؛ فَليَلزَم عَتَبَةَ العُبُودِيَّةِ»[2]

نَعَم وَاللَّهِ، مَا أَحوَجَنَا لِهَذِهِ العَتَبَةِ؛ فَلَعَلَّها أَن تُصلِحَ حَالَنَا ومَآلَنَا.

وَبعدَ هَذَا وَذَاكَ، فَقد صَحَّ العَزمُ مِنِّي عَلَى كِتَابةِ هَذِهِ الرِّسَالةِ المختَصَرَةِ في بابِ الرُّقيَةِ الشَّرعِيَّةِ، وَجَاءَ الغَرَضُ في أَمرَينِ :

الأَوَّلُ: بَيَانُ آيَاتِ الرُّقيَةِ الشَّرعِيَّةِ، وَأَدعِيَتِهَا الَّتِي يَرقِي بِهَا المُسلِمُ نَفسَهُ، وأَهلَهُ.

وَالثَّانِي: بَيَانُ المُقَدِّمَاتِ النَّافِعَةِ، والمُلَحِ اليَافِعَةِ، والصُّبَابَاتِ اليَسِيرةِ بَين يَديهَا، وَمَن رَامَ المَسَائِلَ والأَحكَامَ، والتَّأصِيلَ والتَّفصِيلَ، والتَّعرِيفَ بِالأَمرَاضِ وأَعرَاضِهَا وَعِلاجِهَا، وسُبُلِ الوِقَايَةِ مِنها بإسْهَابٍ؛ فَبُغيَتُهُ إن شَاءَ اللهُ في الرِّسَالةِ الموسُومَةِ بـ«نَفعُ الأَنَامِ بِمَا جَاءَ في التَّدَاوِي والرُّقَى عن نَبِيِّ الإسلامِ»[3] لِمُقَيِّدِهِ.

---

(١) المصدر السابق (٢/ ١٦).

(٢) «مدارج السالكين» (١/ ٤٣١).

(٣) بالإضافة إلى «فقه الرقية الشرعية» (مخطوط) وهي دراسة لعشر مسائل في باب الرقية الشرعية : كحكم حَلِّ السحر بالسحر للضرورة ! وبيان أنه محرم .
وحكم المال والجُعل (المكافأة) أعلى الرقية ومجرد القراءة هو أم على الشفاء ؟ وتفصيل ذلك، وفيه المنع حتى يقع الشفاء، وإذا تَمَّ فالعفة عنها أمرٌ مُبَاركٌ وجِدٌّ عالٍ وأحفظ للدِّين، وأدلة ذلك وكلام أهل العلم في صدق هذا تجدها هناك .

هذا، ولَقَد احتَوت هَذِهِ الرِّسَالةُ عَلَى تَمهِيدٍ، وَفَصلَينِ، وخَاتِمةٍ :
فَالتَّمهِيدُ؛ جَاءَ فِي بَيَانَينِ :
الأَوَّلُ: فِي عِظَمِ نِعمَةِ العَافيةِ عَلَى العَبدِ ومَا فيهَا مِن أَحَادِيثَ، وحِكَمٍ، وَفَوائِدَ.
وَالثَّانِي : هَل سَمِعتَ بِشِفَاءٍ كَالقُرآنِ.
و الفَصلُ الأَوَّلُ : فِي الرُّقَى، وَيَتضَمَّنُ ثَلاثَةَ مَباحِثَ :
المبحَثُ الأَوَّلُ : أَحكَامُ الرُّقَى. ويَشتَمِلُ عَلَى خَمسةِ مَطَالِبَ :
المطلبُ الأَوَّلُ : تَعرِيفُ الرُّقيَةِ وأَنوَاعُهَا.
المطلبُ الثَّانِي : أَهَمِّيَتُهَا.
المطلبُ الثَّالِثُ : حُكمُهَا.
المطلبُ الرَّابِعُ : شُرُوطُهَا.
المطلبُ الخَامِسُ : كَيفيَّتُها.
المبحَثُ الثَّانِي : صِفَاتُ المُعالِجِ والمُعَالَجِ والتَّحذِيرُ مِنَ السَّحَرةِ والمشَعوِذِين.
واحتَوَى عَلَى تَمهِيدٍ، وخَمسةِ مَطالِبَ.
أَمَّا التَّمهِيدُ؛ فجَاءَ فِيْهِ بَيانُ عِظَمِ إتقَانِ العَمَلِ والعِنَايةِ بِهِ. وَالمطَالِبُ، هِيَ :
المطلبُ الأَوَّلُ : سِمَاتُ الرَّاقِي المُعَالِجِ الحَذِقِ.
المطلبُ الثَّانِي : مَا يَنبَغِي أَن يَكُونَ عَليهِ المرِيضُ المُعَالَجُ.
المطلبُ الثَّالِثُ : التَّحذِيرُ مِنَ السَّحَرةِ والمشَعوِذِينَ.
المطلبُ الرَّابِعُ : كُلِّيَاتٌ وَتَنبِيهَاتٌ فِي عَلاماتِ السَّحرةِ.

=

ونسف شبهة الاستعانة بالجانِّ المسلم ! في باب الرقية وبيانه، وسدّاً للذريعة ولمقاصد الشريعة أنه ممنوع، وغيرها . فأسأل الله التوفيق .

المطلبُ الخَامِسُ : التَّحذِيرُ مِن قَنواتِ السِّحرِ والشَّعوذَةِ الفَضَائِيَّةِ.
المبحَثُ الثَّالِثُ : الصَّبرُ عَلَى البَلاءِ واحتِسَابِ الأَجرِ.
الفَصلُ الثَّانِي : مَتنُ الرُّقيَةِ الشَّرعِيَّةِ مِنَ الكِتَابِ والسُّنَّةِ.
وَمَهَّدتُ في بِدَايَتِهِ بِمنهَجِ اختِيَارِ الآيَاتِ وانتِقَائِهَا، وأَتبعتُهُ بأَرْبَعةِ مَباحِثَ، وَهِيَ :
المبحَثُ الأَوَّلُ : الأَدعِيةُ الشَّرعِيَّةُ الصَّحِيحَةُ مِنَ السُّنَّةِ النَّبوِيَّةِ.
المبحَثُ الثَّانِي : آيَاتُ الرُّقيَةِ الشَّرعِيَّةِ مِنَ القُرآنِ الكَرِيمِ، وَبَعضُ فوَائِدِهَا، ومُلَحُ أَهلِ العِلمِ فيها.
المبحَثُ الثَّالِثُ : أَدعِيةٌ عامَّةٌ.
المبحَثُ الرَّابعُ : رُقيةُ المَرِيضِ .
ثُمَّ الخَاتِمَةُ.
وهَا أَنَا ذَا، أَرجُو مِمَّن اطَّلَعَ عَلَى رِسَالَتِي أن يَدُلَّنِي عَلَى خَطَإٍ أَخطَأتُهُ، أَو زَلَلٍ جَانَبتُ الصَّوابَ فِيْهِ؛ فَالحمدُ للهِ أَنِّي غَيرُ مُستَنكِفٍ عن قَبُولِ استِدرَاكٍ، أَو تَنبِيهٍ، أَو نُصحٍ هَادِفٍ، أَو نَقدٍ بَنَّاءٍ، وَرَحِمَ اللهُ عُمرَ بنَ الخَطَّابِ ﷺ حِينَ قال : «رَحِمَ اللهُ مَن أَهدَى إِليَّ عُيُوبِي» (١)
وَأَنَا رَاجِعٌ عَنْهُ إِلَىٰ مَا وَافَقَ الحقَّ؛ إذ صَدري أَرحَبُ لِتَقبُّلِ ذَلِك مِن ثَناءِ مُثنٍ، ولَرُجُوعِي إِلَىٰ الحقِّ أَحبُّ إِليَّ مِنَ التَّمادِي في البَاطِلِ، وأَمَّا أَنتَ أَيُّها القَارِئُ؛ فاضرِب بِهِ عُرضَ الحائِطِ وَلا تُبالِ؛ فَقَد أَبى اللهُ العِصمَةَ إِلَّا لِكِتابِهِ، ولِوَحيِ رَسُولِهِ ﷺ.
وَمَا حَالِي إِلَّا كَمَا قِيلَ : «وَليَعذِرِ الوَاقِفُ عليه؛ فَنَتَائِجُ الأَفكَارِ عَلَى اختِلافِ القَرَائِحِ لا تَتَناهَى، وَإِنَّما يُنفِقُ كُلُّ أَحدٍ عَلَى قَدرِ سَعَتِهِ، لا يُكَلِّفُ اللهُ نَفساً إِلَّا مَا

(١) أورده الدَّارِمي في «السُّنن» (١ / ١٦٩) .

آتاها، وَرَحِمَ اللهُ مَن وَقَفَ فِيْهِ عَلَى سَهوٍ أو خَطَإٍ، فَأصلَحَهُ عَاذِرَاً لا عَاذِلاً، وَمُنِيلاً لا نَائِلاً، فَلَيسَ المبَرَّأُ مِنَ الخَطَلِ إلَّا مَن وَقَى اللهُ وعَصَمَ.

وَقَد قِيلَ : الكِتَابُ كَالمُكَلَّفِ، لا يَسلَمُ مِنَ المؤَاخَذَةِ، وَلا يَرتَفِعُ عَنْهُ القَلَمُ، واللهُ تَعَالىٰ يُقرِنُهُ بِالتَّوفيقِ، ويُرشِدُ فِيْهِ إلىٰ أَوضَحِ طَرِيقٍ، ومَا تَوفيقِي إلَّا بِاللَّهِ، عَلَيهِ تَوكَّلتُ وَإليهِ أُنِيبُ » [1].

فَاللَّهَ وَحدَهُ أسأَلُ أَن يُبارِكَ بِهَذِهِ الرِّسَالَةِ، وَ يَنفَعَ بِهَا، وَيَفتَحَ عَلَى قَارِئِهَا مُستَشفياً، أَو رَاقِياً، أَو سَامِعاً، أَو مُعَلِّماً، إنَّهُ سُبحانَهُ خَيرُ مَسؤُولٍ، وهُوَ بِكُلِّ جَمِيلٍ كَفيلٌ، هُوَ حَسبُنَا وَنِعمَ الوَكِيلُ.

وَالحمدُ للهِ الَّذِي بِنعمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحاتُ، وتُفرَجُ الكُرُبَاتُ، وصَلَّى اللهُ وسَلَّمَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وعَلَى آلِهِ وَصَحبِهِ وسَلَّمَ.

قَيَّدَهُ الفَقِيرُ إلى مَولاهُ

غَفَرَ اللهُ لَهُ وَلِأَهلِهِ وَلِمَشَايخِهِ وَلِلمُسلِمِينَ

M_aljorany@hotmail.com

❑ ❑ ❑

(١) «صبح الأعشى» للقَلقَشَندي (١ / ١٠)
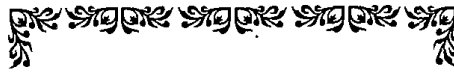
تمهيد:

أَوَّلاً: عِظَمُ نِعْمَةِ العَافيةِ عَلَى العَبدِ ومَا فِيهَا مِنْ أَحَادِيث، وحِكَم، وفَوائِدَ:

إنَّ الإنسَانَ في هَذهِ الحَياةِ وَمَا يَعتَرِيهَا مِن مَصَائِبَ وَكُرَبٍ قَد تُعِيقُهُ عن تَحقِيقِ العُبُودِيَّةِ عَوائِقُ - وَهِيَ كَثِيرَةٌ - والَّذِي يَهُمُّنَا هُنَا عَائِقُ العِلَّةِ وَالمَرَضِ، الَّذِي يُصِيبُ الأَبدَانَ[1]، ويَا لَلعِبَادِ مَا أَعظَمَ خَالِقَهُم! فَقَد بَيَّنَ لَهُم في حَالَةِ الضَّعفِ والكَسرِ مَا يَقوَى بِهِ عُودُهُم وَتَصِحُّ بِهِ أَبدَانُهُم، بَل أَمرَهُم بِالسَّعيِ في تَحصِيلِهِ؛ لإِقَامَةِ الوَاجِبِ، ومَا لا يَتِمُّ الوَاجِبُ إلَّا بِهِ؛ فَهُوَ وَاجِبٌ.

لَقَد أَمرَ اللهُ عِبَادَهُ بِالتَّدَاوِي، وَبِمَا تَصِحُّ بِهِ أَبدَانُهُم بِالحَلالِ، وحَذَّرَهُم الحَرَامَ، فَعن أَبِي الدَّردَاءِ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال: «إنَّ اللهَ أَنزَلَ الدَّاءَ والدَّوَاءَ، وجَعَلَ لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءً؛ فَتَدَاوَوا وَلا تَتَدَاوَوا بِحَرَامٍ»[2].

وَعَنْ أَبِي هُرَيرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال: «مَا أَنزَلَ اللهُ دَاءً إلَّا أَنزَلَ لَهُ شِفَاءً»[3] وَزَادَ في رِوَايَةٍ: «عَلِمَهُ مَن عَلِمَهُ، وجَهِله مَن جَهِلَه»[4]

---

(١) وأما أمراض القلوب وعلاجها؛ فقد أُشبعت بحثاً من علماء السُّلوك وأهل فَنِّهِ؛ فانظرها في مظانها، وممن حَلَّق في عليائها الحارث المحاسبي في «رسالة المسترشدين»، والقاسمي في «موعظة المؤمنين»، وشيخ الاسلام ابن تيمية في «التُّحفة العراقية» ونفائس كثيرة مبثوثة في أثناء تصانيفه، وتلميذه ابن قيم الجوزية في أغلب مصنفاته، وخيرها «المدارج» ولتكن عليه بدارج، وكذا ابن رجب في «رسائله». ثم الخير مقسوم بين العباد ومن يَتَحَرَّ الخيرَ يُعطَه.

(٢) أخرجه أبو داود (٣٨٧٤) والطبراني في «الكبير» (٢٤/ ٢٥٤/ رقم ٦٤٩) وإسناده صحيح.

(٣) أخرجه البخاري (٥٦٧٨) وابن ماجه (٣٤٣٩).

(٤) أخرجه أحمد في «المسند» (٣٥٦٨) والطبراني في «الأوسط» (٧/ ٧٥) و «الكبير» (١٠/ ١٨٣)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٢١٨) وصحَّح رَفْعه الدَّارقطنيُّ في «العلل» (٥/ ٣٣٤/ رقم ٩٢٨) وانظر: «صحيح ابن حبان» (٦٠٦٢) عن ابن مسعود ﷺ.

وَعن جَابَرٍ ﷺ عَن رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قال : «لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ، فَإِذَا أُصِيبَ دَوَاءُ الدَّاءِ بَرِئَ بِإِذنِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ »[1].

وَمَع ذَلِكَ؛ فَإِنَّ العَبدَ وَهُوَ في حَالِ العِلَّةِ والمرَضِ، يُكتَبُ لَهُ مَا كَانَ يَعمَلُهُ وَهُوَ صَحِيحٌ سَلِيمٌ مُعَافىً، وَهَذا مِن كَرَمِ اللهِ عَلَينا وَرَحمَتِهِ.

عَن أَبِي مُوسَى ﷺ يَقُولُ : قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «إِذَا مَرِضَ العَبدُ أَو سَافرَ، كُتِبَ لَهُ مِثلُ مَا كَانَ يَعمَلُ مُقِيماً صَحِيحاً»[2]

قالَ ابنُ بَطَّالٍ: «وَهَذا كُلُّهُ في النَّوافِلِ، وَأَمَّا صَلاةُ الفَرَائِضِ، فَلا تَسقُطُ بِالسَّفَرِ أَوِ المرَضِ، وَاللَّهُ أَعلَمُ »[3].

فَحَالُ العِبَادِ في هَذِهِ الحيَاةِ لا يَخلُو مِن حَالَينِ :

فَالأَوَّلُ: أَن يَكُونَ العَبدُ في عَافيةٍ في دِينِهِ ودُنيَاهُ، صَالِحَاً بِهِمَا، هَنِيءَ العَيشِ، وهَذِهِ أَعظَمُ مِنَّةٍ مِنَ اللهِ عَلَى عَبدِهِ بَعدَ الإسلامِ، ولِدَوامِ هَذِهِ النِّعمَةِ حَثَّ النَّبيُّ ﷺ في غَيرِ مَا حَدِيثٍ عَلَى دَوَامِ سُؤالِ العَبدِ رَبَّهُ العافيةَ، بَل كَانَ نَصِيبُهَا لِعِظَمِهَا، وَكَبِيرِ نَفعِهَا، وَجَلِيلِ شَأنِهَا؛ أَن يَسأَلَهَا العَبدُ في الصَّبَاحِ وَفي المسَاءِ، وَيُكثِرَ الدُّعَاءَ بِهَا، والأَحَادِيثُ شَاهِدَةٌ بِذَلِك، فَمِنها :

عَن عَبدِ اللهِ بنِ أَبِي أَوفَى رَضِي اللهُ عَنْهُما : أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ في بَعْضِ أَيَّامِهِ الَّتِي لَقِيَ فيها العَدُوَّ، انتَظَرَ حَتَّى مَالَتِ الشَّمسُ ثَمَّ قامَ في النَّاسِ خَطِيباً قَال: «أَيُّهَا النَّاسُ، لا تَتَمنَّوا لِقَاءَ العَدُوِّ، وَسَلُوا اللهَ العَافِيَةَ»[4].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٢٠٤)

(٢) أخرجه البخاري (٢٩٩٦).

(٣) ذكره عنه الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ في «الفتح» (٦ / ١٣٧).

(٤) أخرجه البخاري (٢٩٦٦).

وَعن ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال لِعَمِّهِ: «أَكثِرِ الدُّعَاءَ بالعَافيةِ»[1].

وَعن جُبيرِ بنِ سُلَيْمانَ بنِ جُبَيرِ بنِ مُطعِمٍ ﷺ قال : سَمِعتُ ابنَ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما يقول : لَمْ يَكُن رسُولُ الله ﷺ يَدَعُ هَؤُلاَءِ الدَّعَواتِ حِينَ يُمسِي وَحِينَ يُصبِحُ: «اللهُمَّ إِنِّي أَسأَلُكَ العَافيةَ فِي الدُّنيَا والآخِرَةِ، اللهُمَّ إِنِّي أَسأَلُكَ العَفوَ والعَافيةَ فِي دِينِي وَدُنيَايَ، وأَهلِي وَمَالِي، اللهُمَّ استُر عَورَتِي، وآمِن رَوعَاتِي، اللهُمَّ احفَظنِي مِن بَينِ يَدَيَّ ومِن خَلفِي، وَعن يَمِينِي وعن شِمَالِي وَمِن فَوقِي، وأَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أن أُغتَالَ مِن تَحتِي »

قال أَبُو دَاوُدَ : قال وَكِيعٌ : يَعنِي الخَسفَ.[2]

وَعن أَبِي هُرَيرَةَ ﷺ قال : قال رَسُولُ الله ﷺ : «إِنَّ أَوَّلَ ما يُسأَلُ عَنْهُ يَومَ القِيامَةِ ـ يَعنِي العَبدَ ـ مِنَ النَّعِيمِ أن يُقالَ لَهُ : أَلَمْ نُصِحَّ لَكَ جِسمَكَ »[3].

وَعن ابنِ عَبَّاسٍ رَضِي الله عَنْهُما قال: قال : النَّبِيُّ ﷺ : «نِعمَتَانِ مَغبُونٌ فيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ : الصِّحَةُ وَالفَرَاغُ »[4].

---

(١) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (١/ ٧١١) وقال : «هذا حديث صحيح على شرط البخاري» وأقَرَّهُ الذهبي في «التلخيص»، والطبراني في «الكبير» (١١/ ٣٣٠) وقال الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ١٧٥) : «رواه الطبراني وفيه هلال بن خبَّاب، وهو ثقة، وقد ضعَّفه جماعة وبقية رجاله ثقات» .

قَالَ ابْنُ يُوسُفَ عَفَا اللهُ عَنْهُمَا : والصواب أنه ثقة، وتضعيفه غير مُعتَبر، فقد وَثَّقَهُ الإمام أحمد وأبو نُعيم الفضل بن دُكين وابن شاهين والذهبي، وانظر : «تحرير تقريب التهذيب» (٤/ ٤٦) وانظر :«السلسلة الصحيحة» (١٥٢٣) .

(٢) أخرجه أبو داود (٥٠٧٤) والنسائي (٥٥٢٩) وابن ماجه (٣٨٧١) وأحمد في «مسنده» (٤٧٨٥) وإسناده صحيح .

(٣) أخرجه الترمذي (٣٣٥٨)، والحاكم في «مستدركه» (٤/ ١٥٣) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه . وابن حبان في «صحيحه» (١٦ / ٣٦٤) وإسناده صحيح .

(٤) أخرجه البخاري (٦٤١٢) .

وَعن أَبِي هُرَيرَةَ ﷺ قال : سَمِعتُ أَبَا بَكرٍ الصِّدِّيقَ ﷺ عَلَى هَذَا المِنبَرِ يقول : سَمِعتُ رَسُولَ الله ﷺ في هَذا اليَومِ مِن عَامِ الأوَّلِ، ثُمَّ استَعبَرَ أَبُو بَكرٍ وَبَكَى ثُمَّ قال : سَمِعتُ رَسُولَ الله ﷺ يقول : «لَمْ تُؤتَوا شَيئاً بَعدَ كَلِمَةِ الإخلاَصِ مِثلَ العَافِيةِ؛ فَاسأَلُوا اللهَ العَافِيَةَ»[١].

وَتَعوَّذَ النَّبِيُّ ﷺ مِن تَحَوُّلِ العَافيةِ، فَعَنْ عَبدِ الله بنِ عُمَر رَضِي الله عَنْهُما قال: كَانَ مِن دُعاءِ رَسُولِ الله ﷺ: «اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعمَتِكَ، وتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ، وَفُجَاءَةِ نِقمَتِكَ، وجَمِيعِ سَخَطِكَ»[٢].

وَالأَحَادِيثُ فِي ذَلِكَ كَثِيرَةٌ جِدّاً[٣].

وأَمَّا أَقوالُ السَّلَفِ رَحِمَهُم الله؛ فَهَاكَ طَرَفاً مِنها :

قال ابنُ عَبَّاسٍ رَضِي الله عَنْهُما في قَولِهِ تَعَالىٰ: ﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ (التكاثر: ٨)، قال: النَّعِيمُ؛ صِحَّةُ الأَبدَانِ، والأَسمَاعِ، والأَبصَارِ، يَسأَلُ اللهُ العِبادَ فِيمَا استَعمَلُوهَا، وهُوَ أَعلَمُ بِذَلِك مِنهُم، وهُوَ قَولُهُ تَعَالىٰ : ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ (الإسراء: ٣٦)[٤].

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (١٠) والضِّياءُ في «المختارة» (١ / ١١٠) وهو صحيح لغيره، وانظر تمام تخريجه في «المسند»

(٢) أخرجه مسلم (٢٧٣٩).

(٣) قال الإمامُ النَّوويُّ رَحِمَهُ اللهُ في «شرح مسلم» (١٢ / ٢٧٣) : «وقد كثرت الأحاديث في الأمر بسؤال العافية، وهي من الألفاظ العامة المتداولة لدفع جميع المكروهات في البدن والباطن في الدين والدنيا والآخرة» ا.هـ.

قَالَ أَبُو يُوسُفَ عَفَا اللهُ عَنْهُمَا : وقد جمعتُ مجمل أحاديث العافية والبلاء وأقوال أهل العلم فيهما، ونظرتُ في أحكامها وفوائدهما وما جاء في أمرهما من قصص السَّلف الصالح رضوان الله عليهم، في رسالة: **«المؤمن بين العافية والبلاء»**.

(٤) «جامع العلوم والحكم» لابن رجب رَحِمَهُ اللهُ (٤٥٩).

وقال جَمَاعةٌ : هِيَ العَافيةُ.[1]

وَقال وَهبُ بنُ مُنبِّهٍ : «مَكتُوبٌ في حِكمَةِ آلِ دَاودَ : العَافيةُ المُلكُ الخَفيُّ »[2].

وَقال عَونُ بنُ عَبدِ الله : «الخَيرُ الَّذِي لا شَرَّ فِيْهِ الشُّكرُ مَعَ العَافيةِ، فَكَم مِن مُنعَمٍ عَليهِ غَيرُ شَاكِرٍ، وَكَم مِن مُبتَلىً غَيرُ صَابِرٍ »[3].

وَقال سَلْمُ بنُ قُتَيبَةَ: «الدُّنيا العَافيةُ، والشَّبابُ الصِّحَّةُ، والمرُوءَةُ الصَّبرُ »[4].

وَقال بَعضُ الحُكَماءِ: «العَافيةُ تَاجٌ عَلَى رُؤُوسِ الأَصِحَّاءِ، لا يَنظُرُهَا إلَّا المرضَى»[5].

وَقالَ ابنُ القيِّمِ: «مَنْ تَلمَّحَ حَلاوَةَ العَافيةِ؛ هَانَت عَليهِ مَرَارةُ الصَّبرِ»[6] وَنَفائِسُ عِبَارَاتِ السَّلفِ رَحِمَهُم الله تَطُولُ، فَانظُرهَا في مَظَانِّهَا.

وَإذَا كَانَ كَذَلِكَ؛ فَيَنبَغِي عَلَى العَبدِ حِفظُ هَذِهِ النِّعمَةِ، وَرِعَايَتُها بِمَا يَصُونُهَا لا بِمَا يُذهِبُهَا ويَشُوبُها بِالمنكَرَاتِ والمعَاصِي، فَلَيَشكُرْ وَاهِبَها، بِالقَلبِ، واللِّسَانِ، والجَوَارِحِ؛ حَتَّى يُدِيمَها اللهُ عَليهِ وَلا يَحرِمهُ مِنها؛ فَإنَّ العافيةَ لا يُعرَفُ قَدْرُها إلَّا إذَا فُقِدت.

لا يَعرِفُ المرءُ إذَا لَم يُصَبْ بِنكبَةٍ مَا مَوقِعُ العَافيَةِ

وَثَانِي أَحْوَالِ العِبَادِ : أَن يَكُونَ العَبدُ في بَلاءٍ وَسَقَمٍ، وَفي تَعَبٍ ونَصَبٍ، وفي ضَرَّاءَ لا يَعلَمُ بِهَا إلَّا اللهُ تَبَارَكَ وتَعَالىٰ، وهُنَا يَكُونُ مَوقِفُ العَبدِ مِنَ النَّائِبَاتِ

---

(١) «جامع البيان» لابن جرير الطبري (٣٠ / ٢٨٦)

وقال مجاهد رَحِمَهُ اللهُ : «عن كل لذة من لذات الدنيا» وانظر : «تفسير ابن كثير» (٤ / ٥٤٨) .

(٢) «جامع العلوم والحكم» (٤٥٨) .

(٣) «حلية الأولياء» لأبي نُعَيم (٤ / ٢٥٤) والبيهقي في «الشعب» (٤ / ١٠٦) .

(٤) «تهذيب التهذيب» لابن حجر (٤ / ١١٨) .

(٥) «الدُّرَّة الفاخرة في الأمثال السائرة» (٢ / ٤٥٥) .

(٦) «الفوائد» (٦٣)

والمصَائِبِ عَلَى أَضرُبٍ ثَلاثَةٍ :

أَحَدُهَا : السَّخَطُ والاعتِرَاضُ عَلَى القَدَرِ، وهَذَا غَايَةٌ في السُّوءِ، وبُعدٌ عن الأَدَبِ مَع اللهِ تَبَارَكَ وتَعَالىٰ، ولَيسَ هُوَ مِن كَمَالِ التَّوحِيدِ، بَل قَادِحٌ فِيْهِ، وهَذِهِ شَكوَى الله ! لا شَكوَى إِلَىٰ الله؛ فَالأَوَّلُ مَذمُومٌ حَرَامٌ، والثَّاني مَمدُوحٌ، نَسأَلُ اللهَ السَّلامَةَ والعَافيةَ [١].

وَثَانِيها : الصَّبرُ والرِّضَا عَلَى المُصِيبَةِ، وَاحتِسَابُهَا عِندَ الله تَعَالىٰ، ويُمَثِّلُ هَذَا حَدِيثُ النَّبيِّ ﷺ : «عَجَباً لأَمرِ المؤمِنِ، إِنَّ أَمرَهُ كُلَّهُ خيرٌ، ولَيسَ ذَاكَ لأَحَدٍ إِلَّا لِلمُؤمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ؛ فَكَانَ خَيراً لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ؛ فَكَانَ خَيراً لَهُ» [٢].

وثَالِثُها : وَهُوَ أَرفَعُ المرَاتِبِ وَأَعلاهَا شَرَفاً، وهُوَ مَقَامُ الموَحِّدِينَ؛ الشُّكرُ عَلَى المصَائِبِ، إذ هِيَ خَيرٌ وَ نِعمَةٌ [٣]، فِيها تَكفيرُ السَّيِّئَاتِ، وَرِفعَةٌ في الدَّرَجَاتِ، وهَذا سِرٌّ عَجِيبٌ عِندَ أَولِيَاءِ اللهِ تَعَالىٰ، فَهُو كَمَا قِيلَ : مِنَ المِحَنِ تَأتِي المِنَحُ، والنَّعِيمُ لا يُدرَكُ بِالنَّعِيمِ، والعَاقِلُ يُحَوِّلُ الخَسَارَةَ إِلَىٰ أَربَاحٍ، وهَذا مِصداقُ قَولِهِم : اصنَع مِنَ اللَّيمُونِ شَرَاباً حُلواً، وَلا يَعرِفُ هَذا إِلَّا الأَلمَعِيُّ اللَّبِيبُ، نَسأَلُ اللهَ مِن فَضلِهِ.

وَقال أَبُو الطَّيِّبِ القِنُّوجِيُّ : «والنَّاسُ في ذَلِكَ عَلَى أَقسَامٍ :

مِنهُم : مَن يَنظُرُ إِلَىٰ أَجرِ البَلاءِ، فَيَهُونُ عَليهِ البَلاءُ.

---

(١) قال ابنُ القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والشكوى إلى الله عَزَّوَجَلَّ لا تنافي الصبر؛ فإن يعقوب وُعد بالصبر الجميل، والنبيُّ إذا وُعد لا يُخلَف ثم قال: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ (يوسف: ٨٦)، وكذلك أيوب أخبر الله عنه أنه وجده صابراً مع قوله: ﴿مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ (الأنبياء: ٨٣)، وإنما ينافي الصبر شكوى الله، لا الشكوى إلى الله» . «مدارج السالكين» (٢/ ١٦٦)

(٢) أخرجه مسلم (٢٩٩٩) من حديث صهيب رضي الله عنه.

(٣) ومِصداقُ هذا قوله ﷺ : «من يُرِد الله به خيراً يُصِب منه» أخرجه البخاري (٥٦٤٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وَمِنهُم : مَن يَرَى أَنَّ هَذا مِن تَصرُّفِ المالِكِ في مُلكِهِ؛ فيُسَلِّمُ وَلا يعترِضُ.
وَمِنهُم : مَن تَشغَلُهُ المحَبَّةُ عن طَلَبِ رَفعِ البَلاءِ، وهَذَا أَرفَعُ مِن سَابِقِهِ.
وَمِنهُم: مَن يَتَلذَّذُ بِهِ[1]، وهَذَا أَرفَعُ الأَقسَامِ، قالهُ أَبُو الفَرَجِ ابنُ الجوزِيِّ»[2].
وَسُئِلَ شَيخُنا العَلامَةُ مُحَمَّدُ الصَّالِحُ العُثَيمِين رَحِمَهُ اللهُ: عَمَّن يَتَسخَّطُ إذَا نَزَلت بِهِ مُصِيبَةٌ ؟

فَأَجَابَ: النَّاسُ حَالَ المُصِيبَةِ عَلَى مَرَاتِبَ أَربَعٍ :

المرتَبَةُ الأُولَى : التَّسَخُّطُ. وَهُوَ عَلَى أَنواعٍ :

النَّوعُ الأَوَّلُ : أَن يَكُونَ بِالقَلبِ، كَأَن يَسخَطَ عَلَى رَبِّهِ يَغتَاظُ مِمَّا قَدَّرهُ اللهُ عَليهِ، فَهَذا حَرَامٌ، وَقَد يُؤَدِّي إِلَىٰ الكُفرِ، قال تَعَالىٰ : ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ﴾ (الحج: ١١).

النَّوعُ الثَّانِي: أَن يَكُونَ بِاللِّسَانِ؛ كَالدُّعَاءِ بالوَيلِ والثُّبُورِ، ومَا أَشبَهَ ذَلِك، وهَذَا حَرَامٌ.

النَّوعُ الثَّالِثُ : أَن يَكُونَ بِالجوَارِحِ؛ كَلَطْمِ الخُدُودِ، وشَقِّ الجيُوبِ، ونَتفِ الشُّعُورِ ومَا أَشبَهَ ذَلِك، وكُلُّ هَذَا حَرامٌ مُنافٍ لِلصَّبرِ الوَاجِبِ.

---

(١) التلذذ على المصيبة فِيْهِ نظرٌ؛ فإنَّ هَدي النبي ﷺ لم يَرد عنه أنه تلذَّذ بمصيبة أو بلاء، بل كان يألم ويحزن وتدمع عيناه كما في وفاة ابنه إبراهيم ﷺ، وفي حديث أسامة بن زيد لـمَّا مات ولدٌ لزينب ابنة النبي ﷺ وجاءه ﷺ ورُفِعَ له الصبي ونفْسُه تَتَقَعْقَعُ؛ ففاضت عيناه؛ فاستغرب بعض أصحابه بكاءه، فقال لهم : «هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده» كما في «صحيح البخاري» (١٢٨٤) فهذا يدلُّ على أن المرء يحزن وتدمع عيناه في مصيبته، بل ومع ذلك ينبغي عليه التسليم والصبر والرضا؛ فهذا هدي نبينا ﷺ وهو أكمل الهدي، أما التلذّذ كما هو مشهور في كلام كثير من أهل التَّصوف من السَّلف والخلف؛ فلا إخالُ أنَّ هذا فِيْهِ محمدة، وهذا بخلاف الشكر عقب المصيبة ـ بعد أن صبرَ وسَلَّمَ ورَضِيَ بما كُتِبَ له ـ بأن يرجو الله فيها كفران ذنبه وحط خطيئته . والله أعلم . **من إملاءات شيخنا العلامة د.عمر الأشقر نفع الله به .**

(٢) «عون الباري لحل أدلة البخاري» (٦ / ٥٠) .

المرتَبةُ الثَّانِيةُ : الصَّبرُ :

وهُوَ كَما قَال الشَّاعِر :

وَالصَّبرُ مِثلُ اسمِهِ مُرٌّ لَكِن عَوَاقِبُه أَحلَى مِنَ العَسَل

فَيَرى أَنَّ هَذَا الشَّيءَ ثَقِيلٌ عَليهِ، لَكِنَّهُ يَتحَمَّلُهُ وهُوَ يَكرَهُ وُقُوعَهُ، وَلَكِن يَحمِيهِ إِيمَانُهُ من السَّخَطِ، فَلَيسَ وُقُوعُهُ وَعَدَمُهُ سَوَاءً عِندَهُ. وَهَذا وَاجِبٌ؛ لأَنَّ اللهَ تَعَالىٰ أَمَرَ بِالصَّبرِ فَقَال : ﴿وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ (الأنفال: ٤٦).

المرتَبةُ الثَّالِثةُ : الرِّضَا:

بِأَنْ يَرضَى الإِنسَانُ بِالمصِيبَةِ بِحَيثُ يَكُونُ وُجُودُهَا وَعَدَمُهَا سَوَاءً، فَلا يَشُقُّ عَليهِ وُجُودُهَا، وَلا يَتَحمَّلُ لَهَا حِملاً ثَقِيلاً، وَهَذِهِ مُستَحَبَّةٌ ولَيسَت بِوَاجِبةٍ عَلَى القَولِ الرَّاجِحِ.

والفَرقُ بَينَها وَبَينَ المرتَبَةِ الَّتِي قَبلَها ظَاهِرٌ؛ لأَنَّ المصِيبَةَ وَعَدَمَها سَواءٌ في الرِّضَا عِندَ هَذَا، أَمَّا التَي قَبلَها؛ فَالمصِيبَةُ صَعبَةٌ عَليهِ لَكِن صَبَرَ عَليهَا.

المرتَبةُ الرَّابِعةُ: الشُّكرُ :

وَهُوَ أَعلَى المرَاتِبِ، وذَلِكَ بِأَن يَشكُرَ اللهَ عَلَى مَا أَصَابَهُ مِن مُصِيبةٍ، حَيثُ عَرَفَ أَنَّ هَذِهِ المصِيبَةَ سَبَبٌ لِتكفيرِ سَيِّئَاتِهِ، وَرُبَّمَا لِزِيَادَةِ حَسنَاتِهِ، قال ﷺ : «ما مِن مُصِيبَةٍ تُصِيبُ المسلِمَ إِلَّا كَفَّرَ اللهُ بِهَا عَنْهُ حَتَّى الشَّوكَةَ يُشَاكُها» [1] اهـ.

فَهَذِهِ أَحوالُ الدُّنيَا، مِن فَرَحٍ وسُرُورٍ، إِلَىٰ تَرَحٍ ونُفُورٍ، وَمِن سَعَةٍ إِلَىٰ ضِيقٍ، وَمِن يُسرٍ إِلَىٰ عُسرٍ، وَالعَكسُ بِالعَكسِ، و للهِ دَرُّ مَن قال :

---

(١) «مجموع الفتاوى» لشيخنا محمد العُثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ (٢/ ١٠٩).

ثَمَانِيَةٌ قَامَ الوُجُودُ بِهَا فَهل ... تَرَى مِن مَحِيصٍ لِلوَرَى عن ثَمَانِيه
سُرُورٌ وَحُزنٌ وَاجتِمَاعٌ وَفُرقَةٌ ... وَعُسرٌ وَيُسرٌ ثُمَّ سُقمٌ وَعَافيه
بِهِنَّ انقَضَت أَعمَارُ أَولادِ آدَمٍ ... فَهل مَن رَأَى أَحوَالَهُم مُتَسَاوِيه

وَإِذَا كَانَ كَذَلِك، وأَحوَالُ النَّاسِ اليَومَ تَتبَايَنُ بَينَ أَفرَاحٍ وأَترَاحٍ، وَأَسقَامٍ وعَافيةٍ، وَلَو قَلَّبتَ النَّظَرَ في مَن حَولَكَ لَوجَدتَ أَكثَرَ النَّاسِ هَلكَى إِلَّا مَن رَحِمَ الله، بِغَضِّ النَّظَرِ عن أَمرَاضِهِم بَدنَيَّةً كَانَت أَم رُوحِيَّةً !

وَالسَّبَبُ في ذَلِكَ بُعدُهُم عن دِينِ اللهِ تَعَالىٰ، وَانغِمَاسُهُم في التَّرَفِ، والفِسقِ، وأَوحَالِ الرَّذِيلَةِ، وذَا لا يُنكِرُهُ إِلَّا مُكَابِرٌ !

فَالنَّاسُ في الأَمرَاضِ يَنقَسِمُونَ إِلَىٰ أَقسَامٍ : قِسمٍ أَمرَاضُهُ حِسِّيَّةٌ، وَثَانٍ أَمرَاضُهُ نَفسِيَّةٌ عَقلِيَّةٌ ! وَثَالِثٍ أَمرَاضُهُ رُوحِيَّةٌ شَيطَانِيَّةٌ.

فَالأَوَّلُ : يَشفِيه عَقَاقِيرُ الأَطِبَّاءِ في الغَالِبِ، بَعدَ حَولِ اللهِ وَقُوَّتِهِ.

وَالثَّانِي : مِثلُ الأَوَّلِ، وَهُوَ قَلِيلٌ جِدٌّ قَلِيلٍ.

وَهَذَا القَلِيلُ قَد يَخرُجُ عَنِ المأْلُوفِ، وَيُصبِحُ مَرَضُهُ غَيرَ مَعرُوفٍ، فتُجَرَّبُ عَليهِ تَجَارِبُ الأَطِبَّاءِ، المنكَرُ مِنهَا والمعرُوفُ، وَبِهَا يَتَهافَتُ النَّفسَانِيُّونَ.

أَمَّا الثَّالِثُ: فَلا سَبِيلَ إِلَىٰ عِلاجِهِ إِلَّا بِكَلامِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَوَحيِ رَسُولِهِ الأَمِينِ وَمَن بَحَثَ عن غَيرِهِمَا؛ فَقَد أَخطَأَ السَّبِيلَ، وَجَانَبَ التَّعوِيلَ، وَجَنَى القَالَ وَالقِيلَ !

وَلِكَثرَةِ مَا يَعرِضُ لِلنَّاسِ مِن أَمرَاضٍ، وَعِلَلٍ، وَعَوارِضَ تَعرِفُ مِنهَا وتُنكِرُ [1]، شَرَعَ رَبُّنَا الاستِشفَاءَ بِكَلامِهِ، وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ لِمَن اشتَكَى مِن مَرَضٍ،

---

(١) وقد يقول قائلٌ :لِمَ هذه الأمراض؛ وخاصة السِّحر، والمَسّ، والعين، منتشرة في هذا العصر مع كثرة الرُّقاة ؟ ولَم نسمع عن هذه الكثرة في زمن السلف رحمهم الله، لا سِيَّما انتشارها بهذه الصورة المفزعة ؟ فما هذه إلَّا من الأمراض النفسيَّة الوهميَّة فحسب ؟! فالجواب : أن هذه دعوة باطلة ولا تَصِحُّ لأمور عدَّة :

أَو عِلَّةٍ بَدَنِيَّةٍ، أَو نَفسِيَّةٍ، أَو عَارِضِ عَينٍ، أَو حَسَدٍ، أَو مَسٍّ، أَو سِحرٍ؛ فَكَلامُهُ الشِّفَاءُ وَالرَّحمَةُ. وَهَذَا مَا سَأُنبِيكَ عَنْهُ في البَيَانِ الثَّانِي :

«هَلْ سَمِعتَ بِشِفَاءٍ كَالقُرآنِ»

❑ ❑ ❑

=

أولاً : أنَّ هذه الأمراض موجودة من مئات السنين والقرون، والتاريخ وتتبع السنين يُثبت ذلك، بل إنَّ أصل هذه الأمراض موجود من زمن نبي الله عيسى عليه السلام؛ في قومه، وفي زمن موسى عليه السلام؛ أيضاً وهذا مذكورٌ عنهم ومشتهر؛ و لها في شرعنا أصل قام على تصديقها؛ فالزَّعمُ أنَّ هذه الأمراض لم تكن في السابق دعوة باطلة وزعم لا تقوم به حجة .

ثانياً : كان في عهد النبي ﷺ أناس معروفون بالرقية، بل قد أَذِن ﷺ لبعض بيوت الأنصار بالرُّقى من الحُمَّة وغيرها. وهو في «صحيح البخاري» (٥٧١٩) وهذا صريح في الردِّ . والأدلة أكثر من أن تُذكر .

ثالثاً : أمَّا شبهة كثرة انتشارها؛ فيكفي في ردِّها وتفنيدها، تصوُّر وتَأمُّل حال الناس في كل زمان وعصر وما بينهم من التَّفَاوت في العلم والإيمان والقرب من الله تعالىٰ وتحصنهم بذكر الله، أتقاس عبادة السلف وذكرهم لله تعالىٰ وقوة إيمانهم بحال الناس في هذا العصر ؟

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ عن هذه الشُّبَه: **«وإنما ظهرت هذه الأحوال الشيطانية التي أسبابها الكفر والفسوق والعصيان بحسب ظهور أسبابها؛ فحيث قَوِيَ الإيمان والتَّوحيد ونور الفرقان والإيمان، وظهرت آثار النبوة والرسالة؛ ضَعُفت هذه الأحوال الشيطانية، وحيث ظهر الكفر والفسوق والعصيان؛ قويت هذه الأحوال الشيطانية»** «المجموع» (١/ ٣٦٣)، فلَمَّا خربت قلوب الناس وابتعدوا عن ربهم تمكَّنت منهم الشياطين فكان ما أنت راءٍ بخلاف ما عليه الرَّعيل الأول .

ولهذا يقول ابن قيم الجوزية رَحِمَهُ اللهُ: **«وأكثر تَسلُّط هذه الأرواح على أهله ـ يعني المصابين بالصَّرَعَ ـ من جهة قلّة دينهم، وخراب قلوبهم وألسنتهم من حقائق الذكر والتعاويذ والتحصنات النبوية والإيمانية»** «زاد المعاد» (٤/ ٦٩) **وهذا على الغالب**، وإلَّا فقد يُصاب إنسانٌ صالحٌ وذلك لحكمة يريدها الله تعالىٰ من رفعة أوابتلاء، وهي في الإرادة الكونية القَدَرية لا الشرعية فإذا عُلِمَ هذا، **فلا يُنكر أن يُصاب النبي ﷺ بالسِّحر وقد شفاه الله منه؛ فما هو إلَّا كمرضٍ من سائر الأمراض التي أصابت جسده ولا تعلَّق له بالوحي ولا بفعله، وفَقِه هذا الفِقهَ الإمام البخاري** رَحِمَهُ اللهُ : **إذ عدَّ باب السِّحر من أبواب كتاب الطب والمرض؛ لِيُبرهِن على أنه كسائر الأمراض؛ فاحفظ هذا؛ فهو بيان سِرِّ المسألة** . والله أعلم .

وقد كُتِب في هذا رسائلُ وأجوبةٌ نافعةٌ في بابها . انظر : «تأويل مختلف الحديث» لابن قتيبة (٢٦٠) و «دفاع عن السُّنَّة» للدكتور محمد أبو شهبة (٣٥٤) و «ردود أهل العلم والإيمان على الطاعنين في حديث السحر» للوادعي، و«السحر، حقيقته، حكمه، والعلاج منه» للدُّمَيني (٦٨) وغيرهم .

ثانياً : هل سمعت بشفاءٍ كالقرآن :

يَقولُ الحَقُّ جَلَّ في عُلاهُ : ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ (الإسراء: ٨٢)

وَقال سُبحَانَهُ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (يونس: ٥٧)

وَقال سُبحَانَهُ : ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴾ (فصلت: ٤٤)

فَأيُّ شِفاءٍ في الدُّنْيا أَنفعُ وَأَبْرَكُ وأَشفَى للإِنْسَانِ مِنَ القُرآنِ ؟

إنَّ المرْءَ إنْ أَصابَتْهُ مُصيبَةٌ أَوْ بَلاءٌ وَمَرَضٌ، فَمِنْ قِلَّةِ تَوفِيْقِهِ، وَغَفْلَتِهِ وَبُعْدِهِ عَنْ رَبِّهِ لا يَهْرَعُ إلَّا لِلأَطِبَّاءِ، فَتَراهُ يَسْتَغِيثُ بِأَمْهَرِهِم وَأَقْدَرِهِم، ويَغْفُلُ المسكِينُ عَنْ كَلامِ رَبِّهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ، حَتَّى إذَا مَا عَجزَ طِبُّ الأَطِبَّاءِ، رَأيتَهُ يَسلُكُ مَسَالِكَ الصَّالِحِينَ بَحْثاً عَمَّنْ يُحسِنُ الرُّقيةَ بِكِتَابِ رَبِّهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ.

فَبِاللَّهِ عَليكُم أَمَا كانَ الأَجدَرُ وَالأَحقُّ بِهَذا الغَافِلِ عَنْ كِتَابِ رَبِّهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ أَنْ يَجمَعَ في عِلاجِهِ كَلامَ رَبِّهِ الرَّحِيمِ ثُمَّ مَا عِنْدَ مَهرَةِ الأَطِبَّاءِ المُسلِمينَ وَخِبرَةِ أَهلِهِ الثِّقاتِ الصَّالِحِينَ، فَيَجْمَعُ بَيْنَ الحُسْنَيينِ، وَمَنْ كَانَ هَذا حَالُهُ فقَمِنٌ[1] أَنْ يُوفَّقَ لِلِبَاسِ العَافِيةِ وَيَنْعَمُ بالسَّلامَةِ والشِّفَاءِ مِمَّا نَزلَ بِهِ.

يَقُولُ ابنُ قَيِّمِ الجوزِيَّةِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَهَذَا كِتَابُ اللهِ؛ هُوَ الشِّفَاءُ النَّافِعُ، وَهُوَ أَعظَمُ الشِّفَاءِ، وَمَا أَقَلَّ المُستَشفينَ بِهِ، بَل لا يَزِيدُ الطَّبَائِعَ الرَّدِيَّئَةَ إلَّا رَدَاءَةً، وَلا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إلَّا خَسَاراً، وَكَذَلِكَ ذِكرُ اللهِ، وَالإِقبَالُ عَليهِ، وَالإِنَابَةُ إِلَيهِ، وَالفَزَعُ إِلَى

---

(١) أي : جديرٌ وحقيقٌ .

الصَّلاةِ، كَم قَد شُفيَ بِهِ مِن عَلِيلٍ، وَكَم قَد عُوفيَ بِهِ مِن مَرِيضٍ، وَكَم قَامَ مَقَامَ كَثِيرٍ مِنَ الأَدوِيَةِ الَّتِي لا تَبلُغُ قَرِيباً مِن مَبلَغِهِ فِي الشِّفَاءِ، وَأَنتَ تَرى كَثِيرَاً مِنَ النَّاسِ بَل أَكثَرَهُم لا نَصِيبَ لَهُم مِنَ الشِّفَاءِ بِذَلِكَ أَصلاً»[1].

وَقالَ رَحِمَهُ اللهُ: «فَلَم يُنزِلِ اللهُ سُبحَانَهُ مِنَ السَّمَاءِ شِفَاءً قَطُّ أَعَمَّ، وَلا أَنفَعَ، وَلا أَعظَمَ، وَلا أَشجَعَ فِي إِزَالَةِ الدَّاءِ مِنَ القُرآنِ»[2].

وَقالَ رَحِمَهُ اللهُ: «فَمَا مِن مَرَضٍ مِن أَمرَاضِ القُلُوبِ وَالأَبدَانِ إِلَّا وَفِي القُرآنِ سَبِيلُ الدَّلالَةِ عَلَى دَوَائِهِ، وَسَبَبِهِ، وَالحِميَّةِ مِنهُ لِمَن رَزَقَهُ اللهُ فَهماً فِي كِتَابِهِ»[3].

وَيقول الشَّيخُ عَبدُ الرَّحمَنِ بنُ سَعدِي رَحِمَهُ اللهُ: «فَالقُرآنُ مُشتَمِلٌ عَلَى الشِّفَاءِ والرَّحمَةِ، وَلَيسَ ذَلِكَ لِكُلِّ أَحدٍ، وَإِنَّمَا ذَلِكَ لِلمُؤمِنِينَ بِهِ، المُصَدِّقِينَ بِآيَاتِهِ، العَامِلِينَ بِهِ.

وَأَمَّا الظَّالِمُونَ بِعَدَمِ التَّصدِيقِ بِهِ، أَو عَدَمِ العَمَلِ بِهِ، فَلا تَزِيدُهُم آيَاتُهُ إِلَّا خَسَارَاً؛ إِذ بِهِ تَقُومُ عَلَيهِم الحُجَّةُ.

فَالشِّفَاءُ الَّذِي تَضَمَّنَهُ القُرآنُ، عَامٌّ لِشِفَاءِ القُلُوبِ، وَلِشِفَاءِ الأَبدَانِ مِن آلامِهَا وَأَسقَامِهَا، وَأَمَّا الرَّحمَةُ؛ فَإِنَّ مَا فِيهِ مِنَ الأَسبَابِ وَالوَسَائِلِ الَّتِي يَحُثُّ عَلَيهَا، مَتَى فَعَلَهَا العَبدُ فَازَ بِالرَّحمَةِ، وَالسَّعَادَةِ الأَبدِيَّةِ، وَالثَّوَابِ العَاجِلِ وَالآجِلِ»[4].

---

(١) «مفتاح دار السعادة» (١/ ٢٥٠).

(٢) «الدَّاء والدَّواء» (٧).

(٣) «زاد المعاد» (٤/ ٣١٨)

(٤) «تيسير الكريم الرحمن» (٢/ ٩٣٥)

وقال شيخنا العلامة عمر الأشقر أطال الله بقاءه: «فالشفاء الذي تضمنه القرآن عام لشفاء القلوب ولشفاء الأبدان ويدخل فيه شفاء الكفار من كفرهم بدخولهم للإسلام، فيشفيهم من الضلال والتِّيه، ومن كتب الله عليه الكفر لا يشفيه. وأمَّا شفاء الأبدان فليس لدينا بيان من الكتاب والسنة، إلَّا إذا نظرنا في آيات القرآن العامة كقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ﴾ وكقوله: ﴿فِيهِ شِفَآءٞ لِّلنَّاسِ﴾ فهو شاملٌ للجميع». **من إملاءاته حفظه الله**.

فَإِذَا مَا عَرفْتَ ذَلِكَ، فلِسَائِلٍ أَنْ يَسأَلَ: مَا هِيَ الأَمرَاضُ الَّتِي تُعَالِجُهَا الرُّقيةُ الشَّرعِيَّةُ ؟

فَالجَوابُ : أَنَّ كِتَابَ اللهِ تَعَالىٰ شِفَاءٌ لِكُلِّ الأَمرَاضِ الَّتِي يَتَعرَّضُ لَهَا الإِنسَانُ سَوَاءً كَانَت أَمرَاضاً بَدَنِيَّةً؛ كَأَمرَاضِ القَلبِ، أو الصَّدرِ، أَو الرَّأسِ وَمَا يَعرِضُ لَهُ مِن جَلطَاتٍ، وَ صُدَاعٍ، وَضَغطٍ، وَ خَلَلٍ، وَغَيبُوبَةٍ وَفُقدَانٍ لِلوَعيِ، أَو مَا يُسَبِّبُ الشَّلَلَ، أَو الإِعَاقَةَ أَو الأَورَامَ السَّرطَانِيَّةَ، أَو الجِلدِيَّةَ، أَو السُّكَّرَ، وَمَا إِلَىٰ ذَلِكَ عَافَانَا اللهُ وَالمُسلِمِينَ.

أَو كَانَت أَمرَاضاً نَفسِيَّةً؛ كَالهَمِّ، وَالغَمِّ، وَالقَلَقِ، وَالكَآبَةِ، وَضِيقِ الصَّدرِ، وَالتَّوتُّرِ، وَالوُسوَاسِ بِأَنوَاعِهِ.

أَو كَانَت أَمرَاضاً رُوحِيَّةً، مِن مَسٍّ، أَو سِحرٍ، أَو عَينٍ وَحَسَدٍ.

فَهَذِهِ الأَمرَاضُ عِلاجُهَا يَكُونُ بِأَمرَينِ :

الأَوَّلُ : بِالدَّفعِ، أَي : بِدَفعِهَا وَطَردِهَا قَبلَ أَن تَقَعَ عَلَى الجَسَدِ، وَذَلِك بِالطَّاعَاتِ، وَإِقَامَةِ الصَّلَوَاتِ، وَالدَّعوَاتِ وَحُسنِ الصِّلَةِ بِاللَّهِ، وَسَلامَةِ القَلبِ وَصِيَانَةِ اللِّسَانِ، وَحُسنِ الخُلُقِ، وَحِفظِ الأَورَادِ النَّبَوِيَّةِ مِن أَذكَارِ اليَومِ وَاللَّيلَةِ.

وَأَيضاً : تُدفَعُ عَنْ طَرِيقِ المأكُولَاتِ التَّحْصِينِيَّةِ؛ كتَمرِ العَجوَةِ، أَو زَيتِ الزَّيتُونِ، وَالحَبَّةِ السَّودَاءِ، وَالعَسَلِ، وَغَيرِهَا، وَهِذهِ مِنَ التَّحصِينَاتِ وَالأَسْبَابِ الوَاقِيَةِ.

يقُولُ ابنُ قَيِّمِ الجوزِيَّةِ رَحِمَهُ اللهُ : «وَاعلَمْ أَنَّ الأَدوِيَةَ الطَّبِيعِيَّةَ الإِلَهِيَّةَ، تَنفَعُ مِنَ الدَّاءِ بَعدَ حُصُولِهِ، وَتَمنَعُ مِن وُقُوعِهِ، وَإِن وَقَعَ لَم يَقَع وُقُوعاً مُضِرّاً، وَإِن كَانَ مُؤذِياً، وَالأَدوِيَةُ الطَّبِيعِيَّةُ إِنَّمَا تَنفَعُ بَعدَ حُصُولِ الدَّاءِ؛ فَالتَّعَوُّذَاتُ، وَالأَذكَارُ، إِمَّا أَن تَمنَعَ وُقُوعَ هَذِهِ الأَسبَابِ، وَإِمَّا أَن تَحُولَ بَينَهَا وَبَينَ كَمَالِ تَأثِيرِهَا، بِحَسَبِ كَمَالِ التَّعَوُّذِ،

وَقُوَّتِهِ وَضَعفِهِ، فَالرُّقَى وَالعُوَذُ تُستعمَلُ لِحِفظِ الصِّحَّةِ، وَلِإزَالَةِ المرَضِ» [1]

والثَّانِي : بِالرَّفعِ؛ وَهِي بَعدَ أَن يُقَدِّرَ اللهُ ذَلِك بِقَدَرِهِ وَإذنِهِ الكَونِيِّ؛ فَتُصِيبُ الإنسَانَ.

فَإذَا حَلَّ بِهِ المرَضُ؛ فَكِتَابُ اللهِ تَعَالىٰ خَيرُ شِفَاءٍ لِمَرَضِهِ؛ فَيَقرَأُ الرُّقيَةَ الشَّرعِيَّةَ عَلَى مَرَضِهِ وَيُكثِرُ مِنهَا، خَاصَّةً آيَاتُ السَّكِينَةِ، وَآيَاتُ الشِّفَاءِ، وَيَخُصُّ سُورَةَ البَقَرَةِ بِمَزِيدِ عِنَايَةٍ؛ فَالرُّقيَةُ الشَّرعِيَّةُ وَالأَدعِيَةُ النَّبَوِيَّةُ هِيَ الطِّبُّ النَّفسِيُّ الَّتِي لا مَدخَلَ لِلشَّكِّ أَبَداً فِي قَبُولِهَا؛ لأنَّهَا وَحْيٌ مِنَ اللَّطِيفِ الخَبِيرِ.

وَيَجمَعَ بَينَهَا وَبَينَ الأَدوِيَةِ الحِسِّيَّةِ وَالطِّبِّ، وَهَذَا يَسِيرُ التَّنَاوُلِ وَالعِلاجِ بِحَمدِ اللهِ، وَهَذَا مِصدَاقُ قَولِهِ سُبحَانَهُ : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ (يونس :٥٧).

وَقَولِهِ سُبحَانَهُ : ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ (الإسراء : ٨٢).

يقول سَيِّدُ قُطُب رَحِمَهُ اللهُ: «وَفِي القُرآنِ شِفَاءٌ، وَفِي القُرآنِ رَحمةٌ، لِمَن خَالَطَت قُلُوبَهُم بَشَاشَةُ الإيمَانِ؛ فَأَشرَقَت وَتَفَتَّحَت لِتَلَقِّي مَا فِي القُرآنِ مِن رُوحٍ، وَطَمَأنِينَةٍ وَأَمَانٍ.

فِي القُرآنِ شِفَاءٌ مِنَ الوَسوَسَةِ، وَالقَلَقِ، والحَيْرَةِ؛ فَهُوَ يَصِلُ القَلبَ بِاللَّهِ؛ فَيَسكُنُ وَيَطمَئِنُّ وَيَستَشعِرُ الحِمَايَةَ والأَمنَ؛ وَيَرضَى؛ فَيَستَروِحُ الرِّضَا مِنَ اللهِ، والرِّضَا عن الحيَاةِ.

وَالقَلَقُ مَرَضٌ، وَالحَيرَةُ نَصَبٌ، والوَسوَسَةُ دَاءٌ، وَمِن ثَمَّ هُوَ رَحمَةٌ لِلمُؤمِنِينَ» [2].

---

(١) «زاد المعاد» (٤/ ١٦٥)

(٢) «في ظلال القرآن» (٤ / ٢٢٤٨).

ثُمَّ تَأَمَّلْ مُفرَدَةَ ﴿ شِفَآءٌ ﴾ فَإِنَّ فيهَا لَطِيفَتَينِ مِن إعجَازِ كَلامِ رَبِّنَا سُبحَانَهُ :

الأُولَى : فَقَد جَاءَتْ لِتُفيدَ أَنَّ القُرآنَ شِفَاءٌ مِن كَافَّةِ الأَمرَاضِ؛ فَلَم يَقُل سُبحَانَهُ : «وَنُنَزِّلُ مِنَ القُرآنِ مَا هُوَ دَوَاءٌ»؛ لأَنَّ هَذا المعنَى قَاصِرٌ عَلَى عِلاجِ البَعضِ لا الكُلِّ؛ فَهِي لا تُدَاوِي سَائِرَ الأَمرَاضِ.

أَمَّا مُفرَدَةُ ﴿ شِفَآءٌ ﴾ فَإِنَّها تُفيدُ حُصُولَ الشِّفَاءِ التَّامِّ مِن كَافَّةِ الأَمرَاضِ - إِنْ وَافَقَتِ الدَّاءَ - وَلا حَاجَةَ حِينئِذٍ لِلدَّوَاءِ؛ لِحُصُولِ المقصُودِ بإذْنِ اللهِ .

ثُمَّ هَذَا الدَّوَاءُ قَد يَنجَحُ؛ فَيَشفي المرِيضَ وَقَدْ لا، وإِنْ نَجَحَ مَعَ البَعْضِ فَلا يَلْزَمُ ضَرورَةً نَجاحُهُ مَعَ الآخَرِينَ.

أَمَّا القُرآنُ فَهُو ﴿ شِفَآءٌ ﴾ حَاصِلٌ لا مَحَالَةَ بَعدَ تَوافُرِ دَوَاعِيهِ، وَاجْتِماعِ أَسبَابِهِ.

وَاللَّطِيفَةُ الثَّانِيةُ : تأمَّلْ في حَرَكَةِ هَذِهِ المُفرَدَةِ القُرآنِيَّةِ، فَإِنَّكَ تَجِدُها جَاءتْ في كُلِّ مَواطِنِهَا في كِتَابِ اللهِ تَعَالَىٰ عَلى الرَّفْعِ ﴿شِفَآءٌ﴾ ومَا هَذا الاطِّرَادُ في الرَّفعِ في التَّشْكِيلِ إِلَّا لِتُعطِيَ لَمْحَةً دَالَّةً عَلى أَنَّ القُرآنَ رَافِعٌ لِكُلِّ عِلَّةٍ مَرَضِيَّةٍ عَنِ المُؤمِنينَ، وهَذا الرَّفعُ أَدلُّ عَلى مَعْنى الثَّباتِ والاسْتِمْرَارِ مِنْ غَيرِه، كَما يُعرِّفُهُ اللُّغويُّونَ، فَلا يَتخلَّفُ إنْ شَاءَ اللهُ، شَرِيطَةَ أَنْ يَجمَعَ مَعهُ أَسبابَ الشِّفاءِ، وأَنْ يَأذَنَ اللهُ تَعالَىٰ لِذَلكَ.

فهَذَا لَونٌ مِن أَلوَانِ بَدِيعِ إعجَازِ كِتَابِ رَبِّنَا عَزَّ وَجَلَّ في بَيَانِهِ. [1]

(١) ومن لطيف هذا السِّر البديع في كتاب ربنا من موافقة الحركة الإعرابية للمعنى، تأمَّل قوله تعالىٰ : ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ (فاطر: ٢)، فإنك تجد قوله: ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ﴾ أنَّ مفردة ﴿ مُمْسِكَ ﴾ مفتوحة؛ لأنَّ الله هو الفاتح لها؛ فجاءت حركة الفتح على ﴿ مُمْسِكَ ﴾ مطابقاً لمعناه، دلالة على أنها مرسلة مفتوحة، في حين تجد قوله بعدها : ﴿وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ ﴾ جاءت ﴿ يُمْسِكْ ﴾ بالتسكين الدَّال على المسك دلالة على أنه إن أمسك فلا فاتح لها غيره سبحانه . فتأمَّل .

ورَحِمَ اللهُ ابنَ عَطِيَّةَ حِينَ قال : «وَكِتَابُ اللهِ تَعَالىٰ لَو نُزِعَتْ مِنهُ لَفظَةٌ، ثُمَّ أُدِيرَ لِسَانُ العَرَبِ أَن يُوجِدَ أَحسَنَ مِنْها، لَم يُوجِد» [1] اهـ.

ثُمَّ انظُر رَحِمَكَ اللهُ، قَولَهُ سُبحانَهُ: ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ كَيفَ يَكُونُ البَلاءُ رَحمةً لِلمُؤمِنِ؟

يَقُولُ العَلامَةُ الشَّيخُ الشِّنقِيطِيُّ: في مَعنَى : ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ يَعنِي : وَمَن سَلَكَهُ واتَّبَعَهُ يَرْحَمُهُ اللهُ جَلَّ وَعَلا ويُصلِح لَهُ دِينَهُ وَدُنيَاهُ » [2]

وَتَأتِي حِكمَةُ التَّخصِيصِ لِلمُؤمِنِينَ؛ لأَنَّهَا بَيَانٌ عَلَى أَنَّ أَهلَ الانتِفَاعِ بِهِ هُمُ المؤمِنُونَ المُهتَدُونَ لِكُلِّ خَيرٍ يَعقُبُ صَبرَهُم عَلَى البَلاءِ؛ فَكَانَ القُرآنُ شِفَاءً لِكُلِّ عِلَلِهِم، رُوحِيَّةً وَبدَنِيَّةً، لَمَّا قَبِلُوهُ وارتَضَوهُ، فَسُعِدُوا بِهِ.

فَرْقٌ بَينَ مُصَدِّقٍ صَاحِبِ يَقِينٍ جَازِمٍ بِنَفعِ كَلامِ اللهِ، وَبَينَ شَاكٍّ فِيْهِ مُتَرَدِّدٍ ! وَلِسَانُ حَالِهِ يقُولُ : إن لَمْ أَنتَفِع فَلَن أُضَرَّ ؟!

فَمَن كَانَ هَذَا حَالُهُ؛ فَهُوَ مَحرُومٌ مِن كِتَابِ رَبِّهِ، وَلَم يَعرِف حَلاوَةَ العُبُودِيَّةِ بَعدُ؛ فَلَيسَ الأَمرُ مُجَرَّدَ ظُنُونٍ ! لا بَل هُوَ مُوَافَقَةُ الدَّوَاءِ الدَّاءَ، وَقَبُولُ المحَلِّ، وَحُسنُ التَّلَقِّي، وَمَتَى تَخَلَّفَت؛ فَأَيَّ عَافِيَةٍ، وَأَيَّ شِفَاءٍ تُرِيدُ ؟

فَهَذا مَا فَهِمَهُ أَهلُ العِلمِ في هَذِهِ النُّكتَةِ البَدِيعَةِ لِمَن رَامَ الشِّفَاءَ بِكَلامِ رَبِّ العَالَمِينَ، فَأَينَ المتَدَبِّرُونَ ؟

وَصَدقَ الأُستَاذُ سَيِّدُ قُطُب رَحِمَهُ اللهُ حِينَ قَالَ :«إنَّ هَذَا القُرآنَ لا يَمنَحُ كُنُوزَهُ إلَّا لِمَن يُقبِلُ عَليهِ» [3].

---

(١) «المحرَّر الوجيز» لابن عطية الأندلسي : (١ / ٤٥) ط : قطر الثانية.

(٢) «العذب النَّمير من مجالس الشنقيطي في التفسير» (٣ / ١٢١٥) .

(٣) «معالم في الطريق» (١٨) .

وقال شيخُنا الدكتور صلاح الخالدي حفظه الله : «فالقرآن لا يدركه إلَّا الحي، ولا يتفاعل معه إلَّا الحي : ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ۝ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ (يس: ٦٩-٧٠)» «مفاتيح التعامل مع القرآن» (٧٩) .

وَقال الإمَامُ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في فَضلِ سُورَةِ الفَاتِحَةِ وَبيَانِ أَنَّهَا رُقيَةٌ : «قَولُهُ ﷺ: «مَا أَدرَاكَ أَنَّهَا رُقيَةٌ؟!»؛ فَيُستَحَبُّ أَن يُقرَأَ بِهَا عَلَى اللَّدِيغِ وَالمرِيضِ وَسَائِرِ أَصحَابِ الأَسقَامِ وَالعَاهَاتِ » اهـ[1].

فَيا أيُّها العِبادُ : دُوْنَكُم كِتابَ رَبِّكُم، فَهُو : «الشِّفاءُ التَّامُّ مِن جَمِيعِ الأَدوَاءِ القَلبِيَّةِ وَالبَدنِيَّةِ، وَأَدواءِ الدُّنيَا وَالآخِرَةِ، وَمَا كُلُّ أَحدٍ يُؤَهَّلُ وَلا يُوَفَّقُ لِلاستِشفَاءِ بِهِ، وَإِذَا أَحسَنَ العَلِيلُ التَّدَاوِيَ بِهِ، وَوَضَعَهُ عَلَى دَائِهِ بِصِدقٍ، وَإِيمَانٍ، وَقَبُولٍ تَامٍّ، وَاعتِقَادٍ جَازِمٍ، وَاستِيفَاءِ شُرُوطِهِ؛ لَم يُقَاوِمْهُ الدَّاءُ أَبَداً، وَكَيفَ تُقَاوِمُ الأَدوَاءُ كَلامَ رَبِّ الأَرضِ وَالسَّمَاءِ، الَّذِي لَو نَزَلَ عَلَى الجِبَالِ لَصَدَّعَهَا، أَو عَلَى الأَرضِ لَقَطَّعَهَا، فَمَا مِن مَرَضٍ مِن أَمرَاضِ القُلُوبِ وَالأَبدَانِ إِلَّا وَفي القُرآنِ سَبِيلُ الدَّلالَةِ عَلَى دَوَائِهِ، وَسَبَبِهِ، وَالحِمْيَةِ مِنهُ، لِمَن رَزَقَهُ فَهماً في كِتَابِهِ »[2].

وَيقُولُ العَلاَّمَةُ الشِّنقِيطِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «يَشمَلُ كَونَهُ شِفَاءً لِلقَلبِ مِن أَمرَاضِهِ؛ كَالشَّكِّ، وَالنِّفَاقِ، وَغَيرِ ذَلِكَ، وَكَونَهُ شِفَاءً لِلأَجسَامِ إِذَا رُقِيَ عَلَيهَا بِهِ »[3].

وَيقُولُ ابنُ حَزمٍ رَحِمَهُ اللَّهُ في كَيفِيَّةِ تَأثِيرِ القُرآنِ في العِلَلِ وَشِفَائِهِ لِلأَمرَاضِ : «جَرَّبنَا مَن كَانَ يَرقِي الدُّمَّلَ الحَادَّ القَوِيَّ الظُّهُورِ في أَوَّلِ ظُهُورِهِ؛ فَيَبدَأُ مِن يَومِهِ ذَاكَ بِالذُّبُولِ، وَيَتِمُّ يَبَسُهُ في اليَومِ الثَّالِثِ، وَيُقلَعُ كَمَا تُقلَعُ قِشرَةُ القُرحَةِ إِذَا تَمَّ يَبَسُهَا، جَرَّبنَا ذَلِكَ مَا لا نُحصِيهِ، وَكَانَت هَذِهِ المرأَةُ تَرقِي أَحَدَ دِمَّلَينِ قَد دُفِعَا[4] عَلَى إِنسَانٍ وَاحِدٍ، وَلا تَرقِي الثَّانِي؛ فَيَبسَ الَّذِي رَقَت، وَيَتِمُّ ظُهُورُ الَّتِي لَم تَرقِ، وَيَلقَى مِنهُ حَامِلُهُ الأَذَى الشَّدِيدَ، وَشَاهَدنَا مَن كَانَ يَرقِي الوَرَمَ المعرُوفَ

---

(١) «شرح مسلم» (١٤ / ١٨٧) وانظر : «التمهيد» لابن عبد البر : (٢٣ / ٢٩).

(٢) «زاد المعاد» (٤ / ٣٥٢).

(٣) «أضواء البيان» (٣ / ٦٢٤).

(٤) أي : دَفعُ الجسدِ لهذا المرض من الباطن؛ ليظهر على سطح في الجلد.

بِالخَنَازِيرِ؛ فَيَندَمِلُ مَا يُفتَحُ مِنهَا، وَيَذبلُ مَا لَم يَنفَتِح وَيَبرَأُ»[1].

وَمِسكُ الكَلامِ أَن يُقال إنَّ : «الأَمرَاضَ نَوعَانِ :

فَالنَّوعُ الأَوَّلُ : أَمرَاضٌ قَلبِيَّةٌ.

وَالنَّوعُ الثَّانِي : أَمرَاضٌ بَدَنِيَّةٌ.

وَأَمرَاضُ القُلُوبِ عَلَى نَوعَينِ : أَمرَاضُ شَهَواتٍ، وَأَمرَاضُ شُبُهَاتٍ.

فَشِفَاءُ الشَّهَواتِ سَبِيلُهُ بِسِيَاطِ القُلُوبِ وَوَعظِهَا، وَتَذكِيرِهَا بِاللَّهِ وَالدَّارِ الآخِرَةِ، وَتَرغِيبِهَا بِمَا أَعَدَّهُ اللهُ لِلطَّائِعِينَ، وَتَرهِيبِهَا بِمَا أُعِدَّ لِلعَاصِينَ.

وَيَدخُلُ فِيها مَا يُسَمَّى بِالعُقَدِ وَالأَمرَاضِ النَّفسِيَّةِ، وَالقُرآنُ مِن أَفضَلِ مَا يُفِيدُ وَيُشفِي ذَلِكَ بِإذنِ اللهِ تَعَالَىٰ؛ فَيَطِيبُ بِهِ نَفسَاً.

أَمَّا شِفَاءُ الشُّبُهَاتِ؛ فَيَكُونُ بِالعِلمِ، وَالحُجَّةِ، وَالبُرهَانِ فِي مَسَائِلِ الاعتِقَادِ، وَالتَّشرِيعِ؛ فتُدفَعُ بِبَيَانِ الشُّبُهَاتِ، وَكَشفِهَا، وَتَفنِيدِهَا حَتى تَزُولَ.

وَيَدخُلُ فِي ذَلِكَ الكُفَّارُ؛ إذ القُرآنُ شِفَاءٌ لِمَا عِندَهُم مِنَ الكُفرِ، وَالضَّلالِ، وَالمعتَقَدَاتِ البَاطِلَةِ؛ فَشِفَاؤُهُم بِدُخُولِهِم فِي دِينِ اللهِ الإِسْلامِ »[2].

فَإذَا عَلِمْتَ الأَمرَاضَ الَّتِي تَنفَعُ فِيْها الرُّقيَةُ الشَّرْعِيَّةُ، حَسُنَ بِكَ أَنْ تَعرِفَ أَسَبابَ الشِّفَاءِ مِنْ هَذِهِ الأَمْرَاضِ.

فَهَا هِيَ أَمامَ عَيْنَيْكَ، وَفِي مُتَناوَلِ يَدَيْكَ :

❑ ❑ ❑

---

(١) «الفِصَل في الملل والأهواء والنِّحَل» (٢/ ٥٢) في الكلام عن السِّحر والمعجزات، نقلاً عن : «دراسات فقهية في قضايا طبية معاصرة» بحث : كيف كان القرآن شفاء لأمراض الإنسان وقاية وعلاجاً (١ / ١٧) لشيخنا العلامة أ.د. عمر الأشقر أمدَّه الله بالعافية والسلامة .

(٢) من إملاءات وتعليقات شيخنا العلامة الدكتور عمر الأشقر حفظه الله .

و انظر تفصيل ذلك عند ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في طليعة كتابه : «إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان»
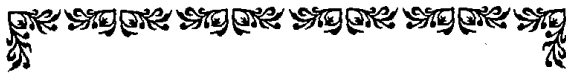
أَسبَابُ الشِّفَاءِ مِنَ الأَمرَاضِ

هَذَا وَمِنْ أَعظَمِ أَسبَابِ الشِّفَاءِ :

أَوَّلاً : حُسنُ الظَّنِّ باللهِ تَعالى : فَيُحسِنُ المرِيضُ ظَنَّهُ بِاللَّهِ تَعَالىٰ؛ فَيَعْتَقِدُ جَازِماً بِأَنَّ اللهَ مَا ابتَلاهُ إلَّا لِيُكرِمَهُ، وَيُمَحِّصَ ذَنبَهُ، وَيَرفَعَ مَنزِلَتَهُ، وَأَنَّ اللهَ قَادِرٌ عَلَى شِفَائِهِ وَمُعَافَاتِهِ.

قال ابنُ مَسعُودٍ ﷺ : «وَالَّذِي لا إلَهَ غَيرُهُ، مَا أُعطِيَ عَبدٌ مُؤمِنٌ شَيئاً خَيراً مِن حُسنِ الظَّنِّ بِاللَّهِ عَزَّوَجَلَّ، وَالَّذِي لا إلَهَ غَيرُهُ، لا يُحسِنُ عَبدٌ بِاللَّهِ عَزَّوَجَلَّ الظَّنَّ إلَّا أَعطَاهُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ ظَنَّهُ، ذَلِكَ بِأَنَّ الخَيرَ فِي يَدِهِ»[1].

ثانياً : كَثرَةُ الاستِغفَارِ : وَمِصدَاقُهُ قَولُهُ تَعَالىٰ : ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ۖ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ (هود : ٣)

وَقَولُهُ تَعَالىٰ : ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ﴾ (هود : ٥٢)

وقوله تَعَالىٰ : ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا﴾ (نوح: ١٠ - ١٢)

فَذِكْرُ اللهِ تَعَالىٰ عَلَى الدَّوَامِ وَالعُمُومِ شِفَاءٌ مِن كُلِّ سُوءٍ، وَمَطرَدَةٌ لِلشَّيطَانِ، وَرَحِمَ اللهُ مَكحُولاً حِينَ قال : «ذِكرُ اللهِ شِفَاءٌ، وَذِكرُ النَّاسِ دَوَاءٌ»[2].

---

(١) «حسن الظن بالله» لابن أبي الدنيا (٨٣) وانظر كلاماً نفيساً لابن القيِّم في «الداء والدواء» (٣٤).

(٢) «الوابل الصَّيب» لابن القيم (١٧١)

ثالِثاً : فِعلُ الطّاعَاتِ، وَالقُرُبَاتِ: وَهَذا مِنْ أَعظَمِ الأَسْبَابِ قَاطِبةً، وَيَشهَدُ لِذَلكَ أَدِلَّةٌ كَثِيرَةٌ:

مِنْها : قَولُه تَعَالىٰ : ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾ (البقرة: ٢٣٨)

وَ لَكَمْ أَصابَ النَّاسَ هَمٌّ وَغَمٌّ وضِيقٌ وَنَكَدٌ بِسَبَبِ بُعْدِهِم عَنِ اللهِ تَعَالىٰ، وَهَذا مِصْدَاقُ قَولِهِ تَعَالىٰ : ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ (طه: ١٢٤)

فَالضَّادُ : ضِيقٌ، والنُّونُ : نكدٌ، والكَافُ : كَدَرٌ، هُمُومٌ بَعضُها فَوْقَ بَعْضٍ، كُلُّ ذَلِكَ لِمَنْ أَعرَضَ عَنْ ذِكْرِهِ سُبحَانَهُ وتَعَالى .

فَأَبْصِرْ يَا مُسْلِمُ : فَالسَّعادةُ كُلُّ السَّعَادَةِ في الطَّاعَةِ وَالعِبادَةِ، وأمَّا الهَمُّ والغَمُّ وَالمآسِي فكُلُّها في الذُّنُوبِ والمعَاصِي، فأَينَ أَنْتَ مِنْ طَاعَةِ رَبِّكَ ؟ عُدْ إِلَى مِحْرَابِهِ، وأَنِبْ إِلَيْهِ، وأَقْبِلْ عَلَيْهِ، وَتُبْ قَبلَ فَواتِ الأَوانِ، وَحِينَها أَبْشِرْ بِانْشِرَاحِ الصَّدْرِ، وَبِسَعَادَةٍ وَأيِّ سَعَادَةٍ، وحَيَاةٍ وَأيِّ حَياةٍ.

ثُمَّ قَلِّبْ نَظَرَكَ، وَاجْمَعْ عَقلَكَ يا مَنْ تُكْثِرُ الشَّكْوَى فِي حَياتِكَ الزَّوْجِيَّةِ، تَأَمَّلْ في بَعْضِ الحِكَمِ مِنْ كَوْنِ آيَة المُحافَظَةِ عَلى الصَّلاةِ بَيْنَ آيَاتِ الطَّلاقِ؛ لِتَعِيَ أَنَّه مَتَى مَا قَامَ البَيْتُ المُسلِمُ عَلى الصَّلاةِ، وَقَامَتِ الحَياةُ الزَّوْجِيَّةُ عَلى إِقَامَتِها وَأَدائِهَا وَعَدَمِ التَّهاوُنِ والتَّفرِيطِ فِيْها، كَانَ هَذا البَيتُ وَتِلْكُم الحَياةُ أَبعَدَ مَا يَكُونُ الشِّقَاقُ والطَّلاقُ عَنْ عَتَبَتِها.

فَكَأَنِّي بِهِم وَقَدْ نَعِمتِ الأُسَرةُ بِطَاعَةِ رَبِّها، وَعَاشَتْ مُؤمِنَةً فِي رَاحَةٍ وَهَناءٍ وَسَعادَةٍ.

أَمَّا وإنْ أَبَتِ الطَّاعَةَ، فَسَيَجُرُّ عَلَيْها عِصْيانُها أَلْواناً مِنَ الفَسَادِ وَالضِّيقِ وَالنَّكدِ والهَمِّ والغَمِّ، حَتَّى تَنْقَلِبَ البُيوتُ العَاصِيَةُ إِلَىٰ جَحِيمٍ مُظْلِمٍ، نَسأَلُ اللهَ السَّلامَةَ وَالعَافِيَةَ.

وَالوَاقِعُ يُثْبِتُ هَذَا وَيُقَرِّرُهُ، وَنَظْرةٌ سَرِيعَةٌ لِكَثِيرٍ مِمَّنْ يُعاني ذَلِكَ تَجِدْ صِحَّةَ مَا ذَكَرْتُه لَكَ، فَإِيَّاكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الغَافِلِينَ [1].

وَمِنْها : قَوْلُهُ ﷺ: «يَعقِدُ الشَّيطَانُ عَلَى قَافيَةِ رَأسِ أَحَدِكُم إذَا هُوَ نَامَ ثَلاثَ عُقَدٍ، يَضرِبُ كُلَّ عُقدَةٍ عَلَيكَ لَيلٌ طَوِيلٌ فَارقُدْ؛ فَإِن استَيقَظَ، فَذَكَرَ اللهَ؛ انحَلَّت عُقدَةٌ، فَإِن تَوَضَّأَ؛ انحَلَّت عُقدَةٌ، فَإِن صَلَّى؛ انحَلَّت عُقدَةٌ؛ فَأَصبَحَ نَشِيطاً، طَيِّبَ النَّفسِ، وَإِلَّا أَصبَحَ خَبِيثَ النَّفسِ كَسلَانَ» [2]

قال الحَافِظُ ابنُ حَجرٍ رَحِمَهُ اللهُ: «قَولُهُ : «طَيِّبَ النَّفسِ»أي : لِسُرُورِهِ بِمَا وَفَّقَهُ اللهُ لَهُ مِنَ الطَّاعَةِ، وَبِمَا وَعَدَهُ مِنَ الثَّوَابِ، وَبِمَا زَالَ عَنْهُ مِن عُقَدِ الشَّيطَانِ.

وَالَّذِي يَظهَرُ أَنَّ فِي صَلاَةِ اللَّيلِ سِرّاً فِي طِيبِ النَّفسِ، وَإِن لَم يَستَحضِر المُصَلِّي شَيئاً مِمَّا ذُكِرَ، وَكَذَا عَكسُهُ، وَإِلَىٰ ذَلِكَ الإشَارَةُ بِقَولِهِ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡـًٔا وَأَقۡوَمُ قِيلًا﴾» [3]

رَابِعاً: الرُّقيَةُ الشَّرعِيَّةُ : وَهِيَ مَا تَكُونُ مِن آيَاتِ القُرآنِ العَظِيمِ، وَسُنَّةِ نَبِيِّنَا الكَرِيمِ، وَمِنهَا هَذِهِ الرُّقيَةُ الشَّرعِيَّةُ الَّتِي بَينَ يَدَيْكَ.

وَمِصدَاقُ هَذَا قَولُهُ تَعَالَىٰ : ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارٗا ﴾ (الإسراء: ٨٢)، وَنَظَائِرُه .

---

(١) انظر كلاماً نفيساً جداً عن آثار المعاصي والذنوب في محق البركة وذهاب السعادة وحرمان الرزق والعلم وتقصير العُمر وغير ذلك في«الدَّاء والدَّواء» لابن القيم (٨٥) وما بعدها .

(٢) أخرجه البخاري (١١٤٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) «فتح الباري» (٣/ ٢٦)

فَهُوَ شِفَاءٌ لِكَافَّةِ الأَمْرَاضِ البَدَنِيَّةِ، وَالنَّفسِيَّةِ، وَالرُّوحِيَّةِ.

فَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ ﷺ قَالَ : انْطَلَقَ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ فِي سَفْرَةٍ سَافَرُوهَا، حَتَّى نَزَلُوا عَلَى حَيٍّ مِنْ أَحْيَاءِ العَرَبِ، فَاسْتَضَافُوهُم؛ فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُم، فَلُدِغَ سَيِّدُ ذَلِكَ الحَيِّ، فَسَعَوْا لَهُ بِكُلِّ شَيْءٍ؛ لَا يَنْفَعُهُ شَيْءٌ.

فَقَالَ بَعْضُهُم: لَوْ أَتَيْتُمْ هَؤُلَاءِ الرَّهْطَ الَّذِينَ نَزَلُوا لَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ عِنْدَ بَعْضِهِم شَيْءٌ.

فَأَتَوْهُم فَقَالُوا : يَا أَيُّهَا الرَّهْطُ، إِنَّ سَيِّدَنَا لُدِغَ، وَسَعَيْنَا لَهُ بِكُلِّ شَيْءٍ لَا يَنْفَعُهُ، فَهَلْ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْكُم مِنْ شَيْءٍ ؟

فَقَالَ بَعْضُهُم: نَعَمْ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأَرْقِي، وَلَكِنْ وَاللَّهِ لَقَدْ اسْتَضَفْنَاكُم فَلَمْ تُضَيِّفُونَا، فَمَا أَنَا بِرَاقٍ لَكُم حَتَّى تَجْعَلُوا لَنَا جُعْلاً، فَصَالَحُوهُم عَلَى قَطِيعٍ مِنَ الغَنَمِ، فَانْطَلَقَ يَتْفِلُ عَلَيْهِ وَيَقْرَأُ : ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ (الفاتحة)، فَكَأَنَّمَا نُشِطَ مِنْ عِقَالٍ، فَانْطَلَقَ يَمْشِي وَمَا بِهِ قَلَبَةٌ.

قَالَ : فَأَوْفَوْهُم جُعْلَهُم الَّذِي صَالَحُوهُم عَلَيْهِ.

فَقَالَ بَعْضُهُم : اقْسِمُوا، فَقَالَ الَّذِي رَقَى : لَا تَفْعَلُوا حَتَّى نَأْتِيَ النَّبِيَّ ﷺ فَنَذْكُرَ لَهُ الَّذِي كَانَ فَنَنْظُرَ مَا يَأْمُرُنَا، فَقَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَذَكَرُوا لَهُ، فَقَالَ: «وَمَا يُدْرِيكَ أَنَّهَا رُقْيَةٌ؟» ثُمَّ قَالَ : «قَدْ أَصَبْتُمْ، اقْسِمُوا وَاضْرِبُوا لِي مَعَكُم سَهْماً» فَضَحِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ.(١)

يَقُولُ ابنُ قَيِّمِ الجوزِيَّةِ رَحِمَهُ اللهُ مُعَلِّقاً عَلى هَذا الحَدِيثِ : «فَقَدْ أَثَّرَ هَذا الدَّواءُ فِي هَذَا الدَّاءِ وَأَزالَهُ حَتَّى كَأَنَّهُ لَمْ يَكُن، وَهُو أَسهَلُ دَواءٍ وَأَيسَرُهُ، وَلَوْ أَحسَنَ العَبْدُ التَّدَاوِيَ بِالفَاتِحَةِ؛ لَرَأَى لَها تَأْثِيراً عَجِيباً فِي الشِّفَاءِ.

(١) أخرجه البخاري (٢٢٧٦) وقوله : «وما به قلبة»: أي: وجعٌ وألم.

وَمَكَثْتُ بِمَكَّةَ مُدَّةً تَعْتَرِينِي أَدْوَاءٌ وَلا أَجِدُ طَبِيباً وَلا دواءً، فَكُنتُ أُعَالِجُ نَفْسِي بِالفَاتِحَةِ، فَأَرَى لَهاَ تَأْثِيراً عَجِيباً، فَكُنتُ أَصِفُ ذَلِكَ لِمَنْ يَشْتَكِي أَلَماً وَكانَ كَثيرٌ مِنْهُم يَبْرأُ سَرِيعاً.

وَلَكِنْ هاهُنا أَمرٌ يَنبَغِي التَّفطُّنُ لَهُ: وَهُو أَنَّ الأَذكَارَ وَالآياتِ وَالأَدْعِيةَ الَّتِي يُسْتَشْفَى بِهَا وَيُرْقَى بِهَا هِيَ فِي نَفْسِهَا نَافِعةٌ شَافِيةٌ، وَلَكِنْ تَسْتَدْعِي قَبُولَ المحَلِّ وَقُوَّةَ هِمَّةِ الفَاعِلِ وَتَأثيرَهُ، فَمَتى تَخَلَّفَ الشِّفاءُ، كانَ لِضَعْفِ تَأْثِيرِ الفَاعِلِ، أَوْ لِعَدَمِ قَبولِ المحَلِّ المُنْفَعِلِ، أَوْ لِمَانِعٍ قَوِيٍّ فِيْهِ يَمنَعُ أَنْ يَنْجَعَ فِيْهِ الدَّواءُ، كَمَا يَكُونُ ذَلِكَ فِي الأَدْوِيَةِ والأَدْوَاءِ الحِسِّيَّةِ، فَإِنَّ عَدمَ تَأْثِيرِهَا قَدْ يَكُونُ لِعدَمِ قَبُولِ الطَّبِيعَةِ لِذَلكَ الدَّواءِ، وَقَدْ يَكُونُ لِمانعٍ قَوِيٍّ يَمنَعُ مِنِ اقتِضَائهِ أَثرَهُ، فإِنَّ الطَّبِيعةَ إِذَا أَخَذتِ الدَّواءَ بِقَبولٍ تامٍّ كَانَ انتِفَاعُ البَدنِ بِهِ بِحَسْبِ ذَلِكَ القَبولِ، وَكَذلِكَ القَلْبُ إذَا أَخَذ الرُّقَى والتَّعاوِيذَ بِقَبولٍ تَامٍّ، وكانَ للرَّاقِي نَفْسٌ فَعَّالَةٌ، وهِمَّةٌ مُؤَثِّرةٌ في إزَالَةِ الدَّاءِ؛ أَثَّرَ في إزَالَةِ الدَّاءِ» [١]

وَيَرْوِي الإمَامُ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: عَنْ طَلحَةَ بنَ مُصَرِّفٍ قال: كَانَ يُقَالُ: إنَّ المرِيضَ إذَا قُرِئَ عِندَهُ القُرآنُ، وَجدَ لِذَلِكَ خِفَّةً، فَدَخلتُ عَلَى خَيْثمَةَ وَهُوَ مَرِيضٌ، فَقُلتُ: إنِّي أَرَاكَ اليومَ ضَاحِكاً؟ فَقال: إنِّي قُرِئَ عِندِي القُرآنُ. [٢]

وَيقُولُ ابنُ قَيِّمِ الجوزِيَّةِ رَحِمَهُ اللهُ: «فَلَم يُنزِلِ اللهُ سُبحَانَهُ مِنَ السَّماءِ شِفَاءً قَطُّ أَعَمَّ، وَلا أَنفعُ، وَلا أَعظَمُ، وَلا أَشجَعُ في إزَالَةِ الدَّاءِ مِنَ القُرآنِ » [٣]

فَكَيْفَ لا يَكُونُ كَذلِكَ وهُو كَلامُ اللهِ جَلَّ في عَلْيائهِ، الَّذِي لَوْ نَزَلَ على جَبلٍ لصَدَعهُ، فكَيفَ بِهَذَا المَخلُوقِ الضَّعِيفِ؟ أَدِمِ النَّظَرَ في ذَلِكَ، فَسَتَرى عَجَباً.

---

(١) «الداء والدواء» (٨).

(٢) «التبيان في آداب حملة القرآن» (١٦٨)

(٣) «الدّاء والدَّواء» (٧).

خامساً : الصَّدَقَةُ : وَهَذِهِ أُعْجُوبَةُ العَجائِبِ في رَفْعِ الكُرُباتِ والأَمْرَاضِ عَنِ العِبَادِ، فَمَنْ أَحسَنَ إِلَىٰ العِبَادِ، جاءَهُ الفَرَجُ مِنْ رَبِّ العِبَادِ.

وَيَشهَدُ لِصِحَّةِ ذَلِكَ قَولُ المُصطَفَى ﷺ: «دَاوُوا مَرضَاكُم بِالصَّدَقَةِ»[1] وَكَمْ هِيَ الحَالاتُ الَّتِي عَجزَ الطِّبُّ أَمَامَها، وَكانَ شِفاؤُها بِفَضْلِ اللهِ بِالصَّدَقَةِ.

وَمن العَجَبِ إِذَا مَا مَرَرْتَ عَلى بَعْضِ المَرْضَى في المُسْتَشْفَياتِ في قِسْمِ العِنَايَةِ الحَثِيْثَةِ، أَنْ تَسْمَعَ مِنْ قَولِ كَثِيرٍ مِنَ الأَطِبَّاءِ أَوِ المُمَرِّضِينَ أَو ذَوِي المَرْضَى مِمَّنْ أَصَابَتْهُم الغَفْلَةُ: مَاذَا يَصنَعُ شَيخٌ يَقرأُ القُرآنَ أَمامَ أَمْهرِ الأَطِبَّاءِ في كُبرَى المُسْتَشْفَيات !

أَمَّا مَنْ رَزَقَهُ اللهُ عَقْلاً فَسُرعَانَ ما يَشْرعُ هُوَ أَوْ مَنْ يُحسِنُ الرُّقيةَ بِالقِرَاءةِ عَلى المرِيْضِ، وَيَجمَعَ مَعَهُ عِلاجَهُ بِالأَدْوِيَةِ الحِسِّيَّةِ، وَيُحسِنُ أَهلُهُ بِالصَّدَقَةِ عَنْهُ لِمَنْ يَسْتَحِقُّ[2] إِلَّا وَتَراهُ قَدْ خَرجَ مُعافىً قَدْ شُفِيَ تَمَاماً بِحَمْدِ اللهِ وَفَضْلِهِ وَحْدَهُ.

يَقُولُ ابنُ قَيِّمِ الجَوزِيَّةِ رَحِمَهُ اللهُ: «فَإِنَّ لِلصَّدَقةِ تَأثِيراً عَجِيباً في دَفعِ أَنواعِ البَلاءِ، وَلَوْ كَانَتْ مِنْ فَاجِرٍ أَوْ مِنْ ظَالِمٍ، بَلْ مِنْ كَافِرٍ ! فَإِنَّ اللهَ تَعَالى يَدْفَعُ بِهَا عَنْهُ أَنْواعاً مِنَ البَلاءِ؛ وَهَذا أَمرٌ مَعلُومٌ عِنْدَ النَّاسِ خَاصَّتِهِم وَعَامَّتِهِم، وَأَهلُ الأَرْضِ كُلُّهُم مُقِرُّونَ بِهِ لأَنَّهُم جَرَّبُوهُ»[3]

بَلْ تَراهُ رَحِمَهُ اللهُ يُبَيِّنُ فَضلَ مَا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ مِنَ الطِّبِّ فَيَقُولُ : «وَأَيْنَ يَقعُ هَذَا وَأَمْثَالُهُ مِنَ الوَحْيِ الَّذِي يُوحِيهِ اللهُ إِلَى رَسُولِهِ بِمَا يَنْفَعُهُ وَيَضُرُّهُ، فَنِسْبَةُ مَا

---

(١) أخرجه البيهقي في «السُّنن الكبرى» (٣ / ٣٨٢) وأبو داود في «المراسيل» (١٠٥) وهو مُرسلٌ حسن.

(٢) لا للراقي المعالِج، فإنَّ الأفضل والأَوْرَع أن يتورَّع الراقي عن هذا المال رجاء بركة الله تعالى، وكذلك فليفعل أهل المريض بتلمُّس أهل الحاجة الصادقة من العفيفين الذين لا يسألون الناس إلحافاً .

(٣) «الوابل الصيب» (٤٩)

عِنْدَهُم مِنَ الطِّبِّ إِلَى هَذَا الوَحْيِ كَنِسْبَةِ مَا عِنْدَهُم مِنَ العُلُومِ إِلَى مَا جَاءَتْ بِهِ الأَنْبِيَاءُ.

بَلْ هَا هُنَا مِنَ الأَدْوِيَةِ الَّتِي تَشْفِي مِنَ الأَمْرَاضِ مَا لَمْ يَهْتَدِ إِلَيْهَا عُقُولُ أَكَابِرِ الأَطِبَّاءِ، ولَمْ تَصِلْ إِلَيْهَا عُلُومُهم وتَجارِبُهُم وأَقْيِسَتُهُم مِنَ الأَدْوِيَةِ القَلْبِيَّةِ وَالرُّوحَانِيَّةِ وَقُوَّةِ القَلْبِ، وَاعْتِمَادِهِ عَلَى اللهِ، وَالتَّوَكُّلِ عَلَيْهِ، وَالالتِجَاءِ إِلَيْهِ، وَالانْطِرَاحِ وَالانْكِسَارِ بَيْنَ يَدْيهِ، وَالتَّذَلُّلِ لَهُ، وَالصَّدَقَةِ، وَالدُّعَاءِ، وَالتَّوْبَةِ، وَالاسْتِغْفَارِ، وَالإحْسَانِ إِلَى الخَلْقِ، وَإِغَاثَةِ المَلْهُوفِ، وَالتَّفْرِيجِ عنِ المكرُوبِ، فَإِنَّ هَذِهِ الأَدْوِيَةَ قَدْ جَرَّبَتْها الأُمَمُ عَلَى اخْتِلاَفِ أَدْيَانِهَا وَمِلَلِهَا، فَوَجَدُوا لَهَا مِنَ التَّأْثِيرِ فِي الشِّفَاءِ مَا لَا يَصِلُ إِلَيْهِ عِلْمُ أَعْلَمِ الأَطِبَّاءِ وَلَا تَجْرِبَتُهُ وَلَا قِيَاسُهُ.

وَقَدْ جَرَّبْنَا نَحْنُ وَغَيْرُنَا مِنْ هَذَا أُمُوراً كَثِيرَةً، وَرَأَيْنَاهَا تَفْعَلُ مَا لَا تَفْعَلُ الأَدْوِيَةُ الحِسِّيَّةُ، بَلْ تَصِيرُ الأَدْوِيَةُ الحِسِّيَّةُ عِنْدَهَا بِمَنْزِلَةِ أَدْوِيَةِ الطُّرُقِيَّةِ[1] عِنْدَ الأَطِبّاءِ وَهَذَا جَارٍ عَلَى قَانُونِ الحكْمَةِ الإلَهِيّةِ لَيْسَ خَارِجاً عَنْهَا، وَلكِنَّ الأَسْبَابَ مُتَنَوِّعَةٌ، فَإِنَّ القَلْبَ مَتَى اتَّصَلَ بِرَبِّ العَالَمِينَ وَخَالِقِ الدّاءِ وَالدّوَاءِ وَمُدَبّرِ الطّبِيعَةِ وَمُصَرّفِهَا عَلَى مَا يَشَاءُ كَانَتْ لَهُ أَدْوِيَةٌ أُخْرَى غَيْرُ الأَدْوِيَةِ الّتِي يُعَانِيهَا القَلْبُ البَعِيدُ مِنْهُ المُعْرِضُ عَنْهُ، وَقَدْ عُلِمَ أَنَّ الأَرْوَاحَ مَتَى قَوِيَتْ وَقَوِيَتِ النَّفْسُ والطَّبِيعَةُ تَعَاوَنا عَلَى دَفْعِ الدَّاءِ وَقَهْرِهِ، فَكَيْفَ يُنْكَرُ لِمَنْ قَوِيَتْ طَبِيعَتُهُ وَنَفْسُهُ، وَفَرِحَتْ بِقُرْبِهَا مِنْ بَارِئِهَا، وَأُنْسِهَا بِهِ، وَحُبِّهَا لَهُ، وَتَنَعُّمِها بِذِكْرِهِ، وَانْصِرَافِ قُوَاهَا كُلِّهَا إِلَيْهِ، وَجَمْعِهَا عَلَيْهِ، وَاسْتِعَانَتِهَا بِهِ، وَتَوكُّلِهَا عَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ لَهَا مِنْ أَكْبَرِ الأَدْوِيَةِ، وَأَنْ تُوجِبَ لَهَا هَذِهِ القُوَّةُ دَفْعَ الأَلَمِ بِالكُلِّيَّةِ ولَا يُنْكِرُ هَذَا إِلَّا

(١) الطُّرُقِيَّةُ، نسبة إلى الطُرُق، جمع طريق، والمراد: أصحاب الطُّرق الصوفية المنحرفة القائمة على المخالفات الشرعية والشطحات الشيطانية، ويظهرونها للنَّاس من باب الخوارق والكرامات!

أَجْهَلُ النَّاسِ وَأَغْلَظُهُم حِجَاباً وأَكْثَفُهُم نَفْساً وَأَبْعَدُهُم عَنِ اللهِ وَعَنْ حَقِيقَةِ الإِنْسَانِيَّةِ»[1]

وَالقَصَصُ وَالأَخبَارُ الوَاقِعِيَّةُ في هَذَا البَابِ أَكثَرُ مِن أَن تُحصَى؛ فَلْيُسَارِعِ المرضَى وَ أَهلُ البَلاءِ بِالصَّدَقَاتِ وَالخَيرَاتِ؛ حَتَّى يُسْبِغَ عَلَيهِم رَبُّنَا بالعَافيَةِ وَالشِّفَاءِ مِن كُلِّ سُوءٍ.

سَادساً : الدُّعَاءُ : وهُو الجُندُ الَّذِي لا يُهْزَمُ: والدُّعاءُ مِنْ أَنفَعِ الأَدْوِيَةِ، وَهُوَ عَدُوُّ البَلاءِ يُدَافِعُهُ ويُعالِجُهُ وَيَمنَعُ نُزُولَه، وَيَرْفَعُهُ أَوْ يُخفِّفُه إِذَا نَزَلَ، وَهُو سِلاحُ المؤمِنِ.

وَقَدْ قالَ النَّبيُّ ﷺ : «لَيسَ شَيءٌ أَكرَمَ عَلَى اللهِ تَعَالىٰ مِنَ الدُّعَاءِ »[2]

وَهُو مِنْ «أَقْوَى الأَسْبَابِ في دَفْعِ المكْرُوهِ، وَحُصُولِ المطْلُوبِ، وَلَكِنْ قَدْ يَتخَلَّفُ عَنْهُ أَثرُهُ إِمَّا لِضَعْفِهِ في نَفْسِهِ، بِأَنْ يكُونَ دُعاءً لا يُحبُّهُ اللهُ لِمَا فِيْهِ مِنَ العُدْوانِ، وَإِمَّا لِضَعْفِ القَلْبِ وَعَدمِ إِقْبَالِهِ عَلى اللهِ وَجَمْعِيَّتِهِ عَليْهِ وَقتَ الدُّعاءِ، فَيكُونُ بِمَنزِلَةِ القَوْسِ الرَّخْوِ جِدّاً، فإِنَّ السَّهْمَ يَخرُجُ مِنه خُرُوجاً ضَعِيفاً، وَإِمَّا لِحُصُولِ المانِعِ مِنَ الإِجَابَةِ مِنْ أَكلِ الحَرامِ، والظُّلمِ، ورَيْنِ الذُّنُوبِ على القُلوبِ، واسْتِيلاءِ الغَفْلَةِ والشَّهْوةِ واللَّهْوِ وَغَلبَتِها عَلَيْها.

فَهَذا دَواءٌ نَافِعٌ مُزِيلٌ لِلدَّاءِ، ولَكِنَّ غَفْلَةَ القَلْبِ عَنِ اللهِ تُبطِلُ قُوَّتَهُ، وَكَذَلِكَ أَكلُ الحَرامِ يُبطِلُ قُوَّتَهُ ويُضْعِفُها»[3]

---

(١) «زاد المعاد» (٤/ ٩)

(٢) أخرجه الترمذي في «جامعه» (٣٦٦٥) وابن ماجه (٣٨٢٩) وأحمد في «المسند» (٨٧٤٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وإسناده حسن . وانظر تمام تخريجه في «المسند» .

(٣) «الدَّاء والدَّواء» (٧) .

يَقُولُ الإمامُ القُرطُبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «ضَمِنَ اللهُ تَعَالَىٰ إجَابَةَ الـمُضْطَرِّ إذَا دَعَاهُ، وَأَخبَرَ بِذَلِكَ عن نَفسِهِ؛ وَالسَّبَبُ في ذَلِكَ؛ أَنَّ الضَّرُورَةَ إلَيهِ بِاللَّجَاءِ يَنشَأُ عَنِ الإخْلاصِ، وَقَطعِ القَلبِ عَمَّا سِوَاهُ؛ وَللإخلاصِ عِندَهُ سُبحَانَهُ مَوقِعٌ وَذِمَّةٌ، وُجِدَ مِن مُؤمِنٍ أَو كَافِرٍ، طَائِعٍ أَو فَاجِرٍ» [1]

وقَالَ الإمَامُ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في شَرْحِهِ لحَدِيثِ سِحْرِ النَّبِيِّ ﷺ: «ثُمَّ دَعَا وَدَعَا»: «فِيْهِ اسْتِحبَابُ الدُّعاءِ عِنْدَ حُصُولِ الأُمورِ المكْرُوهَاتِ وَتكرِيرِهِ، وحُسْنِ الالْتِجَاءِ إلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ». [2]

فَيَا قَوْم: أَعِدُّوا الدُّعَاءَ لِلبَلاءِ. [3]

سَابعاً: الأَدوِيَةُ الطِّبِّيَّةُ: وَهَذَا السَّبَبُ مِن جُملَةِ الأَسبَابِ الَّتِي جَاءَتِ الشَّرِيعَةُ بِالأَمرِ بِهَا، وَلا بَأسَ في الجَمعِ بَينَ الطِّبِّ وَبَاقِي الأَسبَابِ ـ خَاصَّةً إن صَدَرَت عن أَطِبَّاءَ ثِقَاتٍ ـ وَأَعقَلُ النَّاسِ مَن جَمَعَ بَينَ الأَدوِيَةِ الإلَهِيَّةِ وَالأَدوِيَةِ الطِّبِّيَّةِ.

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (١٦ / ١٩٣)

(٢) «شرح النووي على مسلم» (١٤/ ١٧٦)

(٣) وقد صنَّفتُ في باب الدُّعاء كتاباً لطيفاً، وهو «فإني قريبٌ؛ الوِرْدُ النَّبويُّ في أذكار اليوم والليلة» فانظره إنْ رمتَ فائدة في الوقوف على الدُّعاء ومعناه وأحكامه وأنواعه وآدابه وفضائله وموانع قبوله ..

الفَصْلُ الأوَّلُ

الرُّقَى

المبحَثُ الأَوَّلُ : أَحكَامُ الرُّقَى، وَفيهِ :

المَطلَبُ الأَوَّلُ : تَعرِيفُ الرُّقيَةِ وأَنواعِهَا

المَطلَبُ الثَّانِي : أَهَمِّيَّتُها

المَطلَبُ الثَّالِثُ : حُكمُهَا

المَطلَبُ الرَّابِعُ : شُرُوطُهَا

المَطلَبُ الخَامِسُ : كَيفيَّتُهَا

المَبحَثُ الثَّانِي : صِفَاتُ المُعالِجِ والمعَالَجِ والتَّحذِيرُ مِنَ السَّحَرةِ وفيه :

المَطلَبُ الأَوَّلُ : سِمَاتُ الرَّاقِي المُعَالِجِ الحَذِقِ

المَطلَبُ الثَّانِي : مَا يَنبَغِي أَن يَكُونَ عَليهِ المرِيضُ المُعَالَجُ

المَطلَبُ الثَّالِثُ : التَّحذِيرُ مِنَ السَّحَرةِ و المشَعوِذِينَ

المَطلَبُ الرَّابِعُ : كُلِّيَاتٌ وَتَنبِيهَاتٌ

المَطلَبُ الخَامِسُ:التَّحذِيرُ مِن قَنواتِ السِّحرِ والشَّعوَذَةِ الفَضَائِيَّةِ

المبحَثُ الثَّالِثُ : الصَّبرُ عَلَى البَلاءِ واحتِسَابُ الأَجرِ.
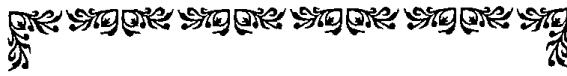
المبحثُ الأوَّلُ
أَحكَامُ الرُّقيَةِ الشَّرعِيَّةِ

المطلبُ الأوَّلُ: تَعرِيفُ الرُّقيَةِ وَأَنوَاعُها

قالَ الرَّازِيُّ: الرُّقيَةُ: العُوْذَةُ، وَالجَمعُ رُقىً، واسترقَاهُ؛ فَرقَاهُ، يَرقِيهِ رُقيَةً بِالضَّمِّ؛ فَهُوَ رَاقٍ [(١)].

وَقال ابنُ الأَثِيرِ: والرُّقيَةُ: العُوذَةُ التي يُرقَى بِهَا صَاحِبُ الآفَةِ؛ كَالحُمَّى، والصَّرْعِ، وَغَيرِ ذَلِكَ مِنَ الآفَاتِ [(٢)].

وَقال ابنُ مَنظُورٍ: والرُّقيَةُ: العُوذَةُ، مَعرُوفَةٌ؛ قَال رُؤبَةُ:

فَمَا تَرَكَا مِن عُوذَةٍ يَعرِفَانِهَا ... وَلا رُقيةٍ إِلَّا بهَا رَقَيَانِي

والجمعُ رُقىً، وَتَقُولُ: استرقَيتُهُ، فَرَقَانِي رُقيَةً؛ فَهُو رَاقٍ، وَقَد رَقَاهُ رَقْياً وَرُقِيّاً. وَرَجُلٌ رَقَّاءٌ: صَاحِبُ رُقىً. يُقَالُ: رَقَى الرَّاقِي رُقيةً، وَرُقِيّاً: إِذَا عَوَّذَ وَنَفَثَ في عُوذَتِهِ [(٣)].

☐ **وَمِن إطلاقَاتِهَا وَمَا جَاءَ فِي تَسمِيَتِها:**

العُوْذَةُ: قال الرَّاغِبُ الأَصفَهَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: العُوذَةُ: مَا يُعَاذُ بِهِ مِنَ الشَّيءِ، وَمِنهُ قِيلَ لِلتَّمِيمَةِ وَالرُّقيَةِ: عُوذَةٌ، وعَوَّذَهُ: إِذَا وَقَاهُ [(٤)].

والنُّشْرَةُ: قال ابنُ الأَثِيرِ رَحِمَهُ اللَّهُ: النُّشْرَةُ: بِالضَّمِّ؛ ضَربٌ مِنَ الرُّقيَةِ وَالعِلاجِ

---

(١) «مختار الصحاح» (١٠٧) وانظر «الصِّحاح» للجوهري. مادة: (ر ق ي).

(٢) «النهاية في غريب الحديث» (٢/ ٢٥٤).

(٣) «لسان العرب» (١٤/ ٣٣٢) مادة: (رقا) وللاستزادة، انظر: «الموسوعة الفقهية الكويتية» (٢٣/ ٩٦).

(٤) «مفردات ألفاظ القرآن» (٥٩٥) وانظر: «القاموس المحيط» (٤٢٨) مادة: (العَوذُ).

يُعَالَجُ بِهِ مَن كَانَ يُظَنُّ أَنَّ بِهِ مَسّاً مِنَ الجِنِّ. سُمِّيت نُشْرةً؛ لأَنَّهُ يُنشَرُ بِهَا عَنْهُ مَا خَامَرَهُ مِنَ الدَّاءِ، أَي : يُكشَفُ ويُزَالُ [1].

وَقال بَدرُ الدِّينِ العَينِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: وَمَعنَاهَا : هُوَ نَشرُ مَا طَوَى السَّاحِرُ، وَتَفرِيقُ مَا جَمَعَهُ.[2]

وَاعلَم يَا طَالِبَ الحَقِّ : أَنَّ النُّشرَةَ لَفظٌ مُجمَلٌ، وَلَهَا عِدَّةُ مَعَانٍ؛ فَمِنهَا الشَّرعِيُّ، وَمِنهَا الشِّركِيُّ، وَإِذَا أُطلِقَت في العِلاجِ في كَلامِ السَّلَفِ؛ فَلا تَنصَرِفُ إِلَّا إِلَىٰ المعنَى الشَّرعِيِّ لا غَيرَ، وَهَذَا مَعلُومٌ مِن كَافَّةِ أَهلِ العِلمِ في التَّفرِيقِ بَينَهُمَا، إِذ هُم أَحرَصُ النَّاسِ عَلَى سَلامَةِ التَّوحِيدِ مِمَّا يَقدَحُ فِيْهِ، وَلا يُتَصَوَّرُ مِن حَمَلَةِ الشَّرِيعَةِ الدَّعوَةُ إِلَىٰ النُّشرَةِ المُحَرَّمَةِ الشِّركِيَّةِ؛ فَهُم أَعلَمُ النَّاسِ بِوَصفِ النَّبِيِّ ﷺ لِلنُّشرَةِ الشِّركِيَّةِ بِأَنَّهَا مِن عَمَلِ الشَّيطَانِ، وَ أَقدَرُ الخَلقِ عَلَى التَّمييزِ بَينَ مَا جَاءَ بِهِ الوَحيُ الرَّبَّانِيُّ، وَبَينَ الوَحيُ الشَّيطَانِيُّ.

يقول ابنُ قَيِّمِ الجوزِيَّةِ رَحِمَهُ اللهُ: النُّشرَةُ : حَلُّ السِّحرِ عَنِ المسحُورِ، وَهِيَ نَوعَانِ :

أَحَدُهُمَا : حَلُّ سِحرٍ بِسِحرٍ مِثْلِهِ؛ وَهُوَ الَّذِي مِنْ عَمَلِ الشَّيطَانِ؛ فَإِنَّ السِّحرَ مِن عَمَلِهِ؛ فَيَتقرَّبُ إِلَيهِ النَّاشِرُ وَالـمُنتَشِرُ بِمَا يُحِبُّ؛ فَيُبطِلُ عَملَه عَنِ المسحُورِ.

وَالثَّانِي : النُّشرَةُ بِالرُّقيَةِ، وَالتَّعَوُّذَاتِ، وَالأَدوِيَةِ، وَالدَّعواتِ المُبَاحَةِ؛ فَهَذَا جَائِزٌ بَل مُستَحَبٌ، وَعَلَى النَّوعِ المذمُومِ يُحمَلُ قَولُ الحَسَنِ : لا يَحِلُّ السِّحرَ إِلَّا سَاحِرٌ اهـ[3].

وَمِثلُهُ تَمَاماً «النَّفخُ» وَ «النَّفْثُ» فَهُمَا نوعَانِ، وَالرَّاقِي المُؤمِنُ يَرقِي وَيَنفُثُ،

---

(١) «النهاية في غريب الحديث» (٥ / ٥٣) وانظر : «لسان العرب» (٥/ ٢٠٩) مادة : (نشر) .

(٢) «عمدة القاري» (٢١ / ٤٢٢)

(٣) «إعلام الموقعين» (٦/ ٥٥٨)

وَالسَّاحِرُ الكَافِرُ يعقِدُ وَينفُثُ، وَشَتَّانَ شَتَّانَ بينَ النَّفثَينِ، فَلا بُدَّ ضَرُورَةً مِنَ التَّفريقِ بينَهُما؛ فَاعقِلْ هَذَا، فَهُوَ تَحقِيقٌ مُختَصَرٌ لِلمَسأَلَةِ. وَاللَّهُ أَعلَمُ.

وَأَمَّا مَنْ يَستَدِلُّ بِالنُّشرَةِ بِالإِطْلاقِ، عَلَى جَوَازِ النُّشرَةِ الشِّركِيَةِ أَيضاً، ويَقصِرُهَا عَلَى السِّحرِ وَيُجهِدُ نَفسَهُ فِي بَيَانِ جَوَازِهِ لِحَلِّ سِحْرٍ مِثْلِهِ بِزَعمِ الضَّرُورَةِ وَالنَّفعِ ! فَلَم يُحسِنِ الفَهْمَ، وَقَد خَالَفَ الأَدِلَّةَ الشَّرعِيَّةَ الصَّرِيحَةَ فِي حُرمَتِهَا.

يَقُولُ الشَّيخُ العَلاَّمَةُ الأَلبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ : وَ عَلى الرُّقَى المشْرُوعَةِ يُحمَلُ مَا عَلَّقَه البُخارِيُّ عَنْ قَتَادَةَ قَالَ : قُلتُ لِسَعِيدِ بنِ المسَيِّبِ : رَجُلٌ بِهِ طِبٌّ؛ أَيْ : سِحْرٌ، أَوْ يُؤْخَذُ عَنِ امْرَأَتِهِ، أَيُحَلُّ عَنْهُ أَوْ يُنَشَّرُ ؟

قَالَ : لا بَأسَ بِهِ، إِنَّما يُرِيدُونَ بِهِ الإِصْلاحَ، فَأَمَّا مَا يَنفَعُ فَلَمْ يُنْهَ عَنْهُ.

هَذا وَ لا خِلافَ عِنْدِي بَيْنَ الأَثَرَيْنِ، فَأَثَرُ الحَسَنِ يُحمَلُ عَلى الاسْتِعَانَةِ بِالجِنِّ وَالشَّياطِينِ وَ الوَسَائِلِ المرْضِيَّةِ لَهُم؛ كَالذَّبحِ لَهُم وَ نَحْوِهِ، وَهُو المرَادُ بِالحَدِيثِ، وَأَثَرُ سَعِيدٍ عَلى الاسْتِعَانَةِ بِالرُّقَى وَ التَّعَاوِيذِ المشْرُوعَةِ بِالكِتَابِ والسُّنَّةِ. وَإِلَىٰ هَذَا مَالَ البَيْهَقِيُّ فِي «السُّنَنِ»، وَهُو المرَادُ بِمَا ذَكَرَهُ الحَافِظُ عَنِ الإِمَامِ أَحمَدَ، أَنَّهُ سُئِلَ عَمَّنْ يُطْلِقُ السِّحْرَ عَنِ المسْحُورِ ؟ فَقالَ : لا بَأْسَ بِهِ»[1]

والعَزَائِمُ : قالَ ابنُ مَنظُورٍ: العَزَائِمُ : الرُّقَى. وعَزَمَ الرَّاقِي : كأَنَّهُ أَقسَمَ عَلَى الدَّاءِ[2] أي : لِيَزُولَ، وَيَبرأَ.

وَقَال الفَيرُوزآبَادِي : وَالعَزَائِمُ، أَي : الرُّقَى؛ وَهِيَ آيَاتٌ مِنَ القُرآنِ تُقرأُ عَلَى ذَوِي الآفَاتِ؛ رَجَاءَ البُرءِ[3].

---

(١) «السلسلة الصحيحة» (٦/ ٦١٣).

(٢) «لسان العرب» (١٢ / ٤٠٠) مادة : (عَزَمَ).

(٣) «القاموس المحيط» (١٤٦٨) مادة (عَزَمَ).

والتَّمائِمُ : قال ابنُ الأَثِيرِ: التَّمائِمُ : جَمعُ تَمِيمَةٍ، وَهِيَ خَرزاتٌ[1] كَانَتِ العَرَبُ تُعلِّقُهَا عَلَى أَولادِهِم؛ يَتَّقُونَ بِهَا العَينَ فِي زَعمِهِم [2].

وَسُمِّيَت تَمِيمَةً؛ لأَنَّهُم يَعتَقِدُونَ أَنَّ بِهَا يَتِمُّ دَفعُ العَينِ.

فَالرُّقيةُ الشَّرعِيَّةُ : هِيَ تَعوِيذُ المَرِيضِ بِقِرَاءَةِ شَيءٍ مِنَ القُرآنِ الكَرِيمِ، وَأَسماءِ اللهِ وَصِفَاتِهِ، مَعَ الأَدعِيَةِ الشَّرعِيَّةِ بِاللِّسَانِ العَرَبِيِّ ـ أَو مَا يُعرَفُ مَعنَاهُ ـ مَعَ النَّفثِ؛ لِحِفْظِ الصِّحَةِ، وَدَفعِ البَلاءِ، أَو لِرَفعِ المَرَضِ [3].

❑ وَأَنوَاعُهَا اثنَانِ :

١ـ **رُقىً شَرعِيَّةٌ** : وَهِيَ مَا كَانَت مِن كِتَابِ اللهِ، وَسُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَمَا لا يُخَالِفُهُمَا مِنَ الأَدعِيَةِ المعرُوفَةِ.

وَهِيَ الَّتِي تَكُونُ عِندَ أَهلِ الصَّلاحِ وَالتَّقوَى؛ فَهَذِهِ مَقبُولَةٌ فِي الشَّرعِ.

٢ـ **وَرُقىً شِركِيَّةٌ** : وَهِيَ كُلُّ مَا كَانَ بِكَلامٍ وَتَمتَمَاتٍ غَيرِ مَفهُومَةٍ، وَأَلفَاظٍ مَجهُولَةٍ مُعَقَّدَةِ النُّطقِ؛ فَهِيَ مِنَ الطَّلاسِمِ الشِّركِيَّةِ، وَتَكُونُ عِندَ أَولِيَاءِ الشَّيطَانِ وَحِزبِهِ.

---

(١) **قال شيخنا العلَّامة عمر الأشقر حفظه الله** : «هذه ليست من المصطلحات ولا الألفاظ الشرعية؛ إنما هي تطلق على قسم التمائم غير الشرعية» .

(٢) «النهاية في غريب الحديث» (١ /١٩٧) وللاستزادة **انظر** : «الموسوعة الفقهية الكويتية» (١٣/ ٢١) و (٢٤ / ٢٦٠) . وما ذكرته الأشهر والمتعارف عليه بعامَّة .

(٣) قال القرافي في «الفروق» (٤ / ٢٥١) : «الرُّقى : وهي ألفاظٌ خاصةٌ يَحدُثُ عندها الشفاءُ من الأسقام والأدواء والأسباب المُهلِكَة» .

وقال الحافظ ابن حجر: «والرُّقيَةُ كلامٌ يُستَشفى به من كُلِّ عَارِضٍ، أشار إلى ذلك ابنُ دُرُستَوَيهِ» «الفتح» (٤/ ٤٥٣)

وقال النووي : في «التبيان في آداب حملة القرآن» (١٦٨) : **«وعن طلحة بن مُصَرِّف قال : كان يقال : إنَّ المريض إذا قُرِئَ عنده القرآنُ، وجد لذلك خِفَّة، فدخلتُ على خيثمة وهو مريض، فقلتُ : إني أراك اليوم ضاحكاً ؟ فقال : إني قُرِئ عندي القرآن» .**

وَهَذِهِ مُحَرَّمةٌ في الشَّرعِ، يَحرُمُ الرُّقيةُ بِهَا، أَو إتيَانُ مَن يَرقِي بِهَا؛ فَتَنَبَّه.

وَالفَرْقُ بَينَهُمَا مَا حَكَاهُ الإمَامُ الخطَّابِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فَقَال : وَالفَرقُ بَينَ الرُّقيَةِ الَّتِي أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ وَبَينَ مَا كَرِهَهُ وَنَهَى عَنْهُ مِن رُقيَةِ العَزَّامِينَ، وَأَصحَابِ النُّشَرِ، وَمَن يَدَّعِي تَسخِيرَ الجِنِّ لَهُم؛ أَنَّ مَا أَمَرَ بِهِ ﷺ وَأَبَاحَ استِعمَالَه مِنهَا هُوَ مَا يَكُونُ بِقَوارِعِ القُرآنِ[1]، وَبِالعُوَذِ الَّتِي يَقَعُ مِنهَا ذِكرُ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، وَأَسمَاؤُهُ عَلَى أَلسُنِ الأَبرَارِ مِنَ الخَلقِ، وَالأَخيَارِ الطَّاهِرَةِ نُفُوسُهُم؛ فَيَكُونُ ذَلِكَ سَبباً لِلشِّفَاءِ بِإذنِ اللهِ، وَهُوَ الطِّبُّ الرُّوحَانِيُّ، وَعَلَى هَذَا كَانَ مُعظَمُ الأَمرِ في الزَّمَانِ المتَقَدِّمِ الصَّالِحِ أَهلُهُ، وَبِهِ كَانَ يَقَعُ الاستِشفَاءُ، واستِدفَاعُ أَنوَاعِ البَلاءِ؛ فَلَمَّا عَزَّ وُجُودُ هَذَا الصِّنفِ مِن أَبرَارِ الخَلِيقَةِ، وَأَخيَارِ البَرِيَّةِ؛ فَزِعَ النَّاسُ إِلَىٰ الطِّبِّ الجِسمَانِيِّ؛ حِينَ لَم يَجِدُوا لِلطِّبِّ الرُّوحَانِيِّ نُجُوعاً في العِلَلِ، وَالأَسقَامِ بِعَدَمِ المعَانِي الَّتِي كَانَ يَجمَعُهَا الرُّقَاةُ، والمُعَوِّذُونَ، وَالمُستَشفَونَ بِالدَّعَوَاتِ الصَّالِحَةِ، وَالبَرَكَاتِ الموجُودَةِ فِيها.[2]

☐ مَعنَى النَّفثِ والتَّفلِ، ومَحَلُّهُ، وَفائِدَتُهُ :

☐ النَّفثُ والتَّفلُ :

قَالَ ابنُ الأَثِيرِ: النَّفثُ : شَبِيهٌ بِالنَّفخِ، وَهُوَ أَقَلُّ مِنَ التَّفلِ؛ لأَنَّ التَّفلَ لا يَكُونُ إِلَّا وَمَعَهُ شَيءٌ مِنَ الرِّيقِ[3]

قَالَ ابنُ مَنظُورٍ: وَقِيلَ : نَفَثَ الرَّاقي[4] وَ مِنهُ : تَفَلَ الرَّاقِي[5].

---

(١) قال ابن فارس: «وقوارعُ القُرآنِ، الآيات التي من قرأها لَم يُصبهُ فزعٌ، وكأنها ـ والله أعلم ـ سُمِّيت بذلك؛ لأنها تقرع الجنَّ» «المقاييس» (٥/ ٧٢) وانظر «عمدة الحُفَّاظ» (٣/ ٢٩٩) مادة (قرع).

وانظر : «قوارع القرآن» لأبي عمرو النيسابوري، فهو خاصٌّ بذلك، ومقدِّمة محققه جزاه الله خيراً.

(٢) «أعلام الحديث شرح صحيح البخاري» للخطَّابي (٢ / ١١٢٠).

(٣) «النهاية في غريب الحديث» (٥ / ٨٧).

(٤) «لسان العرب» (٢ / ١٩٥ مادة : نَفَثَ).

(٥) «لسان العرب» (١١ / ٧٧ مادة : تَفَل).

وَقال الإمَامُ النَّوويُّ رَحِمَهُ اللَّهُ : قال أَهلُ اللُّغةِ : النَّفثُ؛ نَفخٌ لَطِيفٌ بِلا رِيقٍ [1].

□ مَحَلُّهُ وَفائدَتُهُ :

قال الحَافِظُ ابنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِيما نَقلَهُ: عَنِ ابْنِ أَبِي جَمرَةَ: مَحَلُّ التَّفلِ في الرُّقيَةِ يَكُونُ بَعدَ القِرَاءَةِ؛ لِتَحصِيلِ بَرَكَةِ القِرَاءَةِ في الجَوَارِحِ الَّتِي يَمُرُّ عَلَيهَا الرِّيقُ؛ فَتَحصُلَ البَرَكَةُ في الرِّيقِ الَّذي يَتفُلُهُ [2].

وَلا بَأسَ أَثنَاءَهَا كَما جَاءَ في رُقيَةِ الصَّحَابِيِّ؛ فَإِنَّهُ كَانَ يَقرَأُ، وَيَتفُلُ، وَيَنفُثُ.

وَقال الإمَامُ النَّوويُّ رَحِمَهُ اللَّهُ : وَالنَّفثُ : نَفخٌ لَطِيفٌ بِلا رِيقٍ، وَقَد أَجمَعُوا عَلَى جَوَازِهِ، وَاستَحَبَّهُ الجمهُورُ مِنَ الصَّحَابَةِ والتَّابِعِينَ وَمَن بَعدَهُم، وَسُئِلَت عَائِشَةُ عن نَفثِ النَّبِيِّ ﷺ في الرُّقيَةِ؛ فَقالت : كَما يَنفُثُ آكِلُ الزَّبِيبِ، لا رِيقَ مَعَهُ [3].

وَقال القَاضِي عِيَاضٌ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَفَائِدَةُ التَّفلِ : التَّبَرُّكُ بِتِلكَ الرُّطُوبَةِ، وَالهَوَاءِ، والنَّفَسِ المبَاشِرَةِ لِلرُّقيَةِ والذِّكْرِ الحَسَنِ [4].

وَيقول ابنُ قَيِّمِ الجوزِيَّةِ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَنَفْسُ الرَّاقِي تُقَابِلُ تِلكَ النُّفُوسَ الخَبِيثَةَ، وَتَزِيدُ بِكَيفيةِ نَفسِهِ، وَتَستَعِينُ بِالرُّقيَةِ وَالنَّفثِ عَلَى إِزَالَةِ ذَلِكَ الأَثرِ، وَكُلَّما كَانَت كَيفِيَّةُ نَفسِ الرَّاقِي أَقوَى، كَانَتِ الرُّقيَةُ أَتَمَّ، وَاستِعَانَتُهُ بِنَفثِهِ، كَاستِعَانَةِ تِلكَ النُّفُوسِ الرَّدِيئَةِ بِلَسعِهَا.

وَفِي النَّفثِ سِرٌّ آخَرُ : فَإِنَّهُ مِمَّا تَستَعِينُ بِهِ الأَروَاحُ الطَّيِّبَةُ وَالخَبِيثَةُ، وَلِهَذَا تَفعَلُهُ السَّحَرَةُ كَما يَفعَلُهُ أَهلُ الإِيمَانِ، قال تَعَالَىٰ : ﴿ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴾ (الفلق: ٤)، وَذَلِكَ لأَنَّ النَّفْسَ تَتَكَيَّفُ بِكَيفِيَّةِ الغَضَبِ وَالمُحَارَبَةِ، وَتُرسِلُ أَنفَاسَهَا سِهَاماً لَهَا وَتَمُدُّهَا بِالنَّفثِ، وَالتَّفلِ الَّذِي مَعَهُ شَيءٌ مِنَ الرِّيقِ مُصَاحِبٌ لِكَيفيةٍ مُؤَثِّرَةٍ.

---

(١) «التبيان في آداب حملة القرآن» (١٦٠).

(٢) «الفتح» (٤ / ٤٥٦) و انظر: «نيل الأوطار» (٦ / ٣٠).

(٣) «شرح النووي على مسلم» (١٤ / ١٨٢).

(٤) «فتح الباري» (١٢ / ٣٧١) و «شرح النووي على مسلم» (١٤ / ١٨٢) مختصراً.

وَالسَّوَاحِرُ تَستَعِينُ بِالنَّفثِ استِعَانَةً بَيِّنَةً وَإن لَم تَتَّصِل بِجِسمِ المسحُورِ، بَل تَنفُثُ عَلَى العُقدَةِ وَتَعقِدُهَا وَتَتَكَلَّمُ بِالسِّحرِ؛ فَيَعمَلُ ذَلِكَ في المسحُورِ بِتَوَسُّطِ الأَروَاحِ السُّفلِيَّةِ الخَبِيثَةِ.

فَتُقَابِلُهَا الرُّوحُ الزَّكِيَّةُ الطَّيِّبَةُ بِكَيفيَّةِ الدَّفعِ وَالتَّكَلُّمِ بِالرُّقيَةِ، وَتَستَعِينُ بِالنَّفثِ؛ فَأَيُّهُمَا قَوِيَ، كَانَ الحُكمُ لَهُ، وَمُقَابَلَةُ الأَروَاحِ بَعضِهَا لِبَعضٍ، وَمُحَارَبَتُهَا وَآلَتُهَا مِن جِنسِ مُقَابَلَةِ الأَجسَامِ، وَمُحَارَبَتُهَا وَآلَتُهَا سَوَاءٌ، بَل الأَصلُ في المُحَارَبَةِ وَالتَّقَابُلِ لِلأَروَاحِ وَالأَجسَامِ آلَتُهَا وَجُندُهَا، وَلَكِن مَن غَلَبَ عَلَيهِ الحِسُّ لا يَشعُرُ بِتَأثِيرَاتِ الأَروَاحِ وَأَفعَالِهَا وَانفِعَالاتِهَا؛ لاستِيلاءِ سُلطَانِ الحِسِّ عَلَيهِ، وَبُعدِهِ مِن عَالَمِ الأَروَاحِ وَأَحكَامِهَا وَأَفعَالِهَا.

وَالمقصُودُ؛ أَنَّ الرُّوحَ إذَا كَانَت قَوِيَّةً، وَتَكَيَّفَت بِمَعَانِي الفَاتِحَةِ، وَاستَعَانَت بِالنَّفثِ، وَالتَّفلِ، قَابَلَت ذَلِكَ الأَثَرَ الَّذِي حَصَلَ مِنَ النُّفُوسِ الخَبِيثَةِ؛ فَأَزَالَتهُ. وَاللَّهُ أَعلَمُ »[1].

وَاعلَم - رَحِمَنِي اللهُ وَإِيَّاكَ - أَنَّ البَرَكَةَ ابتِدَاءً إِنَّمَا هِيَ بِكَلامِ اللهِ تَعَالَىٰ وَذِكرِهِ، وَلا يَمنَعُ أَن يَكُونَ الرَّاقِي رَجُلاً مُبَارَكاً إن كَانَ مِن أَهلِ الصَّلاحِ وَالتَّقوَى، وَلَيسَ مَن ادَّعَى أَو ادُّعِيَ أَنَّه مُبَارَكٌ فَهُوَ كَذَلِكَ؛ فَتنبَّه !

❑ ❑ ❑

---

(١) «زاد المعاد» (٤ / ١٧٩).

المطلبُ الثَّاني : أَهمِّيَّتُها

تَكمُنُ أَهَمِّيةُ العِلاجِ بِالقُرآنِ والسُّنَّةِ النَّبوِيَّةِ ـ الرُّقيَةِ الشَّرعِيَّةِ ـ بَينَ العِبَادِ في عِدَّةِ جَوَانِبَ، أُجْمِلُهَا فِيمَا يَلِي :

أَوَّلاً : أَنَّهَا شَعِيرَةٌ مِن شَعَائِرِ الدِّينِ الإسلامِيِّ، وَقَد جَاءَتِ الأَحَادِيثُ نَادِبَةً إِلَىٰ فِعلِهَا؛ فَعن جَابِرٍ ﷺ قال : لَدَغَتْ رَجُلاً مِنَّا عَقرَبٌ، وَنَحنُ جُلُوسٌ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ؛ فَقال رَجُلٌ : يَا رَسُولَ الله، أَرْقِي ؟ قالَ : «مَنِ استَطَاعَ مِنكُم أَن يَنفَعَ أَخَاهُ فَلْيَفعَلْ »[1]

ثَانِياً : أَنَّ تَرْكَ الرُّقيةِ الشَّرعِيَّةِ يُعدُّ مِنْ أَنْواعِ هَجْرِ القُرْآنِ الكَرِيمِ، وَمِنْ هَجْرِ القُرآنِ هَجْرُالاسْتِشْفَاءِ بِهِ. يَقُولُ الحَقُّ جَلَّ فِي عَلْيَائِهِ : ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴾ (الفرقان: ٣٠)

يَقُولُ ابنُ قَيِّمِ الجَوزِيَّة رَحِمَهُ اللَّهُ: مُبَيِّناً أَنْوَاعَ هَجْرِ القُرْآنِ : «والخَامِسُ : هَجْرُ الاسْتِشْفَاءِ وَالتَّدَاوِي بِهِ فِي جَمِيعِ أَمْرَاضِ القُلوبِ وَأَدْوَائِها، فَيطْلُبُ شِفَاءَ دَائِه مِنْ غَيرِهِ ، وَيَهجُرُ التَّدَاوِي بِهِ »[2]

ثَالِثاً : أَنَّهَا مِنْ وَسَائِلِ الدَّعوَةِ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ، وَمَعلُومٌ أَنَّ العَبدَ فِي حَالَةِ ضَعفِهِ وَانكِسَارِهِ أَقرَبُ مَا يَكُونُ لِلطَّاعَةِ، وَسُهُولَةِ قَبُولِهِ لِلخَيرِ، لا سِيَّمَا إن كَانَ طَالِباً مَا يَجبُرُ ضَعفَهُ، وَبِسَبَبِ الرُّقيَةِ سُرعَانَ مَا تَجِدُ النَّاسَ تَتَأَثَّرُ بِدَعوةِ الرَّاقِي، لا سِيَّمَا وَالرَّاقِي مُحسِنٌ، وَالنَّاسُ جُبِلَت عَلَى حُبِّ مَن أَحسَنَ إِلَيهَا؛ فَهِي فُرصَةٌ كَبِيرَةٌ لِلدَّعوَةِ إِلَىٰ الله تَعَالَىٰ، وَأَخذِهِم لِلرُّجُوعِ إِلَىٰ الله تَعَالَىٰ.

رَابِعاً : وُجُودُ المَرضَى فِي كُلِّ بَيتٍ مِن بُيُوتِ المسلِمِينَ وَفِي كُلِّ زَمَانٍ، وَلَيس

---

(١) أخرجه مسلم (٢١٩٩) (٦١) .

(٢) «الفوائد» (١١٣) .

العِلاجُ مقصُوراً عَلَى مَرَضٍ بِعَينِهِ، بَل هُوَ في كَافَّةِ الأَمرَاضِ؛ البَدَنِيَّةِ وَ النَّفسِيَّةِ وَالرُّوحِيَّةِ؛ وَعَليهِ؛ فَالحاجَةُ مَاسَّةٌ لَهُ في كُلِّ وَقتٍ، وَفي كُلِّ زَمَانٍ، وَفي كُلِّ بَيتٍ، وَعَلَى كُلِّ مُسلِمٍ وَمُسلِمَةٍ أَن يَتَعَلَّمَهُ.

خَامِساً : أَنَّهَا المخرَجُ مِنَ الكُرَبِ وَالمصَائِبِ الَّتِي يُبتَلَى بِهَا العِبَادُ؛ فَالرُّقيَةُ تَكُونُ سَبَباً لِرَفعِ هَذِهِ الآلامِ، وَبَسطِ العَافيةِ بِإِذْنِ اللهِ عَلَى العِبَادِ؛ مِمَّا تَكُونُ الرُّقيَةُ لِلرَّاقِي مَنجَاةً مِن كُرَبِ يَومِ القِيَامَةِ.

فَعَنْ أَبِي هُرَيرَةَ ﷺ قال : قال رَسُولُ اللهِ ﷺ : «مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤمِنٍ كُربَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنيَا، نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُربَةً مِنْ كُرَبِ يَومِ القِيَامَةِ »(١)

سَادِساً : أَنَّ فِيها الاقتِدَاءَ بِالأَنبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ، في رَفعِ الظُّلمِ عَنِ النَّاسِ، وَمُجَاهَدَةِ شَيَاطِينِ الإِنسِ وَالجِنِّ.

قالَ شَيخُ الإسلامِ ابنُ تَيمِيَّةَ رَحِمَهُ اللهُ : «فَهَذَا مِن أَفضَلِ الأَعمَالِ، وَهُوَ مِن أَعمَالِ الأَنبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ؛ فَإِنَّهُ مَا زَالَ الأَنبِيَاءُ وَالصَّالِحُونَ يَدفَعُونَ الشَّيَاطِينَ عن بَنِي آدَمَ؛ بِمَا أَمَرَ اللهُ بِهِ وَرَسُولُهُ؛ كَمَا كَانَ المسِيحُ يَفعَلُ ذَلِكَ، وَكَمَا كَانَ نَبِيُّنَا ﷺ يَفعَلُ ذَلِكَ »(٢)

سَابِعاً : حَتَّى يُوصَدَ وَيُغلَقَ البَابُ دُونَ السَّحرَةِ، وَالكَهَنَةِ، وَالمشَعوِذِينَ، وَكَي يَعرِفَ النَّاسُ هَذِهِ الشِّرذِمَةَ المفسِدَةَ في المجتَمَعِ؛ لِيَحذَرُوا خَطَرَهُم وَالذَّهَابَ إِلَيهِم؛ فَلا بُدَّ مِن نَشرِ الوَعيِ بَينَ النَّاسِ بِأَهَمِّيَّةِ العِلاجِ بِالقُرآنِ، وَبِأَنَّهُ الطَّرِيقُ الشَّرعِيُّ في العِلاجِ ـ مَقرُوناً مَع الطِّبِّ الحَدِيثِ ـ حِفظاً، وَسَلامَةً لِدِينِ العِبَادِ مِنَ الشِّركِ، أَو الكُفرِ، وَالعِيَاذُ بِاللهِ.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٩٩) (٣٨) .

(٢) «مجموع الفتاوى» (١٩ / ٥٦) .

وَإذَا كَانَ الأَمرُ كَذَلِكَ؛ فَلا بُدَّ مِنَ الاستِعَانَةِ ـ بَعدَ اللهِ ـ في عِلاجِ الأَمرَاضِ بِالرُّقَى الشَّرعِيَّةِ بِأَعلَمِ النَّاسِ بِهَا، وَأَحذَقِهِم، وَأَتقَاهِم، وَأَورَعِهِم، وَأَكثَرِهِم خَشيَةً مِنَ اللهِ تَعَالىٰ، وَهَؤُلاءِ مَوجُودُونَ في كُلِّ مُجتَمَعٍ، وَيعرِفُهُمُ النَّاسُ بِدِينِهِم، وَعِلمِهِم، وَأَخلاقِهِم، وَمِن هُنَا تبرُزُ أَهَمِّيَّةُ العِلاجِ بِالقُرآنِ الكَرِيمِ.

❑ ❑ ❑

المطلبُ الثَّالِثُ: حُكمُهَا

الأَصْلُ في الأَشيَاءِ النَّافِعَةِ الحِلُّ وَالإبَاحَةُ، حَتَّى يَأتِيَ دَلِيلٌ يَدُلُّ عَلَى المنْعِ وَالتَّحرِيمِ، وَهَذِهِ قَاعِدَةٌ عَظِيمَةٌ في الشَّرِيعَةِ.

قال الشَّيخُ العَلاَّمَةُ السَّعدِيُّ رَحِمَهُ اللهُ في مَنظُومَتِهِ في «القَوَاعِدِ الفِقهِيَّةِ»:

وَالأَصلُ في عَادَاتِنَا الإبَاحَه ... حَتَّى يَجِيءَ صَارِفُ الإبَاحَه (١)

لَقَدَ أَبَاحَ اللهُ سُبحَانَهُ وَتَعَالىٰ لِعِبَادِهِ التَّدَاوِيَ، وَجَاءَتِ النُّصُوصُ في بَيَانِ مَشرُوعِيَّتِهِ؛ فَعن جَابِرٍ ﷺ عن رَسُولِ الله ﷺ أَنَّهُ قال: «لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ؛ فَإِذَا أُصِيبَ دَوَاءُ الدَّاءِ بَرِئَ بإِذْنِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ» (٢)

وَعن أَبِي الدَّردَاءِ ﷺ عن النَّبِيِّ ﷺ قال: «إِنَّ اللهَ أَنزَلَ الدَّاءَ وَالدَّوَاءَ؛ فتَدَاوَوا وَلا تَتداوَوا بِحَرَامٍ» (٣)

وَإِنَّ مِن أَعظَمِ مَا يُتَدَاوَى بِهِ في العِلَلِ عَامَّةً، وَفي العَينِ، وَالحَسَدِ، وَالسِّحرِ، وَالمسِّ خَاصَّةً كَلامُ اللهِ تَعَالىٰ؛ فَفيه الشِّفَاءُ التَّامُّ مِن كُلِّ هَذِهِ الأَمرَاضِ، وَهَل أَنفَعُ مِن أَن يُنَفِّسَ المُسلِمُ عن أَخِيهِ المسلِمِ بِرُقيَةٍ مِن كِتَابِ رَبِّهِ، وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ لِمَن نَزَلَ بِهِ مَرَضٌ، أَو عِلَّةٌ، أَو يَرقِيهِ عِلاجاً لِلسِّحرِ، أَو لِلصَّرعِ، أَو لِلعَينِ، أَو

---

(١) «منظومة القواعد الفقهية» (٥) وشرحها الشيخ رَحِمَهُ اللهُ في «القواعد والأصول الجامعة» (٢٩)

(٢) سبق تخريجه ص (٥٤)

قال الكحَّال: في «الأحكام النبوية» (٢٩): «في هذا الحديث حثٌّ على استعمال الطب والمداواة، لقوله ﷺ: «إنَّ لِكلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ» فجزم بوجود الدواء للداء. وفيه استحباب التدواي، وهو مذهب الشافعي، وجمهور السلف وعامة الخلف، وفيه ردٌّ على من أنكر التداوي من غلاة الصوفية فقالوا: كلُّ شيءٍ بقضاءٍ وقدر ولا حاجة إلى التداوي، وهذا الحديث وأمثاله حجة عليهم» بتصرف.

(٣) سبق تخريجه ص (٥٣).

لِلحَسَدِ؛ فَأَيُّ شِفَاءٍ لِهَذِهِ الأَمرَاضِ خَيرٌ مِن كَلامِ رَبِّنَا سُبحَانَهُ، وَسُنَّةِ المصطَفَى صَلَوَاتُ رَبِّي وَسَلامُهُ عَليهِ ؟!

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدرِيِّ ﷺ، أَنَّ نَاساً مِنْ أَصحَابِ النَّبِيِّ ﷺ أَتَوا عَلَى حَيٍّ مِن أَحيَاءِ العَرَبِ، فَلَم يَقرُوهُم، فَبَينَمَا هُم كَذَلِكَ، إذ لُدِغَ سَيِّدُ أُولَئِكَ، فَقَالُوا : هَل مَعَكُم مِن دَوَاءٍ أَو رَاقٍ ؟

فَقَالُوا : إنَّكُم لَم تَقرُونَا، وَلا نَفعَلُ حَتَّى تَجعَلُوا لَنَا جُعلاً؛ فَجَعَلُوا لَهُم قَطِيعاً مِنَ الشَّاءِ؛ فَجَعَلَ يَقرَأُ بِأُمِّ القُرآنِ، وَيَجمَعُ بُزَاقَهُ وَيَتفِلُ؛ فَبَرَأَ؛ فَأَتَوا بِالشَّاءِ.

فَقَالُوا : لا نَأخُذُهُ حَتَّى نَسأَلَ النَّبِيَّ ﷺ.

فَسَأَلُوهُ : فَضَحِكَ، وَقَال : «وَمَا أَدرَاكَ أَنَّهَا رُقيَةٌ ؟ خُذُوهَا وَاضرِبُوا لِي بِسَهمٍ» [1].

وَمِن أَجلِ هَذَا وَذَاكَ، قال النَّبِيُّ ﷺ : «اعرِضُوا عَلَيَّ رُقَاكُم، لا بَأسَ بالرُّقَى مَا لَم يَكُن فِيْهِ شِركٌ» [2].

وَعَنْ جَابِرٍ ﷺ قال : «لَدَغَتْ رَجُلاً مِنَّا عَقرَبٌ، وَنَحنُ جُلُوسٌ مَعْ رَسُولِ الله ﷺ فَقال رَجُلٌ : يَا رَسُولَ الله أَرقِي ؟ وَفي رِوَايَةٍ : أَرْقِيهِ ؟

قَالَ : «مَنِ استَطَاعَ مِنكُم أَنْ يَنفَعَ أَخَاهُ، فَليَفعَلْ » [3].

بَل إنَّ هَذَا يُعَدُّ مِن أَعظَمِ الأَعمَالِ؛ قَالَ شَيخُ الإسلامِ ابنُ تَيمِيَّةَ رَحِمَهُ اللهُ حِينَ سُئِلَ عن عِظَمِ آيَةِ الكُرسِيِّ في قُوَّةِ دَفعِهَا لِلشَّيَاطِينِ عن بَنِي آدَمَ، وَمَشرُوعِيَّتِهَا في ذَلِكَ؛ فَقَالَ : «فَهَذَا مِن أَفضَلِ الأَعمَالِ، وهُوَ مِن أَعمَالِ الأَنبِيَاءِ والصَّالِحِينَ؛ فَإنَّهُ

---

(١) أخرجه البخاري (٥٧٣٦).

(٢) أخرجه مسلم (٢٢٠٠) من حديث عوف بن مالك ﷺ.

(٣) أخرجه مسلم (٢١٩٩) (٦١).

مَا زَالَ الأنبِيَاءُ وَالصَّالِحُونَ يَدفَعُونَ الشَّيَاطِينَ عن بَنِي آدَمَ بِمَا أَمَرَ اللهُ بِهِ ورَسُولُهُ»[1].

وَلِذَا جَاءَتِ الأَحَادِيثُ عن رَسُولِنَا ﷺ تُبَيِّنُ فَضِيلَةَ هَذَا العَمَلِ وَالقِيَامِ بِهِ، وَالتَّفرِيجِ عن المكرُوبِ، وَرَفعِ الهَمِّ وَالغَمِّ عن المسلِمِينَ وَالمسلِمَاتِ؛ فَحَثَّ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى المبَادَرَةِ إِلَى ذَلِكَ، وَذَكَرَ : أَنَّ اللهَ في عَونِ العَبدِ مَا كَانَ العَبدُ في عَونِ أَخِيهِ، بَل أَوجَبَ نُصرَةَ المظلُومِ، وَرَفعَ الظُّلمِ عَنْهُ، وَهَل الرُّقيَةُ إلَّا نُصرَةٌ لِلمَظلُومِينَ، وَدَحضٌ لِلسَّحَرَةِ وَالشَّيَاطِينَ؟.

وَنَدَبَ ﷺ القَومَ إِلَىٰ تَفرِيجِ الكُرَبِ، وَالتَّنفيسِ عَن المُؤمِنِينَ في البَلوَى، وَرَفع الظُّلمِ عَنهُم، وَالانتِصَارِ لَهُم.

فَعَنِ ابنِ عُمَرَ رَضِيَ الله عَنْهُما أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قال : «المُسلِمُ أَخُو المُسلِمِ، لا يَظلِمُهُ ولاَ يُسلِمُهُ. مَن كَانَ في حَاجَةِ أَخِيهِ؛ كَانَ اللهُ في حَاجَتِهِ، وَمَن فَرَّجَ عن مُسلِمٍ كُربَةً؛ فَرَّجَ اللهُ عَنْهُ بِهَا كُربةً مِن كُرَبِ يَومِ القِيَامَةِ »[2]

وَعن أَبِي هُرَيرَةَ ﷺ قالَ : قال رَسُولُ الله ﷺ : «مَن نَفَّسَ عن مُؤمِنٍ كُربَةً مِن كُرَبِ الدُّنيَا؛ نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُربَةً مِن كُرَبِ يَومِ القِيَامَةِ »[3].

شَاهِدُ القَولِ في المسأَلَةِ؛ أَنَّ الفُقَهَاءَ رَحِمَهُمُ اللهُ قَد اتَّفَقُوا عَلَى جَوَازِ الاستِشفَاءِ وَالتَّدَاوِي بِالرُّقيَةِ الشَّرعِيَّةِ، وَإِنَّمَا الخِلافُ بَينَهُم في الفَاضِلِ وَالمفضُولِ، وَالحَسَنِ وَالأَحسَنِ، وَالكَامِلِ والأَكمَلِ؛ وَعَلَّلُوا ذَلِكَ في مَن كَانَ يَصبِرُ عَلَى العِلَّةِ وَالمرَضِ؛ فَالصَّبرُ لَهُ أَنفَعُ وَأَحسَنُ وَأَكمَلُ مِنَ التَّدَاوِي وَالرُّقيَةِ، وَهَذَا لِمَن وَجَدَ في نَفسِهِ طَاقَةً وَعَزِيمَةً وَصَبراً عَلَى صُعُوبَةِ الأَلَمِ وَمَرَارَتِهِ، وَمَن

---

(١) «مجموع الفتاوى» (١٩ / ٥٦).

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٨٠).

(٣) أخرجه مسلم (٢٦٩٩) (٣٨).

ضَعُفَ عن هَذَا فَالمشرُوعُ في حَقِّهِ التَّدَاوِي وَالرُّقيَةُ، وَهَذَا هُوَ الصَّوَابُ في هَذِهِ المسأَلَةِ وَهُوَ الَّذِي عَليهِ أَكثَرُ أَهلِ العِلمِ، مِن استِحبَابِ التَّدَاوِي وَالرُّقيَةِ لا الوُجُوبِ، وَهَذِهِ جُملَةٌ مِن أَقوَالِ أَهلِ العِلمِ في إِبَاحَةِ التَّدَاوِي، وَجَوازِ فِعلِهِ :

قال القُرطُبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَعَلَى إِبَاحَةِ التَّدَاوِي، وَالاستِرقَاءِ جُمهُورُ العُلَماءِ »[1].

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ أيْضاً : «فَإِنَّ الرُّقَى مِمَّا يُستَشفَى بِهِ مِنَ العَينِ وَغَيرِهَا، وَأَسعَدُ النَّاسِ مِن ذَلِكَ مَن صَحِبَهُ اليَقِينُ، وَفِي قَولِهِ : «لَو سَبَقَ شَيءٌ القَدَرَ؛ لَسَبَقَتْهُ العَينُ» دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الصِّحَّةَ وَالسَّقَمَ قَد جَفَّ بِذَلِكَ كُلِّهِ القَلَمُ، وَلَكِنَّ النَّفسَ تَطِيبُ بِالتَّدَاوِي، وَتَأنَسُ بِالعِلاجِ، وَلَعلَّهُ يُوَافِقُ قَدَراً، وَكَمَا أَنَّهُ مَن أُعطِيَ الدُّعَاءَ، وفُتِحَ عَليهِ فَلَم يَكد يُحرَم الإجَابَةَ، كَذَلِكَ الرُّقَى وَالتَّدَاوِي، مَن أُلهِمَ شَيئاً مِن ذَلِكَ وَفَعَله، رُبَّمَا كَانَ ذَلِكَ سَبَباً لِفَرَجِهِ »[2].

وَقال الإِمَامُ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَيُستَحَبُّ لَهُ الصَّبرُ عَلَى المرَضِ، وَتَركُ الأَنِينِ مَا أَطَاقَ، وَيُستَحَبُّ التَّدَاوِي»[3].

وَقال شَيخُ الإِسلامِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَلَستُ أَعلَمُ سَالِفاً أَوجَبَ التَّدَاوِي، وَإِنَّمَا كَانَ كَثِيرٌ مِن أَهلِ الفَضلِ وَالمعرفَةِ، يُفَضِّلُ تَركَهُ تَفَضُّلاً وَاختِيَاراً؛ لِمَا اختَارَ اللهُ وَرِضاً بِهِ، وَتَسلِيماً لَهُ، وَهَذا المنصُوصُ عن أَحمَدَ، وَإِن كَانَ مِن أَصحَابِهِ مَن يُوجِبُهُ، وَمِنهُم مَن يَستَحِبُّهُ وَيُرَجِّحُهُ، كَطَرِيقَةِ كَثِيرٍ مِنَ السَّلَفِ استِمسَاكاً لِمَا خَلَقَهُ اللهُ مِنَ الأَسبَابِ، وَجَعَلهُ مِن سُنَّتِهِ في عِبَادِهِ»[4].

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (١٠ / ١٣٨)

(٢) «التمهيد» (٢ / ٢٧٠)

(٣) «روضة الطالبين» (٢ / ٩٦)

(٤) «مجموع الفتاوى» (٢١ / ٥٦٣) . ومنه حديث المرأة السوداء التي كانت تُصرَع ـ بسبب الجن ـ، فقد تركت التداوي صبراً وابتغاءً لما عند الله، وسيأتي ذكرها .

وَقال ابنُ مُفلحٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، عَنِ التَّدَاوِي : «فَصلٌ : حُكمُ التَّدَاوِي مَعَ التَّوَكُّلِ عَلَى الله. فِعلُهُ أَفضَلُ، وَبِهِ قال بَعضُ الشَّافِعِيَّةِ، وَذَكَرَ في «شَرحِ مُسلِمٍ» أَنَّهُ مَذهَبُ الشَّافِعِيَّةِ، وَجُمهُورِ السَّلَفِ، وَعَامَّةِ الخَلَفِ، وَقَطَعَ بِهِ ابنُ الجَوزِيِّ في «المِنهَاجِ»، وَاختَارَهُ الوَزِيرُ ابنُ هُبَيرَةَ في «الإِفصَاحِ» قال : وَمَذهَبُ أَبِي حَنيفَةَ أَنَّهُ مُؤَكَّدٌ حَتَّى يُدَانِيَ بِهِ الوُجُوبَ، قال : وَمَذهَبُ مَالِكٍ؛ أَنَّهُ يَستَوِي فِعلُهُ وَتَركُهُ؛ فَإِنَّهُ قال : لا بَأسَ بِالتَّدَاوِي وَلا بَأسَ بِتَركِهِ »[1] اهـ.

وَقال القِنَّوجِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَالَّذِي تَرَجَّحَ عِندِي بِالنَّظَرِ في الأَحَادِيثِ الوَارِدَةِ في هَذَا البَابِ؛ أَنَّهُ سُنَّةٌ، يُثَابُ فَاعِلُهُ إن نَوَى اتِّبَاعَ السُّنَّةِ، وَلا يُلامُ تَارِكُهُ إن قَوِيَ عَلَى تَركِهِ»[1] وَهَذَا في بَيَانِ الإِبَاحَةِ وَالجَوَازِ.

وَتَارَةً يَكُونُ الأَمرُ لِلوُجُوبِ، يقول ابنُ قَيِّمِ الجَوزِيَّةِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «وَفي الأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ الأَمرُ بِالتَّدَاوِي، وَأَنَّهُ لا يُنَافِي التَّوَكُّلَ، كَمَا لا يُنَافِيهِ دَفعُ دَاءِ الجُوعِ، وَالعَطَشِ، وَالحَرِّ، وَالبَردِ، بِأَضدَادِهَا، بَل لا تَتِمُّ حَقِيقَةُ التَّوحِيدِ إِلَّا بِمُبَاشَرَةِ الأَسبَابِ الَّتِي نَصَبَهَا اللهُ مُقتَضَيَاتٍ لِمُسَبَّبَاتِهَا، قَدَراً، وَشَرعاً، وَأَنَّ تَعطِيلَهَا يَقدَحُ في نَفسِ التَّوَكُّلِ كَمَا يَقدَحُ في الأَمرِ وَالحِكمَةِ، وَيُضعِفُهُ مِن حَيثُ يَظُنُّ مُعَطِّلُهَا؛ أَنَّ تَركَهَا أَقوَى في التَّوَكُّلِ؛ فَإِنَّ تَركَهَا عَجزاً؛ يُنَافي التَّوَكُّلَ الَّذِي حَقِيقَتُهُ اعتِمَادُ القَلبِ عَلَى اللهِ في حُصُولِ مَا يَنفَعُ العَبدَ في دِينِهِ وَدُنيَاهُ، وَدَفعِ مَا يَضُرُّهُ في دِينِهِ وَدُنيَاهُ، وَلا بُدَّ مَع هَذَا الاعتِمَادِ مِن مُبَاشَرَةِ الأَسبَابِ وَإِلَّا كَانَ مُعَطِّلا لِلحِكمَةِ وَالشَّرعِ؛ فَلا يَجعَلُ العَبدَ عَجزَهُ تَوَكُّلا، وَلا تَوَكُّلَه عَجزاً.

---

(١) «الآداب الشرعية» (٢ / ٣٣٤) .

(٢) «الدين الخالص» (١/ ١٢٦)

وَفيهَا : رَدٌّ عَلَى مَن أَنكَرَ التَّدَاوِي، وَقال : إن كَانَ الشِّفَاءُ قَد قُدِّرَ؛ فَالتَّدَاوِي لا يُفيدُ، وَإن لَم يَكُن قَد قُدِّرَ؛ فَكَذَلِكَ.

وَأَيضاً؛ فَإنَّ المرَضَ حَصَلَ بِقَدَرِ اللهِ، وَقَدَرُ اللهِ لا يُدفَعُ وَلا يُرَدُّ، وَهَذَا السُّؤَالُ هُوَ الَّذِي أَورَدَهُ الأَعرَابُ عَلَى رَسُولِ ﷺ.

وَأَمَّا أَفَاضِلُ الصَّحَابَةِ؛ فَأَعلَمُ بِاللَّهِ وَحِكمَتِهِ وَصِفَاتِهِ، مِن أَن يُورِدُوا مِثلَ هَذَا، وَقَد أَجَابَهُم النَّبِيُّ ﷺ بِمَا شَفَى وَكَفَى؛ فَقَال : هَذِهِ الأَدوِيَةُ، وَالرُّقَى، وَالتُّقَى؛ هِيَ مِن قَدَرِ الله. فَمَا خَرَجَ شَيءٌ عن قَدَرِهِ، بَل يَرُدُّ قَدَرَهُ بِقَدَرِهِ، وَهَذَا الرَّدُّ مِن قَدَرِهِ؛ فَلا سَبِيلَ إِلَىٰ الخُرُوجِ عن قَدَرِهِ بِوَجهٍ مَا، وَهَذَا كَرَدِّ قَدَرِ الجُوعِ، وَالعَطَشِ، وَالحَرِّ، وَالبَردِ بِأَضدَادِهَا، وَكَرَدِّ قَدَرِ العَدُوِّ بِالجِهَادِ، وَكُلٌّ مِن قَدَرِ اللهِ؛ الدَّافِعُ، وَالمدفُوعُ، وَالدَّفعُ »[1].

وَيقول أَيضاً ـ للهِ دَرُّهُ ـ : «بَل الفَقِيهُ كُلُّ الفَقِيهِ الَّذِي يَرُدُّ القَدرَ بِالقَدَرِ، وَيَدفَعُ القَدَرَ بِالقَدَرِ، وَيُعَارِضُ القَدَرَ بِالقَدَرِ، بَل لا يُمكُنُ لِلإنسَانِ أَن يَعِيشَ إلَّا بِذَلِكَ؛ فَإنَّ الجُوعَ، وَالعَطَشَ، وَالبَردَ، وَأَنوَاعَ المخَاوِفِ، وَالمحَاذِيرِ؛ هِيَ مِنَ القَدَرِ، وَالخَلقُ كُلُّهُم سَاعُونَ فِي دَفعِ هَذَا القَدَرِ بِالقَدَرِ »[2].

قال شَيخُنَا العَلامَةُ عُمَرُ الأَشقَرُ أَمدَّه اللهُ بالعَافِيَةِ : «وَهَذَا هُوَ الفَصْلُ في هَذِهِ المسأَلَةِ عَلَى الصَّحِيحِ، وَاللَّهُ أَعلَمُ»[3].

(١) «زاد المعاد» (٤/ ١٦) وانظر في : «مدارج السالكين» : «فصل في دفع القدر بالقدر نوعان» (١/ ٢٠٠) وفي «فتح الباري» (١٠ / ٢١٢) و «تهذيب السنن» لابن القيم (٥ / ٣٦٦) و«طرح التثريب» للعراقي (٨ / ١٩٣) و«الموسوعة الفقهية الكويتية» (١٣ / ٢٣) و (٢٣ / ٩٧)

(٢) «الدَّاء والدَّواء» (٢٧) .

(٣) من إملاءات شيخنا أسبغ الله عليه العافية.

ثُمَّ هُنَا مَسأَلَةٌ : هَل هَذِهِ الرُّقى تُنَافي تَمَامَ التَّوكُّلِ أَو لا ؟ وَهَل مَن طَلَبَهَا، أَو مَن فُعِلَت لَهُ مِن غَيرِ طَلَبٍ مِنهُ سَوَاءٌ ؟

فِالجَوَابُ : هَذِهِ المسأَلَةُ مَحَلُّ خِلافٍ بَينَ أَهلِ العِلْمِ، وَبِمَا أَنَّ بُغيَتَنَا هُنَا الإِيجَازُ، أَذكُرُ مَا ظَهَرَ لِي وَتَرَجَّحَ بِأَنَّهُ الصَّوَابُ ـ وَالعِلمُ عِندَ اللهِ ـ بِاختِصَارٍ، وَأُحِيلُ التَّفصِيلَ وَالبَسطَ إِلَىٰ رِسَالَةِ : «فِقهِ الرُّقيَةِ الشَّرعِيَّةِ »[1].

فَقَد ذَهَبت طَائِفَةٌ مِن أَهلِ العِلمِ إِلَىٰ أَنَّ الرُّقى تُنَافي تَمَامَ التَّوكُّلِ، وَذَهَبَتِ الطَّائِفَةُ الأُخرَى بِأَنَّهَا لا تُنَافي تَمَامَ التَّوكُّلِ وَلا تَقدَحُ فِيْهِ، بَل هِي مِن جُملَةِ الأَسبَابِ، وَلِكُلٍّ قَوم أَدِلَّةٌ استَدَلُّوا بِهَا، وَالَّذِي ظَهَرَ لِي مِنهَا، وَالعِلمُ عِندَ الله، أَنَّ الرُّقيَةَ تُنَافي تَمَامَ التَّوكُّلِ لِمَن طَلَبَهَا، وَهُوَ المعرُوفُ بِالاستِرقَاءِ.

فَأَمَّا مَن رُقِيَ وَلَم يَطلُبْهَا؛ فَهذَا لا يُنَافي تَمَامَ التَّوكُّلِ، كَمَا هُوَ الحَالُ في رُقيَةِ جِبرِيلَ عَلَيهِ السَّلامُ لِلنَّبِيِّ ﷺ؛ فَيَنبَغِي التَّنبُّهُ لِلتَّفرِيقِ بَينِ مَن طَلَبَ الرُّقيَةَ، وَبَينَ مَن طُلِبَت لَهُ، والتَّفرِيقِ بَينَ مُنَافَاةِ التَّوكُّلِ، وَمُنَافَاةِ تَمَامِ التَّوكُّلِ؛ فَالأَوَّلُ لا تُنَافيهِ الرُّقيَةُ، وَالثَّانِي ـ وَالله أَعلَمُ ـ تُنَافي تَمَامَهُ.

يقول الإِمَامُ الخَطَّابِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «فَأَمَّا قَولُهُم : «الَّذِينِ لا يَستَرقُونَ » فَلَيسَ في ثَنَائِهِ عَلَى هَؤُلاءِ مَا يُبطِلُ جَوازَ الرُّقيَةِ الَّتِي قَد أَبَاحَهَا؛ وَوَجهُ ذَلِكَ أَن يَكُونَ تَركُهَا مِن نَاحِيَةِ التَّوكُّلِ عَلَى الله، وَالرِّضَا بِمَا يَقضِيهِ مِن قَضَاءٍ، وَيُنزِلُهُ مِن بَلاءٍ.

وَهَذَا أَرفَعُ دَرَجَاتِ المؤمِنِينَ المتَحَقِّقِينَ بِالإِيمَانِ، وَقَد ذَهَبَ هَذَا المذهَبَ مِن صَالِحِي السَّلَفِ؛ أَبُو الدَّردَاءِ، وَغَيرُهُ مِنَ الصَّحَابَةِ، وَرُوِيَ عن أَبِي بَكرٍ الصِّدِّيقِ، وَعَبدِ الله بنِ مَسعُودٍ »[2].

---

(١) وانظر : «الفروق» للقرافي (٤/ ٣٢٧) في الفرق بين قاعد التوكل وقاعدة ترك الأسباب . فإنَّه مُهمٌّ .

(٢) «أعلام الحديث» (٢ / ١١١٢) بتصرف.

وَقال الإمَامُ النَّوَويُّ رَحِمَهُ اللهُ: مُبيِّناً نُكتَةً بَدِيعَةً في حَدِيثِ الَّذِينَ يَدخُلُونَ الجَنَّةَ بِلا حِسَابٍ، وَلا عَذَابٍ، وأَنَّهم «لا يَستَرقُونَ» وَمَنعِهِم التَّدَاوِي، قال : «وَالظَّاهِرُ مِن مَعنَى الحَدِيثِ مَا اختَارَهُ الخَطَّابِيُّ، وَحَاصِلُهُ : أَنَّ هَؤُلاءِ كَمُلَ تفويضُهُم إِلَىٰ الله عَزَّوَجَلَّ فَلَم يَتَسَبَّبُوا في دَفعِ مَا أَوقَعَهُ بِهِم، وَلا شَكَّ في فَضِيلَةِ هَذِهِ الحَالَةِ وَرُجحَانِ صَاحِبِهَا، وَأَمَّا تَطبُّبُ النَّبِيِّ ﷺ فَفِعلُهُ لِيُبَيِّنَ لَنَا الجَوَازَ، وَاللَّه أَعلَمُ »[1].

وَقال شَيخُنَا العَلَّامَةُ الدُّكتُور عُمَرُ الأَشقَرُ أَمدَّه اللهُ بالعَافِيَةِ: «وَهَذِهِ مَنزِلَةٌ عَالِيَةٌ، وَرُتبَةٌ رَفيعَةٌ، لا يَصِلُ إِلَيهَا إِلَّا الكِبَارُ مِنَ الصَّالِحِينَ؛ أَولِياءُ الله، وَهَؤُلاءِ قَد بَلَغُوا تَمَامَ التَّوكُّلِ، وَهُم قِلَّةٌ في النَّاسِ »[2].

وَقَد يقُولُ قَائِلٌ: هَل يَكْفِي المَرِيضَ أَنْ يَرْقِيَ نَفسَهُ، أَو لا بُدَّ مِن وُجُودِ رَاقٍ يَرقِيهِ؟

فَالجوَابُ : يَظهَرُ هَذا في حَالَتَينِ :

الحَالَةُ الأُولَى: الأَوْلَى وَالأَنفَعُ أَنْ يَرقِي المرِيضُ نَفسَهُ بِنَفسِهِ ابتِدَاءً؛ إذ لَن يَكُونَ هُنَاكَ مَن هُوَ أَخلَصُ مِنهُ لِنَفسِهِ في دُعَائِهِ وَرُقيَتِهِ؛ فَإِنِ انتَفَعَ المرِيضُ وَوَجَدَ التَّحسُّنَ؛ فَليُتَابِع مِشوَارَ عِلاجِهِ حَتَّى يُفَرِّجَ الله عَنْهُ كَرْبَهُ وبَلواهُ؛ وَبِهَذَا يَستَغنِي عَنِ النَّاسِ.

وَالحَالَةُ الثَّانِيةُ : أَنْ يُغلَبَ عَلَى أَمرِهِ، وَيُحَالَ بَينَهُ وَبَينَ الرُّقيَةِ؛ فَيَصرِفُهُ الشَّيطَانُ بِأَنْوَاعٍ مِنَ الصَّوارِفِ عَنْ ذَلِكَ[3]؛ فَلابُدَّ وَقْتَئِذٍ مِن رَاقٍ يَرقِيهِ؛ إذ لَو تُرِكَ عَلَى حَالِهِ لَمَا قَدِرَ عَلَى رَفعِ الأَذَى وَالضُّرِّ عن نَفسِهِ.

---

(١) «شرح مسلم» (٣ / ٩٠).

(٢) من إملاءات شيخنا أسبغ الله عليه بالعافية. وانظر قولاً رائعاً في : «الأحكام النبوية» للكحال (٢٤١).

(٣) ومن طُرُقِ صَرف الشياطين المرضَى عن الرقية :

أولاً : محاولة إقناع المريض من قِبَل شيطانه (المتَلَبِّس)؛ برأي من يُنكِر تلبُّس الجن للإنس، لا سيما إن

وَهَذَا التَّفصِيلُ يُشِيرُ بِهِ الرَّاقِي عَلَى المرِيضِ بَعدَ عِلمٍ وَمَعرِفَةٍ لِلحَالَةِ؛ حَتَّى لا يَفتَحَ بَاباً لِتَلبِيسِ الشَّيطَانِ عَلَى النَّاسِ؛ فَيَصرِفَهُم في العِلاجِ مِنَ الأَحسَنِ إِلَى الأَقَلِّ، وَرُبَّمَا بِتَركِهِ بِالكُلِّيَّةِ ! فَتَنَبَّه.

وَلِقَائِلٍ أَن يَقُولَ : وَهَل هُنَاكَ مَنفَعةٌ في تَرَدُّدِ المرِيضِ عَلَى أَكثَرِ مِن رَاقٍ ؟ أَو يَقتَصِرُ عَلَى رَاقٍ وَاحِدٍ يُتَابِعُ مَعَهُ ؟

فَالجَوابُ : تَرَدُّدُ المرِيضِ عَلَى عِدَّةِ رُقَاةٍ لَيسَ مِنَ المصلَحَةِ في عِلاجِهِ، وَفي عِلمِي - والعِلمُ عِندَ الله - أَنَّهُ لَيسَ بِنَافِعٍ؛ إذ كَونُ المرِيضِ يَتَرَدَّدُ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ الرُّقَاةِ مِمَّا قَد يُشَتِّتُ هِمَّتَهُ وَعَزِيمَتَهُ في العِلاجِ، وَقَد يَكُونُ هَذَا التَّرَدُّدُ مِن بَابِ الشَّكِّ وَعَدَمِ اليَقِينِ، وَمَعلُومٌ أَنَّ لِكُلِّ رَاقٍ طَرِيقَةً خَاصَّةً بِهِ في العِلاجِ - مَضبُوطَةً بِالشَّرعِ - فَتَنَوُّعُ الطُّرُقِ قَد يُؤَخِّرُ العِلاجَ، لا سِيَّما إِنْ صَاحَبَهُ اختِلافُ أَسَالِيبِ

=

كان يتابع ما تنشره الصحف، والإذاعة غير الموثوق بها .

ثانياً : تُوحِي الشياطينُ للمصاب بأنَّه مُصابٌ بحالة نفسية؛ لِدَفْعِه نحو الطبِّ النَّفسِي وهنا يكون أمران: فتارة تتوقف الأعراض والآثار بُرهة من الزمن؛ حتى يَقتنع المصابُ بأنَّه كان مُصِيباً في هذا القرار ولكنه سُرعان ما يعود، ولكل عودة عذروسبب، وكلُّها ألاعيب وتأخير في العلاج .

وتارة - وهذا على الأغلب - لا تكون فائدة، ولذا تجد المصاب يتناول في فترة وجيزة كمّاً هائلاً من الأدوية، وبلا فائدة أو تَحسُّن، والواقع يُصدِّق هذا، وما كُتِبت هذه الأحرف إلَّا بعد سماعها من أصحابها؛ فتأمل .

ثالثاً : تُوحِي الشياطين للمريض بأنَّ الرقية لا تنفع إلَّا لمن يعاني الجنون ! فيخشى لمن يرقيه فيُعَيَّر ويُلقَّب بالمجنون! وصِدقُ هذا أنك تجد بعض الناس يُريد الأمر سِرّاً، وحتى من أقرب الناس لا سيما أهل المناصب والرُّتَبِ الرفيعة بين الناس من أهل الوجاهات .

رابعاً : أن تجعل ـ أي : الشياطين ـ المريض يتعب تعباً شديداً بعد الرقية حتى يتذمر من الرقية فيتذكر التعب والألم فيتركها.

خامساً :أن تأتي ـ أي : الشياطين ـ للمريض في منامه بصورة الراقي على صورة بشعة وأمور مخيفة ليكره الراقي ورُقْيتَه. وغيرها.

مستفادٌ من موقع شيخنا أبي حمد «لقط المرجان» : طرق الشيطان في صرف المرضى عن العلاج .

الرُّقَاةِ مَع الجَانِّ «المتلبِّسِ» فَرُبَّمَا قَرَّبَ الشِفَاءَ أَحَدُهُم، وَبَعَّدَهُ الآخَرُ، وَرُبَّمَا تَجَمَّعَ عِندَهُ سُوءُ كُلِّ رَاقٍ؛ فَيَجتَمِعُ السُّوءُ كُلُّهُ عِندَهُ؛ فَيُحرَمُ المنفَعَةَ.

وَهَكَذَا هُوَ في الطِّبِّ؛ أَرَأَيتَ مَرِيضاً جَالَ عَلَى الأَطِبَّاءِ، وَأَخَذَ مِن كُلِّ طَبِيبٍ جُرعَةً، أَتُرَاهُ في آخِرِ نَهَارِهِ يَكُونُ سَلِيماً مُعَافىً، أَم مُثقَلاً بِأَنواعٍ مِنَ الأَمرَاضِ ؟! بَلْهَ تَرَاكُمَ الهُمُومِ مِن تَهوِيلاتِ الأَطِبَّاءِ ! وَبِأَيِّ تَشخِيصٍ يَثِق ؟!

بَينَمَا لَو اقتصَرَ عَلَى طَبِيبٍ.رَاقٍ.وَاحِدٍ حَاذِقٍ، وَعَرَفَ حَالَتَهُ، وَتَابَعَ مَعَهُ؛ فَكَثِيراً مَا يَكُونُ العِلاجُ نَاجِعاً وَنَاجِحاً، لِذَا جَنَحَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ إِلَىٰ أَن يُخَصِّصُوا طَبِيباً حَاذِقاً وَاحِداً لِلعَائِلَةِ، يَكفيهِم مَؤُونَةَ بَقِيَّةِ الأَطِبَّاءِ وَحَيرَتِهِم، وَجَهَالَةِ آرَائِهِم.

وَهَذَا مَعرُوفٌ مُنذُ القِدَمِ، يقول الطَّبِيبُ الرَّازِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «يَنبَغِي أَن يَقتَصِرَ عَلَى وَاحِدٍ مِمَّن يَثِقُ بِهِم مِنَ الأَطِبَّاءِ؛ فَخَطَؤُهُ في جَنْبِ صَوَابِهِ يَسِيرٌ جِدَّاً، وَمَن تَطَبَّبَ عِندَ كَثِيرٍ مِنَ الأَطِبَّاءِ؛ يُوشِكُ أَن يَقَعَ في خَطَإِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنهُم »[1].

وَأَقُولُ: وَيَدْخُلُ في هَذا الَّذِي ذَكَرَهُ الرَّازِيُّ العِلاجُ بِالرُّقيَةِ الشَّرعِيَّةِ فيمَا يَظهَرُ لِي، فَإِنَّهُ مِنَ الأَجْدَى الاقتِصَارُ عَلَى رَاقٍ حَاذِقٍ مُتَمَكِّنٍ وَاحِدٍ، وَاللَّهُ أَعلَمُ.

وَأَضَافَ شَيخُنَا العَلامَةُ عُمَرُ الأَشقَرُ أَحسَنَ اللهُ إِلَيهِ في الدُّنيَا وَالآخِرَةِ؛ فَقَال : «وَيُستَثنَى مِن ذَلِكَ مَن طَالَت فَترَةُ عِلاجِهِ عِندَ رَاقٍ بِلا فَائِدَةٍ، وَلَم يَنتَفِع؛ فَلا بَأسَ أَن يُرشَدَ لِلعِلاجِ عِندَ غَيرِهِ مِنَ الرُّقَاةِ، وَاللَّهُ أَعلَمُ »[2].

---

(١) «أقوال في الطب والحكمة من التراث الإسلامي»، د. عبد الجبار دية، مجلة آفاق - الأردن العدد (٨) لعام ١٤٢٣هـ، ص (١١٧).

(٢) من إملاءات شيخنا أسبغ الله عليه بالعافية.

لذا على المريض أن يُصلِح ما بينه وبين الله، و يَعتَني بأسباب الشفاء؛ ليؤثِّر فيه كلام الله تعالى، ويكون مَحَلّاً طيِّباً يقبل الدَّواء؛ فإنْ لـم ينتفع؛ فَليُراجع نفسه .

وَقفَةٌ مَع الطِّبِّ النَّفسِيِّ :

اعلَم - رَحِمَنِي اللهُ وَإيَّاكَ - أَنَّهُ لا يُوجَدُ أَبَداً في الطِّبِّ النَّفْسِي عِلاجٌ لِلْمَسِّ، أو السِّحرِ، أَو العَينِ، أَو الحَسَدِ، قَولاً وَاحِداً[1].

إنَّ الأطِبَّاءَ لا يُغنُونَ عَنْ نَصَبِي   أَنتَ الطَّبِيبُ طَبِيبٌ غيرُ مَغلُوبِ

وَأَمَّا بَقِيَّةُ الأَمرَاضِ العَارِضَةِ مِن ضَائِقَاتِ الحَيَاةِ، وَتَجارُبِ السِّنِينِ أَو غيرِهَا؛ فَقَد يَكُونُ عِندَ الطَّبِيبِ المسلِمِ نَوعُ عِلاجٍ؛ لا سِيَّما إذَا وظَّفَ مِهنَةَ الطِّبِّ لِلدَّعوَةِ إلَىٰ اللهِ؛ فَيُبيِّنُ لِلمَرِيضِ أَمرَ اللهِ وَقَدَرَهُ، وَأَنَّهُ يَجِبُ عَليهِ الرِّضَا بِهِ؛ فيُسَلِّي عَنْهُ وَيُفَرِّجُ هَمَّهُ وَيُنَفِّسُ كَربَهُ بِإيمَانِيَّاتٍ وَروحَانِيَّاتٍ زَكِيَّةٍ مُستَمَدَّةٍ مِنَ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَهَذَا لَيسَ حِكراً عَلَى الطَّبِيبِ، بَل كُلُّ مَن يَعلَمُ العِلمَ الشَّرعِيَّ وَيُحسِنُ الدَّعوةَ بِهِ بِمَقدُورِهِ فِعلُ ذَلِكَ.

وَإن زَعَمَ الأَطِبَّاءُ النَّفسَانِيُّونَ أَنَّ العِلاجَ عِندَهُم، وَلَيسَ ثَمَّةَ سِحرٌ، أَو مَسٌّ، أَو عَينٌ، وَثَبَتَ عِندَ الرُّقَاةِ الحُذَّاقِ[2] أَنَّ المرءَ مُصَابٌ بِعَارِضِ سِحرٍ، أَو مَسٍّ - لا سِيَّما إذَا لَم يَكُن هُنَاكَ نَفعٌ مَعَ الطِّبِّ الجِسمَانِيِّ وَلا استِجَابَةٌ، وَبَلَغَ التَّخَبُّطُ في تَشخِيصِهِ كُلَّ مَبلَغٍ؛ إذ هِيَ تَجَارِبُ وَظُنُونٌ - فَزَعَمَ النَّفسَانِيُّونَ صِحَّةَ تَشخِيصِهِم ! فَهُنَا لا يُسَلَّمُ لَهُم بِذَلِكَ؛ إذ لا يَملِكُونَ إلَّا النَّزرَ اليَسِيرَ - هَذَا إن وُفِّقُوا لَهُ - بَل بَعضُ مَا عِندَهُم مُوجُودٌ عِندَ غَيرِهِم، وَيُغنِي عَنهُم مَا عِندَ أَهلِ الصَّلاحِ وَالتَّقوَى، وَالحَمدُ للهِ.

---

(١) وهذا يكون بعد دراسة الحالة والتريُّث الكثير والإمعان الدقيق الذي يكون بعده التشخيص الموافق للصواب بعد عون الله، ويصدر هذا من الرَّاقي الخبير العالم بعلمه والمتَّقِي لله كما سيأتي في سِماته لاحقاً.

(٢) أي : المهرة المتقِنُون .

ثُمَّ بَعضُ مَن أَنصفَ - مِنهُم - وَاعتَرَفَ بِقُصُورِ طِبِّهِ فِي القَدِيمِ، قَالَ فِي أَنوَاعِ عِلاجَاتِهِم وَعَلَى مَا تَعتَمِدُ: «هُوَ قِيَاسٌ»! وَمِنهُم مَن يقول: «هُوَ تَجرُبَةٌ»، وَمِنهُم مَن يقول: «هُو إِلهَامَاتٌ وَمَنَامَاتٌ! وَحَدسٌ صَائِبٌ»؟! [1]

أَمَّا اليَومَ؛ فَالحَالُ نَفسُهُ يُقالُ فِي الأَطِبَّاءِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللهُ، أَفَيَنفَعُ فِي عِلاجِ هَذِهِ الأَمرَاضِ عَقَاقِيرُ وَأَدوِيَةُ الأَطِبَّاءِ، أَم كَلامُ رَبِّ العَالَمِينَ؟ أَيَكُونُ مِن بَعضِ الأَطِبَّاءِ عِلمٌ وَمَعرِفَةٌ بِهَذِهِ الرُّوحَانِيَّاتِ، وَعِلاجِهَا فِي طِبِّهِم؟ أَم هُوَ التَّخَبُّطُ، وَإِدخَالُ النَّاسِ فِي حَيرَةِ المَرَضِ، وَالوَهمِ، وَالوَسَاوِسِ القَهرِيَّةِ، وَالأَمرَاضِ النَّفسِيَّةِ، وَالاكتِئَابَاتِ الرُّوحِيَّةِ، وَالَّتِي - كَمَا جَرَّبَ المجَرِّبُونَ - لا تَزِيدُهُم إِلَّا خَبَالاً؟ بَل لَو سَأَلتَ أَكثَرَ مَن وُصِفَ لَهُ بَعضُ عَقَاقِيرِهِم فِي امتِنَاعِهِ عن تَنَاوُلِهَا؛ لَوَجَدتَ الجَوَابَ - وَهُوَ كَثِيرٌ اليَومَ فِي المجتَمَعِ - عَدَمُ صِدقِ جَدوَاهَا [2].

---

(١) حكاه عنهم ابن قيم الجوزية: في «زاد المعاد» (٤ / ١١).

(٢) وإني سائلٌ بعض هؤلاء الأطباء النَّفسانيين الذين يُدَنْدِنُون على الرُّقاة بالإنكار عليهم ومطالبتهم بالأدلة من الكتاب والسنة على ما يحصل للمريض في أثناء الرقية أو بعده؟ ونسوا أو تناسوا أنَّ ما يُلزِمُوننا به، هو بِعَينه موجودٌ عندهم! فمن أين لهم قولهم للمراجعين عندهم:
- هذه علامات وساوس قهرية؟
- وكيف لهم: هذا انفصامٌ في الشخصية؟
- ولماذا: هذا اكتئاب وأمراض وهمية؟
- أين الدليل على صدق ما يزعمون؟
أمَرجِعية الغرب الكافر في تخبُّطه في عالم الروح - والذي هو على الغالب يُنكره - أم ماذا؟ ألا يعقل هؤلاء الأطباء أنَّ في ديننا ما هو شافٍ كافٍ لمثل هذه الأمراض، أم هو استنكاف يدفعهم لرفض هذه الحقائق في شريعة ربنا صراحةً أو تلاعباً وجذباً لعقول الناس بأسلوب سحري جذاب وقول بليغ؟؟
أما بعض الرقاة، فالأغلب أن الكتاب والسنة لهم دليل، وأقوال علماء الشريعة الموثوق بهم في ذكر العلل وشفائها بالحجة والبرهان، لهم فِيْهِ تعويل، وإن كان هناك من شذ عنهم وامتهنها مهنة على جهله يتكسب بها على حساب المسلمين والمسلمات.
ثم تأمل أدوية وعقاقير الأمراض النفسية والتي فيها من الخطورة ما الله به عليم، أضف إلى هذا غلاء سعرها بل أخطر من ذلك الإدمان عليها - واضرب بقول النَّافي عُرض الحائط - وصعوبة التخلص

وَهَذِهِ حَقِيقَةٌ مُرَّةٌ ! مَا كَتَبْتُهَا جُزَافًا، وَالوَاقِعُ يُصَدِّقُ هَذَا، وَالعَجَبُ قِيَاسُهُم هَذِهِ الأُمُورَ بِعُقُولِهِم القَاصِرَةِ؛ وَلَيُّ أَعنَاقِ النُّصُوصِ الشَّرعِيَّةِ بِمَا يُوَافِقُ هَوَاهُم، أَو دِرَاسَاتِهِم القَاصِرَةَ ! وَلا تَعجَب؛ فَرُبَّمَا تَبَجَّحَ البَعضُ، وأبرقَ وَأَرعَدَ، وهَاجَ فَأَرْغَى وَأَزبَدَ بِتَقَدُّمِ العِلْمِ الحَدِيثِ، وَتُكنُولُوجيَا الطِّبِّ وَإبدَاعَاتِهِ وَاختِرَاعَاتِهِ بِمَا يُسَوِّغُ دَعوَاهُم، وَأَنَّ هَذِهِ النُّصُوصَ وَالأَدوِيَةَ الرَّبَّانِيَّةَ مَا هِيَ إِلَّا مِنَ التُّرَاثِ القَدِيمِ ! وَمِنَ الوَصفَاتِ الشَّعبِيَّةِ ! [1] وَلَيسَتْ مِنَ الوَحيِ، بَل هِيَ مِنَ العَادَاتِ ! أَو يُرَاوِغُ؛

=

منها ! وما الآثار الجانبية عنَّا ببعيد. وإن أردت أن تعجب؛ فاعجب من تجرُّدهم من أخلاقيات المهنة، وانظر في التعامل والأخلاق، تجد صحة ما أقول؛فالهمُّ أخذ المال - ومثلهم كثير من الرقاة - وأما المريض ومراعاته واحترامه فاغسل يدك منه ! والله المستعان.

ولا يعني هذا عدم وجود الفئة الصادقة والمحسنة من الفريقين، لا ولكن الواقع الـمُرُّ موجود، والحُكمُ للواقع الغالب - ولا فرار منه - ولا يعني أنَّ في هذا القول نكراناً لوجود علاجٍ تخفيفيٍّ لبعض الأمراض النفسية في الطب النفسي لا، ولكن أعني عدم وجود علاجٍ للسحر والمس والعين في طِبِّهم البتَّة.

(١) أو قولهم «هو طب مشايخ الحي والعجائز» ونحن أعلم بأمور الدنيا ! كما في مسألة تأبير النخل حين قال لهم النبي ﷺ: «أنتم أعلم بأمور دنياكم» وهذا ما صرَّح به ابن خلدون في «مقدمته» (٥٤٧) حين تكلم على حديث المبطون وإرشاد النبي ﷺ له بأن يسقيه عسلاً فسمّاه بذلك ! وأنه ليس من الوحي في شيء ؟! وهذا تخبُّطٌ عجيبٌ جَرِيءٌ على رسول الله ﷺ، ومجانبة للصواب في فهم هذا الحديث، يقول الكحَّال في «الأحكام النبوية» (٤٥): «وقوله: ﷺ «صدق الله، وكذب بطن أخيك» إشارة إلى تحقيق نفع العسل من ذلك المرض؛ لأنه ﷺ إنما يأمر بالوحي ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴾ وليس طِبُّهُ ﷺ كَطِبِّ الأطباء؛ فإنَّ طبَّ النَّبِيِّ متيقنٌ قطعيُّ النفعِ به، وطبُّ الأطباء مظنونٌ؛ فافترَقَا، وفي تكرار سَقيه العسل معنى طبي، وهو أن كل داء يجب أن يكون له مقدارٌ ما عند تناوله، لا يُؤثر أقلُّ من ذلك المقدار؛ فإن الشرارة لا تُسخِّن فضلاً عن أن تحرق؛ فلَـمَّا أمره ﷺ بأن يسقيه عسلاً أسقاه مِقداراً قليلاً، لَم يبلغ مقدار الحاجة؛ فلَـمَّا تكرر ترداده إلى النبي ﷺ أكَّد عليه بأن يعطيه مقداراً أكثر بقوله: «صدق الله، وكذب بطن أخيك» ليتيقن شفاء أخيه منه؛ فحصل له من تكثير الدفعات مقدار الشربة التامَّة فبرأ»، وانظر ما كتبه الدكتور محمد البَّار وفقه الله في كتابه القيم «هل هناك طب نبوي» (٩) والقِنَّوْجِيّ في «عون الباري» (٦ / ٧٠)، والله أعلم.

فَيقُولُ : لا بَأسَ بِهَا، وَلا نُنكِرُهَا وَنُؤمِنُ بِمَا جَاءَ فِيها، وَلَكِنْ مَا عِنْدَنا عِلْمٌ قَامَ عَلَى دِرَاسَاتٍ ! وَأُجرِيَتْ فِيْهِ مِئَاتُ الأَبحَاثِ !

فَيَا سُبحَانَ الله ! كَيفَ تَتَخَبَّطُ عُقُولُهُم ؟ وَوَاحَسرَتَاهُ عَلَى بَعضِ مَن سِيْمَ بِالخَيرِ وَتَبِعَهُم في ذَلِكَ، نَسأَلُ الله السَّلامَةَ وَالعَافِيَة.

هَذَا وَمِنَ الإنصَافِ أَيضاً؛ القَوْلُ بأَنَّ هُنَاكَ ثُلَّةً مِنَ الأَطِبَّاءِ، وَازِعُ الخَوفِ مِنَ الله عِندَهُم كَبِيرٌ؛ فَيعلَمُونَ قُصُورَ طِبِّهِم، وَعَقَاقِيرِهِم في عِلاجِ الرُّوحَانِيَّاتِ؛ فَمَا يَكُونُ قَولُهُم لِبَعضِ المَرْضَى - حِرْصاً عَلَى عَدَمِ تَضيِيعِ الوَقتِ في سُلُوكِ طَرِيقٍ خَاطِئٍ، وغَيرِ نَاجِعٍ - إِلَّا: «انظُرُوا لِمَنْ يَخْشَى اللهَ، وَذِي دِيَانَةٍ مَتِينَةٍ؛ فَاذهَبُوا لَهُ؛ فَمَا عِلاجُكُم إِلَّا بِالقُرآنِ؛ أَمَّا في طِبِّنا فَلا» فَمَا أَحوَجَنَا إِلَىٰ هَذِهِ الفِئَةِ النَّادِرَةِ في المُجتَمَعِ الصَّادِقَةِ النَّاصِحَةِ.(١)

يقول العَالِمُ الرَّبَّانِيُّ؛ طَبِيبُ القُلُوبِ وَالأَبدَانِ ابنُ قَيِّمِ الجوزِيَّةِ رَحِمَهُ اللهُ: «إِنَّ التَّفَاوُتَ الَّذِي بَينَ الرُّسُلِ، وَبَينَ أَربَابِ هَذِهِ المعقُولاتِ، أَعظَمُ بِكَثِيرٍ مِنَ التَّفَاوُتِ الَّذِي بَينَ هَؤُلاءِ، وَبَينَ أَجهَلِ النَّاسِ عَلَى الإطلاقِ؛ فَإِنَّ هَذَا الجَاهِلَ يُمكِنُهُ مَعَ الطَّلَبِ وَالتَّعلِيمِ أَن يَصِيرَ عَالِمَاً بِمَا عِندَ هَؤُلاءِ، وَلا يُمكِنُ أَشَدَّ هَؤُلاءِ حِرصاً، وَذَكَاءً، وَقُوَّةً، وَفَرَاغاً أَن يَصِيرَ نَبِياً؛ فَإِنَّ النُّبُوَّةَ خَاصَّةٌ مِنَ الله يَختَصُّ بِهَا مَن يَشَاءُ مِن عِبَادِهِ، لا تُنَالُ بِكَسبٍ، وَلا بِاجتِهَادٍ، فَإِذَا عَلِمَ الإنسَانُ بِعَقلِهِ أَنَّ هَذَا الرَّسُولَ، وَعَلِمَ أَنَّهُ أَخبَرَ بِشَيءٍ، وَوَجَدَ في عَقلِهِ مَا يُنَافِي خَبَرَهُ؛ كَانَ الوَاجِبُ عَليهِ أَن يُسَلِّمَ لِمَا أَخبَرَ بِهِ الصَّادِقُ الَّذِي هُوَ أَعلَمُ مِنهُ، وَيَنقَادَ لَهُ، وَيَتَّهِمَ عَقله، وَيَعلَمَ أَنَّ عَقله بِالنِّسبَةِ إِلَيهِ أَقَلُّ مِن عَقلِ أَجهَلِ الخَلقِ بِالنِّسبَةِ إِلَيهِ هُوَ، وَأَنَّ

---

(١) وكذا هو واجبٌ على الرقاة؛ فيجب عليهم امتثال ذلك، في الإرشاد السليم إن وُجِد ثمَّة مرض حسي لعلاجه في الطبِّ، وأن يسارعوا في إرشاد المريض لسرعة علاجه عند الطبيب، فالمسألة دينٌ وأمانة .

التَّفَاوُتَ الَّذِي بَيْنَهُمَا فِي العِلمِ، وَالمعرِفَةِ بِاللَّهِ، وَأَسمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَأَفعَالِهِ، وَدِينِهِ، أَعظَمُ بِكَثِيرٍ مِنَ التَّفَاوُتِ الَّذِي بَينَ مَن لا خِبرَةَ لَهُ بِصِنَاعَةِ الطِّبِّ، وَمَن هُوَ أَعلَمُ أَهلِ زَمَانِهِ بِهَا؛ فَيَا للهِ العَجَبُ إِذَا كَانَ عَقلُهُ يُوجِبُ عَلَيهِ أَن يَنقَادَ لِطَبِيبٍ يَهُودِيٍّ[1] فِيمَا يُخبِرُ بِهِ مِن قُوَى الأَدوِيَةِ، وَالأَغذِيَةِ، وَالأَشرِبَةِ، وَالأَضمِدَةِ، وَالمُسَهِّلاتِ، وَصِفَاتِهَا، وَكَمِّيَّاتِهَا، وَدَرَجَاتِهَا، مَعَ مَا عَلَيهِ فِي ذَلِكَ مِنَ الكُلفَةِ، وَالأَلَمِ، وَمُقَاسَاةِ المكرُوهَاتِ؛ لِظَنِّهِ أَنَّ هَذَا اليَهُودِيَّ أَعلَمُ بِهَذَا الشَّأنِ مِنه، وَأَنَّهُ إِذَا صَدَّقَهُ كَانَ فِي تَصدِيقِهِ حُصُولُ الشِّفَاءِ وَالعَافِيَة، مَعَ عِلمِهِ بِأَنَّهُ يُخطِئُ كَثِيراً، وَأَنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ لا يَشفَى بِمَا يَصِفُهُ الطَّبِيبُ، بَل يَكُونُ استِعمَالُهُ لِمَا يَصِفُهُ سَبَباً مِن أَسبَابِ هَلاكِهِ، وَأَنَّ أَسبَابَ الموتِ أَغلاطُ الأَطِبَّاءِ؛ فَكَم لَهُم مِن قَتِيلٍ أَسكَنُوهُ المقَابِرَ؛ بِغَلَطِهِم وَخَطَئِهِم[2].

---

(١) ظنّاً منه التقدم العلمي الحضاري، والعمق المعرفي الطبي، وما علم المسكين أن القوم لا يؤمنون بهذه الأمراض، وفاقد الشيء لا يعطيه ! فكيف نُحَكِّمُ فينا من لا يعرف عللنا ؟ يقول الفيروز آبادي رَحِمَهُ اللهُ في تفسيره : «ومن الأمور الموجبة للغلط أن يُمتهن العلم بابتذاله إلى غير أهله، كما اتفق في علم الطب فإنه كان في الزمن القديم حكمةً مَوروثة عن النبوة، فهزل حتى تعاطاه بعض سفلة اليهود فلم يتشرَّفوا به بل رذل به». نقلاً عن «المجموعة العلمية، رسالة التعالم وأثره على الفكر والكتاب» للعلّامة بكر أبو زيد رَحِمَهُ اللهُ (٥٤).

وأما بعض المسلمين فتجد تحصيله ملوثاً من كتبهم وآرائهم – إن لم يتخلَّ عن ما يخالف شرع ربه – ويالله تجده في أَنَفَة وعزة عن التخلِّي عنها ! وكيف يتخلى عن هذه الأفكار المنحرفة فيُعرَف عنه أنه لا يَعرف تشخيص حالات الناس النفسية هذا عجاب !! فانظر إلى تخبطهم على حساب المسلمين والمسلمات ؟! وهذا كله فيما يعارض شرع ربنا وأما ما يوافقه فلا بأس بأخذه والتقدم فِيْهِ عليهم، وانظر في ذلك «العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير» (٣/ ١١٣٩) ففيه بيانُ كيف قَبِلَ النبي ﷺ من الكفرة ما لا يخالف شرع ربنا جلَّ في علاه . والله أعلم .

(٢) وتأمل في أخطاء الأطباء في بلاد الغرب في الأمراض الحسية الظاهرة مع ما هم فِيْهِ من التقدم العلمي وتكنولوجيا الطب ! فكيف سيكون أمرهم مع الأمراض النفسية الخفية ؟؟! وفي مقال لهيئة الإذاعة البريطانية «القسم العربي» بي بي سي أون لاين . في تاريخ ٢٠/ ٣/ ٢٠٠٠م تشير مجلة بريطانية مختصة بالشؤون الطبية إلى أن عدداً قد يصل إلى ثلاثين ألف شخص يتوفون سنوياً في بريطانيا بسبب أخطاء طبية . ودعت المجلة إلى إعادة النظر في إجراءات السلامة الطبية وإلى مزيد من التدريب للأطباء للتقليل من أخطاء الأطباء، والوصول بها إلى حد أخطاء الطيارين أو عمال المحطات النووية. وأوضح محرر المجلة

ريتشارد سميث في حديث لهيئة الإذاعة البريطانية : أن عدد المتضررين سيرتفع إذا ما أضيف إليه من يعانون من عواقب وخيمة من جراء تلك الأخطاء دون أن تصل بهم إلى حد الوفاة، موضحاً أن تلك النسبة قدرت مقارنة بالنسب الأمريكية التي تصل إلى حد مئة ألف شخص هناك يتوفون نتيجة أخطاء يمكن تجاوزها، وقد أدت هذه الأرقام - حسب تصريحاته - إلى ذعر في الولايات المتحدة وذلك أنه يفوق مجموع عدد من يتوفى أو يصاب نتيجة حوادث السيارات والطائرات والانتحار أو التسمم أو الغرق أو السقوط من الأماكن الشاهقة، ونبه الدكتور سميث إلى عدم إلقاء اللوم بشكل تلقائي على الأطباء وحدهم موضحاً أن الأخطاء ليست دائماً بسببهم بل إنها قد تحدث بسبب الطاقم الطبي المساعد للطبيب في المستشفيات والعيادات داعياً إلى إعادة النظر في النظام برمته. وتدعو المقترحات المقدمة إلى تحسين التدريب في بعض المجالات كصور الأشعة وتطوير آليات جديدة لتخفيف عبء اتخاذ القرارات عن الأطباء وحدهم، وتدعو مقالات طرحت في المجلة إلى أهمية إحداث تغيير في السلوك وثقافة العمل داخل العاملين في القطاع الطبي بحيث يركز النظام الجديد على الإقرار بالأخطاء بشكل طوعي دون خوف من توجيه توبيخ عليها، ويرى رئيس إحدى الهيئات الطبية أن من المستحيل افتراض عدم وقوع هذه الأخطاء مستقبلاً إلّا أنه من الممكن تجنبها قدر الإمكان . اهـ.

وفي تاريخ : ١٨/ ٥/ ٢٠٠٠م جنيف - ا.ف.ب : أعلنت وزيرة الصحة الأمريكية دونا شلالًا أن حوالي ٩٨ ألف شخص يتوفون سنوياً في الولايات المتحدة نتيجة الأخطاء الطبية التي تعتبر ثامن سبب للوفيات فيها . وقالت شلالا خلال ندوة عقدت في جنيف في إطار الجمعية الصحية العالمية، أعلى هيئة في منظمة الصحة العالمية: «إن صانعي السيارات لا يسمحون بهذه النسبة من الأخطاء الطبية التي نرتكبها» . وأضافت «يجب أن تشكل هذه القضية وسيلة لتحسين مستوى العناية الصحية عموماً» موضحة أن الولايات المتحدة بدأت بتطبيق خطة هدفها تحسين العناية الصحية لتقلل الأخطاء الطبية التي يمكن أن تشمل حالات لمرضى أعطوا أدوية غير مواتية. ويفيد تقرير لمعهد الطب أن أقل التقديرات الخاصة بالأخطاء الطبية تفوق معدلات الوفيات السنوية بسرطان الثدي أو الإيدز في الولايات المتحدة . وقال مدير الوكالة الأمريكية للأبحاث وتحسين الرعاية الصحية جون ايزنبرج إنه «بالرغم من أن الولايات المتحدة تقدم أفضل عناية صحية في العالم، فإنَّ مستوى الأخطاء الطبية فيها مرتفع بصورة غير مقبولة بتاتاً» . وقالت شلالا: إن بلادها مستعدة للتعاون عبر منظمة الصحة العالمية مع الدول الأخرى الراغبة في تقليل الأخطاء الطبية «فتأمل أخي الكريم : هذا عند الغرب مع التقدم العلمي فكيف هو حال أطبائنا اليوم ؟؟ إلى الله المشتكى ! والله المستعان (نقلاً بتصرف من موقع شيخنا أبي حمد نفع الله به «لقط المرجان في علاج العين والسحر والجان» .

ويقول شيخنا العلامة الدكتور عمر الأشقر أطال الله في عمره : «**مِيزَةُ العلاج الرباني إن لم ينفع ـ لأمر الله ـ فلا يضر، وفيه خير كبير بخلاف الأدوية والعقاقير، فلها تأثيرات جانبية معروفة**» .

قلتُ : وإن أنكرها، أو راوغ الأطباء النفسانيون من خلال تعميتها عن العباد؛ فالله بالمرصاد .

صَلَواتُ الله وَسَلامُهُ عَليهِم، وَهُم الصَّادِقُونَ المُصَدَّقُونَ، وَلا يَجُوزُ أَن يَكُونَ خَبَرُهُم عَلَى خِلافِ مَا أَخْبَرُوا بِهِ، وَالَّذِينَ عَارَضُوا أَقوَالَهُم بِعُقُولِهِم؛ عِندَهُم مِنَ الجَهلِ، وَالضَّلالِ المُرَكَّبِ وَالبَسِيطِ، مَا لا يُحصِيهِ إِلَّا مَن هُوَ بِكُلِّ شَيءٍ مُحِيطٍ »[1].

وَيقول ابنُ أَبِي جَمرَة رَحِمَهُ اللهُ ـ مِن شُرَّاحِ صَحِيحِ البُخَارِيِّ ـ بَعدَ شَرحِهِ لِحَدِيثِ قَولِ النَّبِيِّ ﷺ لأَخِي الرَّجُلِ الَّذِي يَشتَكِي وَجَعَ بَطنِهِ «اسقِهِ عَسَلاً » :

«تَكَلَّمَ نَاسٌ فِي هَذَا الحَدِيثِ وَخَصُّوا عُمُومَهُ، وَرَدُّوهُ إِلَىٰ قَولِ أَهلِ الطِّبِّ وَالتَّجرِبَةِ ! وَلا خِلافَ بِغَلَطِ قَائِلِ ذَلِكَ؛ لأَنَّا إِذَا صَدَّقنَا أَهلَ الطِّبِّ، وَمَدَارُ عِلمِهِم غَالِباً عَلَى التَّجرُبَةِ الَّتِي بِنَاؤُهَا عَلَى الظَّنِّ غَالِبٌ؛ فَتَصدِيقُ مَن لا يَنطِقُ عَن الهَوَى أَولَى بِالقَبُولِ فِي كَلامِهِم»[2].

وَاليَومَ تَجِدُ مَصَائِبَ غَالِبِ الأَطِبَّاءِ النَّفسِيِّينَ مَستُورَةً، وَأَخطَاءهُم مَغفُورَةً! فِي حِينِ يَكِيلُونَ لِكُلِّ الرُّقَاةِ ـ وَفِيهِم الثِّقَاتُ الدُّعَاةُ إِلَىٰ الله ـ التَّسفِيهَ، وَالتَّجهِيلَ، وَالزَّعمَ بِالأَخذِ عَلَى أَيدِيهِم !! وَقَانَا اللهُ فَسَادَ عُقُولِهِم وَعَقَاقِيرِهِم، وَكَفَى المسلِمِينَ سُوءَ فِعَالِهِم.

❑ ❑ ❑

---

(١) «الصواعق المرسلة» (٣/ ٨٢٢) .

(٢) «عون الباري لحلِّ أدلة البخاري» للقِنَّوْجِي : (٦/ ٧١)

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ في «المجموع» (٢١/ ٥٦٥) حين تكلم عن أوجه عدم الضرورة في التداوي: «**وثالثها : أنَّ الدواء لا يُستَيقَن بل وفي كثير من الأمراض لا يظن دفعه للمرض**» اهـ .

وقال شيخنا الدكتور أحمد بن سعيد حوّى حفظه الله : «لعل قول السلف رحمهم الله باستحباب التداوي؛ **لأنه كان عِلماً ظنياً كثير الخطأ**، أما اليوم فقد يجب التداوي ـ إن ثبتَ صحة نفعه ـ ولعل بعض الأحاديث الآمرة تُرَجِّحُ ذلك، والله أعلم» .

المطلبُ الرَّابعُ : شُرُوطُهَا

أَجمَعَ العُلَمَاءُ رَحِمَهُمُ اللهُ أَنَّ الرُّقيَةَ حَتَّى تَكُونَ شَرعِيَّةً صَحِيحَةً، يَجِبُ أَن تَتَوَفَّرَ فِيها جُملَةٌ مِنَ الشُّرُوط، وَقَد أَتبَعتُهَا بِأَقوَالِ أَهلِ العِلْمِ في ذَلِكَ.

أَمَّا الشُّرُوطُ فَهِيَ :

أَوَّلاً : شَرعِيَّةُ المَصْدَرِ؛ أَي : أَنْ تكُونَ الرُّقيَةُ بِكَلامِ اللهِ تَعَالىٰ، أَو بِأَسمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، أَو بِأَدعِيَةِ السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ الصَّحِيْحَةِ.

ثَانِياً: سَلامَتُهَا مِمَّا يُخِلُّ بِصَحِيحِ الاعتِقَادِ؛ أَي : أَنْ لا تَكُونُ الرُّقيَةُ بِالأَلْفَاظِ المَجهُولَةِ، وَالمُطَلْسَمَةِ، وَالتَّمْتَمَاتِ الَّتِي يَقُولُهَا المُشَعوِذُونَ، وَالدَّجَّالُونَ، وَالسَّحَرَةُ.

وَأَنْ لا تَكُونُ مِنْ أَصحَابِ الشُّبُهَاتِ البَاطِلَةِ؛ كَمَن يَستَعِينُ بِالجِنِّ، وَلَو زَعَمَ بِإسلامِهِ[1]؛ فعَنْ عَوفِ بنِ مَالِكٍ الأَشجَعِيِّ قال : كُنَّا نَرقِي في الجَاهِلِيَّةِ؛ فَقُلنَا: يَا رَسُولَ الله، كَيفَ تَرَى في ذَلِكَ ؟

---

(١) مسألة الاستعانة بالجنِّ أو ـ الرُّوحانيَّات ـ غَدت في عصرنا أكذوبة عريضة لكل من سلك هذا الباب، وقَصْدُهم في ذلك: إظهار القدرة على العلاج وأنَّ لديهم ما تميَّزوا به عن غيرهم، وهذا باطلٌ وتَدْجِيلٌ على النَّاس ولو كان من أصحاب الرقية الشرعية الصحيحة، والزعم بأنه «مسلم» يحتاج إلى دليل ولا دليل ؟ وأنَّى بالدَّليل عن طريق الكذوب ؟!

وقد حاججتُ بعضهم : فذاك يقول : أستَفِدْ منهم لغرض معرفة دينهم ولَوْنِهم؛ لأعرف ما أقرأ عليهم!

وآخر يقول : حتى أتعرَّف على مكانهم في الجسد!

وآخر : قلتُ له : مُرْ لي صاحبك الجني ليساعدني في أمرٍ ما، وتكسب وإيَّاه أجراً، فقال : لأنك لا تُؤمن بهذا لا يقدر على مساعدتك !!

ألا فَلْيتَّقِ اللهَ الرقاة قبل غيرهم، فذا أمرٌ غير محمود، والحُجَّة فيه كتاب ربِّنا وسنَّة نبيِّنا ﷺ، ولم يَأتِ دليلٌ في الكتاب ولا في السُّنة الصحيحة، ولم يُؤثر في القُرون الثلاثة الأُولى عن أحدهم أنه استعان بالجنِّ في العلاج، فإذا ثبت هذا، **فإنه يدلُّ دلالة قاطعة على حُرْمة القول بجواز الاستعانة بالجنِّ في العلاج**، ومن زعم بجواز ذلك فهو مُبطِلٌ مخالِفٌ للكتاب والسُّنة وهدي جمهور الأمَّة، وهو بعدُ مدخلٌ خطير، ومزلق كبير للإشراك بالله تعالى؛ إذ في الاستعانة بهم على أمر غيبي نوع شرك، صاننا الله والمسلمين من كلِّ فِتْنةٍ وشُبْهةٍ مُضلَّة .

فَقال : «اعرِضُوا عَلَيَّ رُقَاكُم، لَا بَأسَ بِالرُّقَى مَا لَمْ يَكُن فِيْهِ شِركٌ»[1].

ثَالِثَاً: أن يُعتَقَدَ بأنَّ الرُّقيَةَ لا تُؤَثِّرُ بذَاتِها، وَأَنَّ اللهَ هُوَ الشَّافي وَحدهُ، وَمَا هِيَ وَالرَّاقِي إلَّا سَبَبٌ.

رَابعَاً: أن تَكُونَ باللِّسَانِ العَرَبِيِّ، أَو بِمَا يُعرَفُ مَعنَاهُ؛ سَدّاً لِذَرِيعَةِ دُخُولِ مَا لا يُفهَمُ، وَخَشيَةَ كَونِهِ كُفْراً.

خَامِساً: في حَالِ كَونِهَا مَكتُوبَةً بمِدَادٍ؛ فَلا بُدَّ أَن تُكتَبَ عَلَى طَاهِرٍ؛ تَعظِيماً وَصِيَانَةً لِكِتَابِ اللهِ تَعَالَىٰ[2].

أقوَالُ أهلِ العِلمِ في بَيَانِهَا :

قال الرَّبيعُ رَحِمَهُ اللهُ: سَأَلتُ الشَّافِعِيَّ رَحِمَهُ اللهُ عَنِ الرُّقيَةِ فَقال : «لا بَأسَ بِأَنْ يُرقَى بِكِتَابِ اللهِ، وَبِمَا يُعرَفُ مِن ذِكْرِ اللهِ»[3].

وَقال الخَطَّابِيُّ رَحِمَهُ اللهُ : «فَإِذَا كَانَتِ الرُّقيَةُ بِالقُرآنِ، وَبِأَسمَاءِ اللهِ؛ فَهِيَ مُبَاحَةٌ، وَإِنَّمَا جَاءَتِ الكَرَاهَةُ فيمَا كَانَ مِنهَا بِغَيرِ لِسَانِ العَرَبِ؛ فَإِنَّهُ يَكُونُ كُفْراً، أَو قَولاً يَدخُلُهُ شِركٌ»[4].

وَقال الطَّبَرِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «وَإِذَا جَازَ الرُّقى بِالمُعَوِّذَتِينِ، وَهُمَا سُورَتَانِ مِنَ القُرآنِ، كَانَتِ الرُّقيَةُ بِسَائِرِ القُرآنِ مِثلَهُمَا في الجَوازِ؛ إذ كُلُّهُ قُرآنٌ»[5].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٢٠٠)

(٢) انظر : «فتح الباري» (١٠/ ١٩٥) و «شرح النووي» (١٤/ ١٦٨) و «شرح الزرقاني» (٤/ ٤١١) و «فيض القدير» (١/ ٥٥٨) و «الدين الخالص» (٢/ ٢٢٦ ط: قطر) و «نيل الأوطار» (٩/ ٩١ و ١٠٥) و «تيسير العزيز الحميد» (١٣٦) و «الموسوعة الفقهية الكويتية» (١٣/ ٢٣).

(٣) «الأم» (٧/ ٢٢٨).

(٤) «أعلام الحديث» (٢/ ١١١٢).

(٥) ذكره عنه القرطبي في «الجامع لأحكام القرآن» (١٠/ ٣١٨) وابن بطال في «شرح البخاري» (٩/ ٤٢٩)

قال شيخنا الدكتور عمر الأشقر أسبغ الله عليه العافية: كلام الإمام الطبري فيه نظر؛ إذ ينبغي التفريق بين الآيات التي جاءت في الحديث عن الله تعالىٰ و أسمائه وصفاته، وما فيها من الرحمة والشفاء

وقال ابنُ عَبدِ البَرِّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأَمَّا طَرْدُ الشَّياطِينِ بِالتِّلاوَةِ، وَالذِّكرِ، وَالأَذَانِ؛ فَمُجتَمَعٌ عَليهِ مَشهُورٌ فِي الآثَارِ »[1].

وَقال النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأَمَّا الرُّقى بِآيَاتِ القُرآنِ، وَبِالأَذكَارِ المعرُوفَةِ؛ فَلا نَهيَ فِيهِ، بَل هُوَ سُنَّةٌ »[2].

وَقال البَغَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ : «فَأَمَّا مَا كَانَ بِالقُرآنِ، وَبِذِكرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ؛ فَإِنَّهُ جَائِزٌ مُستَحَبٌ »[3].

وقال شَيخُ الإِسلامِ ابنُ تَيمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «نَهَى عُلَمَاءُ الإِسلامِ عَن الرُّقى الَّتِي لا يُفقَهُ مَعنَاهَا؛ لأَنَّهَا مَظِنَّةُ الشِّركِ، وَإِن لَم يَعرِفُ الرَّاقِي أَنَّهَا شِركٌ »[4].

فَـ «الرُّقى وَالتَّعَاوِيذُ مَحمُولَةٌ أَيضاً عَلَى ذَلِكَ، أَو عَلَى مَا إِذَا كَانَت بِغَيرِ لِسَانِ العَرَبِ وَلا يَدرِي مَا هِيَ، وَلَعَلَّهُ يَدخُلُهَا سِحرٌ، أَو كُفرٌ، أَو غَيرُ ذَلِكَ مِمَّا لا يُعرَفُ مَعنَاهُ؛ فَإِنَّهَا حِينَئِذٍ حَرَامٌ.

صَرَّحَ بِهِ الخَطَّابِيُّ، وَالبَيهَقِيُّ، وَابنُ رُشدٍ، وَالعِزُّ بنُ عَبدِ السَّلامِ، وَجَمَاعَةٌ مِن أَئِمَّةِ الشَّافِعِيَّةِ، وَغَيرِهِم.

وَقال فِي «الشَّرحِ الصَّغِيرِ» : «لا يُرقَى بِالأَسمَاءِ الَّتِي لَم يُعرَفْ مَعنَاهَا.
قال مَالِكٌ : وَمَا يُدرِيكَ لَعَلَّهَا كُفرٌ »[5].

❑ ❑ ❑

=

والسكينة للأمراض، وبين آيات التشريع والأحكام؛ فالأُولى تأثيرها أكبر بلا شكٍّ، وفيها الشفاء والرحمة، بخلاف الثانية آيات التشريع والأحكام ففيها الهدى والبيان . والله أعلم .

(١) «التمهيد» (١٩ / ٤٦) .

(٢) «شرح مسلم» (١٤ / ٣٩٢) .

(٣) «شرح السنة» (١٢ / ١٥٩) .

(٤) «إيضاح الدَّلالة في عموم الرسالة» انظر : «الرسائل المنيرية» (٢/ ١٠٣)

(٥) ينظر : «الموسوعة الفقهية» (١٣ / ٢٤) .

المطلبُ الخَامِسُ : كَيفِيَّةُ الرُّقيَةِ

قَبلَ أنْ تَشرَعَ في الرُّقيَةِ عَلَى نَفسِكَ أو عَلَى غَيرِكَ، ضَع يَدَكَ عَلَى مَوضِعِ الأَلَمِ خَاصَّةً، أَو عَلَى الرَّأسِ والصَّدرِ عَامَّةً [1]، وَابدَأْ بِتَرتِيلِ الرُّقيَةِ بِإظهَارِ صَوتِكَ النَّدِيِّ [2] بِخُشُوعِ قَلبٍ، وَحُضُورِ فِكْرٍ، نَاوِياً طَلَبَ الشِّفَاءِ والعَافِيَةِ وَرَفعِ البَأسِ والضُّرِّ مِنَ اللهِ تَعَالى .

---

(١) مسألة وضع اليد على الجسد للرجال وللمحارم من النساء ــ فقط ــ عظيمةُ المنفعة والتأثير، ولقد بَوَّب البخاري في «صحيحه» في كتاب المرضى : باب وضع اليد على المريض (٥٢٢٧) وكذا النَّسائيُّ في «الكبرى» (٤/ ٣٦٧) فقال : (مسح الراقي الوجع بيده اليمنى)، والبيهقي في «الكبرى» (٣/ ٣٨١): عن عائشة بنت سعد أنَّ أباها قال : تشكَّيت بمكة شكوى شديدة، فجاءني النبي ﷺ يعودني فقلت : يا نبي الله، إني أترك مالاً وإني لم أترك إلَّا ابنة واحدة، فأوصي بثلثي مالي وأترك الثلث؟ فقال : لا. قلت : فأوصي بالنصف وأترك النصف؟ قال : لا. قلت : فأوصي بالثلث وأترك لها الثلثين؟ قال : الثلث والثلث كثير، ثم وضع يده على جبهتي ثم مسح يده على وجهي وبطني، ثم قال : «اللهم اشف سعداً وأتمم له هجرته» فما زِلت أجد برده على كبدي ــ فيما يخال إليَّ ــ حتى الساعة» .

قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «فيه استحبابُ مَسح المريض باليمين، والدعاء له، وقد جاءت فِيْهِ روايات كثيرة صحيحة» «شرح مسلم» (١٣/ ٣٥١) وانظر «عمدة القاري للعيني» (٢١ / ٣٩٠) .

ويقول ابنُ بطَّال رَحِمَهُ اللَّهُ: في فائدة وضع اليد، كما حكاه عنه الحافظ في «الفتح» (١٣ / ٣٤ ط: طيبة) : «وضع اليد على المريض تأنيسٌ له وتعرُّف لشدة مرضه؛ ليدعو له بالعافية على حسب ما يبدو له منه، وربما رقاه بيده ومسح على ألمه بما ينتفع به العليل إذا كان العائد صالحاً . قلتُ (ابن حجر) : وقد يكون العائدُ عارفاً بالعلاج؛ فيعرف العلة فيصف له ما يناسبه» .

وتأمَّل كيف يكون وضع اليد على الغضبان، يقول ابن قيم الجوزية رَحِمَهُ اللَّهُ : «علاج تأثير النفس الغضبية في تسكين غضبها وإطفاء ناره، بوضع يدك عليه، والمسح عليه، وتسكين غضبه» . «زاد المعاد» (٤/ ١٧١) وانظر في «مفتاح دار السعادة» (٢/ ٢٢٩) كيفية معرفة الحال من خلال اليد ووضعها على الجسد؛ ففيها قصة طريفة .

(٢) وفي إظهار الصوت جملة من الفوائد :

أولها : وهي أهمُّها، حتى يُميِّز المريضُ بين الراقي بالقرآن والسُّنة وبين المشعوذ الذي يتلو الطلاسم والأقسام والاستغاثات الشركية؛ فحين يسمع الرقية كاملة ويجدها بالقرآن والسُّنة، يطمئن قلبه ويثق بالراقي .

وثانيها : أن المريض إذا سمع القرآن لا سيَّما إذا كان بصوت نديٍّ كان ذلك أدعى للسكينة واطمئنان قلبه، ولتشنيف سمعه وهذا لما للقرآن من عظيم الأثر على ما يُقرأ عليه والله تعالى يقول : ﴿ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ (الرعد:٢٨)، وهذا يشمل أيضاً غير المريض ممن هم حوله فينتفعون .

وثالثها : تعليم المريض كيف يرقي نفسه وأهله، وفيها تصحيح تلاوته من اللَّحن والخطأ .

وَيَنبَغِي عَلَيكَ في حَالِ رُقيَتِكَ أن تُكَرِّرَ مَا تَرَاهُ مُنَاسِباً[1]، وأَهَمِّيَّةُ التِّكرَارِ في العِلاجِ نَاجِعٌ في بَعضِ الأَحَايِينِ، وَهَذا يَعُودُ لِمَعرِفَةِ نَوعِيَّةِ المَرَضِ وَصِحَّةِ التِّكرَارِ مِن عَدَمِهِ، أَرَأَيتَ كَيفَ كَانَ الصَّحَابِيُّ ﷺ يُكرِّرُ الفَاتِحَةَ في رُقيَتِهِ عَلَى اللَّدِيغِ وَيَقتَصِرُ عَلَيهَا؛ فَحِكمَةُ التَّكرَارِ لَهَا سِرٌّ عَظِيمٌ، وَتَأثِيرٌ عَجِيبٌ، وَقَلَّ أَن يَفقَهَهُ إِلَّا مَن فَتَحَ اللهُ عَليهِ.

وَقَال المُبَارَكفُورِيُّ رَحِمَهُ اللهُ في تَعلِيقِهِ عَلَى قَولِ عُثمَانَ بنَ العَاصِ ﷺ: «فَلَم أَزَلْ آمُرُ بِهِ أَهلِي وَغَيرَهُم»:

لأَنَّهُ مِنَ الأَدوِيَةِ الإلهِيَّةِ، وَالطِّبِّ النَّبَوِيِّ، لِمَا فِيْهِ مِنْ ذِكْرِ اللهِ، وَالتَّفوِيضِ إِلَيهِ، وَالاستِعَاذَةِ بِعِزَّتِهِ وَقُدرَتِهِ، وَتَكرَارُهُ يَكُونُ أَنجَحَ، وَأَبلَغَ، كَتَكرَارِ الدَّوَاءِ الطَّبِيعِيِّ لاستِقصَاءِ إِخرَاجِ المادَّةِ، وَفي السَّبعِ خَاصِّيَّةٌ لا تُوجَدُ في غَيرِهَا »[2]

وَتَأَمَّل وَصِيَّةَ النَّبِيِّ ﷺ في العَسَلِ، وَتَكرَارَ الوَصِيَّةِ بِهِ لِلَّذِي جَاءَهُ يَشتَكِي بَطنَ أَخِيهِ، يقول أَبُو الطَّيِّبِ القِنَّوْجِي رَحِمَهُ اللهُ: في قَولِهِ ﷺ لِلرَّجُلِ : «اسقِهِ عَسَلاً» : «لأَنَّهُ لَمَّا تَكَرَّرَ استِعمَالُ الدَّوَاءِ قَاوَمَ الدَّاءَ؛ فَأَذهَبَهُ؛ فَاعتِبَارُ مَقَادِيرِ الأَدوِيَةِ وَكَيفِيَّاتِهَا، وَمِقدَارِ قُوَّةِ المَرَضِ وَالمَرِيضِ مِن أَكبَرِ قَوَاعِدِ الطِّبِّ »[3]

---

(١) أغربَ بعض الرقاة هداهم الله فأخذوا يذكرون أعداداً كبيرة وغريبة جداً في الشفاء، وهذا غير صحيح فلم يرد التكرار في الأدعية إلّا ثلاثاً أو سبعاً، ومن شاء التكرار فله ذلك بَيدَ أنه لا يُقَدِّره ويحدده بعدد معين. وبهذا تعلم خطأ ما يذكر في بعض الكتب مثلاً : قراءة آية الكرسي (١٠٠١)؟! أو سورة الفلق لفك السحر ٧٧٧ أو لمحبة الزوجين «وألف بين قلوبهم ..» الآية (١٢١) .. أو مضاعفات العدد سبع ! وربما قالوا بترديد أسماء الله الحسنى مئات المرات ؟! إن لم تصل آلافاً ؟!! وغيرها الكثير مما تعلم أنه لا صحة لهذا سوى التقدير، وغلبة الظن عنده أصابت مرة بتجربة فاتخذها شرعةً، وأخفقت مرات فأغفلها !

ولست أدري هل سيبقى الراقي متدبراً فيما يقرأ أو سيتابع العدَّ حتى ينتفع بالرقم المُعيَّن ؟ وإذا أخطأ العدَّ هل يرجع أو ماذا ؟ فإلى الله المشتكى.

(٢) «تحفة الأحوذي» (٦ / ٢١٢)

(٣) «عون الباري لحل أدلة البخاري» (٦ / ٧٠) وأصله في «زاد المعاد» (٤ / ٣٥) .

ويقُولُ سَمَاحَةُ الشَّيخ عَبدِ العَزِيزِ بنِ بَازٍ رَحِمَهُ اللهُ: «وَهَكَذَا قِرَاءةُ الفَاتِحَةِ عَلَى المرِيضِ واللَّدِيغِ مِن أَعظَمِ أَسبَابِ الشِّفَاءِ وَلا سِيَّما مَعَ التِّكرَارِ لِذَلِكَ بِصدقٍ وَإخلاَصٍ لله سُبحَانَهُ في طَلَبِ الشِّفَاءِ مِنهُ، وَالإِيمَانِ الصَّادِقِ بِأَنَّهُ سُبحَانَهُ هُوَ الشَّافي، لا يَقدِرُ عَلَى الشِّفَاءِ مِن جَمِيعِ الأَمرَاضِ غَيرُهُ عَزَّ وَجَلَّ»[1].

وَفيمَا يَلي تَقسِيمُ الأَمرَاضِ وَذِكرُ عِلاجِهَا وَالتَّحصُّنِ بِهَا عَلَى وَجْهِ الإيجَازِ وَالاختِصَارِ، وَلْيُعلَمَ بِأَنَّ الأَمرَاض عِلاجُهَا يَكُونُ بِأَمرَينِ :

الأَوَّلُ : **بِالدَّفعِ**؛ أَي : بِدَفعِهَا وَطَردِهَا قَبْلَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الجَسَدِ، وَذَلِك بِالطَّاعَاتِ، وَالأَورَادِ النَّبَوِيَّةِ الشَّرْعِيَّةِ، وَمِنَ المأكُولاتِ؛ تَمرُ العَجوَةِ، وَهذِهِ التَّحصِينَاتُ.

والثَّانِي: **بِالرَّفعِ**؛ وَهِي بَعدَ أن يُقَدِّرَ اللهُ ذَلِك بِقَدَرِهِ الكَونِيِّ؛ فَتُصِيبُ الإنسَانَ، فَإِذا كَانَتْ؛ فَالعِلاجُ يَكُونُ كَالتَّالي :

❑ ❑ ❑

(١) «مجموع فتاوي ومقالات متنوعه» (١ / ٢١٤).

❑ **أَوَّلاً: مَرَضُ السِّحْرِ، وَفيه مَسَائِلُ :**

الأُولَى : بَيَانُ السِّحْرِ وَأَثرِهِ وأَدِلَّتِهِ.

الثَّانِيَةُ : أَعَراضُهُ.

الثَّالِثَةُ: الوِقَايَةُ مِنْهُ.

الرَّابِعَةُ: كَيفِيَّةُ شِفَائِهِ.

❑ **الأُولَى : بَيَانُ السِّحْرِ وَأثرِهِ :**

فِي اللُّغَةِ: الأُخْذَةُ[1]، وَكُلُّ مَا لَطُفَ مَأخَذُه وَدَقَّ فَهُوَ سِحرٌ، وَالجَمعُ أَسحَارٌ.

وَلِذَا تَقُولُ العَرَبُ في الشَّيءِ الشَّدِيدِ الخَفَاءِ : أَخفَى مِنَ السِّحرِ، وَتَصِفُ مَلاحَةَ العَينَينِ بِالسِّحرِ؛ لأَنَّهَا تُصِيبُ القُلُوبَ بِسِهَامِهَا في خَفَاءٍ.

جَعَلْنا عَلامَاتِ المَوَدَّةِ بَيْنَنَا ... مَصَائِدَ لَحظٍ هُنَّ أَخفَى مِنَ السِّحرِ

فَأَعرِفُ مِنهَا الوَصلَ في لِينِ طَرْفِهَا ... وَأَعرِفُ مِنهَا الهَجرَ بالنَّظَرِ الشَّزرِ

وَإِنَّما أَدخَلَ كَثِيراً مِن هَذِهِ الأَنوَاعِ المذكُورَةِ في فَنِّ السِّحرِ؛ لِلَطَافَةِ مَدَارِكِهَا.[2]

قال الأَزهَرِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: وَأَصلُ السِّحْرِ؛ صَرفُ الشَّيءِ عن حَقِيقَتِهِ إِلَىٰ غَيرِهِ؛ فَكَأَنَّ السَّاحِرَ لَمَّا أَرَى البَاطِلَ في صُورَةِ الحَقِّ، وَخَيَّلَ الشَّيءَ عَلَى غَيرِ حَقِيقَتِهِ؛ قَد سَحَرَ الشَّيءَ عن وَجهِهِ؛ أَي صَرَفَهُ.

قال الفَرَّاءُ : في قَولِهِ تَعَالَىٰ : ﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴾ (المؤمنون: ٨٩)، مَعنَاهُ : فَأَنَّى تُصرَفُونَ.

---

(١) التَّأخِيذُ : أن تحتالَ المرأةُ بِحِيَلٍ في منع زوجها من جماع غيرها، وهي أيضاً فُرْقَةٌ . انظر : «لسان العرب» (٣/ ٤٧٣) مادة (أخذ)

(٢) ينظر : «تفسير القرآن العظيم» لابن كثير (١ / ٣٧١) و «أضواء البيان» للشنقيطي (٤/ ٣٣٧) و «عالم السِّحر والشعوذة» لشيخنا العلامة عمر الأشقر (٦٩)

وَيُقَالُ: سَحَرَهُ؛ أَي: خَدَعَهُ. وَسَحَرَهُ بِكَلامِهِ، أَي: استَمَالَه بِرِقَّتِهِ وَحُسنِ تَرْكِيبِهِ. [1]

وَفِي الاصطِلاَحِ : عُرِّفَ السِّحرُ بِتَعارِيفَ عِدَّةٍ، وَالَّذِي يَظهَرُ - وَالعِلمُ عِندَ اللهِ - أَنَّهُ لاَ يَضبُطُهُ ضَابِطٌ؛ لِكَثرَةِ أَنوَاعِهِ، وَتَغَايُرِ أَضرَابِهِ وَأَشكَالِهِ.

يقول الإِمَامُ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «السِّحرُ؛ اسمٌ جَامِعٌ لِمَعَانٍ مُختَلِفَةٍ » [2]

وَقَرِيبٌ مِنهُ قَولُ العَلاَّمَةِ الشِّنقِيطِيِّ رَحِمَهُ اللهُ: «اعْلَم أَنَّ السِّحرَ فِي الاصْطِلاحِ لا يُمكِنُ حَدُّهُ بِحَدٍّ جَامِعٍ مَانِعٍ؛ لِكَثرَةِ الأَنوَاعِ المُختَلِفَةِ الدَّاخِلَةِ تَحتَهُ، وَلاَ يَتَحَقَّقُ قَدرٌ مُشتَرَكٌ بَينَهُا يَكُونُ جَامِعاً لَهَا مَانِعاً لِغَيرِهَا؛ وَمِن هُنَا اختَلَفَت عِبَارَاتُ العُلَمَاءِ فِي حَدِّهِ اختِلافاً مُتَبَايِناً » اهـ. [3]

وللسِّحْرِ اطْلاقَاتٌ أُخْرَى فِي الكِتَابِ والسُّنةِ أيضاً غَيرُ مَا سَبقَ، مِنْها :

العَضْهُ : ومِنْهُ قولُه تَعَالَىٰ : ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ﴾ (الحجر: ٩١)

قال عِكْرِمَةُ رَحِمَهُ اللهُ: «العَضْهُ : السِّحْرُ بِلِسَانِ قُرَيْشٍ، تَقُولُ لِلسَّاحِرَةِ : إنَّهَا العَاضِهَةُ ». [4]

وقَالَ ابنُ الأَثِيرِ رَحِمَهُ اللهُ: «وسُمِّيَ السِّحْرُ عَضْهاً؛ لأَنَّهُ كَذِبٌ وتَخْيِيلٌ لا حَقِيقَةٌ». [5]

---

(١) انظر : في مادة (سحر) : «مفردات ألفاظ القرآن» للأصفهاني (٤٠٠) و «عُمدة الحفَّاظ» للسَّمين الحلبي «٢ / ١٧٧) و «اللسان» (٤/ ٣٤٨) و «الصحاح» (٥٢١)

(٢) «الأم» (١ / ٢٩٣)، وانظر : «الإعلام بقواطع الإسلام» لابن حجر الهيتمي (٢١) .

(٣) «أضواء البيان» (٤/ ٣٣٧)

(٤) «جامع البيان» للطبري (١٤ / ١٣٧)

(٥) «النهاية في غريب الحديث» (٣ / ٢٥٥)

والبَيَانُ : وَمِنْهُ قَولُهُ ﷺ : «إنَّ مِنَ البيانِ لَسِحْراً »[1]

وَمَعْنَاهُ كما قالَ الشُّرَّاحُ : فَالرَّجُلُ يَكُونُ عَلَيْهِ الحَقُّ، وَهُوَ أَلحَنُ بِالحُجَجِ مِنْ صَاحِبِ الحقِّ، فَيَسْحَرُ القَوْمَ بِبَيَانِهِ، فَيَذْهَبُ بِالحقِّ.[2]

وقالَ الخَطَّابِيُّ رَحِمَهُ اللهُ : «البَيَانُ اثْنَانِ : أَحَدُهما : مَا تَقَع بِهِ الإبَانَةُ عَنِ المُرَادِ بِأَيِّ وَجهٍ كَانَ، وَالآخَرُ : مَا دَخَلَتْهُ الصَّنْعَةُ بِحَيْثُ يَرُوقُ لِلسَّامِعِينَ وَيَسْتَمِيل قُلُوبَهُم، وَهُوَ الَّذِي يُشَبَّهُ بِالسِّحْرِ إذَا خَلَبَ القَلْبَ، وَغَلَبَ عَلَى النَّفْسِ، حَتَّى يُحَوِّلَ الشَّيْءَ عَنْ حَقِيقَته، وَيَصْرِفَهُ عَنْ جِهَتِه، فَيَلُوحُ لِلنَّاظِرِ في مَعْرِضِ غَيْرِه. وَهَذَا إذَا صُرِفَ إِلَىٰ الحَقِّ يُمْدَحُ، وَإِذَا صُرِفَ إِلَىٰ البَاطِلِ يُذَمُّ »[3]

وما يُحَدِّدُ أَحدَ هَذِه المعَانِي هُو سِياقُها الَّتِي جَاءتْ بِهِ.

فَإِذَا عَلِمتَ مَا بَيَّنتُهُ لَكَ؛ فَأَطرَحُ آتِياً بَينَ يَدَيكَ مُجمَلَ أَنواعِ السِّحْرِ الَّتِي تَعُودُ تَقَاسِيمُهَا إِلَيهِ[4] :

أَحَدُهَا : مَا لَطُفَ وَدَقَّ ، وَمِنهُ: سَحَرْتُ الصَّبِيَّ: خَادَعتُهُ، وَكُلُّ مَن استَمَالَ شَيئاً فَقَد سَحَرَهُ، وَمِنهُ قَولُه تَعَالىٰ : ﴿لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتۡ أَبۡصَٰرُنَا بَلۡ نَحۡنُ قَوۡمٞ مَّسۡحُورُونَ﴾ (الحجر: ١٥)، أَي : مَصرُوفُونَ عَنِ المعرِفَةِ.

---

(١) البخاري (٥١٤٦) عن ابن عمر رضي الله عنهما .

(٢) «شرح صحيح البخاري» لابن بطال(٩/ ٤٤٧) و«فتح الباري» لابن حجر (١٠/ ٥٤٠) .

(٣) نقله عنه الحافظ في «فتح الباري» (١٠/ ٢٣٧) .

(٤) وانظر في تفاصيل بقية أنواع السحر وتداخلاتها : «فتح الباري» لابن حجر (١٣ / ١٩٨) وعند ابن كثير في «التفسير» (١/ ٣٦٦) و الرازي في «التفسير الكبير» (٣ / ١٨٦) وقد ردَّ على كثير من مسائله الإمام ابن كثير في «تفسيره»، و«الفُروق» للقرافي (٤/ ٢٤٠) في الفرق الثاني والأربعين والمئتين، ففيه تفصيل نفيس جداً عن السحر وأنواعه وما هو كفر أو محرم .و«التحرير والتنوير» لابن عاشور (١/ ٦١٥)، و «أضواء البيان» (٤/ ٣٣٧) للشنقيطي لاسيما تَعقُّباته النَّفيسة .

الثَّانِي : مَا يَقَعُ بِخِدَاعٍ و تَخييلاَتٍ لَا حَقِيقَةَ لَهَا ، نَحو مَا يَفعَلُهُ المُشَعوِذُ مِن صَرفِ الأَبصَارِ عَمَّا يَتَعَاطَاهُ بِخِفَّةِ يَده ، وَإِلَىٰ ذَلِكَ الإشَارَةُ بِقَولِهِ تَعَالَىٰ : ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ (طه: ٦٦).

وَقَولِه تَعَالَىٰ: ﴿سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾ (الأعراف: ١١٦).

فَإِذَا بَدَأَ السَّاحِرُ وَالمُشَعوِذُ عَمَله مِمَّا يَتَعاطَاهُ مِن خِفَّةِ اليَدِ، أَخَذَ عُيُونَ النَّاظِرِينَ ومَوَّهَ وَخَيَّلَ إِلَيهَا، فَسَحَرَهَا بِسُرعَةٍ فَائِقَةٍ، ثُمَّ يُفَاجِئُهُم بِأَمرٍ جَدِيدٍ غيرِ مُتَوقَّعٍ؛ فَيَكُونُ مِنهُم الاندِهَاشُ وَالتَّعَجُّبُ لِمَا صَنَعَ ! وقَد يَستَعِينُ السَّاحِرُ في ذَلِكَ بِمَا يَكُون فِيْهِ خَاصِّيَّةٌ؛ كَالمِغنَطِيسِ، وغَيرِه.

الثَّالِثُ : مَا يَحْصُلُ بِمُعَاوَنَةِ الشَّيَاطِينِ بِضَربٍ مِنَ التَّقَرُّبِ إِلَيهِم ، وَالعَمَلِ عَلَى ضَرَرِ النَّاسِ وَإِغوَائِهِم مِن خِلاَلِهِ، مِن خِلالِ الصَّرفِ أَو العَطفِ، أَو المَرَضِ أَو قِلَّةِ التَّوفِيقِ. وَإِلَىٰ ذَلِكَ الإشَارَةُ بِقَولِهِ تَعَالَىٰ : ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ (البقرة: ١٠٢)

وَهَذَا بَعدَ أَن يَتَقَرَّبَ السَّاحِرُ لَهُم وَيَكفُر بِاللّٰهِ تَعَالَىٰ، وَمِنْ هُنَا عَرَّفَهُ البَعضُ بِقَولِهِم : السِّحرُ : عَمَلٌ يُتقَرَّبُ فِيْهِ إِلَىٰ الشَّيطَانِ، وَبِمَعُونَةٍ مِنهُ.[1]

وَهَذَا النَّوعُ الثَّالِثُ؛ هُوَ المَقصُودُ بِكَلامِنَا هُنَا عَنِ السِّحْرِ وَأَحكَامِهِ، وَهُوَ مَا عَنَاهُ ابنُ قُدَامَةَ رَحِمَهُ اللهُ، حِينَ وَصَفَهُ بِأَنَّهُ : «عُقَدٌ، وَرُقًى وَكَلامٌ يَتَكَلَّمُ بِهِ، أَو يَكتُبُهُ، أَو يَعمَلُ شَيئاً فِي بَدَنِ المسحُورِ أَو قَلبِهِ، أَو عَقلِهِ، مِنْ غَيرِ مُبَاشَرَةٍ لَهُ، وَله حَقِيقَةٌ، فَمِنهُ مَا يَقتُلُ، وَمَا يُمرِضُ، وَيَأخُذُ الرَّجُلَ عنِ امرَأَتِهِ؛ فَيمنَعُهُ وَطْأَهَا، وَمِنهُ مَا يُفَرِّقُ بَينَ المَرءِ وَزَوجِهِ، وَمَا يُبَغِّضُ أَحَدَهُمَا إِلَىٰ الآخَرِ، أَو يُحَبِّبُ بَينَ اثنَينِ»[2]

---

(١) انظر : «تهذيب اللغة» للأزهري (مادة : سحر) وهو من قول الليث . ونقله عنه ابن منظور في «لسان العرب» (مادة سحر) (٤ / ٣٤٨)

(٢) «المغني» (١٠/ ١٠٤)

فَهَذَا النَّوعُ مِنَ السِّحْرِ : هُوَ اتِّفَاقٌ بَينَ سَاحِرٍ وَشَيطَانٍ، عَلَى أَن يَقُومَ السَّاحِرُ بِفِعلِ بَعضِ المُحَرَّمَاتِ أَو الشِّركِيَّاتِ الَّتِي تُطلَبُ مِنهُ مِنْ قِبَلِ الجَانِّ وَالشَّياطِينِ، في مُقَابِلِ مُسَاعَدَتِهم لَهُ وَطَاعَتِهم فيمَا يَطلُبُ مِنهُم.[1]

وَذَلِكَ : بِتكلِيفِ السَّاحِرِ خَادِماً لِلسِّحرِ مِنَ الجِنِّ، يِقُومُ عَلَى ضَرَرِ شَخْصٍ أَو أَذِيَّتِهِ، بِالاجتِهادِ في تَنفِيذِ أَوامِرِ السِّحرِ الَّتِي طُلِبتْ، وَقَد يَزعَمُ السَّاحِرُ العَمَلَ لِلنَّفعِ، وَلِلخَيرِ، وَلِلمَحَبَّةِ، وَلِلرِّزقِ، وَهَذَا بُهتَانٌ عَظِيمٌ، وَاستِخفَافٌ بِعُقُولِ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ؛ فَالسِّحرُ كُلُّه شَرٌّ مَحضٌ لا خَيرَ فِيْهِ أبداً.

وهذا أمرٌ مَشهُورٌ مُستفِيضٌ في عِلْمِ السِّحرِ، وقَدْ صرَّحَ بِهِ كَثيرٌ مِنَ السَّحرةِ الَّذين منَّ الله عَلَيْهِم بالهِدايةِ والرُّجُوعِ إلَيهِ.

وَأَنواعُهُ كَثِيرَةٌ، تَعُودُ لِطَبِيعَةِ الأَوَامِرِ الَّتِي يَطلُبُهَا طَالِبُ السِّحرِ مِنَ السَّاحِرِ؛ لِتُؤَثِّرَ بِإذنِ الله الكَونِيِّ في المسحُورِ.

فَمِنهَا: سِحرُ التَّفرِيقِ بَينَ الرَّجُلِ وَزَوجِهِ خَاصَّةً، وَبَينَ الأَهلِ، وَالأَصحَابِ، وَالشُّرَكَاءِ بِعَامَّةٍ.

وَسِحرُ المرَضِ، وَسِحرُ الرَّبطِ، وسِحرُ الغِوَايَةِ، وَسِحرُ التَّعطِيلِ، وَسِحرُ الجُنُونِ وَالعَتَهِ، وَسِحرُ العُقُوقِ، وغَيرُها، والأَوَامِرُ لا تُحصَى؛ فَاسْمُ السِّحرِ بِأَوَامِرِهِ.

وَقدْ زَعمَ بَعضُ العَقلانِيِّينَ في عَصرِنا عَدمَ صِحَّةِ ذلكَ وأنَّه لا عِلاقةَ بَينَ السِّحرِ والشَّيَاطِينِ، وهذا زَعْمٌ بَاطِلٌ تَردُّه النُّصوصُ الشَّرْعِيةُ، ومِنْها :

ما أخْرجَهُ الشَّيخانِ في «صَحِيْحَيْهِما»، مِنْ حَديثِ عَائشةَ رَضِيَ اللهُ عَنْها : سَأَلَ أُنَاسٌ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنِ الكُهَّانِ ؟

فَقَالَ لهُم رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَيْسُوا بِشَيْءٍ ».

---

(١) انظر : «الصَّارم البتَّار في التصدِّي للسَّحرة الأشرار» للشيخ وحيد بالي(١٣)

قَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ، فَإِنَّهُم يُحَدِّثُونَ أَحْيَاناً الشَّيْءَ يَكُونُ حَقّاً.

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «تِلْكَ الكَلِمَةُ مِنَ الجِنِّ يَخْطَفُهَا الجِنِّيُّ، فَيَقُرُّهَا في أُذُنِ وَلِيِّهِ قَرَّ الدَّجَاجَةِ، فَيَخْلِطُونَ فِيهَا أَكْثَرَ مِنْ مِئَةِ كَذْبَةٍ». [(١)]

وأَخرجَ البُخارِيُّ في «صَحِيحِه» عنْ عَبْدِ اللهِ بنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهما قَالَ : مَا سَمِعْتُ عُمَرَ لِشَيْءٍ قَطُّ يَقُولُ : إِنِّي لأَظُنُّهُ كَذَا إِلَّا كَانَ كَمَا يَظُنُّ.

بَيْنَما عُمَرُ جَالِسٌ إذْ مَرَّ بِهِ رَجُلٌ جَمِيلٌ، فقَالَ : لَقَدْ أَخْطأَ ظَنِّي، أَوْ إِنَّ هَذَا عَلَى دِينِهِ في الجَاهِلِيَّةِ، أَوْ لَقَدْ كَانَ كَاهِنَهُم، عَلَيَّ الرَّجُلَ.

فَدُعِيَ لَهُ، فَقَالَ لَهُ ذَلِكَ.

فَقَالَ : مَا رَأَيْتُ كَاليَوْمِ اسْتُقْبِلَ بِهِ رَجُلٌ مُسْلِمٌ.

قَالَ : فَإِنِّي أَعْزِمُ عَلَيْكَ إِلَّا مَا أَخْبَرْتَنِي.

قَالَ: كُنْتُ كَاهِنَهُم في الجَاهِلِيَّةِ، قَالَ : فَمَا أَعْجَبُ مَا جَاءَتْكَ بِهِ جِنِّيَّتُكَ ؟

قَالَ : بَيْنَمَا أَنَا يَوْماً في السُّوقِ جَاءَتْنِي أَعْرِفُ فِيهَا الفَزَعَ، فَقَالَتْ : أَلَمْ تَرَ الجِنَّ وَإِبْلاَسَهَا، وَيَأْسَهَا مِنْ بَعْدِ إِنْكَاسِهَا، وَلُحُوقَهَا بِالقِلاَصِ وَأَحْلاَسِهَا.

قَالَ عُمَرُ : صَدَقَ بَيْنَما أَنَا نَائِمٌ عِنْدَ آلهتِهِم إِذْ جَاءَ رَجُلٌ بِعِجْلٍ، فَذَبَحَهُ فَصَرَخَ بِهِ صَارِخٌ لَمْ أَسْمَعْ صَارِخاً قَطُّ أَشَدَّ صَوْتاً مِنْهُ، يَقُولُ : يَا جَلِيحْ أَمْرٌ نَجِيحْ، رَجُلٌ فَصِيحْ، يَقُولُ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَوَثَبَ القَوْمُ.

قُلْتُ : لا أَبْرَحُ حَتَّى أَعْلَمَ مَا وَرَاءَ هَذَا.

ثُمَّ نَادَى : يَا جَلِيحْ أَمْرٌ نَجِيحْ، رَجُلٌ فَصِيحْ يَقُولُ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَقُمْتُ فَمَا نَشِبْنَا أَنْ قِيلَ : هَذَا نَبِيٌّ. [(٢)]

---

(١) البخاري (٥٧٦٢)، ومسلم (٢٢٢٨) (١٢٣).

(٢) البخاري (٣٨٦٦).

وأَصْرَحُ مِنْ هَذَا كُلِّهِ، حَدِيثُ سِحْرِ النَّبِيِّ ﷺ؛ حَيثُ أَخْرَجهُ الإمامُ البُخارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في بَابِ صِفةِ إبليسَ وَجُنودِهِ، فاسْتَشكَلَهُ بَعضُ الشُّرَّاحِ، وتَنبَّه لَهُ الحَافِظُ ابنُ حَجرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فَقالَ: «ووَجْهُ إيرَادِه هُنا مِنْ جِهةِ أَنَّ السِّحْرَ إنَّما يَتِمُّ باسْتِعانَةِ الشَّياطِينِ على ذَلكَ، وسَيأتِي إيضَاحُ ذلكَ هُناكَ، وقَدْ أشْكَلَ ذلكَ عَلى بَعْضِ الشُّرَّاحِ»[1]

وَأَيَّدَهُ الحافِظُ بَدرُ الدِّينِ العَينيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فقَالَ: «وجْهُ مُطابَقتِه لِلتَّرجَمةِ مِنْ حَيثُ إنَّ السِّحرَ إنَّما يَتِمُّ باستِعانَةِ الشَّيطانِ على ذلكَ، وَهِي مِنْ جُملَةِ صِفاتِه القَبيحةِ»[2].

❑ أثَـرُهُ وأدلةُ ذَلِك:

فَإنْ قِيلَ: وَهَلْ لِلسِّحرِ أَثَرٌ وَحقِيقَةٌ عَلَى الوَاقِعِ، أَو هُوَ مُجَرَّدُ تَخيِيلٍ ووَهْمٍ؟[3]

فَيُقَالُ:

إنَّ الحَقَّ جَلَّ في عُلاهُ ذَكَرَ السِّحْرَ وَبَيَّنَ أَنوَاعَهُ في كِتَابِه، وجَاءَتِ السُّنةُ النَّبوِيَّةُ الصَّحِيحةُ مُبيِّنةً لأَنواعِه أيْضاً، ومَا أَحْسَنَ فِقْهُ الإمامِ البُخارِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ حيثُ جَعلَ «بابَ السِّحرِ» مِنْ «كِتابِ المرَضى» ثُمَّ ذَكرَ الأدِلَّةَ الَّتِي في كِتَابِ اللهِ تَعَالىٰ المُبيِّنةِ لأَنْواعِه فَقَالَ:

بَابُ السِّحْرِ، وَقَوْلِ الله تَعَالىٰ: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ

---

(1) «فتح الباري» (٦/ ٣٤٠)

(2) «عمدة القاري» (١٥/ ١٦٩)

(3) انظر بحثاً مميزاً كتبه شيخنا أ. د. عمر الأشقر في كتابه الماتع: «عالم السِّحر والشعوذة» (٨٩) في المسألة.

وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة: ١٠٢)

وَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾ (طه: ٦٩)

وَقَوْلِهِ: ﴿أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ (الأنبياء: ٣)

وَقَوْلِهِ: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ (طه: ٦٦)

وَقَوْلِهِ: ﴿وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾ (الفلق: ٤) وَالنَّفَّاثَاتُ السَّوَاحِرُ.

فانْظُرْ بَصَّرَكَ اللهُ الحقَّ، كيفَ جَمعَ الإمَامُ البُخارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في «صَحِيحِه» هَذِه الآياتِ المُدَلِّلَةَ على تبايُنِ أنْواعِ السِّحْرِ، وأنَّ مِنْهُ ما هُو حَقِيقيٌّ، ومِنْهُ مَا هُو تَخْيِيلٌ؛ فَافْهَم وُضُوحَ المَسألَةِ.

وَفَائِدَةٌ أُخْرَى من صَنِيعِ الإمَامِ البُخارِيِّ في عَقْدِه «بَابَ السِّحْرِ» في «كِتَابِ المرَضَى» و«كِتَابِ الطِّبِّ»: لِيُدَلِّلَ بكُلِّ وُضُوحٍ عَلى أنَّ السِّحْرَ غَايةُ أمْرِهِ أنَّهُ مَرضٌ مِنَ الأمْرَاضِ يُصِيبُ الإنْسَانَ فيُمْرِضُه، وَيختَلِفُ هَذا المرَضُ مَا بَيْنَ شِدَّةٍ وَخِفَّةٍ، وأنَّ الشَّرْعَ بيَّنَ لِلعِبادِ كيْفِيَّةَ الشِّفَاءِ مِنْهُ بالطُّرُقِ الشَّرْعِيَّةِ الصَّحِيحةِ.

فإنْ قالَ قَائِلٌ: ومَا هُو قَولُ جمَاهِيرِ العُلماءِ في مَا سَبقَ ذِكْرُه عَنْ حَقِيقةِ السِّحْرِ؟

فالجَوابُ: الصَّحِيحُ الَّذِي عليهِ جُمهُورُ العُلَماءِ؛ أَنَّ لِلسِّحرِ حَقِيقَةً، وَلَيسَ هُوَ فَقَطْ تَخيِيلٌ، أَو وَهْمٌ كَما يَحصُرُهُ عَقلُ العَقلانِيِّينَ عَلَى بَعضِ الآياتِ! وَهَذا مَحَلُّ إجماعٍ عِندَ أَهلِ السُّنَّةِ قَاطِبَةً، إذِ اتَّفقَ أَهلُ السُّنةِ على إثباتِ السِّحرِ، وأَنَّ لَهُ حَقِيقةً كحَقِيقةِ غَيرِه مِنَ الأَشياءِ، كما أَجمعَ أَهلُ العِلْمِ على أَنَّ تَعلُّمَ السِّحرِ، وتَعلِيمَهُ، وعَملَهُ حَرامٌ، وأَنَّهُ منَ الكَبائرِ[1]، وَلم يُخالِفْ في ذَلك إلَّا أَهلُ الضَّلالِ منَ المُعتَزِلَةِ.

---

(١) انظر: «موسوعة الإجماع» لسعدي أبو جيب (٢/ ٥٥٢ ـ ٥٥٤) و«تذكرة أولي البصائر في معرفة الكبائر» لابن الجوزي (٢٩).

ومَا أَجملَ مَا قَالَهُ الإمَامُ القَرَافيُّ رَحِمَهُ اللهُ حِيْنَ رَدَّ عَلى المعْتَزِلَةِ في نَفْيِهم لِحَقِيقَةِ السِّحْرِ، فقَالَ: «وَقَالَتِ القَدَرِيَّةُ: لَا حَقِيقَةَ لِلسِّحْرِ.

لَنا[1] الكِتَابُ، وَالسُّنَّةُ، وَالإجْمَاعُ.

أَمَّا الكِتَابُ: فَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ وَمَا لَا حَقِيقَةَ لَهُ لَا يُعَلَّمُ»

ثُمَّ قالَ بعدَ إيرَادِه لحديثِ سِحرِ النَّبيِّ ﷺ، وسِحْرِ عَائشَةَ مِنْ جَارِيتِها: «وَكَانَ السِّحْرُ وَخَبَرُهُ مَعْلُوماً لِلصَّحَابَةِ رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِم أَجْمَعِينَ، وَكَانُوا مُجْمِعِينَ عَلَيْهِ قَبْلَ ظُهُورِ القَدَرِيَّةِ»[2].

ودُوْنَكَ بَيانُ الآياتِ لأنْوَاعِ السِّحْرِ:

فَفِي نَوعِ التَّخييلِ قالَ سُبحَانَهُ: ﴿قَالُواْ يَـٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحۡنُ ٱلۡمُلۡقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلۡقُواْۖ فَلَمَّآ أَلۡقَوۡاْ سَحَرُوٓاْ أَعۡيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسۡتَرۡهَبُوهُمۡ وَجَآءُو بِسِحۡرٍ عَظِيمٍ﴾ (الأعراف: ١١٥ـ ١١٦)

ثُمَّ بَيَّنَ أَنَّ سِحرَ العَينِ الَّذِي قَد كَانَ؛ إنَّما هُوَ تَخييلٌ؛ فَقال سُبحَانَهُ: ﴿قَالُواْ يَـٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَلۡقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلۡ أَلۡقُواْۖ فَإِذَا حِبَالُهُمۡ وَعِصِيُّهُمۡ يُخَيَّلُ إِلَيۡهِ مِن سِحۡرِهِمۡ أَنَّهَا تَسۡعَىٰ﴾ (طه: ٦٥ – ٦٦)

فَهَذَا النَّوعُ الأَوَّلُ؛ سِحرُ التَّخييلِ، وَهُوَ الَّذِي يَقصِرُهُ بَعضُ العَقلانِيِّينَ ـ وَمَن قَلَّدَهُم ـ عَلَى السِّحرِ كُلِّهِ!

وَمَا هَذَا بِمَنهَجٍ مَحمُودٍ عِندَ أَهلِ العِلمِ بِالقُرآنِ الكَرِيمِ وَالسُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ؛ لأَنَّ المنهَجَ الصَّحِيحَ المأمُونَ مِنَ المزَالِقِ؛ إنَّما هُوَ استِقصَاءُ كَافَّةِ الأَدِلَّةِ كما فَعلَ الإمَامُ البُخارِيُّ آنِفاً، وَمِنْ ثَمَّ الخُرُوجُ بِالقَولِ الصَّحِيحِ بَعدَ دِرَاسَةِ أَطرَافِ المسأَلَةِ مِن

---

(١) يريد بقوله: «لنا»: أي: لقولنا بإثبات أنَّ للسِّحر أدلةً من الكتاب والسُّنة والإجماع.

(٢) «الفروق» (٤/ ٢٥٤). ويقصد بالقدرية: المعتزلة.

كَافَّةِ الأَدِلَّةِ الصَّحِيحَةِ، أَمَّا أَخذُ حُكْمٍ شَرعِيٍّ مِن أَدِلَّةٍ جُزئِيَّةٍ؛ فَغَيرُ مَقبُولٍ عِندَ المُحَقِّقِينَ مِن أَهلِ العِلْمِ.

وَلِذَا فَمَا وَقَعَ فِيْهِ العَقلانِيُّونَ - وَأَتبَاعُهُم - في إنكَارِهِم حَقِيقَةَ السِّحرِ - كَمَا فَعلَتِ المُعتَزِلَةُ -؛ إنَّمَا بَنَوهُ عَلَى أَدِلَّةٍ جُزئِيَّةٍ لا كُلِّيَّةٍ؛ لِأَنَّ الحَقَّ جَلَّ في عُلاهُ كَمَا أَثبَتَ سِحرَ التَّخييلِ، فَقَد أَثْبَتَ السِّحرَ الحَقِيقِيَّ.

وَقَد قَالَ الحَافِظُ ابنُ حَجرٍ رَحِمَهُ اللهُ: «قَولُه: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ هَذِهِ الآيَةُ عُمدَةُ مَن زَعَمَ أَنَّ السِّحرَ إنَّمَا هُوَ تَخييلٌ، وَلَا حُجَّةَ لَهُ بِهَا؛ لأَنَّ هَذِهِ وَرَدَتْ في قِصَّةِ سَحَرَةِ فِرْعَونَ، وَكَانَ سِحْرُهُم كَذَلِكَ، وَلَا يَلزَمُ مِنهُ أَنْ جَمِيعَ أَنوَاعِ السِّحْرِ تَخيِيلٌ».

وقَالَ رَحِمَهُ اللهُ أَيضاً: «وَنَقَلَ الخَطَّابِيُّ أَنَّ قَوْماً أَنكَرُوا السِّحْرَ مُطْلَقاً، وَكَأَنَّهُ عَنَى القَائِلِينَ بِأَنَّهُ تَخيِيل فَقَطْ، وَإِلَّا فَهِيَ مُكَابَرَةٌ.

وَقَالَ المَازِرِيُّ: جُمهُورُ العُلَمَاءِ عَلَى إثبَاتِ السِّحرِ وَأَنَّ لَهُ حَقِيقَةً، وَنَفَى بَعضُهم حَقِيقَتَهُ، وَأَضَافَ مَا يَقع مِنهُ إِلَىٰ خَيَالَات بَاطِلَة، وَهُوَ مَردُودٌ لِوُرُودِ النَّقلِ بِإثبَاتِ السِّحْرِ، وَلِأَنَّ العَقلَ لَا يُنكِر أَنَّ اللهَ قَد يَخرِقُ العَادَةَ عِند نُطق السَّاحِر بِكَلَامٍ مُلَفَّقٍ، أَو تَركِيب أَجسَامٍ، أَو مَزجٍ بَينَ قُوَى عَلَى تَرتِيبٍ مَخصُوصٍ، وَنَظِيرُ ذَلِكَ مَا يَقَعُ مِنْ حُذَّاقِ الأَطِبَّاءِ مِنْ مَزْجِ بَعضِ العَقَاقِيرِ بِبَعضٍ؛ حَتَّى يَنقَلِبَ الضَّارُّ مِنهَا بِمُفرَدِهِ بِالتَّركِيبِ نَافِعاً.

وَقِيلَ: لا يَزِيد تَأثِيرُ السِّحْرِ عَلَى مَا ذَكَرَ اللهُ تَعَالَىٰ في قَولِه: ﴿يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ﴾ لِكَونِ المَقَامِ مَقَامَ تَهوِيلٍ، فَلَو جَازَ أَن يَقَعَ بِهِ أَكثَرُ مِنْ ذَلِكَ لَذَكَرَهُ.

قَالَ المَازِرِيُّ: وَالصَّحِيحُ مِن جِهَة العَقلِ؛ أَنَّهُ يَجُوز أَنْ يَقَعَ بِهِ أَكثَرُ مِن ذَلِكَ، قَالَ: وَالآيَةُ لَيسَتْ نَصّاً في مَنعِ الزِّيَادَةِ، وَلَو قُلنَا: إِنَّهَا ظَاهِرَةٌ في ذَلِكَ »[1]

وَ أَصرَحُ مَا يُبَيِّنُ حَقِيقَتَهُ؛ أَنَّ اللهَ سُبحَانَهُ أَمَرَ نَبِيَّهُ وَحَبِيبَهُ ﷺ بالاستِعَاذَةَ مِنهُ دُونَ التَّخيِيلِ؛ فَقال سُبحَانَهُ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ﴾ (الفلق: ١-٤)

فَقَولُهُ: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ﴾ ظَاهِرٌ بِأَنَّهُ لَو لَمْ يَكُن لِلسِّحرِ حَقِيقَةٌ، مَا أَمَرَهُ بِالاستِعَاذَةِ مِنهُ، وإِلَّا كَانَتِ الاستِعَاذَةُ مِنَ التَّخيِيلِ نَوعٌ مِنَ العَبَثِ، وَلا قَائِلٌ بِهَذَا البَتَّةَ.

وَمِنَ الأَدِلَّةِ عَلَى حَقِيقَةِ السِّحرِ أَيضاً:

قَولُهُ سُبحَانَهُ: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ١٠٢)

فَفِي هَذِهِ الآيَةِ الكَرِيمَةِ دَلالَةٌ وَاضِحَةٌ تُبيِّنُ أَنَّ لِلسِّحرِ حَقِيقَةً وَأَيَّمَا حَقِيقَةٍ.

قَالَ شَيخُ المُفَسِّرِينَ ابنُ جَرِيرِ الطَّبَرِيُّ رَحِمَهُ اللهُ عَنْ أَثَرِ حَقِيقَةِ السِّحْرِ عَلَى المَسْحُورِ: «قَولُهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ وَمَا المُتَعَلِّمُونَ مِنَ الملكَينِ، هَارُوتَ وَمَارُوتَ، مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَينَ المرءِ وَزَوجِهِ، بِضَارِّينَ بِالَّذِي تَعَلَّمُوهُ مِنهُمَا، مِنَ المعنَى الَّذِي يُفَرِّقُونَ بِهِ بَينَ المرءِ وَزَوجِهِ، مِن أَحَدٍ مِنَ

---

(١) «فتح الباري» (١٠ / ٢٢٣).

النَّاسِ، إِلَّا مَن قَد قَضَى اللهُ عَلَيهِ أَنَّ ذَلِكَ يَضُرُّهُ؛ فَأَمَّا مَنْ دَفَعَ اللهُ عَنْهُ ضُرَّهُ، وَحَفِظَهُ مِن مَكرُوهِ السِّحرِ وَالنَّفثِ وَالرُّقَى؛ فَإِنَّ ذَلِكَ غَيرُ ضَارِّهِ، وَلاَ نَائِلُهُ أَذَاهُ.

وَلِلإِذنِ فِي كَلاَمِ العَرَبِ أَوجُهٍ :

مِنهَا : الأَمرُ عَلَى غَيرِ وَجهِ الإِلزَامِ، وَغَيرُ جَائِزٍ أَن يَكُونَ مِنهُ قَولُهُ : ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ لأَنَّ اللهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ قَد حَرَّمَ التَّفرِيقَ بَينَ الرَّجُلِ وَحَلِيلَتِهِ بِغَيرِ سِحْرٍ، فَكَيفَ بِهِ عَلَى وَجْهِ السِّحرِ عَلَى لِسَانِ الأُمَّةِ.

كَأَنَّهُ قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ : ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ﴾ بِالَّذِي تَعَلَّمُوا مِنَ المَلَكَينِ مِن أَحَدٍ إِلَّا بِعِلمِ اللهِ، يَعنِي بِالَّذِي سَبَقَ لَهُ فِي عِلمِ اللهِ أَنَّهُ يَضُرُّهُ.

وعَنْ سُفيَانَ : فِي قَولِهِ : ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ قال : بِقَضَاءِ اللهِ »[1]

وَقَالَ شَيخُ الإِسْلامِ ابنُ تَيمِيَّةَ رَحِمَهُ اللهُ : «التَّفرِيقُ بَينَ المرأَةِ وَزَوجِهَا مِنَ الذُّنُوبِ الشَّدِيدَةِ، وَهُوَ مِن فِعْلِ السَّحَرَةِ، وَهُوَ مِنْ أَعظَمِ فِعْلِ الشَّيَاطِينِ »[2].

وَتَأثِيرُهُ : فِي حُدُودِ المَرَضِ مِنْ غَيرِ قَلبٍ لِلأَعيَانِ[3] وَهُوَ مَا يُحتَاجُ فِيهِ إِلَىٰ العِلاجِ بِالرُّقَى، وَالأَدوِيَةِ الشَّرعِيَةِ، وَهَذَا مَا تَعرِفُهُ العَرَبُ

قال ابنُ عَائِشَةَ: العَرَبُ إِنَّمَا سَمَّتِ السِّحرَ سِحراً؛ لأَنَّهُ يُزِيلُ الصِّحةَ إِلَىٰ المَرَضِ. وَنَعنِي بِالمَرَضِ : عِلَّةٌ تَعرِضُ للبَدنِ فَتُخرِجُ الإِنسَانَ الصَّحِيحَ عَنِ الاعتِدَالِ إِلَىٰ خَلَلٍ وآفَاتٍ، فِي الأَقوَالِ، وَالأَفعَالِ، وَالأَفكَارِ.

---

(١) «جامع البيان» (٢ / ٣٦١) مختصراً.

(٢) «الفتاوى الكبرى» (٢ / ٣١٣)

(٣) إذ لو كان في وُسعِ السَّحرة قلبٌ لحقائق الأعيان عمَّا هي به من الهيئات، لم يكن بين الباطل والحق فَصلٌ، ولجاز أن تكون جميع المحسوساتِ مما سحرته السحرة؛ فقلبت أعيانها، وهذا باطلٌ قطعاً . وعليه؛ فالسِّحرُ قَلبُ الشيءِ في عَينِ الإنسان وليس بقلب الأَعيانِ، فافهم. انظر : «جامع البيان» للطبري (٢ / ٣٥٢) و«الفروق» للقرافي (٤/ ٢٤٣)

وَهُوَ نَوعَانِ : حِسِّيٌّ؛ كَمَرَضِ الأَعضَاءِ؛ بِتَعطِيلِ القِيَامِ بِوَظَائِفِهَا فِي الجَسَدِ، وَمَعنَوِيٌّ؛ كَأَمرَاضِ القُلُوبِ مِن نِفَاقٍ، وَحَسَدٍ، وَحِقدٍ وَغِلٍّ لِلمُسلِمِينَ.[1]

وَمِن تَأثِيرِهِ : مَا يُؤَثِّرُ فِي القُلُوبِ؛ مِن حُبٍّ وَبُغضٍ، وَمَا يُؤَثِّرُ فِي الأَبدَانِ مِن مَرَضٍ، وَأَلَمٍ، وَقَد يُجَاوِزُ ذَلِكَ إِلَىٰ العُقُولِ؛ مِن جُنُونٍ، وَإِغمَاءٍ، وَغَيرِ ذَلِكَ مِن مَعقُولٍ وَ غَيرِ المعقُولِ، وَخَاصَّةً الَّتِي يَحَارُ بِهَا الأَطِبَّاءُ.

وَصَدَقَ الحَافِظُ ابنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ حِينَ عَلَّقَ عَلَى قَولِهِ ﷺ: «مَا أَنزَلَ اللهُ دَاءً إِلَّا أَنزَلَ لَهُ شِفَاءً، عَلِمَهُ مَن عَلِمَهُ، وجَهِله مَن جَهِلَه» فَقال : «وَيَدخُل فِي عُمُومِهَا أَيضاً الدَّاءُ القَاتِلُ، الَّذِي اعتَرَفَ حُذَّاقُ الأَطِبَّاءِ بِأَنْ لَا دَوَاءَ لَهُ ، وَأَقَرُّوا بِالعَجزِ عن مُدَاوَاتِهِ، وَلَعَلَّ الإِشَارَةَ فِي حَدِيثِ ابنِ مَسعُودٍ، بِقَولِهِ : «وجَهِلَه مَنْ جَهِلَه » إِلَىٰ ذَلِكَ فتَكُون بَاقِيَةً عَلَى عُمُومِهَا.

وَمِمَّا يَدخُلُ فِي قَولِهِ : «وجَهِلَهُ مَنْ جَهِلَهُ» مَا يَقَعُ لِبَعضِ المرضَى أَنَّهُ يَتَدَاوَى مِنْ دَاءٍ بِدَوَاءٍ؛ فَيَبرَأُ ثُمَّ يَعتَرِيهِ ذَلِكَ الدَّاءُ بِعَيْنِهِ؛ فَيَتَدَاوَى بِذَلِكَ الدَّوَاءِ بِعَينِهِ فَلاَ يَنجَعُ، وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ الجَهلُ بِصِفَةٍ مِن صِفَاتِ الدَّوَاءِ، فَرُبَّ مَرَضَينِ تَشَابَهَا، وَيَكُون أَحَدُهُمَا مُرَكَّباً لَا يَنجَعُ فِيهِ مَا يَنجَعُ فِي الَّذِي لَيسَ مُرَكَّباً؛ فَيَقَعُ الخَطَأُ مِنْ هُنَا ، وَقَد يَكُونُ مُتَّحِداً لَكِن يُرِيدُ اللهُ أَنْ لَا يَنجعَ فَلاَ يَنجَعُ، وَمِن هُنَا تَخضَعُ رِقَابُ الأَطِبَّاءِ»[2]

وَقال الإِمَامُ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «السَّاحِرُ قَد يَأتِي بِفِعلٍ، أَو قَولٍ يَتَغَيَّرُ بِهِ حَالُ المسحُورِ؛ فَيَمرَضُ وَيَمُوتُ مِنهُ، وَقَد يَكُونُ ذَلِكَ بِوُصُولِ شَيءٍ إِلَىٰ بَدَنِهِ؛ مِن دُخَانٍ وَغَيرِهِ، وَقَد يَكُونُ دُونَهُ »

---

(١) انظر : «لسان العرب» لابن منظور (٤/٣٤٨)، و«مفردات ألفاظ القرآن» للراغب الأصفهاني (٧٦٥)
(٢) «فتح الباري» (١٣ / ٥٧) مختصراً

ثُمَّ قال : «وَالصَّحِيحُ أَنَّ لَهُ ـ أَي: للسِّحْرِ ـ حَقِيقَةً، وَبه قَطَعَ الجُمهُورُ، وَعَليهِ عَامَّةُ العُلَماءِ، وَيَدُلُّ عَليهِ الكِتَابُ، وَالسُّنَّةُ الصَّحِيحَةُ المشهُورَةُ »[1]

وقالَ ابنُ عَطِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ في قَولِهِ : ﴿ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴾ (المؤمنون: ٨٩) : «السِّحرُ هُنَا مُستَعَارٌ لهُم، وهُوَ تَشبِيهٌ لِمَا وَقَعَ مِنهُم مِنَ التَّخلِيطِ، وَوَضعِ الأَفعَالِ والأَقوَالِ غَيرِ مَواضِعِها بِما يَقعُ مِنَ المسحُورِ »[2]

وهذا عَينُ ما يَكونُ مِن تَخبُّط المسحُورِ واضطِرابِ حَالِهِ، وإنكَارِ مَن حَولَهُ سُلُوكِيَّاتِه، وذَلِك كلُّهُ بأَثَرِ السِّحرِ حَقِيقةً، أَفَلا يَعقِلُ المُنكِرُونَ ؟!

وَقال القُرطُبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ مُعَلِّقاً عَلَى حَدِيثِ عَائِشَةَ في سِحْرِ النَّبِيِّ ﷺ : «هَذَا الحَدِيثُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ السِّحرَ مَوجُودٌ، وَأَنَّ لَهُ أَثَراً في المسحُورِ، وَقَد دَلَّ عَلَى ذَلِكَ مَوَاضِعُ كَثِيرَةٌ مِنَ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ بِحَيثُ يَحصُلُ بِذَلِكَ القَطعُ بِأَنَّ السِّحرَ حَقٌّ، وَأَنَّهُ مَوجُودٌ، وَأَنَّ الشَّرعَ أَخبَرَ بِذَلِكَ.

وَبِالجُملَةِ : فَهُوَ أَمرٌ مَقطُوعٌ بِهِ بِإِخبَارِ اللهِ تَعَالَىٰ وَرَسُولِهِ ﷺ عن وُجُودِهِ، وَوُقُوعِهِ. فَمَن كَذَّبَ بِذَلِكَ فَهُوَ كَافِرٌ، مُكَذِّبٌ لله وَلِرَسُولِهِ، مُنكِرٌ لِمَا عُلِمَ مُشَاهَدَةً وَعِيَاناً »

ثُمَّ قال في بَيَانِ أَثَرِهِ عَلَى المسحُورِ : «وَلاَ يُنكَرُ أَنَّ السِّحرَ لَهُ تَأثِيرٌ في القُلُوبِ بِالحُبِّ، وَالبُغضِ، وَبِإِلقَاءِ الشُّرُورِ، حَتَّى يُفَرِّقَ السَّاحِرُ بَينَ المرءِ وَزَوجِهِ، وَيَحُولَ بَينَ المرءِ وَقَلبِهِ، وَبِإِدخَالِ الآلامِ، وَعَظِيمِ الأَسقَامِ؛ إذ كُلُّ ذَلِكَ مُدرَكٌ بِالمُشَاهَدَةِ، وَإِنكَارُهُ مُعَانَدَةٌ ».[3]

وَقال الإِمَامُ الشَّوكَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ : «قَولُهُ : ﴿ مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ﴾

---

(١) «روضة الطَّالبين وعُمدة المُفتِين» (٩ / ٣٤٥ - ٣٤٦)

(٢) «المحرر الوجيز» (٦ / ٣١٦)

(٣) «المُفهِم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم» (٥/ ٥٦٩)

في إسنادِ التَّفرِيقِ إلَىٰ السَّحرَةِ، وَجعْلِ السِّحْرِ سَبَباً لِذَلِكَ، دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ لِلسِّحرِ تَأثِيراً في القُلُوبِ؛ بِالحُبِّ، وَالبُغضِ، وَالجمعِ، وَالفُرقَةِ، وَالقُربِ، وَالبُعدِ »[1]

وَقال الشَّيخُ العَلاَّمَةُ السَّعدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في قَولِهِ تَعَالىٰ: «﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ﴾ مَع أَنَّ مَحَبَّةَ الزَّوجَينِ لا تُقَاسُ بِمَحبَّةِ غَيرِهِمَا؛ لأَنَّ الله قال في حَقِّهِمَا: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ وَفي هَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ السِّحرَ لَهُ حَقِيقَةٌ، وَأَنَّهُ يَضُرُّ بِإذنِ اللهِ، أَي: بِإِرَادَةِ اللهِ. وَالإِذْنُ نَوعَانِ:

إذنٌ قَدَرِيٌّ؛ وَهُوَ المُتَعَلِّقُ بِمَشِيئَةِ الله، كَمَا في هَذِهِ الآيَةِ.

وَإذنٌ شَرعِيٌّ، كَمَا في قَولِهِ تَعَالىٰ: ﴿فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾.

وَفي هَذِهِ الآيَةِ وَمَا أَشبَهَهَا، أَنَّ الأَسبَابَ مَهمَا بَلَغَت في قُوَّةِ التَّأثِيرِ؛ فَإنَّهَا تَابِعَةٌ لِلقَضَاءِ وَالقَدَرِ لَيسَت مُستَقِلَّةً في التَّأثِيرِ »[2]

وَقال الشَّيخُ العَلاَّمَةُ الشِّنْقِيطِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «اعْلَمْ أَنَّ العُلَمَاءَ اخْتَلَفُوا في تَحْقِيقِ القَدْرِ الَّذِي يُمْكِنُ أَنْ يَبْلُغَهُ تَأْثِيرُ السِّحْرِ في المسْحُورِ، وَاعْلَمْ أَنَّ لِهَذِهِ المَسْأَلَةِ وَاسِطَةً وَطَرَفَيْنِ: طَرَفٌ لَا خِلاَفَ في أَنَّ تَأْثِيرَ السِّحْرِ يَبْلُغُهُ كَالتَّفْرِيقِ بَيْنَ الرَّجُلِ وَامْرَأَتِهِ، وَكَالمَرَضِ الَّذِي يُصِيبُ المسْحُورَ مِنَ السِّحْرِ وَنَحْوِ ذَلِكَ، وَدَلِيلُ ذَلِكَ: القُرْآنُ، وَالسُّنَّةُ الصَّحِيحَةُ.

أَمَّا القُرْآنُ فَقَوْلُهُ تَعَالىٰ: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ﴾ فَصَرَّحَ جَلَّ وَعَلاَ في هَذِهِ الآيَةِ الكَرِيمَةِ بِأَنَّ مِنْ تَأْثِيرِ السِّحْرِ التَّفْرِيقَ بَيْنَ المرْءِ وَزَوْجِهِ.

---

(١) «فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير» (١ / ١٨٦)

(٢) «تيسير الكريم الرحمن» (١ / ٨١) ط: ابن الجوزي

وَأَمَّا السُّنَّةُ فَمَا ثَبَتَ فِي «الصَّحِيحَيْنِ» وَغَيْرِهِمَا مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِي الله عَنْها بِألفَاظٍ مُتَعَدِّدَةٍ مُتَقَارِبَةٍ : أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ سُحِرَ حَتَّى كَانَ يَرَى أَنَّهُ يَأْتِي النِّسَاءَ، وَلَا يَأْتِيهِنَّ.

وَالقِصَّةُ مَشْهُورَةٌ صَحِيحَةٌ، فَفِي هَذَا الحَدِيثِ الصَّحِيحِ : أَنَّ تَأْثِيرَ السِّحْرِ فِيْهِ ﷺ سَبَّبَ لَهُ المرَضَ، بِدَلِيلِ قَوْلِهِ : «أَمَّا اللهُ فَقَدْ شَفَانِي»، وَفِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ الثَّابِتَةِ فِي «صَحِيحِ البُخَارِيِّ» وَغَيْرِهِ بِلَفْظِ : فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ : مَا وَجَعُ الرَّجُلِ ؟ قَالَ مَطْبُوبٌ، أَيْ : مَسْحُورٌ، وَهُوَ تَصْرِيحٌ بِأَنَّ السِّحْرَ سَبَّبَ لَهُ وَجَعاً.

وَنَفْيُ بَعْضِ النَّاسِ لِهَذِهِ القِصَّةِ مُسْتَدِلّاً بِأَنَّهَا لَا تَجُوزُ فِي حَقِّهِ ﷺ لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ عَنِ الكُفَّارِ مُنْكِراً عَلَيْهِم: ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾ سَاقِطٌ؛ لِأَنَّ الرِّوَايَاتِ الصَّحِيحَةَ الثَّابِتَةَ لَا يُمْكِنُ رَدُّهَا بِمِثْلِ هَذِهِ الدَّعَاوَى.

اعْلَمْ أَنَّ مَا وَقَعَ مِنْ تَأْثِيرِ السِّحْرِ فِي رَسُولِ الله ﷺ لَا يَسْتَلْزِمُ نَقْصاً، وَلَا مُحَالاً شَرْعِيّاً حَتَّى تُرَدَّ بِذَلِكَ الرِّوَايَاتُ الصَّحِيحَةُ؛ لأَنَّهُ مِنْ نَوْعِ الأَعْرَاضِ البَشَرِيَّةِ، كَالأَمْرَاضِ المُؤَثِّرَةِ فِي الأَجْسَامِ، وَلَمْ يُؤَثِّرِ البَتَّةَ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالتَّبْلِيغِ »[1]

وَمِنَ الأَدِلَّةِ فِي السُّنَّةِ النَّبوِيَّةِ مَا يَدُلُّ عَلَى حَقِيقَةِ السِّحْرِ، وَهِي كَثِيرَةٌ، مِنْهَا :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ؓ عنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقَاتِ.

قَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا هُنَّ ؟ قَالَ : الشِّرْكُ بِاللَّهِ، وَالسِّحْرُ »[2]

فَانظُرْ يَا مُسلِمُ ـ بصَّرِكَ اللهُ ـ : فَإِنَّهُ مُحَالٌ أَنْ يَكُونَ السِّحرُ مِنَ الكَبَائِرِ وَلَيْسَتْ لَهُ حَقِيقَةٌ، وكَيفَ يُخبِرُ نَبيُّكَ ﷺ وهُو الصَّادِقُ المصْدُوقُ أَنْ تَجْتَنِبَ أَمْرَاً لا حَقِيقَةَ لَهُ؟ سُبْحانَكَ رَبِّي هَذا بُهتانٌ عَظِيمٌ.

لا شَكَّ أَنَّ هَذا ضَرْبٌ مِنَ العَبثِ وَسُوءِ الفَهْمِ عَنِ الله تَعَالى وَعَنْ رَسُولِه ﷺ.

---

(١) «أضواء البيان» (٤/ ٣٥٣) مختصراً من المسألة التاسعة، وتابع قوله وردَّه في خاتمة المبحث فهو نفيس.

(٢) أخرجه البخاري (٢٧٦٦).

وَمِنْها أيضاً : عن عَامِرِ بنِ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «مَنْ تَصَبَّحَ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعَ تَمَرَاتٍ عَجْوَةً؛ لَمْ يَضُرَّهُ في ذَلِكَ اليَوْمِ سُمٌّ ولا سِحْرٌ»[1]

فَانظُرْ كَيفَ أَرْشَدَ النَّبِيُّ ﷺ أُمَّتَهُ إِلَى عِظَمِ نَفْعِ التَّصَبُّحِ بِتَمرِ العَجْوَةِ في دَفْعِها بِإِذْنِ الله السُّمَّ والسِّحرَ، والْحَظْ سِرَّ قَرْنِ السُّمِّ بِالسِّحْرِ؛ لأنَّهما عَلَى الحَقِيقَةِ.

فَماذَا سَيَقُولُ النَّافُونَ لِحَقِيقَةِ السِّحرِ في هَذا الحَدِيثِ ؟ وَهُو حَتْماً وَلا بُدَّ إِرْشَادٌ لِلتَّحْصِينِ مِنْ أَمْرٍ حَقِيقِيٍّ.

وهَذا خَاصٌّ بِالعَجْوةِ بِبَركَةِ دَعْوةِ النَّبيِّ ﷺ، وَهِيَ نَوعٌ مِنْ أَجْودَ تَمرِ المدِيْنَةِ.[2]

وَلَعَلَّ فيما ذُكِرَ كِفَايَةٌ في بَيَانِ أَنَّ لِلسِّحرِ حَقِيقَةً، فَاشدُد يَدَيكَ بِهِ، وَلا تَغُرَّنَّكَ بَعضُ الأَقَاوِيلِ النَّافِيَةِ لِحَقِيقَتِهِ.

فَهَذِهِ آثَارُهُ عَلَى بَنِي الإنسَانِ، فَكَيفَ لَو أَضفتَ أَثَرَهُ حَقِيقَةً أَيضاً عَلَى الحَيَوانِ ! وَهَذَا أَمرٌ مَعلُومٌ مُشَاهَدٌ.

يقول ابنُ جُزَي رَحِمَهُ اللهُ : «حَكَى ابنُ عَطِيَّةَ، أَنَّهُ حَدَّثَهُ ثِقَةٌ : أَنَّهُ رَأَى عِندَ بَعضِ النَّاسِ بِصَحرَاءِ المغرِبِ خَيطاً أَحمَرَ، قَد عُقِدَت فِيْهِ عُقدٌ عَلَى فُصلانٍ؛ وَهِيَ أَولَادُ الإبلِ؛ فَمَنَعَهَا بِذَلِكَ مِن رِضَاعِ أُمَّهَاتِها؛ فَكَانَ إذَا حَلَّ عُقدَةً جَرَى ذَلِكَ الفَصِيلُ إِلَىٰ أُمِّهِ؛ فَرَضَعَ في الحِينِ»[3] فَسُبحَانَ الله العَظِيمِ.

❑ الثَّانِيةُ : أعراضُهُ :

كُلُّ مَرَضٍ لابُدَّ لَهُ مِن أَعرَاضٍ تَظهَرُ عَلَى الجَسَدِ في الظَّاهِرِ أَو البَاطِنِ تُدَلِّلُ عَلَى وُجُودِهِ، وَهَذَا مَعرُوفٌ مُتَّفَقٌ عَليهِ في طِبِّ الأَبدَانِ.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٤٤٥) .

(٢) انظر : «فتح الباري» لابن حجر (١٠/ ٢٣٩) .

(٣) «التَّسهيل لعلوم التَّنزيل» لابن جزي (٢/ ٥٨٦)

كَذَلِكَ الحَالُ في طِبِّ الأَروَاحِ؛ فَإنَّ لِكُلِّ مَرَضٍ مِن هَذِهِ الأَمرَاضِ أعرَاضَاً، وَقَرَائِنَ تُدَلِّلُ عَلَى وُجُودِ المرَضِ.

وَ هَذِهِ الأَعرَاضُ مُتَفَاوِتَةٌ مُتبَاينَةٌ كَثِيراً، وَالدَّلالَةُ عَلَيهَا دَلالَةٌ اجتِهَادِيَّةٌ؛ فَقَد يَرَى رَاقٍ مَا لَمْ يَرَهُ غَيرُهُ مِنَ الرُّقَاةِ، كَمَا هُوَ الحَالُ عِندَ الأَطِبَّاءِ عَلَى التَّمَامِ.

وَضَابِطُ هَذِهِ الأَعرَاضِ الَّتِي تُفيدُ الرَّاقِي في الوُصُولِ إلَىٰ المرَضِ، هُوَ ذَلِكَ :

١- العَرَضُ الدَّائِمُ، أَو شِبهُهُ، وَلَو كَانَ عَلَى فَتَرَاتٍ مُتَبَايِنَةٍ يَسِيرَةٍ.

٢- العَرَضُ الَّذِي لا يُعرَفُ لَهُ سَبَبٌ في ظُهُورِهِ، وَيَخرُجُ عن المألُوفِ، وَلا تَفسِيرَ صَحِيحٍ يُتَّفَقُ عَليهِ طِبِّيّاً، وَلا تَنفَعُ مَعَهُ الأَدوِيَةُ وَالعَقَاقِيرُ غَالِباً، وَالنَّادِرُ لا حُكمَ لَهُ.[1]

٣- وَيَتَأَثَّرُ بِالقُرآنِ الكَرِيمِ، وَالأَدعِيَةِ الشَّرعِيَّةِ، تَأَثُّراً مَلْحُوظاً لاسِيَّما بِآيَاتِ الرُّقيَةِ الشَّرعِيَّةِ، وَمَا يُلازِمُهَا.[2]

وَلا بُدَّ مِن اجتِمَاعِ هَذِهِ الشُّرُوطِ في كُلِّ عَرَضٍ أَو غَالِبِهَا غَلَبَةً مُطَّرِدَةً؛ حَتَّى يُوَفَّقَ الرَّاقِي لِصِحَّةِ تَشخِيصِهِ لِلمَرَضِ مِن عَدَمِهِ.

---

(١) قلت غالباً؛ حتى يغلق الباب أمام حيل الشياطين من صرفهم المريض عن الرقية إلى الأدوية الحسية – خاصة الأدوية النفسية –؛ ليُوهِمُوه بأنَّ الألم أو المرض مما يمكن علاجه بها، بدلالة أنه حين تناول الدواء يذهب العرض أو الألم؛ فيكون هذا صرفاً عن الرقية الشرعية والاستمرار فيها، والاعتماد على الأدوية والعقاقير بحيلة –في حين غفلة من المريض أو الراقي – من الجان، وينكشف الأمر بعد مدة من الزمن بعدم صلاح هذه الأدوية على الدوام، وتبدأ هنا تخرُّصات الأطباء بتغيير الدواء مرة تلو مرة وكل هذا على حساب المريض ! وليعلم بأنَّ هذه المسألة تقدَّر بقدر، ويفطن لها الراقي الحاذق والفطن، وليست حكماً عاماً مُطَّرداً . والله أعلم .

(٢) والمراد بما يلازم الرقية : من استعمال زيت الزيتون المقروء عليه، وماء زمزم، وتمر العجوة، والعسل ... مما جاء الوحي الصادق بنفعه مع الطريقة الصحيحة باستعماله .

وَكَثِيراً مَا يَعتَمِدُ بَعضُ الرُّقَاةِ ـ بَصَّرَهُم اللهُ ـ عَلَى عَرَضٍ، أَو عَرَضَينِ، وَيَبنُونَ عَلَى ذَلِكَ حُكماً جَازِماً بِالمَرَضِ؛ فَهَذَا أَمرٌ غَيرُ سَدِيدٍ وَلا رَشِيدٍ، وَيُوقِعُ فِي خَلَلٍ كَبِيرٍ، نَسأَلُ اللهَ السَّلامَةَ وَالعَافِيَةَ.

وَالأَعـرَاضُ بِالاسـتِقرَاءِ : التَّغَيُّرُ المفَاجِئ في الحَيَاةِ، والشِّكَايَةُ مِنَ الآلَامِ، لا سِيَّمَا الَّتِي لا عِلاجَ لَهَا طِبِّيّاً؛ كَالصُّدَاعِ، وَآلامِ البَطنِ، والقُولُونِ، وأَسفَلِ الظَّهرِ، وكَثرةِ البُكَاءِ، والعُزلَةِ، والضِّيقِ، والهَمِّ، والغَمِّ، والقَلَقِ، والأَرَقِ، والكَوَابِيسِ المزعِجَةِ، وغَيرِهَا.

فَهَذِهِ بَعضُ الأَعرَاضِ، وَهِي فَقَط وَسِيلَةٌ لِلتَّقرِيبِ وَالانتِبَاهِ وَالإمعَانِ مِنَ الرَّاقِي فِي بَحثِ وَكَشفِ حَقِيقَةِ الحَالَةِ، لا لِلجَزمِ وَالقَطعِ؛ فَاعْتَنِ بِهَذَا بَارَكَ اللهُ فِيكَ؛ فَإِنَّ حَيَاةَ النَّاسِ، أَمَانَةٌ بَينَ يَدَيكَ، فَإِيَّاكَ وَالقَولَ عَلَى الله بِغَيرِ عِلمٍ؛ فَتَهلَكَ، وَقَد نَصَحتُكَ.

❑ **الثَّالِثَةُ : الوِقَايَةُ مِنهُ :**

فَإِنْ سَأَلتَ : كَيفَ يَندَفِعُ عَنْكَ سِحْرَ السَّاحِرِينَ ؟ وكَيفَ السَّبِيلُ إِلَىٰ الوِقَايَةِ مِنْهُ ؟

فَيُجِيبُكَ الإِمَامُ ابْنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ ويُبَيِّنُ ذلِكَ لَكَ خَيْرَ تِبْيانٍ، يَقُولُ رَحِمَهُ اللهُ:

«السَّبَبُ الأَوَّلُ : التَّعَوُّذُ بالله مِنْ شَرِّهِ، وَالتَّحَصُّنُ بِهِ وَاللُّجُوءُ إِلَيْهِ.

السَّبَبُ الثَّانِي: تَقْوَى الله، وَحِفْظُهُ عِنْدَ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، فَمَنِ اتَّقَى اللهَ؛ تَوَلَّى اللهُ حِفْظَهُ، وَلَمْ يَكِلْهُ إِلَىٰ غَيْرِهِ.

السَّبَبُ الثَّالِثُ: الصَّبْرُ عَلَى عَدُوِّهِ، وَأَنْ لاَ يُقَاتِلَهُ وَلاَ يَشْكُوَهُ، وَلاَ يُحَدِّثَ نَفْسَهُ بِأَذَاهُ أَصْلاً، فَمَا نُصِرَ عَلَى حَاسِدِهِ وَعَدُوِّهِ بِمِثْلِ الصَّبْرِ عَلَيْهِ.

السَّبَبُ الرَّابِعُ: التَّوَكُّلُ عَلَى الله، فَمَنْ تَوَكَّلَ عَلَى الله فَهُوَ حَسْبُهُ، وَالتَّوَكُّلُ مِنْ أَقْوَى الأَسْبَابِ الَّتِي يَدْفَعُ بِهَا العَبْدُ مَا لاَ يُطِيقُ مِنْ أَذَى الخَلْقِ وَظُلْمِهِم وَعُدْوَانِهِم، وَهُوَ مِنْ أَقْوَى الأَسْبَابِ فِي ذَلِكَ، فَإِنَّ الله حَسْبُهُ، أَيْ : كَافِيهِ، وَمَنْ كَانَ الله كَافِيَهُ وَوَاقِيَهُ فَلاَ مَطْمَعَ فِيْهِ لِعَدُوِّهِ.

السَّبَبُ الخَامِسُ: فَرَاغُ القَلْبِ مِنَ الاشْتِغَالِ بِهِ وَالفِكْرِ فِيْهِ، وَأَنْ يَقْصِدَ أَنْ يَمْحُوَهُ مِنْ بَالِهِ كُلَّمَا خطَرَ لَهُ، فَلاَ يَلْتَفِتُ إِلَيْهِ، وَلاَ يَخَافُهُ، وَلاَ يَمْلأُ قَلْبَهُ بِالفِكْرِ فِيْهِ، وَهَذَا مِنْ أَنْفَعِ الأَدْوِيَةِ وَأَقْوَى الأَسْبَابِ المُعِينَةِ عَلَى انْدِفَاعِ شَرِّهِ.

السَّبَبُ السَّادِسُ: وَهُوَ الإِقْبَالُ عَلَى الله، وَالإِخْلاَصُ لَهُ، وَجَعْلُ مَحَبَّتِهِ وَرِضَاهُ وَالإِنَابَةِ إِلَيْهِ فِي مَحَلِّ خَوَاطِرِ نَفْسِهِ وَأَمَانِيِّهَا، تَدِبُّ فِيهَا دَبِيبَ تِلْكَ الخَوَاطِرِ شَيْئاً فشيئاً حَتَّى يَقْهَرَهَا وَيَغْمُرَهَا وَيُذِيبَهَا بِالكُلِّيَّةِ، فَتَبْقَى خَوَاطِرُهُ وَهَوَاجِسُهُ وَأَمَانِيُّهُ كُلُّهَا فِي مَحَابِّ الرَّبِّ، وَالتَّقَرُّبِ إِلَيْهِ.

السَّبَبُ السَّابِعُ: تَجْرِيدُ التَّوْبَةِ إِلَىٰ الله مِنَ الذُّنُوبِ الَّتِي سَلَّطَتْ عَلَيْهِ أَعْدَاءَهُ، فَإِنَّ الله تَعَالَىٰ يَقُولُ: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾ (الشورى: ٣٠)

السَّبَبُ الثَّامِنُ: الصَّدَقَةُ وَالإِحْسَانُ مَا أَمْكَنَهُ، فَإِنَّ لِذَلِكَ تَأْثِيراً عَجِيباً فِي دَفْعِ البَلاَءِ، وَدَفْعِ العَيْنِ، وَشَرِّ الحَاسِدِ ـ وَكَذَلِكَ السِّحْرُ ـ وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي هَذَا إِلاَّ بِتَجَارِبِ الأُمَمِ قَدِيماً وَحَدِيثاً لَكُفِيَ بِهِ، فَمَا حَرَسَ العَبْدُ نِعْمَةَ الله عَلَيْهِ بِمِثْلِ شُكْرِهَا وَلاَ عَرَّضَهَا لِلزَّوَالِ بِمِثْلِ العَمَلِ فِيهَا بِمَعَاصِي الله، وَهُوَ كُفْرَانُ النِّعْمَةِ، وَهُوَ بَابٌ إِلَىٰ كُفْرَانِ المُنْعِمِ.

السَّبَبُ التَّاسِعُ: وَهُوَ الجَامِعُ لِذَلِكَ كُلِّهِ، وَعَلَيْهِ مَدَارُ هَذِهِ الأَسْبَابِ، وَهُوَ تَجْرِيدُ التَّوْحِيدِ، وَالتَّرَحُّلُ بِالفِكْرِ فِي الأَسْبَابِ إِلَىٰ المُسَبِّبِ العَزِيزِ الحَكِيمِ، وَالعِلْمُ بِأَنَّ هَذِهِ الآلاَتِ بِمَنْزِلَةِ حَرَكَاتِ الرِّيَاحِ، وَهِيَ بِيَدِ مُحَرِّكِهَا، وَفَاطِرِهَا وَبَارِئِهَا،

وَلاَ تَضُرُّ وَلاَ تَنْفَعُ إلاَّ بِإذْنِهِ، فَهُوَ الَّذِي يُحْسِنُ إلى عَبْدِهِ بِهَا، وَهُوَ الَّذِي يَصْرِفُهَا عَنْهُ وَحْدَهُ لاَ أَحَدَ سِوَاهُ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ﴾ (يونس: ١٠٧)»[١]

❑ أخيراً: كَيفِيَّةُ شِفَائِهِ:

فَإذَا عَلِمتَ مَعنَى السِّحرِ وَمَفهُومَهُ، وَتَبَيَّنَ لَكَ بِكُلِّ وُضُوحٍ أَنَّ لَهُ حَقِيقَةً، وَأَثَراً، وَابتُلِيَ أَحَدُهُم بِمَرَضِ السِّحرِ -لا قَدَّرَ اللهُ- فَالطَّرِيقَةُ المُثلَى في عِلاجِهِ تَكمُنُ في الآتِي:

الأَوَّلُ: أَن يَستَخرِجَ السِّحرَ مِن مَكَانِهِ، فَإذَا أَخرَجَهُ؛ فَلْيُتلِفْهُ، وَذَلِك بِقِرَاءَةِ رُقيَةِ السِّحرِ، والمُعَوِّذَاتِ، وَيَنفُثُ عَليهِ؛ فَيَبطُلَ بِحولِ الله تَعَالَىٰ وقوَّتِهِ، وَإن رَشَّ عَليهِ مَاءً بِمِلحٍ مَقرُوءٍ عَليهِ؛ فَحَسَنٌ.[٢]

يقول ابنُ مُفلِحٍ رَحِمَهُ اللهُ: «أَمَّا عِلاجُ المسحُورِ؛ فَإمَّا بِاستِخرَاجِهِ وَإبطَالِهِ كَما في الخَبَرِ؛ فَهُوَ كَإزَالَةِ المادَّةِ الخَبِيثَةِ بِالاستِفرَاغِ، وَإمَّا بِالاستِفرَاغِ في المحَلِّ الَّذِي يَصِلُ إلَيهِ أَذَى السِّحرِ؛ فَإنَّ لِلسِّحرِ تَأثِيراً عِندِ جُمهُورِ العُلَماءِ، لا مُجَرَّدَ خَيَالٍ بَاطِلٍ لا حَقِيقَةَ لَهُ»[٣].

وَمَعرِفَةُ مَكَانِهِ: قَد يُخبِرُ بِهِ خَادِمُ السِّحرِ في جَسَدِ المسحُورِ، بَيدَ أَنَّهم يكذِبُونَ كَثِيراً، وَقَد يَفتَحُ الله عَلَى المرِيضِ؛ فَيُرِيهِ في مَنَامِهِ رُؤيَا حَقٍّ تَدُلُّ عَلَى مَكَانِ

---

(١) «بدائع الفوائد» (٢/ ٧٦٤) مختصراً.

(٢) والمِلحُ له خاصية في علاج السموم وزوال السحر ونحوه، يقول ابن قيم الجوزية: في العلاج الإلهي والطبيعي للسحر فيقول في «الزاد» (٤/ ١٨٢ الطب النبوي): «وأما العلاج الطبيعي فِيْهِ فإن في الملح نفعاً لكثير من السموم، وفي الملح من القوة الجاذبة المحللة ما يجذب السموم ويحللها» ومن لطيف ما قيل:

لو عَلِمَ النَّاس بما فِيْهِ لَـمَا ... دَاوَوا بغير المِلح قَطُّ أَلَـمَا

(٣) «الآداب الشرعية» (٣/ ٨٥).

السِّحرِ، كَمَا حَدَثَ مَع النَّبِيِّ ﷺ في قِصةِ سِحرِهِ [1]، أَو يُرِيَ أَحَدَ الصَّالِحِينَ أَو الصَّالِحَاتِ المكَانَ، وهَذَا مَعرُوفٌ مُشَاهَدٌ.

يِقَوُلُ ابنُ قَيِّمِ الجَوزِيَّةِ رَحِمَهُ اللهُ: «وَأَمَّا مَن حَصَلَ لَهُ الشِّفَاءُ بِاستِعمَالِ دَوَاءٍ رَأَى مَن وَصَفَهُ لَهُ في مَنَامِهِ فَكَثِيرٌ جِداً، وَقَد حَدَّثَنِي غَيرُ وَاحِدٍ مِمَّن كَانَ غَيرَ مَائِلٍ إِلَىٰ شَيخِ الإِسلاَمِ ابنِ تَيمِيَّةَ؛ أَنَّهُ رَآهُ بَعدَ مَوتِهِ وَسَأَله عن شَيءٍ كَانَ يُشكِلُ عَليهِ مِن مَسَائِلِ الفَرَائِضِ وغَيرِهَا؛ فَأَجَابَهُ بِالصَّوَابِ، وَبِالجُملَةِ فَهَذَا أَمرٌ لا يُنكِرُهُ إِلَّا مَن هُوَ أَجهَلُ النَّاسِ بِالأَروَاحِ وأَحكَامِهَا وَشَأنِهَا، وَبِالله التَّوفِيقُ» [2]

وَالرُّؤَى الصَّالِحَةُ عَاجِلُ بُشرَى المؤمِنِ، يَرَاهَا المؤمِنُ أَو تُرَى لَهُ، وهَذِهِ مِن رَحمَةِ الله بِعِبَادِهِ وَلُطفِهِ بِهِم.

ولَكِن ثَمَّةَ أَمرٌ مُهِمٌّ جِدًّا، وهُوَ أَنْ لا تَتَعَلَّق قُلُوبُ النَّاسِ بِالرُّؤَى وَالأَحلامِ عَلَى أَنَّها أَمرٌ جَازِمٌ يَقِينِي الثُّبُوتِ، وَإِنَّمَا يُستَأنَسُ بِهَا لا غَيرَ، وَعَلَى المسلِمِ أَن يَتَوَكَّلَ عَلَى الله تَعَالَىٰ، وَلا يَجعَل مِن نَفسِهِ أُلعُوبَةً بِيَدِ الشَّيَاطِينِ بِمَا يُزَيِّنُونَ لَهُ في مَنَامِهِ، وهَذَا يَكثُرُ عِندَ أَهلِ البَلاءِ مِمَّن مَسَّهُمُ الشَّيطَانُ، وَلِهَذَا نَهى النَّبِيُّ ﷺ عن التَّحدِيثِ بتَلَعُّبِ الشَّيَاطِينِ بِهِم في المنَامِ؛ فَقَال: «لا يُحَدِّثَنَّ أَحَدُكُم بِتَلعُّبِ الشَّيطَانِ بِهِ في مَنامِهِ» [3] فَإِن لَم يِكُن هَذا، وَلَم يَعرِف مَكَانَهُ؛ فَيَلجَأُ بَعدَ الله إِلَىٰ:

الثَّانِي: أَن تَقرَأَ عَلَى المسحُورِ الرُّقيَةَ كَامِلَةً [4] وَتُكَرِّرَ عَليهِ الآيَاتِ الَّتِي جَاءَ وَصفُ إِبطَالِ السِّحرِ بِهَا؛ كَقِصَّةِ مُوسَى؛ مَع فِرعَونَ، وَهِي مَا اصطُلِحَ عَلَيهَا عِندَ

---

(١) انظر: البخاري (٥٧٦٣).

(٢) «الروح» (٣٤).

(٣) أخرجه مسلم (٢٢٦٨) من حديث جابر رضي الله عنه.

(٤) وهي الموجودة في آخر الكتاب «الرقية الشرعية العامة».

الرُّقَاةِ «آيَاتُ السِّحرِ» أَو «رُقيَةُ السِّحرِ» [1] وَعَلَيكَ بِسُورَةِ البَقَرَةِ فَهِي عَظِيمَةُ النَّفعِ؛ فَعن أَبِي أُمَامَةَ البَاهِلِي ﷺ قال : سَمِعتُ النَّبِيَّ ﷺ يقول : «اقرَؤُوا سُورَةَ البَقَرَةِ؛ فَإِنَّ أَخذَهَا بَرَكَةٌ، وَتَركَهَا حَسرَةٌ، وَلا تَستَطِيعُهَا البَطَلَةُ »

قال مُعَاوِيَةُ : بَلَغَنِي أَنَّ البَطَلَةَ؛ السَّحَرَةُ [2].

فَكُن وَأَنتَ تَقرَأُ وَاثِقاً بِنَصرِ الله تَعَالَىٰ عَلَى السَّحَرَةِ وَشَيَاطِينِهِم، وَأَنَّ الله لا يُخلِفُ وَعدَهُ فِي إِبطَالِ السِّحرِ، ولَكِن هَذَا يَكُونُ عِندَ اجتِمَاعِ أَسبَابِ الشِّفَاءِ، وَقُوَّةِ الإِيمَانِ، وَاليَقِينِ. [3].

---

(١) تسمية هذه الآيات ذات الموضوع الواحد ليس ببدعٍ من القول، ولقد جاء في كتب التفسير والعقيدة والسِّيَر ما يدل عليه، وجاء عن بعض أهل العلم تسمية لبعض الآيات مما لا محذور فيه إن شاء الله فمنها :

_ آيات الرحمة : انظرها في «فتح القدير» للشوكاني (٤/ ٤٥٩) و «اللسان» لابن منظور (٢/ ٤٤٥)

_ وآيات الشِّفاء : ذكرها الزركشي في «البرهان» (١/ ٤٣٥) والآلوسي في «روح المعاني» في موضعين (١٥/ ١٤٥) و(٢٩/ ١٤٦)

_ وآيات السَّكينة : ذكرها ابن القيم في «المدارج» (٢ / ٥٠٢)

_ وآيات العذاب : انظرها عند الشوكاني في «فتح القدير» (٤/ ٤٥٩) وعند البغوي في «معالم التنزيل» (٤/ ٧٩)

_ وآيات الاستواء : ذكرها «شارح نونية ابن القيم» (١/ ٥١١)

_ وآيات السِّحر : ذكرها سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «مجموع فتاويه» (٣ / ٢٧٩)

وهذه حجة على من لم يعلم صحة هذه التسمية؛ فَلْيأخذها فائدة نفيسة عنَّا، والله أعلم.

(٢) أخرجه مسلم : (٨٠٤)

وسورة البقرة قاصمةُ ظهرٍ للسحرة والشياطين، فليحرص عليها كل مسلم وليكثر من قراءتها فبركتها جِدُّ كبيرة ونافعة .

(٣) وانظر في الطرق الشرعية في الوقاية من السحر والسحرة (١٩٩) والطرق المشروعة لاستخراج السحر في ما كتبه شيخنا العلاّمة الدكتور عمر الأشقر نفع الله به في كتابه «عالم السحر والشعوذة» ص (٢٠٢) وعليك بخير كتاب في الباب «الصارم البتار للتصدي للسحرة الأشرار» للشيخ وحيد عبد السلام بالي، فهو جِدُّ مفيد، واحرص على طبعته الجديدة المنقَّحة.

يقول العَلاَّمَةُ الشِّنقِيطِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ : «التَّحقِيقُ الَّذِي لا يَنبَغِي العُدُولُ عَنْهُ في هَذِهِ المسأَلَةِ : أَنَّ استِخرَاجَ السَّحرِ إن كَانَ بِالقُرآنِ؛ كَالمعَوِّذَتَينِ، وَآيَةِ الكُرسِيِّ، وَنَحوِ ذَلِكَ مِمَّا تَجُوزُ الرُّقيَا بِهِ؛ فَلا مَانِعَ مِن ذَلِكَ.

وَإِنْ كَانَ بِسِحْرٍ أَو بِأَلفَاظٍ عَجَمِيَّةٍ، أَو بِمَا لا يُفهَمُ مَعنَاهُ، أَو بِنَوعٍ آخَرَ مِمَّا لا يَجُوزُ؛ فَإِنَّهُ مَمنُوعٌ، وَهَذَا وَاضِحٌ، وَهُوَ الصَّوَاب »[1].

هَذِهِ بَعضُ مَسَائِلِ السِّحْرِ، وَمَا أُثبِتَ هُنَا إِنَّما هُوَ خُلاصَةُ مَا يُنَاسِبُ المقَامِ بِإِيجَازٍ، وَتَفصِيلُهُ بِحَولِ اللهِ تَعَالىٰ في كِتَابِ : «سُلطَانُ السِّحْرِ وَخَفَايَاهُ» لِرَاقِمِه، وَاللَّهُ أَعلَمُ.

□ □ □

(١) «أضواء البيان» (٤ / ٣٥٣).

□ ثَانِياً: مَرَضُ العَينِ وَالحَسَدِ، وَفِيهِمَا مَسَائِلُ :

الأُولَى : بَيَانُ العَينِ وَالحَسَدِ وَأَثَرُهما.

الثَّانِيَةُ : أَدِلَّتُها.

الثَّالِثَةُ : أَعَرَاضُهما.

الرَّابِعَةُ : كَيفِيَّةُ شِفَائِها.

□ الأُولَى: بَيَانُ العَينِ وَالحَسَدِ وَأَثَرُهُما.

فِي اللُّغَةِ :

١ - العَينُ : يَقُولُ اللُّغَوِيُّونَ [١] :

عَانَ فُلانٌ فُلاناً: إِذَا أَصَابَهُ بِالعَينِ. وَرَجُلٌ مَعيُونٌ؛ إِذَا أُصِيبَ بِعَينٍ، وَعَانَهُ يَعِينُهُ: إِذَا أَصَابَهُ بِالعَينِ.

وَالعَينُ : أَن تُصِيبَ الإِنسَانَ بِعَينٍ. يُقَالُ : أَصَابَتْ فُلاناً عَينٌ، إِذَا نَظَرَ إِلَيهِ عَدُوٌّ، أَو حَسُودٌ؛ فَأَثَّرَتْ فِيْهِ؛ فَمَرِضَ بِسَبَبِهَا. [٢]

وَيُقَالُ لِلَّذِي يُصِيبُ النَّاسَ بِعَينِهِ: نَافِسٌ ونُفُوسٌ؛ لأَنَّه مِنْ شِدَّةِ الحَسَدِ والرَّغبَةِ فِيما يَراهُ لِغَيرِه يَكادُ يُصيبُهُ بالعَينِ، حتَّى يُهلِكَهُ.

وُيقالُ: هذَا مَالٌ مَنْفُوسٌ ونَفِيسٌ، أي : مَرغُوبٌ فِيْهِ.

والنَّفْسُ : العَينُ، يُقالُ : أَصَابَهُ إِصَابَةَ نَفْسٍ، أي: عَيْنٍ. [٣]

وَتَقُولُ العَامَّةُ : رَجُلٌ مَسفُوعٌ: إِذَا أَصَابَتهُ عَينٌ وَلَمَمٌ مِنَ الشَّيطَانِ خَاصَّةً.

---

(١) «جَمهرة اللغة» لابن دُرَيد (٢/ ٩٥٦)، و «النِّهاية في غريب الحديث والأثر» لابن الأثير (٣/ ٣٣٢).

(٢) انظر : «مُعجَم مقاييس اللغة» لابن فارس (٤ / ١٩٩)، و «القاموس المحيط» للفيروز آبادي، و«تاج العروس» للزَّبيدي (١ / ٤٥٢)، و (١٢ / ١٦٤)، و«المُخصَّص» (١ / ١١٣)، و«المُحكَم والمحيط الأعظم» لابن سِيدَه (٧ / ٤٩٠) و «لسان العرب» لابن منظور (١/ ١٦٥) و (١٣ / ٢٩٨) مختصراً من مادة : (عين، ونفس، ونظر)

(٣) «الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي» للأزهري (٢٦٢).

وَيقُولُونَ : فُلانٌ مَنفُوسٌ؛ إِذَا أُصِيبَ بِالعَينِ، فَفِيهِ نَفْسُ العَائِنِ أَو العَائِنَةِ.

وَاصطِلاحاً :

كَانَت هُنَاكَ بَعضُ التَّعَارِيفِ فِي العَينِ، غَيرَ أَنَّهَا لَم تَكُن دَقِيقَةً، وَفِي بَعضِهَا مَلحَظٌ شَرعِيٌّ، وَحَاصِلُ مَا يُنقَلُ فِي المُصَنَّفَاتِ :

العَينُ نَظَرٌ بِاستِحسَانٍ، يَشُوبُهُ شَيءٌ مِنَ الحَسَدِ، وَيَكُونُ النَّاظِرُ خَبِيثَ الطَّبعِ[1].

وَهَذَا فِيهِ نَظَرٌ مِنْ عِدَّةِ أُمُورٍ :

الأَوَّلُ : قَولُهُم : «نَظرٌ» فَهَذَا يُخرِجُ الضَّرِيرَ، وَلَيسَ بِشَيءٍ؛ إِذ الصَّحِيحُ أَنَّ الغَائِبَ أَو الضَّرِيرَ لَو وُصِفَ لَهُ أَمرٌ وَكَانَ مَحَلّاً لِلعَينِ، وَقَصَدَ العَينَ؛ فَإِنَّ هَذَا يَقَعُ إِن قَدَّرَ اللهُ تَعَالَىٰ وُقُوعَهُ، وَصِدقُ هَذَا، قَولُ رَبِّنَا سُبحَانَهُ : ﴿وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ﴾ (القلم: ٥١)، فَقَد ذَكَرَ السَّمَاعَ، وَلَم يَقصُرْهُ عَلَى الرُّؤيَةِ، أَو المُشَاهَدَةِ، فَتَأَمَّل.

يَقُولُ ابنُ قَيِّمِ الجَوزِيَّةِ رَحِمَهُ اللهُ فِي أَصَحِّ قَولَيهِ مُبَيِّناً أَثَرَ العَينِ : «مِنهَا : مَا تُؤَثِّرُ فِي الإِنسَانِ كَيفِيَّتُهَا بِمُجَرَّدِ الرُّؤيَةِ مِن غَيرِ اتِّصَالٍ بِهِ لِشِدَّةِ خُبثِ تِلكَ النَّفسِ وَكَيفِيَّتِهَا الخَبِيثَةِ المُؤَثِّرَةِ، وَالتَّأثِيرُ غَيرُ مَوقُوفٍ عَلَى الاتِّصَالاتِ الجِسمِيَّةِ كَمَا يَظُنُّهُ مَن قَلَّ عِلمُهُ وَمَعرِفَتُهُ بِالطَّبِيعَةِ وَالشَّرِيعَةِ، بَل التَّأثِيرُ يَكُونُ تَارَةً بِالاتِّصَالِ، وَتَارَةً بِالمُقَابَلَةِ، وَتَارَةً بِالرُّؤيَةِ، وَتَارَةً بِتَوَجُّهِ الرُّوحِ نَحوَ مَن يُؤَثِّرُ فِيهِ، وَتَارَةً بِالأَدعِيَةِ وَالرُّقَى وَالتَّعَوُّذَاتِ، وَتَارَةً بِالوَهْمِ وَالتَّخَيُّلِ، وَنَفسُ العَائِنِ لَا يَتَوَقَّفُ تَأثِيرُهَا عَلَى

---

(١) انظر على سبيل المثال : «كشف المشكل من حديث الصَّحِيحين» لابن الجوزي (١ / ٥٨٢) ونقله عنه غيرُ واحد من أهل العلم وشُرَّاح الحديث .

الرُّؤيَةِ، بَل قَد يَكُونُ أَعمَى، فيُوصَفُ لَهُ الشَّيءُ؛ فتُؤَثِّرُ نَفسُهُ فِيهِ وَإن لَم يَرَهُ، وَكَثِيرٌ مِنَ العَائِنِينَ يُؤَثِّرُ في المعِينِ بِالوَصْفِ مِنْ غَيرِ رُؤيَةٍ، وَقَد قَالَ تَعَالىٰ لِنَبِيِّهِ ﷺ:

﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَـٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ﴾ » اهـ[1]، وَالشَّوَاهِدُ الوَاقِعِيَّةُ تُصَدِّقُ هَذا وَتُثبِتُهُ.

وقالَ الحَافِظُ ابنُ حَجرٍ رَحِمَهُ اللهُ: «وَقَدْ أَجْرَى الله العَادَةَ بِوُجُودِ كَثِيرٍ مِنَ القُوَى وَالخَوَاصِّ في الأَجْسَامِ وَالأَرْوَاحِ كَمَا يَحْدُثُ لِمَنْ يَنْظُرُ إِلَيْهِ مَنْ يَحْتَشِمُهُ مِنَ الخَجَلِ فَيَرَى في وَجْهِهِ حُمْرَةً شَدِيدَةً لَمْ تَكُنْ قَبْلَ ذَلِكَ، وَكَذَا الاصْفِرَارُ عِنْدَ رُؤْيَةِ مَنْ يَخَافُهُ، وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ يَسْقَمُ بِمُجَرَّدِ النَّظَرِ إِلَيْهِ وَتَضْعُفُ قُوَاهُ، وَكُلُّ ذَلِكَ بِوَاسِطَةِ مَا خَلَقَ الله تَعَالىٰ في الأَرْوَاحِ مِنَ التَّأْثِيرَاتِ وَلِشِدَّةِ ارْتِبَاطِهَا بِالعَيْنِ نُسِبَ الفِعْلُ إِلَىٰ العَيْنِ، وَلَيْسَتْ هِيَ المُؤَثِّرَةُ وَإِنَّمَا التَّأْثِيرُ لِلرُّوحِ، وَالأَرْوَاحُ مُخْتَلِفَةٌ في طَبَائِعِهَا وَقُوَاهَا وَكَيْفِيَّاتِهَا وَخَوَاصِّهَا: فَمِنْهَا مَا يُؤَثِّرُ في البَدَنِ بِمُجَرَّدِ الرُّؤْيَةِ مِنْ غَيْرِ اتِّصَالٍ بِهِ؛ لِشِدَّةِ خُبْثِ تِلْكَ الرُّوحِ وَكَيْفِيَّتِهَا الخَبِيثَةِ.

وَالحَاصِلُ أَنَّ التَّأْثِيرَ بِإِرَادَةِ الله تَعَالىٰ وَخَلْقِهِ لَيْسَ مَقْصُوراً على الاتِّصَالِ الجِسْمَانِيِّ؛ بَلْ يَكُونُ تَارَةً بِهِ وَتَارَةً بِالمُقَابَلَةِ، وَأُخْرَى بِمُجَرِدِ الرُّؤْيَةِ، وَأُخْرَى بِتَوَجُّهِ الرُّوحِ كَالَّذِي يَحْدُثُ مِنَ الأَدْعِيَةِ وَالرُّقَى وَالالتِجَاءِ إِلَىٰ الله، وَتَارَةً يَقَعُ ذَلِكَ بِالتَّوَهُّمِ وَالتَّخَيُّلِ، فَالَّذِي يَخْرُجُ مِنْ عَيْنِ العَائِنِ سَهْمٌ مَعْنَوِيٌّ إِنْ صَادَفَ البَدَنَ لا وِقَايَةَ لَهُ أَثَّرَ فِيهِ، وَإِلَّا لَمْ يَنْفُذْ السَّهْمُ، بَلْ رُبَّمَا رُدَّ عَلَى صَاحِبِهِ كَالسَّهْمِ الحِسِّيِّ سَوَاءٌ»[2].

الثَّاني: قَولُهُم: «بِاستِحسَانٍ» لا يَلْزَمُ مِنْهُ ذَلِكَ في الكُلِّ؛ فإنَّ هَذا وَإنْ صَحَّ

---

(١) «زاد المعاد» (٤/ ١٤٩).

(٢) «فتح الباري» (١٠/ ٢٠٠).

في حَالةِ العَيْنِ للإعْجَابِ، فإنَّ كَثِيراً مَا يَكُونُ مِنَ العَينِ هُو مِنْ بابِ الحِقدِ والضَّغِينةِ والكَراهِيةِ لا الاسْتِحْسَانِ، وهَذا ظَاهِرٌ مَشهُورٌ؛ لِذَا تَجدُ كَثيراً مِنَ النَّاسِ يَحرِصُ على مَنْعِ مَنْ يَكرَهُ لَهُ الخَيرَ رُؤيةَ النِّعْمةِ، أو التَّحدُّثَ لَهُ بِالخَيرِ؛ كُلُّ ذَلكَ خَشيةَ حُصولِ الحَسدِ أو العَيْنِ، والشَّواهِدُ أكثرُ مِنْ أنْ تُحصَى.

الثَّالثُ: قَولُهُم: «شُوبَهُ شَيءٌ مِنَ الحَسَدِ» هَذا القَيدُ غَيرُ لازِمٍ؛ لأنَّ العَينَ في كَثيرٍ مِنْ أسبَابِها لا يَكونُ فِيْها الحَسدُ، وهَذا ظَاهِرٌ جِدّاً في حَالةِ إصَابَةِ العَينَ مِنَ الرُّجلِ المُحبِّ لِولَدِهِ أو لِزَوجَتِهِ، بَلْ رُبَّما لِنَفْسِه مِنْ حَيثُ لا يَشْعرُ، ولا يَقولُ قَائلٌ: إنَّ هَذِه العَينَ كانَتْ مَشُوبَةً بِبَعضِ حَسدٍ! وَيَشهدُ لِصحَّةِ هَذا، مَا قالَهُ ابنُ عَبدِ البرِّ رَحِمَهُ اللهُ مُعلِّقاً على حَدِيثِ سَهلِ بنِ حَنِيفٍ لَـمَّا أَصابَتْهُ العَينُ، قالَ: «وَفِيهِ أنَّ العَينَ إنَّما تَكُونُ مَعَ الإعْجَابِ، وَرُبَّما مَعَ الحَسَدِ»(١)

وقالَ الحافِظُ ابنُ حَجرٍ رَحِمَهُ اللهُ: «وَأَنَّ العَيْنَ تَكُونُ مَعَ الإعْجَابِ وَلوْ بِغَيْرِ حَسَدٍ، وَلَوْ مِنَ الرَّجُلِ المُحِبِّ، وَمِنَ الرَّجُلِ الصَّالِحِ، وَأَنَّ الَّذِي يُعْجِبهُ الشَّيْءُ يَنْبَغِي أَنْ يُبَادِرَ إِلَىٰ الدُّعَاءِ لِلَّذِي يُعْجِبُهُ بِالبَرَكَةِ، وَيَكُونُ ذَلِكَ رُقْيَة مِنْهُ»(٢)

فانْظُرْ كَيفَ مَايزَ بَيْنَ الإعْجَابِ بغَيرِ حَسدٍ تَارةً، ومَرَّةً مَعَ الحَسَدِ، ولا يَسْتلْزِمُ اطِّرادُ اقتِرانِهما.

وَإنَّما التَّطَرُّقُ لِمثلِ هَذَا القَيدِ في التَّعرِيفِ كَانَ سَبَبُهُ الذُّهُولَ عَن حَقِيقَةِ الحَسَدِ وَفَهمِ مَعنَاهُ؛ في أَنَّهُ تَمنٍّ لِزَوالِ النِّعمَةِ، وَهَذَا مُتَعَذِّرٌ عِندَ العَائِنِ المُحِبِّ؛ كَوالِدٍ، أَو زَوجٍ، وَغَيرِهِم، واللهُ أَعلَمُ.

---

(١) «التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد» (١٣/ ٦٩)

(٢) «فتح الباري» (١٠/ ٢٠٥).

الرَّابعُ : قولُهُم : «وَيَكُونُ النَّاظِرُ خَبيثَ الطَّبعِ» وَهَذَا بَاطِلٌ قَطعاً في الجَمِيعِ، جَائِزٌ في بَعضِ أَفرَادِهِ، وَيَكفِي لِرَدِّهِ، أَنْ صَدَرَ هَذَا مِنْ صَحَابِيٍّ جَلِيلٍ، وَمَعَاذَ اللهِ أَنْ نَتَّهِمَ صَحَابَةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِذَلِكَ، وَقَد زَكَّاهُم رَبُّهُم، وَشَهِدَ لَهُم بِالأَفضَلِيَّةِ وَالخَيرِيَّةِ، وَجعَلَهُم وُزَرَاءَ نَبيِّهِ ﷺ، وَلا يَنفِي هَذَا مُعَاتَبَةُ النَّبِيِّ ﷺ لِلصَّحَابِيِّ العَائِنِ؛ إذ كَانَ صُدُورُهُ عَن إعجَابٍ جِبِلِّيٍّ، مَع سَلامَةِ الطَّبعِ، وَلَكِنَّ المُعَاتَبَةَ مَصرُوفَةٌ لَعَدَمِ التَّبرِيكِ بِقَولِهِ : «أَلا بَرَّكتَ»؛ فَتَنَبَّه.

قَالَ ابنُ عَبدِ البَرِّ رَحِمَهُ اللهُ، مُبَيِّناً فَوَائِدَ الحَدِيثِ : «وَفِيهِ : مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ في طِبَاعِ البَشَرِ الإعجَابَ بِالشَّيءِ الحَسَنِ، وَالحَسَدَ عَلَيهِ، وَهَذَا لا يَملِكُهُ المرءُ مِن نَفسِهِ؛ فَلِذَلِكَ لَم يُعَاتِبْهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى ذَلِكَ، وَإِنَّمَا عَاتَبَهُ عَلَى تَركِ التَّبرِيكِ الَّذِي كَانَ في وُسعِهِ وَطَاقَتِهِ» (١)

وَيَقُولُ رَحِمَهُ اللهُ أَيضاً : «فِيهِ : أَنَّ الرَّجُلَ الصَّالِحَ قَد يَكُونُ عَائِناً، وَأَنَّ هَذَا لَيسَ مِن بَابِ الصَّلاحِ، وَلا مِن بَابِ الفِسْقِ في شَيءٍ» (٢)

وَعَلَيهِ فَلا صِحَّةَ لِدُخُولِ قَيدِ خَبيثِ الطَّبعِ في التَّعرِيفِ. واللهُ أَعلَمُ.

٢- الحَسَدُ :

يَقُولُ أَهلُ اللُّغةِ : حَسَدَ يَحْسِدُ وَيَحْسُدُ، وَحَسَدْتُكَ عَلَى النِّعْمَةِ: إذَا كَرِهْتُهَا عِنْدَكَ، وَتَمَنَّيْتُ زَوَالَهَا عَنْكَ.

ونَقَلَ ابنُ مَنْظُورٍ فَقَالَ : الحَسَدُ أَنْ تَتَمَنَّى زَوَالَ نِعْمَةِ المحْسُودِ إليك، ويقال: حَسَدَه: إذَا تَمَنَّى أَنْ تَتَحَوَّلَ إِلَيهِ نِعْمَتُهُ وَفَضِيلَتُهُ أَوْ يُسْلَبُهَا. (٣)

---

(١) «التمهيد» (٦ / ٢٣٧)

(٢) «التمهيد» (١٣ / ٦٩)

(٣) «لسان العرب» (٣/ ١٤٨) مادة : (حسد).

وقِيلَ: هُوَ التَأَلُّمُ بِمَا يَرَاهُ الإِنْسَانُ لِغَيرِه وَمَا يَجِدُهُ فِيهِ مِنَ الفَضَائِلِ، وَالاجْتِهَادُ فِي إِعْدَامِ ذَلِكَ الغَيرِ مَا هُوَ لَهُ، وَهُوَ خُلُقٌ مَكْرُوهٌ وَقَبِيحٌ بِكُلِّ أَحَدٍ.

بَلْ رُبَّمَا تمادَى الأَمرُ بأَهلِ السُّوءِ مِنَ الحَسَدةِ فكَانُوا كمَا قالَ الرَّاغِبُ رَحِمَهُ اللهُ: «الحسَدُ : تَمَنِّي زَوَالِ نِعْمَةٍ مِنْ مُسْتَحِقٍّ لَهَا، وَرُبَّمَا كَانَ مَعَ ذَلِك سَعْيٌ فِي إِزَالَتِهَا» [1] حَفِظَنَا اللهُ والمُسلِمِينَ.

فَإِذَا عُلِمَ هذَا، فلا يَغِبْ عَنْ عِلْمِكَ أَنَّ الحسَدَ نوعَانِ؛ نَوعٌ مَحمُودٌ، وآخَرُ مَذمُومٌ [2] :

فَالمحمُودُ مَا كانَ عَلى عِبادَةٍ وطَاعَةٍ يَتمنَّاهَا؛ لِيتقرَّبَ بِهَا إِلَىٰ اللهِ تَعَالىٰ، ولَكِنْ مِنْ غَيرِ زَوَالِهَا مِنْ عِنْدِ صَاحِبِها، كَقولِه ﷺ : «لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ : رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ القُرْآنَ فَهُوَ يَتْلُوهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالاً فَهُوَ يُنْفِقُهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ» [3]

ويُسَمِّيهِ العُلماءُ : الغِبْطَةُ، وهُو صِفةٌ لِلمُؤمِنِ؛ لِحرْصِهِ وَحُبِّهِ للطَّاعَاتِ والاسْتِزَادَةِ مِنْها.

وَللفَرْقِ بَينَ الحَسدِ والغِبْطَةِ، يَقولُ الإِمَامُ القَرافِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «اشْتَرَكَتِ القَاعِدَتَانِ فِي أَنَّهُما طَلَبٌ مِنَ القَلْبِ غَيْرَ أَنَّ الحَسَدَ تَمنِّي زَوَالِ النِّعْمَةِ عَنِ الغَيْرِ، وَالغِبْطَةُ تَمَنِّي حُصُولِ مِثْلِهَا مِنْ غَيْرِ تَعرُّضٍ لِطَلَبِ زَوَالِهَا عَنْ صَاحِبِها.

ثُمَّ الحَسَدُ حَسَدَانِ : تَمَنِّي زَوَالِ النِّعْمَةِ وَحُصُولِهَا لِلْحَاسِدِ، وتَمَنِّي زَوَالِها مِنْ غَيْرِ أَنْ يَطْلُبَ حُصُولَهَا لِلْحَاسِدِ، وَهُوَ شَرُّ الحَاسِدِينَ؛ لأَنَّهُ طَلَبَ المفْسَدَةَ الصِّرْفَةَ مِنْ غَيْرِ مُعَارِضٍ عَادِيٍّ أَوْ طَبِيعِيٍّ.

---

(١) «مفردات ألفاظ القرآن» (٢٣٤).

(٢) وانظر في مراتب الحسد : «بدائع الفوائد» لابن القيم (٢/ ٧٦٢).

(٣) أخرجه مسلم (٨١٥)

ثُمَّ حُكْمُ الحَسَدِ في الشَّرِيعَةِ التَّحْرِيمُ، وَحُكْمُ الغِبْطَةِ الإبَاحَةُ لِعَدَمِ تَعَلُّقِهِ بِمَفْسَدَةٍ الْبَتَّةَ، وَدَلِيلُ تَحْرِيمِ الحَسَدِ الكِتَابُ، وَالسُّنَّةُ، وَالإجْمَاعُ.

فَالكِتَابُ : قَوْلُه تَعَالَىٰ : ﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾ (الفلق: ٥)، وقَوْلُه تَعَالَىٰ : ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ (النساء: ٥٤)، وقَوْلُه تَعَالَىٰ : ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ (النساء: ٣٢)، أَيْ : لَا تَتَمَنَّوْا زَوَالَهُ؛ لِأَنَّ قَرِينَةَ النَّهْيِ دَالَّةٌ عَلَى هَذَا الحَذْفِ.

وَأَمَّا السُّنَّةُ : فَقَوْلُهُ : ﷺ :«لَا حَسَدَ إِلَّا في اثْنَتَيْنِ؛ رَجُلٌ آتَاهُ الله القُرْآنَ فَهُوَ يَقُومُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ، وَرَجُلٌ آتَاهُ الله تَعَالىٰ مَالاً فَهُوَ يُنْفِقُهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ»[1] أَيْ : لَا غِبْطَةَ إِلَّا في هَاتَيْنِ عَلَى وَجْهِ المُبَالَغَةِ.

وَقَالَ ﷺ: «لَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَبَاغَضُوا وَكُونُوا عِبَادَ الله إِخْوَاناً»[2]

وَأَجْمَعَتِ الأُمَّةُ عَلَى تَحْرِيمِهِ وَقَدْ يُعَبَّرُ عنِ الغِبْطَةِ بِلَفْظِ الحَسَدِ كَالحَدِيثِ المُتَقَدِّمِ، وَيُقَالُ : إِنَّ الحَسَدَ أَوَّلُ مَعْصِيَةٍ عُصِيَ الله بِهَا في الأَرْضِ؛ حَسَدَ إِبْلِيسُ آدَمَ فَلَمْ يَسْجُدْ لَهُ »[3]

والمَذْمُومُ : وهُوَ صِفَةٌ لِلمُنافقِ، وهُو أَنْ يَتمَنَّى زَوَالَ النِّعْمَةِ وأَيِّ نِعْمةٍ - جَلَّتْ أو قلَّتْ - عَنِ المحْسُودِ، حَسَداً مِنْ عِنْدِ نَفْسِهِ المرِيضَةِ، وَمِنْ هُنا قالَ الفُضَيلُ رَحِمَهُ اللهُ : «المُؤْمِنُ يَغْبِطُ، وَالمُنَافِقُ يَحْسُدُ ».

وتقول العَامَّةُ : فُلانٌ فَارِغُ العَينِ، كِنايَةً خِفيَّةً عَلى الحَسدِ، وأَنَّ هَذَا الفَراغُ لا يَملؤُهُ إِلَّا ذَهابُ النِّعمَةِ عِنْدَ المحسُودِ. نَسأَلُ الله السَّلامَةَ وَالعَافِيَةَ.

---

(١) أخرجه مسلم (٨١٥)

(٢) أخرجه البخاري (٦٠٦٦)

(٣) «الفروق» (٤/ ٣٣١) .

وبَعدَ هَذا التَّمهيدِ المُهِمِّ بَقِي أَنْ تَعرِفَ بِاختِصَارٍ مَا المرادُ بالعَيْنِ والحَسدِ في الاصْطِلاحِ، فيُقَالُ :

المرَادُ بِهِمَا : الإصَابَةُ عَنْ طَرِيقِ العَيْنِ وَالنَّفْسِ إعجَاباً، أَو أَنْ تَتكَيَّفَ النَّفْسُ لإصَابَةِ مَا يَقَعُ عَلَيهِ البَصَرُ حَسَدَاً، وَحِقدَاً، وَبُغضَاً؛ لإلحَاقِ الضَّرَرِ بِهِ.[1]

وقالَ ابنُ الأَثِيرِ رَحِمَهُ اللهُ : «أَصَابَتْ فُلاناً عَيْنٌ؛ إذا نَظرَ إلَيْهِ عَدُوٌّ أو حَسُودٌ؛ فأَثَّرتْ فِيْهِ، فمَرِضَ بِسَبَبِها »[2]

قَالَ شَاعِرُهُم :

وَجَاؤُوا إلَيهِ بالتَّعَاوِيذِ وَالرُّقَى   وَصَبُّوا عَلَيهِ الماءَ مِنْ أَلَمِ النُّكْسِ
وَقَالُوا بِهِ مِنْ أَعيُنِ الجنِّ نَظرَةٌ   وَلَو عَلِمُوا لَقَالُوا بِهِ أَعيُنُ الإنسِ[3]

قَالَ الخَطَّابِيُّ رَحِمَهُ اللهُ : «وَالعَينُ عينَانِ : عَينٌ إنسِيَّةٌ، وَعَينٌ جِنِّيَّةٌ، وعُيُونُ الجِنِّ أَنفَذُ مِنْ أَسِنَّةِ الرِّمَاحِ »[4]

فَإنْ قُلْتَ : وهَل هُنَاكَ فَرْقٌ بَيْنَ العَيْنِ وَالحَسَدِ ؟

فَالجَوابُ : هُنَاك بَعْض اتِّفَاقٍ و افتِرَاقٍ بَيْنَهُما :

فأَمَا الاتِّفَاق بَيْنَهُما، فَهُو ظَاهِرٌ في الجَوانِب التَّالِيَةِ :

فِي الأَثَر، فَكِلاَهُمَا يُنتَجُ عَنْهُ الضَّرَرُ، وَزَوَالُ النِّعْمَةِ، أَو تَغيُّرُها.

وفِي الحَقِيقَةِ، فَكِلاَهُمَا عِبارَةٌ عَنْ تَوجُّهِ النَّفْسِ نَحْوَ مَنْ يَحْصُلُ لَهُ الأَذَى.

---

(١) انظر في ذلك : «الطب النبوي» لابن القيم (١٢٧) فصل في هديه ﷺ في علاج المصاب بالعين . وانظر: «بدائع الفوائد» (٢/ ٧٥٣) في الحديث عن العين بسبب الإعجاب .

(٢) «النهاية» (٣/ ٦٢٥)

(٣) «الأحكام النبوية في الصناعة الطبية» للكحَّال (٧٦) .

(٤) «أعلام الحديث» (٢/ ١١٢٠) .

وفي الوِقَايةِ مَنْهُما وَالعِلاَجِ، فالتَّبرِيكُ وذكرُ اللهِ مانعٌ مِنَ الإصَابَة وَهَذَا بِقَدَر اللهِ تَعَالىٰ.

وأَمَّا الَافتراق بَيْنهما، فَهُو مَنْ عَدَّةِ جَوانِبَ :

فِي المصْدَرِ، فَمَصْدَرُ الحَسَدِ : تحرُّقُ القَلْبِ واستِكْثارِ النِّعْمَةِ عَلَى المحْسُودِ وتمنِّي زَوالِها عَنْهُ أَو عَدَمِ حُصُولِها.

أَمَا العَيْنُ فَمَصْدَرُها الإعْجَابُ والَاستِعظَامُ، لِذَا فَقَدْ يُصِيبُ بالعَيْنِ مِنْ جَمادٍ أَوْ حَيَوَانٍ أَوْ زَرْعٍ أَوْ مَالٍ، وَرُبَّما أَصَابَتْ عَينُه أَحَدَ أَبنَائِهِ، أَوْ أَهْلِهِ أَوْ نَفْسِهِ، فرُؤْيَتُه لِلشَّيْءِ رُؤْيَةَ تَعَجُّبٍ وتَحدِيقٍ مَعْ تَكيُّفِ نَفْسِه وتَوجُّهِها إلَيْهِ تُؤَثِّرُ في المعِينِ.

والحاسَدُ يُمكِنُ أَنْ يَحْسُدَ في الأَمْرِ المُتوقَّعِ قَبْلَ وُقُوعِه، بَيْنَما العَائِنُ لَا يُعِينُ إلَّا الموجُودَ بالفِعْلِ.

وأَنَّ الحاسِدَ تَتكَيَّفُ نَفْسُهُ وتَتَوجَّهُ لِمَن حَسَدَهُ، سَوَاءٌ في حَضَرَتِه أَوْ غَيْبَتِهِ؛ لأَنَّ الحَسَدَ أَصْلَهُ نَفْسٌ خَبِيثَةٌ قَوِيتْ.

أَمَا العَائِنُ فَإنَّ نَفْسَهُ تَتكَيَّفُ عِنْدَ مُقَابَلَةِ المعِينِ ومُعايَنَتِهِ.(١)

❑ الثَّانِيَةُ : أَدِلَّتُها :

فإنْ قُلتَ : وَهلْ لَهُما أَدلَّةٌ عَلى حَقِيقَتِهِما ؟

فَالجَوابُ : إيْ ورَبِّي لهُمُا أَدِلَّةٌ كَثِيرةٌ، جَاءتْ في كِتَابِ الله تَعَالىٰ، وَفي سُنَّةِ نَبِيِّنا مُحمَّدٍ ﷺ، وَفي كَلامِ أَهْلِ العِلْمِ باسْتِفَاضَةٍ، وَلَمْ يُنكِرِ العَينَ والحسَدَ إلَّا مَنْ أُشْرِبَ قَلبُهُ وداهَمَ عَقْلَهُ شُبَهُ المُعتَزِلَةِ العَقْلانِيَّةِ وَمَنْ لَفَّ لَفَّهُم.

---

(١) انظر : «بدائع الفوائد» لابن القيم (٢/ ٧٥١) وما بعده فهو نفيس.

أوَّلاً : الأدِلَّةُ فِي كِتَابِ اللهِ تَعَالى :

١- قالَ الحَقُّ جَلَّ في عُلاهُ : ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴾ (النساء : ٥٤).

٢- قالَ الحَقُّ جَلَّ في عُلاهُ : ﴿ وَقَالَ يَٰبَنِىَّ لَا تَدْخُلُوا۟ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُوا۟ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ ۖ وَمَآ أُغْنِى عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ (يوسف: ٦٧)

٣- وقالَ الحَقُّ جَلَّ في عُلاهُ: ﴿ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴾ (الكهف: ٣٩)

٤- وقالَ الحَقُّ جَلَّ في عُلاهُ: ﴿ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴾ (القلم: ٥١)

٥- و قالَ الحَقُّ جَلَّ في عُلاهُ : ﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾ (الفلق: ٥)

فَهذِهِ الآياتُ بِمَجْمُوعِها تَدلُّ دَلالةً قاطِعةً على إثْباتِها وحَقيقَتِها، وَحِينَها فَلا عِبْرةَ لِمن يَنْفِيها أَوْ يُشوِّشُ بِرَدِيءِ فِكْرِهِ ويُصادِمُ بِهِ الكِتابَ والسُّنَّةَ النَّبوِيَّةِ.(١)

وَأسُوقُ لَكَ مِنْ كَلامِ كِبارِ المفَسِّرينَ لِتكُونَ بذَلِكَ عَلى بَصِيْرَةٍ :

يَقُولُ شَيخُ المفَسِّرينَ الإمَامُ ابنُ جَريرِ الطَّبَرِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: وَإنْ يَكادُ الَّذِينَ كفَرُوا يَا مُحَمَّدُ، يَنفُذُونَكَ بِأَبْصارِهِم مِنْ شِدَّةِ عَداوَتِهم لَكَ وَيُزِيلُونَكَ فَيَرْمُوا بِكَ عِنْدَ نَظَرِهِم إلَيْكَ غَيظاً عَلَيْكَ.

وَقَدْ قِيلَ : إنَّهُ عُنِيَ بِذَلِكَ : وَإنْ يَكادُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِمَّا عانُوكَ بِأَبْصارِهِم لَيَرْمُونَ بِكَ يامُحَمَّدُ، وَيَصْرَعُونَكَ، كَما تَقُولُ العَرَبُ : كَادَ فُلانٌ يَصْرَعُنِي بِشِدَّةِ نَظَرِهِ إلَيَّ.

---

(١) وانظر أقوال المفسرين على هذه الآيات في مبحث آيات الرقية الشرعية في الاستدلال عليها وبيان فوائدها .

قَالُوا : وَإِنَّمَا كَانَتْ قُرَيْشٌ عَانُوا رَسُولَ الله ﷺ لِيُصِيبُوهُ بِالعَيْنِ، فَنَظَرُوا إِلَيْهِ لِيُعِينُوهُ، وَقَالُوا: مَا رَأَيْنَا رَجُلاً مِثْلَهُ، أَوْ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ، فَقَالَ الله لِنَبِيِّهِ عِنْدَ ذَلِكَ ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَـٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ﴾.[1]

وَيَقُولُ الإِمَامُ القُرطُبِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: في قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ يَـٰبَنِىَّ لَا تَدْخُلُواْ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُواْ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ ۖ وَمَآ أُغْنِى عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾، إِذَا كَانَ هَذا مَعْنَى الآيَةِ؛ فَيَكُونُ فِيهَا دَلِيلٌ عَلى التَّحَرُّزِ مِنَ العَيْنِ؛ والعَينُ حَقٌّ»[2].

وَيَقُولُ الإِمَامُ المفَسِّرُ الشَّهِيرُ عِمَادُ الدِّينِ ابنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللهُ: في قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَـٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ﴾

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَمُجَاهِدٌ، وَغَيْرُهُمَا : ﴿لَيُزْلِقُونَكَ﴾ : لَيُنْفِذُونَكَ بِأَبْصَارِهِم، أَيْ : لَيُعِينُونَكَ بِأَبْصَارِهِم، بِمَعْنَى : يَحْسُدُونَكَ لِبُغْضِهِم إِيَّاكَ لَوْلَا وِقَايَةُ اللهِ لَكَ، وَحِمَايَتُهُ إِيَّاكَ مِنْهُم.

وَفِي هَذِهِ الآيَةِ : دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ العَيْنَ إِصَابَتُهَا وَتَأْثِيرُهَا حَقٌّ بِأَمْرِ الله عَزَّ وَجَلَّ، كَمَا وَرَدَتْ بِذَلِكَ الأَحَادِيثُ المَرْوِيَّةُ مِنْ طُرُقٍ مُتَعَدِّدَةٍ كَثِيرَةٍ»[3].

وَقَالَ السُّيوطِيُّ رَحِمَهُ اللهُ في قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾: أَصْلٌ في أَنَّ العَيْنَ حَقٌّ.[4]

ثَانِياً : الأَدِلَّةُ فِي سُنَّةِ رَسُولِ الله ﷺ :

١- عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما قَالَ : كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُعَوِّذُ الحَسَنَ وَالحُسَينَ وَيَقُولُ : «إِنَّ أَبَاكُمَا كَانَ يُعَوِّذُ بِهَا إِسمَاعِيلَ وَإِسحَاقَ : أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّةِ مِنْ كُلِّ شَيطَانٍ وَهَامَّةٍ وَمِن كُلِّ عَينٍ لامَّةٍ ».[5]

---

(١) «جامع البيان» (٢٣/ ٢٠٢)

(٢) «الجامع لأحكام القرآن» (٩/ ٢٢٦).

(٣) «تفسير القرآن العظيم» (٨/ ٢٠١).

(٤) «الإكليل في استنباط التنزيل» (٦٢٤).

(٥) أخرجه البخاري (٣٣٧١)

٢- وعَن عَائِشَةَ رَضِيَ الله عنها قَالَت : أَمَرَنِي رَسُولُ الله ﷺ أَو أَمَرَ أَن يُستَرقَى مِنَ العَينِ.[١]

٣- وعَن أَبِي هُرَيرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «العَينُ حَقٌّ» وَنَهَى عَنِ الوَشمِ.[٢]

٤- وعَن عَائِشَةَ رَضِيَ الله عنها زَوجِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهَا قَالَت : كَانَ إِذَا اشتَكَى رَسُولُ الله ﷺ رَقَاهُ جِبرِيلُ قَالَ : بِاسْمِ الله يُبرِيكَ ، وَمِن كُلِّ دَاءٍ يَشفِيكَ ، وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ، وَشَرِّ كُلِّ ذِي عَينٍ.[٣]

٥- وعَنْ أُمِّ سَلَمةَ رَضِيَ الله عَنْها أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَى فِي بَيْتِهَا جَارِيَةً فِي وَجْهِهَا سَفْعَةٌ، فَقَالَ : «اسْتَرْقُوا لَهَا؛ فَإِنَّ بِهَا النَّظْرَةَ».[٤]

٦- وعَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه قال : إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِأَسْمَاءَ بِنْتِ عُمَيْسٍ: «مَا لِي أَرَى أَجْسَامَ بَنِي أَخِي ضَارِعَةً، تُصِيبُهُم الحَاجَةُ ؟».

قَالَتْ: لَا، وَلَكِنِ العَيْنُ تُسْرِعُ إِلَيْهِمْ.

قَالَ: «ارْقِيهِم».

قَالَتْ : فَعَرَضْتُ عَلَيهِ، فَقَالَ : «ارْقِيهِم»[٥]

وَانْظُر إِلَى كَلامِ العَالِمِ الحَاذِقِ ابنِ قَيِّمِ الجَوْزِيَّةِ رحمه الله الَّذِي مَهَرَ فِي هَذَا البَابِ يُفَسِّرُ لَكَ كَيْفَ يَقَعُ أَثَرُ العَيْنِ على المَعِيْنِ، وهُوَ يَصِفُ أَحْوَالَ العَائِنِيْنَ ونُفُوسِهِم:

---

(١) أخرجه البخاري (٥٧٣٨)

(٢) أخرجه البخاري (٥٧٤٠)

(٣) أخرجه مسلم (٢١٨٥)

(٤) أخرجه البخاري (٥٧٣٩)

(٥) أخرجه مسلم (٢١٩٨)

«وَمِنْهُم : مَنْ نَفْسُهُ عَلَى نُفُوسِ ذَوَاتِ السُّمُومِ وَالحُماتِ؛ كَالحَيَّةِ وَالعَقْرَبِ وَغَيْرِهِمَا، وَهَذَا الضَّرْبُ هُوَ الَّذِي يُؤْذِي بِعَيْنِهِ فَيُدْخِلُ الرَّجُلَ القَبْرَ وَالجَمَلَ القِدْرَ، وَالعَيْنُ وَحْدَهَا لَمْ تَفْعَلْ شَيْئاً، وَإِنَّمَا النَّفْسُ الخَبِيثَةُ السُّمِّيَّةُ تَكَيَّفَتْ بِكَيْفِيَّةٍ غَضَبِيَّةٍ مَعَ شِدَّةِ حَسَدٍ وَإِعْجَابٍ، وَقَابَلَتِ المَعِينَ عَلَى غِرَّةٍ مِنْهُ وَغَفْلَةٍ وَهُوَ أَعْزَلُ مِنْ سِلاَحِهِ؛ فَلَدَغَتْهُ كَالحَيَّةِ الَّتِي تَنْظُرُ إِلَى مَوْضِعٍ مَكْشُوفٍ مِنْ بَدَنِ الإِنْسَانِ فَتَنْهَشُهُ؛ فَإِمَّا عَطَبٌ وَإِمَّا أَذًى، وَلِهَذَا لَا يَتَوَقَّفُ أَذَى العَائِنِ عَلَى الرُّؤْيَةِ وَالمُشَاهَدَةِ، بَلْ إِذَا وُصِفَ لَهُ الشَّيْءُ الغَائِبُ عَنْهُ وَصَلَ إِلَيْهِ أَذَاهُ.

وَالذَّنْبُ لِجَهْلِ المَعِينِ وَغَفْلَتِهِ وَغِرَّتِهِ عَنْ حَمْلِ سِلاَحِهِ كُلَّ وَقْتٍ، فَالعَائِنُ لَا يُؤَثِّرُ فِي شَاكِي السِّلاَحِ كَالحَيَّةِ إِذَا قَابَلَتْ دِرْعاً سَابِغاً عَلَى جَمِيعِ البَدَنِ لَيْسَ فِيهِ مَوْضِعٌ مَكْشُوفٌ، فَحَقٌّ عَلَى مَنْ أَرَادَ حِفْظَ نَفْسِهِ وَحِمَايَتَهَا أَنْ لَا يَزَالَ مُتَدَرِّعاً مُتَحَصِّناً لَابِساً أَدَاةَ الحَرْبِ مُوَاظِباً عَلَى أَوْرَادِ التَّعَوُّذَاتِ وَالتَّحْصِينَاتِ النَّبَوِيَّةِ الَّتِي فِي القُرْآنِ وَالَّتِي فِي السُّنَّةِ.»(١)

فَهَذِه جُمْلَةٌ مِنَ الأَدِلَّةِ فِي إِثْبَاتِ العَيْنِ والحَسدِ، وحَقَائِقِهِما، فَحَرِيٌّ بِالمُسلِمِ وَالمُسلِمَةِ التَّسلِيمُ بِذَلك وأَنْ يَكُونَ حَالُهُما كَما أَخْبرَ سُبحَانَهُ فِي كِتَابِه عَنِ المُؤمِنِينَ : ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ (الأحزاب: ٣٦).

❑ الثَّالِثَةُ : أَعرَاضُهُما :

مَا قِيلَ فِي أَعرَاضِ السِّحرِ، يُقَالُ هُنَا كَذَلِكَ؛ فكُلُّ مَرَضٍ لابُدَّ لَهُ مِن أَعرَاضٍ تَظهَرُ عَلَى الجَسَدِ فِي الظَّاهِرِ أَو البَاطِنِ تُدَلِّلُ عَلَى وُجُودِهِ، وَهَذَا معرُوفٌ مُتَّفَقٌ عَلَيهِ فِي طِبِّ الأَبدَانِ.

---

(١) «مدارج السالكين» (١/ ٦٩٢) ط: طيبة

كَذَلِكَ الحَالُ في طِبِّ الأَرْوَاحِ؛ فَإِنَّ لِكُلِّ مَرَضٍ مِن هَذِهِ الأَمْرَاضِ أَعْرَاضَ وَقَرَائِنَ تُدَلِّلُ عَلَى وُجُودِ المرَضِ.

وَ هَذِهِ الأَعْرَاضُ مُتَفَاوِتَةٌ مُتَبَايِنَةٌ كَثِيراً، وَالدَّلالَةُ عَلَيهَا دَلالَةٌ اجتِهَادِيَّةٌ؛ فَقَد يَرَى رَاقٍ مَا لَم يَرَهُ غَيرُهُ مِنَ الرُّقَاةِ، وَقَد يَظهَرُ عِندَ بَعضِ النَّاسِ مَا لا يَظهَرُ عِندَ البَعضِ.

وَضَابِطُ هَذِهِ الأَعرَاضِ الَّتِي تُفِيدُ الرَّاقِي فِي الوُصُولِ إِلَىٰ المرَضِ، هُوَ ذَلِكَ :

١- العَرَضُ الدَّائِمُ، أَو شِبهُهُ.

٢- العَرَضُ الَّذِي لا يُعرَفُ لَهُ سَبَبٌ في ظُهُورِهِ، وَيَخرُجُ عَنِ المأْلُوفِ، وَلا يُوجَدُ لَهُ تَفسِيرٌ صَحِيحٌ يُتَّفَقُ عَلَيهِ طِبِّيّاً، وَلا تَنفَعُ مَعَهُ الأَدوِيَةُ وَالعَقَاقِيرُ.

٣- وَيَتَأَثَّرُ بِالقُرآنِ الكَرِيمِ، وَالأَدعِيَةِ الشَّرعِيَّةِ، لاسِيَّما بِالرُّقيَةِ الشَّرعِيَّةِ، وَمَا يُلازِمُهَا [1]، تَأَثُّراً مَلحُوظاً إِمَّا وَقتَ الرُّقيَةِ، وَإِمَّا بَعدَهَا.

وَلا بُدَّ مِن اجتِمَاعِ هَذِهِ الشُّرُوطِ فِي كُلِّ عَرَضٍ أَو غَالِبِهَا غَلَبَةً مُطَّرِدَةً؛ حَتَّى يُوَفَّقَ الرَّاقِي لِصِحَّةِ دَرَاسَتِهِ لِلمَرَضِ مِن عَدَمِهِ.

وَكَثِيراً مَا يَعتَمِدُ بَعضُ الرُّقَاةِ بَصَّرَهُم الله، عَلَى عَرَضٍ، أَو عَرَضَينِ، وَيَبنُونَ عَلَى ذَلِكَ حُكماً جَازِماً بِالمرَضِ؛ فَهَذَا أَمرٌ غَيرُ سَدِيدٍ وَلا رَشِيدٍ، وَيُوقِعُ فِي خَلَلٍ كَبِيرٍ. نَسأَلُ الله السَّلامَةَ وَالعَافِيَةَ.

وأَعرَاضُهُمَا المستَمِرَّةُ بِالاستِقرَاءِ: إِصَابَةُ العُضوِ المحسُودِ أَو المعيُونِ وَتَعطُّلُهُ، أَو لُحُوقُ الضَّرَرِ بِهِ عِندَ القِيَامِ بِالفِعلِ وَمُمَارَسَتِهِ الَّذِي حُسِدَ عَلَيهِ أَو أَصَابَتهُ

---

(١) والمراد بما يلازم الرقية : من استعمال زيت الزيتون المقروء عليه، وماء زمزم، وتمر العجوة، والعسل، وغيرها مما جاء الوحي الصادق بنفعه؛ فإنَّ لهذه الأمور من تيسير الشفاء وتعجيله ما الله به عليم خاصَّة إن أخذها المرء متيقناً مصدِّقاً لا مجرباً بصدق الوحي الذي لا مرية فِيْه، معتقداً تمام النفع فيها بإذن الله سبحانه وبما أودعه فيها من خواص، إضافة إلى تحصين دفع قبل حلول البلاء والمرض .

العَينُ، كَرَجُلٍ جَمِيلِ الخَطِّ بَارِعٍ في رَسْمِهِ، حُسِدَ وَأَصَابَتهُ العَينُ عَلَى جَمَالِهِ؛ فَإِنَّهُ حِينَ يَشرَعُ فِي الخَطِّ سُرعَانَ مَا تَثقُلُ يَدُهُ، وَيَتَأَلَّمُ بِصُورَةٍ عَجِيبَةٍ، لا يَقدِرُ عَلَى مُقَاوَمَتِهَا؛ فَيَترُكُ الخَطَّ، وَلَرُبَّمَا تَرَكَهُ بِالكُلِّيَّةِ، وَنَفَرَ مِنهُ.

وَبِنَحوِهِ مِنَ الصُّوَرِ أَيضاً: الجَمَالُ، وَالدِّرَاسَةُ، وَالوَظِيفَةُ، وَالتِّجَارَةُ ـ أَصحَابُ الأَموَالِ ـ وَ الدُّعَابَةُ وَالمُلاطَفَةُ بَينَ الأَهلِ والأحبابِ، أَو مَا يَكُونُ مِن قَبِيلِ المَهَارَاتِ؛ كَالخَطَابَةِ، وَالإلقَاءِ، وَالتَّمَيُّزِ في العِلمِ وَالتَّفَوُّقِ فِيْهِ، أَو عَلَى عِبَادَةِ لله تَعَالىٰ مِن صَلاةٍ، وَقِرَاءَةِ قُرآنٍ، وَغَيرِ ذَلِكَ.

وَمِن أَعرَاضِهِمَا : كَثرَةُ الشَّكوَى مِن بَعْضِ الأَمرَاضِ وَالَّتِي عَجَزَ الطِّبُّ عَن مَعرِفَةِ كُنْهِ مَاهِيَّتِهَا وَالوُصُولِ إِلَيهَا؛ كَالسَّفَعَاتِ ـ اسْوِدَادِ الوَجْهِ مَع صُفْرَةٍ ـ والحُبُوبِ، والانتِفَاخَاتِ، وَتكَرُّرِ المصَائِبِ مِن حَرقٍ، وَحَوَادِثَ، وجُرُوحٍ غَيرِ مَعقُولَةٍ، وَبِشَكلٍ مُستَمِرٍّ مُلفِتٍ لِلنَّظَرِ. وَهَذِهِ حَالَةُ مَن تُسرِعُ لَهُم العَينُ؛ كَحَالِ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ مُنذُ الجَاهِلِيَّةِ، نَسأَلُ الله السَّلامَةَ وَالعَافِيَةَ.

وَمِن جُملَةِ الأَعرَاضِ عِندَ الأَطفَالِ : كَثرَةُ البُكَاءِ بِلا سَبَبٍ، وَقِلَّةُ النَّومِ، وَزِيَادَةُ الفَزَعِ، وَيَظهَرُ هَذَا جَلِياً فِي قِصةِ النَّبِيِّ ﷺ حِينَ دَخَلَ عَلَى أُمِّ المؤمِنِينَ عَائِشَةَ رَضِيَ الله عَنهَا؛ فَسَمِعَ صَوتَ صَبِيٍّ يَبكِي؛ فَقَالَ : «مَا لِصَبِيِّكُم هَذَا يَبكِي ؟ فَهَلاَّ استَرقَيتُم لَهُ مِنَ العَينِ»[1].

وَقَد يُنكِرُ بَعضَ هَذَا النَّفسَانِيُّونَ وَيزعُمُونَ أَنَّ لَهَا سَبَباً طِبِّياً، وَتَأتِي التَّخَرُّصَاتُ، وَالظُّنُونُ، وَالتَّجَارِبُ، وَلَكِن عَلَى حِسَابِ مَن ؟

وَالضَّحِيَّةُ مَن ؟

وَكَذَا يَفعَلُ جَهلَةُ الرُّقَاةِ ؟ فالله المستَعَانُ.

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (٢٣٩٢١) وإسناده حسنٌ، وانظر : «السلسلة الصحيحة» (١٠٤٨).

وَكَم هِيَ الأَمرَاضُ اليَومَ وَالَّتِي لَيسَ لِلطِّبِّ سَبِيلٌ إِلَيهَا؛ كَانَ سَبَبُهَا العَينَ، لا سِيَّما وَأَكثَرُ الموتَى فِي الأُمَّةِ بِسَبَبِ العَينِ.

وَمِن أَضرَارِ الحَسَدِ عَلَى النَّفسِ : أَنَّهُ «قَد أَثبتَ العِلمُ الحَدِيثُ أَنَّ لِهَذَا كُلِّهِ تَأثِيراً كَبِيراً عَلَى جِسمِ الإنسَانِ وَنَفسِهِ؛ فَهُوَ يَرفَعُ ضَغطَ الدَّمِّ، وَيُحدِثُ جفَافاً، وَاضطِرَابَاتٍ خَطِيرَةٍ فِي الغُدَدِ الصَّمَّاءِ، وعُسراً دَائِماً فِي الهَضمِ وَالامتِصَاصِ، وَالتَّمثِيلِ الغِذَائِيِّ، وَأَرَقاً وَشُرُوداً»[1]

بَقِيَ أَنْ تَعرِفَ أَيُّها القَارِئُ أَمْراً مُهِمّاً :

فَإِنَّ اللهَ تَعَالىٰ قَدْ قَرنَ فِي جُملَةِ مَا أَمرَ بِهِ نَبِيَّهُ ﷺ الاسْتِعَاذَةَ مِنْهُ، أَنْ قَرَنَ بَينَ السِّحرِ والحَسدِ، وهَذَا فِيهِ دَلالَةٌ عَلى عَلاقةٍ مُرْتَبِطَةٍ فِي مَسائِلِهِما، وهَذَا يَظهَرُ مِنْ عِدَّةِ أُمورٍ :

فِي الخَفَاءِ مِنْ كِلَيْهِما، وَإِنْ كانَ الحَسدُ يَظهَرُ أكثَرَ مِنَ السِّحْرِ، وَيَنْفَرِدُ السِّحرُ باسْتِعَانَاتٍ خَارِجِيَّةٍ مِنْ أَرْواحٍ شَيطَانِيَّةٍ وغَيرِها.

وفِي حِقْدِ أَصْحَابِهِما وَكَراهَتِهِما لِلمَحسُودِ أَوِ المسْحُورِ.

وفِي شِدَّةِ أَثَرِهما دُونَ غَيرِهِما، ولَذِا كَانَتِ الدَّلالَةُ والإِرْشَادُ فِي الاسْتِعَاذَةِ مِنْهُما عَلى الخُصُوصِ.[2]

❑ أخيراً : كَيفِيَّةُ عِلاجِهِما :

فَإِذَا كَانَ المرِيضُ مُصَاباً بِالحَسَدِ أَو العَينِ ـ لا قَدَّرَ اللهُ ـ فَعِلاجُهُ بِأَمرَينِ :

الأَوَّلُ : إِن عُرِفَ العَائِنُ؛ فَليَأخُذ غُسلَهُ أَو وُضُوءَهُ، وَيَصُبُّهُ عَلَيهِ؛ فَسَيُذهِبُ اللهُ مَا بِهِ مِن عِلَّةٍ.

---

(١) «أضواء على التربية في الإسلام» للقاضي (٣٠٣)

(٢) وانظر : «بدائع الفوائد» (٢/ ٧٥٦)، وانظر في آيات الحسد وما تحتها من تعليقات نافعة في مبحث آيات الرقية الشرعية .

وَصِفَةُ الاغتِسَالَ : كَمَا قَالَ الإمَامُ مُحَمَّدُ بنُ شِهَابِ الزُّهرِيِّ رَحِمَهُ اللهُ :

الغُسلُ الَّذِي أَدرَكنَا عُلَمَاءَنَا يَصِفُونَهُ : أَن يُؤتَى العَائِنُ بِقَدَحٍ فِيْهِ مَاءٌ؛ فَيُمسِكُ مُرتَفِعاً مِنَ الأَرضِ؛ فَيُدخِلُ فِيْهِ كَفَّهُ؛ فَيُمَضمِضُ، ثُمَّ يَمُجُّهُ فِي القَدَحِ، ثُمَّ يَغسِلُ وَجهَهُ فِي القَدَحِ صَبَّةً وَاحِدَةً، ثُمَّ يُدخِلُ يَدَهُ اليُسرَى؛ فَيَصُبُّ بِهَا عَلَى كَفِّهِ اليُمنَى، ثُمَّ يُدخِلُ يَدَهُ اليُمنَى؛ فَيَصُبُّ بِهَا عَلَى ظَهرِ كَفِّهِ اليُسرَى صَبَّةً وَاحِدَةً، ثُمَّ يُدخِلُ يَدَهُ اليُسرَى؛ فَيَصُبُّ بِهَا عَلَى مِرفَقِهِ الأَيمَنِ، ثُمَّ يُدخِلُ يَدَهُ اليُمنَى؛ فَيَصُبُّ عَلَى مِرفَقِهِ الأَيسَرِ، ثُمَّ يُدخِلُ يَدَهُ اليُسرَى؛ فَيَصُبُّ بِهَا عَلَى قَدَمِهِ اليُمنَى، ثُمَّ يُدخِلُ يَدَهُ اليُمنَى؛ فَيَصُبُّ بِهَا عَلَى قَدَمِهِ الأَيسَرِ، ثُمَّ يُدخِلُ يَدَهُ اليُسرَى؛ فَيَصُبُّ بِهَا عَلَى رُكبَتِهِ اليُمنَى، ثُمَّ يُدخِلُ يَدَهُ اليُمنَى؛ فَيَصُبُّ بِهَا عَلَى رُكبَتِهِ اليُسرَى كُلُّ ذَلِكَ فِي قَدَحٍ، ثُمَّ يُدخِلُ دَاخِلَةَ إِزَارِهِ - أَي : الطَّرَفُ المُتَدَلِّي الَّذِي يُفضِي مِن مِئزَرِهِ إِلَىٰ جِلدِهِ - فِي القَدَحِ وَلا يُوضَعُ القَدَحُ فِي الأَرضِ؛ فَيَصُبُّ عَلَى رَأسِ المُعِينِ مِن خَلفِهِ صَبَّةً وَاحِدَةً[1].

وَالَّذِي يَظهَرُ لِي - وَالعِلمُ عِندَ اللهِ - أَنَّ هَذِهِ الكَيفِيَّةِ لَم يَقُلْهَا النَّبِيُّ ﷺ وَإِنَّمَا أَمَرَ بِالاغتِسَالِ عَامَّةً؛ فَقَالَ لِعَامِرٍ ﷺ كَمَا فِي قِصَّتِهِ مَعَ سَهْلِ بنِ حُنَيفٍ ﷺ : «اغتَسِل لَهُ» [2]

وَفِي رِوَايَةٍ: «العَينُ حَقٌّ، وَإِذَا استُغسِلتُم فَاغسِلُوا » [3].

---

(١) أورده البيهقي في «الكبرى» (٩/ ٣٥٢) وابن عبد البر في «التمهيد» (٦/ ٢٤٣) بتصرف. وذكر بعض أهل العلم أنه إذا أخذ من وُضوئه وصبَّه عليه يزول ما به من الأذى إن شاء الله؛ استناداً لبعض الروايات في ذكر الوُضوء وقد بوَّب الإمام مالكٌ رَحِمَهُ اللهُ في الموطأ؛ فقال : بابُ الوضوء في العين. وانظر «القول المفيد على كتاب التوحيد» لشيخنا الراحل العلامة محمد العثيمين رَحِمَهُ اللهُ (٦٦) والله أعلم .

(٢) أخرجها مالك في «الموطأ» (١٧٤٧)، وأحمد في «مسنده» (١٥٩٨٠)، وإسناده صحيح. و انظر : «الفتح» (١٠/ ٢٠٤)

(٣) أخرجه مسلم (٢١٨٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما .

قَالَ ابنُ عَبدِ البَرِّ رَحِمَهُ اللهُ : «لَيسَ في حَدِيثِ مَالِكٍ هَذَا في غُسلِ العَائِنِ عَنِ النَّبيِّ ﷺ أَكثَرَ مِن قَولِهِ : «اغتَسِل لَهُ »، وَفِيهِ كَيفِيَّةُ الغُسلِ مِن فِعْلِ عَامِرِ بنِ رَبيعةَ» (١)

وَعَلَيهِ؛ فَبِأَيِّ غُسلٍ يُجزِئُ إنْ شَاءَ الله، وَلَو جَاءَ بِالوُضُوءِ لَجَازَ كَمَا صَحَّتِ الرِّوَايَاتُ فِيْهِ، وَهُوَ اختِيَارُ شَيخِنَا العَلاَّمَةِ الوَالِدِ أ.د. عُمَر الأَشقَر نَفَعَ اللهُ بِهِ.

وأُنَبِّهُكَ لأَمْرٍ جَلِيلٍ : أَنَّ هَذِه الصِّفَةِ تواتَرَ عَلَيْها العُلَماءُ وتَناقَلُوهَا وارْتَضُوها، وكَانَ لهَا أكبَرُ الأثَرِ والنَّفْعِ لِمنَ اعتَقَدَها يَقِيناً بإذْنِ الله، ومِنْ هُنَا فَهِي أَحَبُّ إلَيْنا مِنْ أَيِّ غُسْلٍ، وَإنَّما قُلْنا مَا قُلْنا؛ خَشيَةَ أَنْ تُنْسَبَ كَيفِيَّةُ الغُسْلِ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَهِي لَيسَتْ مِنْ قَوْلِهِ، فَنَكْذِبُ عَلَيهِ بِتَعمُّدٍ، ونَعُوذُ باللهِ مِنْ ذَلِكَ.

فَإنْ جاءَ فَيْلَسُوفٌ عَقلانِيٌّ وأَنْكرهَا، فَالرَّدُّ عليهِ أَظهَرُ؛ لأَنَّه يُشَاهِدُ الأَدْوِيةَ تَفعَلُ بِقُواهَا وخَواصِّ تَرْكِيْبِها ، وقَدْ تَفعَلُ بَأمْرٍ لا يُدْرَكُ، وهَذَا مِنْ ذَاكَ، والأَوَّلُ نُورُ الشَّريعةِ يُقَوِّيهِ، فتَأَمَّل.

وَقَالَ ابنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ : «هَذِهِ الكَيفِيَّةُ لا يَنتَفِعُ بِهَا مَن أَنكَرَهَا، وَلا مَن سَخِرَ مِنهَا، وَلا مَن شَكَّ فِيهَا أَو فَعَلَهَا مُجرِّباً غَيرَ مُعتَقِدٍ» (٢)

وَيقُولُ المازِرِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «وَالحَقُّ أَنَّ اللهَ يَخْلُقُ عِندَ نَظَرِ العَائِنِ إِلَيهِ، وَإعجَابِهِ بِهِ إِذَا شَاءَ مَا شَاءَ مِن أَلَمٍ، أَو هَلَكَةٍ، وَقَد يَصرِفُهُ قَبلَ وُقُوعِهِ إمَّا بِالاستِعَاذَةِ، أَو غَيرِهَا، وَقَد يَصرِفُهُ بَعدَ وُقُوعِهِ بِالرُّقيَةِ وَالاغتِسَالِ، أَو بِغَيرِ ذَلِكَ »(٣) (٢)

---

(١) «التمهيد» (٦ / ٢٣٤)

(٢) انظر الهدي النبوي في علاج العين في «زاد المعاد» (٤ / ١٦٢) .

(٣) «الفتح» (١٠ / ٢٠٠) .

وَعِلاجُهُمَا وَاحِدٌ إِلَّا إِنِ اقتَرَنَتِ العَينُ أَو الحَسَدُ بِعَارِضٍ مِنَ الجِنِّ؛ فَهُنَا يَكُونُ العِلاجُ لِلعَينِ أَو الحَسَدِ، وَلإخرَاجِ الجِنِّ الذَي رُبَّمَا يَخدِمُهَا؛ كَحَالَةِ المسِّ الشَّيطَانِيِّ[1]

وَأَخِيراً : فَإِنْ سَأَلتَ : كَيفَ يَندَفِعُ عَنْكَ حَسَدُ الحَاسِدِينَ ؟ وكَيفَ السَّبِيلُ إِلَىٰ الوِقَايةِ مِنْهُ ؟

فَدُونَكَ جَوابَ ابنِ قَيِّمِ الجوزِيَّةِ رَحِمَهُ اللهُ يُبَيِّنُ ذلِكَ لَكَ خَيْرَ تَبْيانٍ.

يَقُولُ رَحِمَهُ اللهُ: «وَيَنْدَفِعُ شَرُّ الحَاسِدِ عَنِ المحْسُودِ بِعَشْرَةِ أَسْبَابٍ:

السَّبَبُ الأَوَّلُ: التَّعَوُّذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهِ، وَالتَّحَصُّنُ بِهِ وَاللُّجُوءُ إِلَيْهِ.

السَّبَبُ الثَّانِي: تَقْوَى الله، وَحِفْظُهُ عِنْدَ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، فَمَنِ اتَّقَى اللهَ تَوَلَّى اللهُ حِفْظَهُ، وَلَمْ يَكِلْهُ إِلَىٰ غَيْرِهِ.

السَّبَبُ الثَّالِثُ: الصَّبْرُ عَلَى عَدُوِّهِ، وَأَنْ لاَ يُقَاتِلَهُ وَلاَ يَشْكُوَهُ، وَلاَ يُحَدِّثَ نَفْسَهُ بِأَذَاهُ أَصْلاً، فَمَا نُصِرَ عَلَى حَاسِدِهِ وَعَدُوِّهِ بِمِثْلِ الصَّبْرِ عَلَيْهِ.

السَّبَبُ الرَّابِعُ: التَّوَكُّلُ عَلَى الله، فَمَنْ تَوَكَّلَ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ، وَالتَّوَكُّلُ مِنْ أَقْوَى الأَسْبَابِ الَّتِي يَدْفَعُ بِهَا العَبْدُ مَا لاَ يُطِيقُ مِنْ أَذَى الخَلْقِ وَظُلْمِهِم وَعُدْوَانِهِم، وَهُوَ مِنْ أَقْوَى الأَسْبَابِ فِي ذَلِكَ؛ فَإِنَّ اللهَ حَسْبُهُ، أَيْ : كَافِيهِ، وَمَنْ كَانَ اللهُ كَافِيَهُ وَوَاقِيَهُ فَلاَ مَطْمَعَ فِيْهِ لِعَدُوِّهِ.

السَّبَبُ الخَامِسُ: فَرَاغُ القَلْبِ مِنَ الاشْتِغَالِ بِهِ وَالفِكْرِ فِيْهِ، وَأَنْ يَقْصِدَ أَنْ يَمْحُوَهُ مِنْ بَالِهِ كُلَّمَا خَطَرَ لَهُ، فَلاَ يَلْتَفِتُ إِلَيْهِ، وَلاَ يَخَافُهُ، وَلاَ يَمْلأُ قَلْبَهُ بِالفِكْرِ فِيْهِ، وَهَذَا مِنْ أَنْفَعِ الأَدْوِيَةِ وَأَقْوَى الأَسْبَابِ المُعِينَةِ عَلَى انْدِفَاعِ شَرِّهِ.

---

(١) انظر الهدي النبوي في علاج العين في «زاد المعاد» (٤ / ١٦٢) ففيه تفصيل ماتع رائع مفيد .

السَّبَبُ السَّادِسُ: وَهُوَ الإقْبَالُ عَلَى اللهِ، وَالإخْلاَصُ لَهُ وَجَعْلُ مَحَبَّتِهِ وَرِضَاهُ وَالإنَابَةِ إلَيْهِ فِي مَحَلِّ خَوَاطِرِ نَفْسِهِ وَأَمَانِيِّهَا، تَدِبُّ فِيهَا دَبِيبَ تِلْكَ الخَوَاطِرِ شَيْئاً، حَتَّى يَقْهَرَهَا وَيَغْمُرَهَا وَيُذِيبَهَا بِالكُلِّيَّةِ، فَتَبْقَى خَوَاطِرُهُ، وَهَواجِسُهُ، وَأَمَانِيُّهُ كُلُّهَا فِي مَحَابِّ الرَّبِّ، وَالتَّقَرُّبِ إلَيْهِ.

السَّبَبُ السَّابِعُ: تَجْرِيدُ التَّوْبَةِ إلَى اللهِ مِنَ الذُّنُوبِ الَّتِي سَلَّطَتْ عَلَيْهِ أَعْدَاءَهُ، فَإنَّ اللهَ تَعَالَىٰ يَقُولُ: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾ (الشورى: ٣٠).

السَّبَبُ الثَّامِنُ: الصَّدَقَةُ وَالإحْسَانُ مَا أَمْكَنَهُ.

فَإنَّ لِذَلِكَ تَأْثِيراً عَجِيباً فِي دَفْعِ البَلاَءِ، وَدَفْعِ العَيْنِ، وَشَرِّ الحَاسِدِ وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي هَذَا إلَّا بِتَجَارِبِ النَّاسِ قَدِيماً وَحَدِيثاً لَكُفِيَ بِهِ، فَمَا حَرَسَ العَبْدُ نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْهِ بِمِثْلِ شُكْرِهَا وَلاَ عَرَّضَهَا لِلزَّوَالِ بِمِثْلِ العَمَلِ فِيهَا بِمَعَاصِي اللهِ، وَهُوَ كُفْرَانُ النِّعْمَةِ، وَهُوَ بَابٌ إلَىٰ كُفْرَانِ المُنْعِمِ.

السَّبَبُ التَّاسِعُ: وَهُوَ مِنْ أَصْعَبِ الأَسْبَابِ عَلَى النَّفْسِ وَأَشَقِّهَا عَلَيْهَا، وَلاَ يُوَفَّقُ لَهُ إلَّا مَنْ عَظُمَ حَظُّهُ مِنَ اللهِ، وَهُوَ إطْفَاءُ نَارِ الحَاسِدِ وَالبَاغِي وَالمُؤْذِي بِالإحْسَانِ إلَيْهِ.

فَكُلَّمَا ازْدَادَ أَذَى وَشَرّاً وَبَغْياً وَحَسَداً؛ ازْدَدْتَ إلَيْهِ إحْسَاناً، وَلَهُ نَصِيحَةً، وَعَلَيْهِ شَفَقَةً، وَمَا أَظُنُّكَ تُصَدِّقُ بِأَنَّ هَذَا يَكُونُ فَضْلاً عَنْ أَنْ تَتَعَاطَاهُ، فَاسْتَمِعِ الآنَ إلَىٰ قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ (فصلت: ٣٤–٣٦)

وَاسْمَعْ الآنَ مَا الَّذِي يُسَهِّلُ هَذَا عَلى النَّفْسِ وَيُطَيِّبُهُ إلَيْهَا وَيُنَعِّمُهَا بِهِ:

اعْلَمْ أنَّ لَكَ ذُنُوباً بَيْنَكَ وبَيْنَ الله تَخَافُ عَواقِبَها وتَرْجُوهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْها ويَغْفِرَهَا لَكَ وَيهبَهَا لَكَ، ومَعْ هَذَا لا يَقتَصِرُ عَلى مُجرَّدِ العَفْوِ وَالـمُسَامَحَةِ حَتَّى يُنْعِمَ عَليْكَ ويُكْرِمَكَ، وَيَجلِبَ إلَيْكَ مِنَ المنَافِعِ والإحْسَانِ فَوقَ مَا تُؤَمِّلُه، فإذَا كُنتَ تَرْجُو هَذَا مِنْ رَبِّكَ أَنْ يُقَابِلَ بِهِ إسَاءَتَك، فَمَا أَوْلاكَ وأَجْدَرَكَ أَنْ تُعامِلَ بِهِ خَلْقَهُ وتُقَابِلَ بِهِ إسَاءَتَهُم؛ لِيُعَامِلَكَ الله هَذِه الـمُعَامَلَةَ، فإنَّ الجزَاءَ مِنْ جِنْسِ العَمَلِ، فكَما تَعْمَلُ مَعَ النَّاسِ في إسَاءَتِهم في حَقِّكَ، يَفعَلُ الله مَعَك في ذُنُوبِكَ وإسَاءَتِكَ، جَزَاءً وِفَاقاً، فانْتَقِمْ بَعدَ ذَلِكَ، أَوِ اعْفُ وأَحْسِنْ، أَوِ اتْرُكْ!

فكَمَا تَدِينُ تُدَانُ، وكمَا تَفعَلُ مَعَ عِبَادِهِ، يَفْعَلُ مَعكَ.

فَمَنْ تَصَوَّرَ هَذا المعْنَى وشَغَلَ بِهِ فِكْرَهُ هَانَ عَلَيْهِ الإحْسَانُ إِلَىٰ مَنْ أَسَاءَ إِلَيْهِ.

السَّبَبُ العَاشِرُ: وَهُوَ الجَامِعُ لِذَلِكَ كُلِّهِ، وَعَلَيْهِ مَدَارُ هَذِهِ الأَسْبَابِ، وَهُوَ تَجْرِيدُ التَّوْحِيدِ، وَالتَّرَحُّلُ بِالفِكْرِ في الأَسْبَابِ إِلَىٰ الـمُسَبِّبِ العَزِيزِ الحَكِيمِ، وَالعِلْمُ بِأَنَّ هَذِهِ الآلاَتِ بِمَنْزِلَةِ حَرَكَاتِ الرِّيَاحِ، وَهِيَ بِيَدِ مُحرِّكِهَا، وَفَاطِرِهَا وَبَارِئِهَا، وَلاَ تَضُرُّ وَلاَ تَنْفَعُ إلاَّ بِإذْنِهِ، فَهُوَ الَّذِي يُحْسِنُ إلى عَبْدِهِ بِهَا، وَهُوَ الَّذِي يَصْرِفُهَا عَنْهُ وَحْدَهُ لاَ أَحَدَ سِوَاهُ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ﴾ (يونس: ١٠٧) »[1]

□ □ □

(١) «بدائع الفوائد» (٢/ ٧٦٤) مختصراً.

ثَالِثَاً : المصَابُ بالمسِّ الشَّيْطَانِيِّ، وَفِيْهِ مَسَائِلُ :

هَذا فَصْلٌ مُهِمٌّ جِدَّاً، قَد طَالَ فِيْهِ الجَدلُ كَثِيراً ؛ وتجاذَبَتْهُ آرَاءُ وَأَقْلامُ كَثِيرٍ مِنْ أَهْلِ العِلْمِ مَا بَيْنَ مُثْبِتٍ أَوْ نَافٍ؛ لِذَا فَإِنِّي أَعْتَذِرُ إِلَيْكَ أَيُّها القَارِئُ الكَرِيمُ إِذْ أَطَلْتُ فِيْهِ عَلَيْكَ خِلافَ غَيْرِه؛ لِمَسِيْسِ الحَاجَةِ إِلَيْهِ مُؤصِّلاً فِيْهِ تَأصِيلاً عِلْمِيَّاً نَظَرياً، ثُمَّ مُدَلِّلاً عَلَيْهِ عَمَلِيَّاً مِنْ وَاقِعِ عِلْمٍ وَمُمَارَسَةٍ وَتجرُبَةٍ في مَيْدَانِهِ سِنِينَ عَدِيدَةً.

وَحَسْبُكَ يَا طَالِبَ الحَقِّ أَنْ تَعلَمَ إِضَافَةً بَعْدَ النُّصُوصِ الشَّرْعِيَّةِ : **أَنَّ مِنْ وَسَائِلِ إِثْبَاتِ العِلْمِ وَالمعْرِفَةِ؛ المُجَرَّبَاتِ وَالمُشَاهَدَاتِ الَّتِي أَخْبَرَ بِهَا أُولُو الأَلْبَابِ الثِّقَاتُ، فَاشْدُدْ يَدَيْكَ بِهَذا فَهُو المنْهَجُ الأَصِيلُ، وَدَعْ عَنْكَ الدَّخِيلَ أَوِ القَالَ وَالقِيلَ.**

وَهَذا بَيانُ المَسَائِلِ فِيْهِ :

الأُوْلَى: بَيَانُ مَعنَاهُ وأنْواعِهِ.

الثَّانِيَةُ : أَدِلَّتُه.

الثَّالِثَةُ : أَعَرَاضُهُ.

الرَّابِعَةُ : الوِقَايَةُ مِنْهُ.

الخَامِسَةُ : كَيْفِيَّةُ شِفَائِه .

❑ الأُوْلَى: بَيَانُ مَعنَاهُ وأنواعِهِ.

في اللُّغةِ : مُفْرَدَةُ «المسِّ» : يَقُولُ ابنُ فُارِسٍ رَحِمَهُ اللَّهُ : «الِميمُ، والسِّينُ، أَصْلٌ صَحِيحٌ وَاحِدٌ يَدلُّ على جَسِّ الشَّيءِ باليَدِ. ومَسِسْتُهُ أَمَسُّهُ.

وَرُبَّما قَالُوا : مَسِسْتُ أَمُسُّ.

والمـمْسُوسُ : الَّذِي بِهِ مَسٌّ؛ كَأَنَّ الجِنَّ مَسَّتْهُ»[1] أي : أَصَابَتْهُ بِأَذَى.

وعَدَّ ابنُ حَبِيبٍ النَّيسَابُورِيُّ رَحِمَهُ اللهُ في كِتَابِهِ «عُقَلاءُ المجَانِينِ» مِنْ أَسْمَاءِ المـجْنُونِ : المـمْسُوسِ، فَقَالَ : «وَمِنْهَا : المَمسُوسُ، وَهُوَ الَّذِي تَخَبَّطُهُ الجِنُّ أَوِ الشَّيطَانُ، والاسْمُ المسُّ، ومِنْهُ قَوْلُهُ عَزَّوَجَلَّ : ﴿ كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ﴾»[2]

ولِلمَسِّ مُصْطَلَحَاتٌ مُتقارِبَةٌ مَفادُها وَاحِدٌ وهُو : إثْبَاتُ الأَذَى[3]، بِكَيْفِيَّاتٍ مُخْتَلِفَةٍ، بَيَّنَتْها النُّصُوصُ الشَّرْعِيةُ، كـ «الجُنونِ» و«الخَبْطِ» و «الخَبَلِ» و «الهَمْزِ» و«الوَخْزِ» و «الطَّعْنِ» و«الصَّرْعِ»، وَغَيرِها.[4]

وهَذِه المصطَلَحَاتُ لَهَا شَواهِدٌ في كِتَابِ الله تَعَالَىٰ، وَفي سِنَّةِ نَبِيِّنا مُحَمَّدٍ ﷺ، مِنْها :

- «التَّخبُّط» : في قَولِه تَعَالَىٰ : ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾ (البقرة: ٢٧٥)

يَقُولُ ابنُ فُارِسٍ رَحِمَهُ اللهُ: «الخَاءُ، والبَاءُ، والطَّاءُ: أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدلُّ عَلى وَطْءٍ وضَرْبٍ.

---

(١) «مقاييس اللغة» (٥/ ٢٧١)، وانظر : في مادة (مسس) : «مفردات ألفاظ القرآن» للرَّاغب الأصفهاني (٧٦٦) و«عُمدة الحفَّاظ» للسَّمين الحلبي (٤/ ٩١)، و«اللسان» لابن منظور (٦/ ٢١٧) و«الصِّحاح» للجوهري (١٠٧٩)، و«النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير (٤ / ٣٢٩) .

(٢) «عُقلاء المجانين» لابن حبيب النَّيسابوري (٤٥) وطالع بقية الأسماء فيه، وذكَره أيضاً في فصل «ضروب المجانين» (٥٩) وعدَّ منهم المسوس .

(٣) يقول الرَّاغب الأصفهاني في ضابط المسِّ : «**يُقال في كلِّ ما ينال الإنسان من الأذى**» «المفردات» (٧٦٧)، **وهذا على الغالب الأكثر** .

(٤) قال أبو عبيدة : «مِنَ المسِّ» : من الشيطان والجن، وهو اللَّمَمُ، وهو ما ألَمَّ به، وهو الأولَقُ والألْسُ والزُّؤْد، هذا كلُّه مثل الجنون». «مجاز القرآن» (١/ ٨٣)، وانظر : «العباب الزاخر» للصغَّاني (مادة : مسس).

وَقَدْ يُحمَلُ عَلى ذَلِكَ فَيُقالُ لِدَاءٍ يُشْبِهُ الجُنُونَ : الخُبَاطُ، كأَنَّ الإنسَانَ يَتَخبَّطُ، قَالَ الله تعالى : ﴿إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾ [1].

قَالَ الزَّمخشَرِيُّ: «وخَبَطَهُ الشَّيطَانُ وتَخبَّطَهُ : مَسَّهُ فَخَبَّلَهُ، وبِهِ خَبْطَةٌ مِنْ مَسٍّ»[2].

وقَالَ الفَيرُوز آبَادِيُّ رَحِمَهُ اللهُ : «خَبطَه يَخْبِطُه : ضَرَبَه شَدِيداً . والشَّيطَانُ فُلاناً : مَسَّهُ بأَذىً، كتَخَبَّطَهُ. وقَولُه تَعالى : ﴿كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾ أَي : كَما يَقُومُ المجْنونُ في حَالِ جُنونِهِ إذَا صُرِعَ فَسَقَطَ . أَوْ : يَتَخَبَّطُهُ، أي : يُفْسِدُه»[3]

وقَالَ ابنُ جَرِيرٍ الطَّبرِيِّ رَحِمَهُ اللهُ : «قَالَ جَلَّ ثناؤُهُ لِلَّذِينَ يُرْبُونَ الرِّبَا الَّذِي وَصَفْنَا صِفتَهُ فِي الدُّنْيا، لاَ يَقُومُونَ فِي الآخِرَةِ مِنْ قُبُورِهِم إلاَّ كَما يَقُومُ الَّذِي يَتَخبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ المسِّ؛ يَعْنِي بِذَلِكَ : يَتَخَبَّلُهُ الشَّيْطَانُ فِي الدُّنْيَا، وَهُوَ الَّذِي يَتَخنَّقُهُ فَيصْرَعُهُ مِنَ المسِّ، يَعْنِي مِنَ الجُنُونِ»[4]

وقَالَ ابنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللهُ : «أي : لا يَقُومُونَ مِنْ قُبورِهم يَومَ القِيامَةِ إلَّا كَما يَقُومُ المصرُوعُ حَالَ صَرعِهِ وتَخَبُّطِ الشَّيطَانِ لَهُ؛ وذَلِكَ أَنَّهُ يَقُومُ قِياماً مُنكَراً»[5].

فَإِذَا قَرَنْتَ هَذا المعْنَى اللُّغَويِّ مَعَ مَا قَيَّدَتْهُ النُّصوصُ الشَّرْعِيَّةُ الَّتِي ذَكَرتِ الشَّيطَانَ؛ عَلِمتَ أَنَّ الأَذَى وَاقِعٌ حَقِيقَةً لا خَيَالاً أَوْ مجازاً.

---

(١) «مقاييس اللغة» (٢/ ٢٤١) .

(٢) «أساس البلاغة» (١/ ٢٢٩)

ومن عجيب أمر الزمخشري رَحِمَهُ اللهُ: بعد أنْ عرَّفه هنا بما قرأتَ أنْ يقول هو وغيره عن المسِّ : «من زعمات العرب»! وسيمرُّ معك في مبحث أدلة المس أقوال المفسرين لآية البقرة وردُّ أهل العلم عليه .

(٣) «القاموس المحيط» (٦٦٤) باب الطاء، فصل الخاء، مختصراً .

(٤) «جامع البيان» (٥/ ٣٨) .

(٥) «تفسير القرآن العظيم» (١ / ٧٠٨)

وَيُوضِّحُ هَذا ابنُ عَاشُورٍ رَحِمَهُ اللهُ فَيَقُولُ: «وَالتَّخَبُّطُ مُطَاوِعُ خَبطَهُ إذَا ضَربَهُ ضَرْباً شَدِيداً؛ فَاضْطَرَبَ لَهُ، أَيْ: تَحَرَّكَ تَحَرُّكاً شَدِيداً، وَلَمَّا كَانَ مِنْ لَازِمِ هَذَا التَّحَرُّكِ عَدَمُ الاتِّسَاقِ، أَطْلَقَ التَّخَبُّطَ عَلَى اضْطِرَابِ الإنْسَانِ مِنْ غَيْرِ اتِّسَاقٍ.

وَهُوَ إذَا أُطْلِقَ مُعَرَّفاً بِدُونِ عَهْدِ مَسٍّ مَعْرُوفٍ؛ دَلَّ عِنْدَهُم عَلَى مَسِّ الجِنِّ، فَيَقُولُونَ: رَجُلٌ مَمْسُوسٌ، أَيْ: مَجْنُونٌ، وَإِنَّمَا احْتِيجَ إلَى زِيَادَةِ قَوْلِهِ: ﴿مِنَ ٱلْمَسِّ﴾ لِيَظْهَرَ المرَادُ مِنْ تَخَبُّطِ الشَّيطَانِ فَلا يُظَنُّ أَنَّهُ تَخَبُّطٌ مَجَازِيٌّ بِمَعْنَى الوَسْوَسَةِ»[(١)]

فَإذَا عَلِمْتَ ذَلِكَ، فَأَضِفْ أَيضاً إلى عِلْمِكَ أنَّ التَّخَبُّطَ عَلى ضُروبٍ: تَخبُّطٌ في السُّلوكِ، و تَخبُّطٌ في الفِكْرِ، وتَخبُّطٌ في الاعتِقَادِ، وتَخبُّطٌ في القَوْلِ، وهَكَذا دَوَالَيْكَ.

_ «الخَبَل»: يَقُولُ ابنُ فُارِسٍ رَحِمَهُ اللهُ: «الخَاءُ، والبَاءُ، واللاَّمُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلى فَسَادِ الأَعْضَاءِ. فالخَبَلُ: الجُنونُ.

يُقالُ: اخْتَبَلَهُ الجِنُّ، والجِنِّيُّ خَابِلٌ»[(٢)]

وقَالَ الزَّمخشَرِيُّ: «خَبَلٌ: خَبَلهُ خَبْلاً وخَبَّلَهُ واختَبلَهُ: أَفْسَدَهُ؛ فَخَبِلَ خَبْلاً وخِبَالاً.

وَبِهِ خَبْلٌ وخَبَلٌ وخُبولٌ: جُنونٌ وفَسادٌ في عَقْلِهِ.

وخَبلَتْهُ الجِنُّ وخَبَّلَتْهُ، ومَسَّهُ الخَابِلُ، أي: الجِنِّي»[(٣)]

إلى غَيرِ ذَلِكَ مِنْ مُفرَداتِ هَذا المَرَضِ الَّتِي مَرَّ ذِكْرُها، وَإِنَّما اقتَصَرْتُ عَلى الأَوْلَى مِنْها، و يُطْلَبُ بَقِيَّتُها مِنْ مَظانِّها، نَحْوَ مَا تَمَّ بَيانُه مِنْ حَيثِ اللُّغةُ والشَّرْعُ الحَنِيفُ.

---

(١) «التحرير والتنوير» (٣/ ٨٢) وسيأتي كلامه بتمامه في أدلة المسِّ.

(٢) «مقاييس اللغة» (٢/ ٢٤٢).

(٣) «أساس البلاغة» (١/ ٢٣٠).

أمَّا اصْطِلاحاً : فَمِنَ المعلُومِ أنَّ الوَصْفَ فَرْعٌ عَنِ المشاهَدَةِ، والفُقهاءُ يَقولُونَ : الحُكمُ عَلى الشَّيءِ فَرعٌ عَنْ تَصَوُّرِهِ.

لِذَا فتَعرِيفُ مَرضِ المسِّ هُو بِما يَظهَرُ لِلرُّقاةِ مِنْ خِلالِ ذَلِكَ، ويَصْعُبُ الأَمرُ إنْ كانَ لِلمَسِّ أكثرُ مِنْ صُورَةٍ، وَمِنْ هُنا كانَ لِزَاماً في تَعرِيفِه مُحاوَلَةُ جَمْعِ صُوَرِهِ فِيْهِ، وَمَنْعُ مَا لَيسَ مِنْه بِإدْخَالِهِ، حَتَّى يَكُونَ تَعرِيفاً جَامِعاً مَانِعاً لِلمَسِّ بِكُلِّ وُضُوحٍ.

وسَببُ هَذا: أنَّ كَثِيراً مِمَّنْ كَتَبَ في هَذا الموضُوعِ قَصَرَ المسَّ فَقَط عَلى الصَّرْعِ، أو جَعلَهُ مَسَّاً دَاخِلياً !

وَرُبَّما أفْحَشَ بَعضُهُم فتَخرَّصَ غَيْباً مِنْ غَيرِ بُرهَانٍ أو دَلِيلٍ في بَيانِ المسِّ وكَيْفِيَّتِه، وما هَذا بِصَوابٍ وَلا بِمَنْهَجٍ عِلْمِيٍّ؛ إذْ ثَمَّةَ نُصوصٌ شَرْعِيَّةٌ لا يَنْطبِقُ عَلَيْهَا ما ادَّعَوْهُ، أوْ قَيَّدُوهُ في بَيانِ مَعْنَى المسِّ.

ومِنْ هُنا فالَّذِي يَظهَرُ لي ـ والله أعلَمُ ـ أنَّهُ صَوابٌ في التَّعرِيفِ لِمَرضِ المسِّ أنْ يُقالَ اسْتِنْباطاً مِنَ النُّصُوصِ الشَّرْعِيَّةِ هُوَ :

«أَنْ يُؤْذِي المرْءَ جَانٌّ عَارِضٌ؛ مَسَّاً خَارِجيَّاً مِنْ غَيرِ نُفُوذٍ في دَاخِلِهِ، أَو دَاخِليَّاً يَنفُذُ فِيْهِ ويَدْخُلُ بَدَنَهُ وَيَتلبَّسُهُ، يَحصُلُ بِأَذَاهُ مَرَضاً، وقَد يَجتَمِعانِ في آنٍ وَاحِدٍ، ولَهُ أسبَابُهُ»

وَهَذا الأَذَى الشَّيْطَانِيُّ يَختَلِفُ باخْتِلافِ اعْتِبَارَيْنِ :

الأَوَّلُ : فِي نَوْعِهِ، أي : هَلْ هُو أَصِيلٌ أوْ تَبَعٌ [1]، دَائِمٌ أوْ عَارِضٌ، دَاخِلِيٌّ أوْ خَارِجِيٌّ.

---

(١) المراد بالأصيل : أن يكون الأذى لإنسان معيَّن على الخصوص، والتَّبعُ أن لا يكون هو المقصود ولكنَّه تَبعٌ لمن قُصِد بالأذى ابتداءً، وسببُه إما لقرابة، أو لسُكْنى، أو للتعزيز والتقوية، وغيره.

والثَّانِي : فِي حَالِ الوَاقِعِ عَليهِ مِنْ صَلاحٍ وَإِيمَانٍ، أَوْ فَسَادٍ وضَلالٍ.
وهَذَا مَا سَأُبيِّنُه لَكَ في أنْوَاعِ المسِّ.

❑ أنواعُ المسِّ :

مِنْ خِلالِ التَّتبُّعِ لِمُفرَدَةِ ﴿ٱلْمَسِّ﴾ فِي الكِتَابِ والسُّنةِ، وَلمعرِفَةِ أَثَرِ هَذا الأَذَى، نَجِدُ لَهُ أَنْواعاً مُتَغايِرَةً، مَا بَيْنَ قُوَّةٍ وَضَعْفٍ، وكُلُّ حَالَةٍ بِحَالِهَا، وهَذَا ظَاهِرٌ مِنَ النُّصُوصِ الشَّرْعِيَّةِ واسْتِعْمالِهَا لهذِهِ المفْرَدَةِ.

وَأَنْواعُ المسِّ المسْتَنْبَطَةِ مِنْ هَذِه النُّصُوصِ الشَّرْعِيَّةِ مُتعَدِّدةٌ أَهَمُّها :

١ - المسُّ الطَّائفُ : وهَذَا يُبيِّنُه قَولُه تَعَالىٰ : ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ (الأعراف: ٢٠٠ - ٢٠١)

وقَولُه: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ (فصلت: ٣٦)

فَهَذا النَّوعُ مِنَ المسِّ مَسٌّ خَارِجِيٌّ نَصَّ عَلَيْهِ القُرآنُ وسَمَّاهُ مَسّاً، وقد يَأتِي عَلى صُوَرٍ، مِنْها : الوَسْوسَةُ، والنَّزْغُ، والتَّحْرِيشُ، والدَّفْعُ، والكَوَابِيْسُ، وهَذَا بِحَمْدِ الله وَفَضْلِهِ، يُدْفَعُ بِذكْرِ الله تَعَالىٰ والاسِتعاذَةِ بِاللَّهِ مِنْهُ، كَمَا قَالَ سُبحَانَهُ : ﴿تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾، و كَقَولِهِ تَعَالىٰ : ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾.

وَيَشهَدُ لَهُ أَحَادِيثُ، مِنْها :

=

مثاله : المرأة الحامل فإنَّ الأذى يُؤثِّر عليها أصالة، وبالتَّبع يُؤثِّر على جنينها أو من حولها من أهل بيتها، وكالمسحور أيضاً يُؤثِّر عليه بالخصوص، وبالتبع على من حوله من خلال أتباع الجن الموكَّلين بالسِّحر، وهذا غالب ما يكون في البيوت التي يكثر فيها الأذى والمضايقات والأمور غير الطبيعية، وهذا أمر مشاهد معروف عند الرُّقاة ويسميه بعض الرُّقاة «المسُّ المتعدِّي» .

- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قالَ رَسُولُ الله ﷺ : «يَأْتِي الشَّيْطَانُ أَحَدَكُم، فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ كَذَا، مَنْ خَلَقَ كَذَا ؟ حَتَّى يَقُولَ مَنْ خَلَقَ رَبَّكَ ؟ فَإِذَا بَلَغَهُ، فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ وَلْيَنْتَهِ»(١)

- وعَنْ سُلَيْمَانَ بن صُرَدٍ ﷺ قَالَ : كُنْتُ جَالِساً مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَرَجُلاَنِ يَسْتَبَّانِ، فَأَحَدُهُمَا احْمَرَّ وَجْهُهُ وَانْتَفَخَتْ أَوْدَاجُهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «إِنِّي لأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا ذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ، لَوْ قَالَ : أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ، ذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ».

فَقَالُوا لَهُ : إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : تَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ.

فَقَالَ : وَهَلْ بِي جُنُونٌ ؟ (٢)

فَهَذانِ حَدِيثَانِ يَدُلَّانِ عَلَى أَنَّ لِلشَّيْطَانِ سَبِيلاً للإِنْسَانِ مِنْ خِلالِ وَسْوسَةٍ أَوْ نَزْغٍ وتَحْرِيشٍ، وغَيْرِ ذَلِكَ.

وَقَدْ يَكون سَبِيلُه بِصُورَةٍ مُغايرَةٍ حِسِّيَّةٍ أكثَرَ مِنْ سَابِقَتِهَا، ومِنْ ذَلِكَ :

- عَنْ حُذَيْفَةَ ﷺ قَالَ : كُنَّا إِذَا حَضَرْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ طَعَاماً لَمْ نَضَعْ أَيْدِيَنَا حَتَّى يَبْدَأَ رَسُولُ الله ﷺ فَيَضَعَ يَدَهُ، وَإِنَّا حَضَرْنَا مَعَهُ مَرَّةً طَعَاماً، فَجَاءَتْ جَارِيَةٌ كَأَنَّهَا تُدْفَعُ، فَذَهَبَتْ لِتَضَعَ يَدَهَا فِي الطَّعَامِ فَأَخَذَ رَسُولُ الله ﷺ بِيَدِهَا.

ثُمَّ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ كَأَنَّمَا يُدْفَعُ فَأَخَذَ بِيَدِهِ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَسْتَحِلُّ الطَّعَامَ أَنْ لَا يُذْكَرَ اسْمُ الله عَلَيْهِ، وَإِنَّهُ جَاءَ بِهَذِهِ الجَارِيَةِ لِيَسْتَحِلَّ بِهَا

---

(١) البخاري (٣٢٧٦)، ومسلم (١٣٤).

قوله : «فليستعذ بالله ولْيَنْتَهِ» : أي : إذا عرض له الوسواس فليلجأ إلى الله تعالى في دفع شرِّه، وليعرض عن الفكر في ذلك، وليعلم أن هذا الخاطر من وسوسة الشيطان، فليعرض عن الإصغاء إلى وسوسته وليبادر إلى قطعها بالاشتغال بغيرها.

(٢) أخرجه البخاري (٣٢٨٢).

فَأَخَذْتُ بِيَدِهَا، فَجَاءَ بِهَذَا الأَعْرَابِيِّ لِيَسْتَحِلَّ بِهِ فَأَخَذْتُ بِيَدِهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ يَدَهُ فِي يَدِي مَعَ يَدِهَا»[1]

فَانْظُرْ كَيفَ دَفعَ الشَّيطَانُ هَذَيْنِ الشَّخْصَيْنِ دَفْعاً حِسِّيّاً مَادِيّاً خَارِجاً عَنِ الوَسْوَسَةِ.

يَقُولُ شَيْخُنَا ابنُ عُثَيْمِينَ رَحِمَهُ اللهُ فِي فَوَائِدِ الحَدِيثِ: «هَذَا الحَدِيثُ آيَةٌ مِنْ آيَاتِ الرَّسُولِ ﷺ حَيثُ أَعْلَمَهُ اللهُ تعالى بِمَا حَصَلَ في هَذِه القِصَّةِ، وأَنَّ الشَّيْطَانَ دَفَعَهُما: دَفَعَ الأَعْرَابِيَّ والجَارِيَةَ، وأَنَّهُ أَمْسَكَ بِأَيْدِيهِم - أَي: بِأَيْدِي الثَّلاثَةِ - بِيَدِهِ الكَرِيمَةِ صَلَواتُ الله وسَلامُهُ عَلَيْهِ»[2]

فَهَذا مِنْ سُلْطانِ الشَّيْطَانِ عَلى بَنِي الإنْسَانِ في حَالِ اليَقظَةِ، أمَّا في حَالِ المَنَامِ فَدُونَك التَّالِي:

-عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «إِذَا رَأَى أَحَدُكُم الرُّؤْيَا يُحِبُّهَا، فَإِنَّمَا هِيَ مِنَ الله؛ فَلْيَحْمَدِ الله عَلَيْهَا، وَلْيُحَدِّثْ بِهَا، فَإِذَا رَأَى غَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا يَكْرَهُ فَإِنَّمَا هِيَ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَلْيَسْتَعِذْ بِالله مِنْ شَرِّهَا، وَلَا يَذْكُرُهَا لِأَحَدٍ فَإِنَّهَا لَا تَضُرُّهُ»[3]

هَذِه بَعْضُ صُوَرِ المسِّ وَالنَّزْغِ الخَارِجِيِّ مِنَ الشَّيْطَانِ لِلإِنْسَانِ، وَصُوَرُهُ كَثِيْرَةٌ، دَلَّتْ عَلَيْهَا كَثِيْرٌ مِنَ النُّصُوصِ الشَّرْعِيَّةِ، وَفِيْما ذُكِرَ كِفَايَةٌ في تِبْيَانِ المسْأَلَةِ.

وَمِنْ هَذَا المسِّ الحَقِيقِيِّ الخَارِجِيِّ مَا يُلْحِقُ الضَّرَرَ بِالإِنْسَانِ فَيُؤْذِيهُ في جَسَدِهِ، أَو في أَهْلِهِ، أَو في مَالِهِ، فَيُسَبِّبُ لَهُ أَلْوَاناً مِنَ الأَذَى وَالضَّرَرِ، وَمِنْ هَذَا مَا

(١) أخرجه مسلم (٢٠١٧)

(٢) «شرح رياض الصالحين» (٤/ ١٩٤).

(٣) البخاري (٦٩٨٥).

أَصَابَ نَبِيَّ اللهِ أَيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهُو مِصداقُ قولِه تعالى : ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ (الأنبياء: ٨٣).

وَقَالَ : ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ (ص: ٤١)

فإنَّ الله تَعَالى أَخبَرنا أنَّ الشَّيطانَ قَدْ مَسَّ نَبِيَّه أَيُّوبَ ؛، وأَنَّ هَذَا الضُّرَّ وَالمسَّ وَقَعَ عَلَى بَدَنِهِ حَقِيْقَةً، لِذَا نَادَى رَبَّهُ وَتَضَرَّعَ إِلَيْه فِي رَفْعِ الضُّرِّ وَالأَذَى عَنْهُ، فَقَصَّ الله عَلَيْنَا مِنْ خَبَرِه جَانِباً فَقَال : ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ (الأنبياء: ٨٣)

يَقُولُ شَيخُ المفسِّرينَ ابنُ جَريرٍ رَحِمَهُ اللهُ في قَولِهِ : «الضُّرُّ» : «يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: وَاذْكُرْ أَيُّوبَ يَا مُحَمَّدُ، إِذْ نَادَى رَبَّهُ وَقَدْ مَسَّهُ الضُّرُّ وَالبَلاءُ وَكَانَ الضُّرُّ الَّذِي أَصَابَهُ وَالبَلاءُ الَّذِي نَزَلَ بِهِ، امْتِحَاناً مِنَ الله لَهُ وَاخْتِبَاراً »[1].

فَتأَمَّل قَولَه : ﴿ٱلضُّرُّ﴾: تَرَاه عَامّاً شَامِلاً في نَفْسِه وَجَسَدِه وَأَهْلِه وَمَالِه، إذ لَمْ تُقَيَّد بِأَيِّ شَيْءٍ وَقَعَ عَلَيْهِ الضَّرَرُ، وَلـمَّا كَانَتْ مُفْرَدَةُ ﴿ٱلضُّرِّ﴾ في كِتَابِ الله تَعَالَى مُطَلَّقَةً غَيْرَ مُقَيَّدَةٍ كَانَتْ شَامِلَةً لِأَنْوَاعٍ مِنَ الضَّرَرِ، فَما أَبْهَمَهُ الله تَعَالَى، فَلَيْسَ بِنَا حَاجَةٌ إِلَى مَعْرِفَتِه وَلَو كَانَ في ذِكْرِهِ فَائِدَةٌ لَقَصَّهُ اللهُ عَلَيْنَا.

❑ **فَإِنْ قَالَ قَائِل : وَهَل لِلْشَّيْطَان سُلْطَان عَلَى نَبِي الله أَيُّوب عَلَيْهِ السَّلَامُ ؟**

فَالجَوَابُ : أَنَّ هَذَا المرَضَ وَالأَذَى وَمَسَّ الشَّيْطَانِ لِنَبِيِّ اللهِ أَيُّوْبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَا مَدْخَلَ لَهُ البَتَّةَ فِي قَدْحِه لَعِصْمَةِ النُّبوَّةِ أَو حَطِّهِ مِنْ مَنْصِبِهَا، مَعَاذَ الله، وَلَو كَان كَذَلِك، لَحِفْظَ اللهُ رُسُلَه وَأَنْبِياءَهُ وعَصَمَهُم، وَلَما أَمْكَنَ مِنْهُم أَحَدٌ لا إِنْساً وَلَا شَيْطَانَا، فَلَمَّا قَصَّهُ اللهُ فِي كِتَابِه عَلَيْنَا دَلَّ ذَلِك عَلى أَنَّ هَذَا مِنْ قَبِيلِ مَا يَعْرِضُ لِلْبَشَر مِنَ الأَمْرَاضِ وَالابْتِلاءَاتِ.

---

(١) «جامع البيان» (١٦ / ٣٣٣) .

وَلَا يَغِبْ عَنْكَ أَيُّهَا الفَطِنُ مَا ابْتَلَى اللهُ بِهِ أَنْبِيَاءَهُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، فَإِبْرَاهِيمُ أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَيَعْقُوبُ فَقَدَ بَصَرَهُ، وَيُوسُفُ ابْتُلِيَ بِالتُّهْمَةِ ثُم السِّجْنِ، وَأَعْظَمُ مِن ذَلِكَ يَحْيَى كِيْدَ بِهِ فَقُتِلَ، وَيَاللهِ نَبِيُّ اللهِ يُقْتَلُ؟ أَكُلُّ هَذَا بَلَاءٌ ؟ إِي وَرَبِّي.

بَل إِنَّ أَفْضَلَ الرُّسُلِ نَبِيُّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ ذَاقَ أَلْوَانًا مِنَ الابْتِلَاءَاتِ وَالشَّدَائِدِ، وَفِي كُلِّ ذَلِكَ حِكَمٌ رَبَّانِيَّةٌ أَرَادَهَا الله تَعَالَى، فَهِي سُنَّتُه فِي خَلْقِهِ، وَكُلٌّ يُبْتَلَى عَلَى قَدْرِ دِيْنِهِ، وَمِنْ جُمْلَةِ هَذِهِ الابْتِلَاءَاتِ ابْتِلَاءُ الله نَبِيَّهُ أَيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِمَسِّ الشَّيْطَانِ لَهُ.

فإِنْ قُلتَ : ذَكَرَ اللهُ فِي آيَاتٍ مِنْ كِتَابِهِ أَنَّ الشَّيْطَانَ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى أَوْلِيائِهِ، وَأَقْرَبُ أَوْلِيَائِهِ أَنْبِيَاؤُهُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ مِنْ مِثْلِ أَيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، كَقَوْلِهِ : ﴿ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴾ (النحل: ٩٩ -١٠٠)

وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴾(الحجر: ٤٢)، فَكَيْفَ يَصِحُّ مَا ذَكَرْتَهُ ؟

فَأَقُولُ : هُنَا جَوابَانِ:

الأَوَّلُ: يَجِبُ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ السُّلْطَانَ المَنْفِيَّ هُنَا هُوَ سُلْطَانُ القَهْرِ وَالإِلْجَاءِ إِلَى مُتَابَعتِهِ، لا التَّعَرُّضُ لِلإِيْذَاءِ، وَالتَّصَدِّي لِمَا يَحْصُلُ بِسَبَبِهِ الهَلَاكُ، فَافْهَمْ.[1]

وَالثَّانِي: فِيْمَا يَتَعَلَّقُ بِنَبِيِّ اللهِ أَيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يُجِيبُكَ بِهِ الإِمَامُ المُفَسِّرُ العَلَّامَةُ الشِّنْقِيطِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فَيَقُولُ : «دُعَاءُ أَيُّوبَ ذَكَرَهُ اللهُ فِي سُورَةِ «الأَنْبِيَاءِ» مِنْ غَيْرِ أَنْ يُسْنَدَ مَسُّ الضُّرِّ إِلَى الشَّيْطَانِ فِي قَوْلِهِ : ﴿أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ (الأنبياء: ٨٣)، وَذَكَرَهُ فِي سُورَةِ «ص» وَأَسْنَدَ ذَلِكَ إِلَى الشَّيْطَانِ فِي قَوْلِهِ : ﴿أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴾ (ص: ٤١).

(١) انظر : «روح المعاني» للآلوسي (٣/ ٥٠) فما بعدها .

وَالنُّصْبُ مَعْنَاهُ : التَّعَبُ وَالمشَقَّةُ، وَالعَذَابُ : الأَلَمُ.

وَفِي نِسْبَةِ مَا أَصَابَهُ مِنَ المشَقَّةِ والأَلَم إِلَى الشَّيْطَانِ فِي سُورَةِ «ص» أَجْوِبَةٌ، أَحسَنُها مَا ذَكَرهُ جَماعَةٌ مِنَ المفَسِّرِينَ : أَنَّ الله سَلَّطَ الشَّيْطَانَ عَلَى مَالِهِ وَأَهْلِهِ ابْتِلاءً لأَيُّوبَ، فَأَهْلَكَ الشَّيْطَانُ مَالَهُ وَوَلَدَهُ، ثُمَّ سَلَّطَهُ عَلَى بَدَنِهِ ابْتِلاءً لَهُ، وَتَسْلِيطُهُ لِلابْتِلاَءِ عَلَى جَسَدِهِ وَمَالِهِ وَأَهْلِهِ مُمْكِنٌ، وَغَايَةُ مَا دَلَّ عَلَيْهِ القُرْآنُ أَنَّ الله ابْتَلَى نَبِيَّهُ أَيُّوبَ عَلَيْهِ وَعَلَى نَبِيِّنَا الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ، وَأَنَّهُ نَادَاهُ فَاسْتَجَابَ لَهُ وَكَشَفَ عَنْهُ كُلَّ ضُرٍّ، وَوَهَبَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَعَهُم، وَأَنَّ أَيُّوبَ نَسَبَ ذَلِكَ فِي «صّ» إِلَى الشَّيْطَانِ.

وَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ سَلَّطَهُ الله عَلَى جَسَدِهِ وَمَالِهِ وَأَهْلِهِ ابْتِلاءً لِيَظْهَرَ صَبْرُهُ الجَمِيلُ، وَتَكُونَ لَهُ العَافِيَةُ الحَمِيدَةُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَيَرْجِعَ لَهُ كُلُّ مَا أُصِيبَ فِيْهِ، وَالعِلْمُ عِنْدَ الله تَعَالَى، وَهَذَا لَا يُنَافِي أَنَّ الشَّيْطَانَ لَا سُلْطَانَ لَهُ عَلَى مِثْلِ أَيُّوبَ؛ لِأَنَّ التَّسْلِيطَ عَلَى الأَهْلِ وَالمالِ وَالجَسَدِ مَنْ جِنْسِ الأَسْبَابِ الَّتِي تَنْشَأُ عَنْهَا الأَعْرَاضُ البَشَرِيَّةُ كَالمرَضِ، وَذَلِكَ يَقَعُ لِلأَنبِيَاءِ، فَإِنَّهُم يُصِيبُهُمُ المرَضُ، وَمَوْتُ الأَهْلِ، وَهَلاَكُ المالِ لِأَسْبَابٍ مُتَنَوِّعَةٍ، وَلَا مَانِعَ مِنْ أَنْ يَكُونَ جُمْلَةُ تِلْكَ الأَسْبَابِ تَسْلِيطَ الشَّيْطَانِ عَلَى ذَلِكَ للابْتِلاَءِ» (١)

٢- **المسُّ العَارِضُ «جُزْئِيٌّ»** : وهُوَ أَنْ يَعرِضَ الشَّيطَانُ لِلمَرْءِ بَينَ فَترَةٍ وأُخْرَى وَلَو طَالَتْ، وَلا يَستَمِرُّ مَعهُ كَالمسِّ الدَّائِمِ، وهَذا المسُّ مَسٌّ حَقِيقيٌّ دَاخِليٌّ يَنفُذُ الشَّيطَانُ فِيْهِ لِلبَدنِ، وَيُؤْذِي صَاحِبَهُ، وَيَظهَرُ أَذَاهُ فِي صُوَرٍ، مِنْها :

اضْطِرَابٌ فِي الأَطَرافِ أَوْ بَعْضِها، أَوْ ضِيقٌ وكَبْتٌ فِي الصَّدْرِ والنَّفسِ، أَوْ حَمْلُ المرْءِ عَلى سَلاطَةِ اللِّسَانِ بالسِّبابِ أَوِ الطَّلاقِ، وغَيرُ ذَلِكَ مِنْ دَوَافِعِ أَسْبَابِهِ.

---

(١) «أضواء البيان» للشنقيطي (٤/ ٢٣٨)

وهَذا النَّوعُ مِنَ المسِّ يَشعَرُ بِهِ المرِيضُ وَيَعرِفَ قُرْبَ أَذِيَّتِهِ، وأَثَرِهِ في جَسَدِه؛ لِذَا تَجِدُ كَثِيراً مِمَّن ابْتُلِيَ بِهذَا النَّوعِ مِنَ المسِّ إذَا شَعَرَ بِقُربِ أَذَى المسِّ العَارِضِ يبتَعِدُ عَنِ النَّاسِ والمكَانِ المزدَحِمِ، ويَنْفَرِدُ بِعُزلَتِهِ حَتَّى يَنْتَهِيَ أَذَى الشَّيْطَانِ و يَرْجِعَ لِعَافِيتِه؛ خَشيَةَ أَنْ يُوقِعَهُ في مَوقِفٍ مُحرِجٍ، وهَذَا مُشَاهَدٌ مَعلُومٌ.

٣- **المسُّ الدَّائمُ «كُلِّي»**: وهُوَ أَنْ يَقْتَرِنَ الشَّيطَانُ بِالمرْءِ في دَاخِلِ جَسَدِهِ ويَسْكُنَهُ وَيُسَبِّبَ لَهُ أَلْواناً مِنَ المتَاعِبِ وَالآلامِ والأَمْرَاضِ، والَّتِي رُبَّما يَعْيَا الطِّبُّ عَنْ مَعْرِفَتِها أَوِ الوُصُولِ إلى سَبَبِها، وكُلُّ ذَلِكَ بِحَسْبِ دَوَاعِي التَّلَبُّسِ فِيْهِ، فَقَدْ يَكُونُ سَبَبُ المسِّ «التَّلَبُسِ» : العَيْنَ أوِ الحَسَدَ، أَوِ السِّحْرَ، أَوْ مَسَّ انْتِقامٍ أَوْ إعْجَابٍ، وهَذا المسُّ مَسٌّ حَقِيقيٌّ دَاخِلِيٌّ يَنفُذُ الشَّيطَانُ فِيْهِ لِلبَدنِ ويَسْتَقِرُّ فِيْهِ حَتَّى يُحقِّقَ هَدَفَهُ، ثُمَّ يَخرجُ، أوْ يُخْرَجُ، كُلُّ ذَلِكَ بِإرَادَةِ الله تَعَالى وَإذْنِهِ وَحِكْمَتِهِ.

هَذِه أَنْوَاع المسِّ المشْهُوْرَةِ وَالمعْرُوْفَةِ عِنْدَ الرُّقَاةِ، لَكِنْ هُنَاكَ بَعْضُ حَالاتِ المسِّ لَا تَنْطَبِقُ عَلَى مَا ذُكِرَ مِنَ الأَنْوَاعِ، وَهِي تَنْدَرِجُ تَحْتَ قِسْمَةٍ مُغَايِرَةٍ، وَهَذِه الأَنْوَاعُ ضَرْبٌ مِنَ العَبَثِ، وَيَدْخُل فِيْهَا مِنَ أَنْوَاعِ المسِّ :

٤- **المسُّ الوَهْمِيُّ** : يَحْصُلُ الصَّرْعُ الوَهْمِيُّ نَتِيْجَةَ مُعَاشَرَةِ أَو مُشَاهَدَةِ الإنْسَانِ السَّلِيْمِ لِلْمَصْرُوعِينَ في الغَالِبِ، أَو عِنْدَمَا يُوْهِمُ المعَالِجُ المرِيْضَ بِأَنَّهُ مُصَابٌ بِمَسٍّ مِنَ الجَانِّ ! عِنْدَهَا تَحْصُل لِهذَا الإنْسَانِ فِكْرَةٌ، ثُمَّ وَسَوَّسةٌ، ثُمَّ وَهْمٌ، فَيُتَوَهَّمُ بِأَنَّهُ مُصَابٌ بِالمسِّ، وَرُبَّمَا تَسْتَغِلُّ بَعْضُ الشَّيَاطِيْنِ هَذَا الوَهْمَ بِأَنْ تَتَسَلَّطَ عَلَى عَقْلِه حَتَّى تَجْعَلَهُ يَظُنَّ أَنَّ الأَمْرَ حَقِيْقَةٌ، وَمَا يَكَادُ أَنْ يَقْرَأَ عَلَيْهِ الرَّاقِي حَتَّى يَسْقُطَ وَيَصْرُخَ وَيَتَخَبَّطَ بِالأَقْوَالِ وَالأَفْعَالِ، ويَتَقَمَّصَ تَصَرُّفَاتِ المصَابِ بِالمسِّ وَقْتَ الرُّقيَةِ؛ فيَتْرُكُ الحَلِيْمَ حيْرَاناً.

ولعَمْرُ الحَقِّ : إنَّ المَرَض الوَهْمِيَّ أعسَرُ مِنَ المَرَضِ الحَقِيقِيِّ، وهَذا كُلُّهُ بِسَبَبِ أَنَّهُ تركَ العَنانَ لِخَواطِرِه تَسْرَحُ يَمْنَةً وَيَسْرَةً في البَاطِلِ، وَهُو يَعلَمُ حَقِيقَةً بَأَنَّهُ وَهْمٌ، فَتَراهُ وَقَدْ سَلَّمَ زِمَامَ نَفْسِهِ لِخَواطِرِه، فَجَرَّتْهُ ذَلِيلاً إلى المَهَالِكِ، فَكَأَنِّي بِهِ يَهْرَعُ عَلى وَجْهِهِ يَبْتَغِي خَلاصَ مَا أَوْقَعَ نَفْسَهُ فِيْهِ وَقَدْ كَانَ مُعَافىً، فَنَدِمَ كُلَّ النَّدَمِ، وَلاتَ سَاعَةَ مَنْدَمٍ.

يَقُوْلُ ابنُ قَيِّمِ الجَوْزِيَّةِ رَحِمَهُ اللهُ : اعْلَم أَنَّ الخَطَرَاتِ وَالوَسَاوِسَ تُؤَدِّي مُتَعلِّقَاتُها إِلَى الفِكْرِ فَيَأْخُذُهَا الفِكْرُ فَيُؤَدِّيهَا إِلَى التَّذَكُّرِ، فَيَأْخُذُهَا الذِّكْرُ فَيُؤَدِّيهَا إِلَى الإِرَادَةِ، فَتَأْخُذَهَا الإِرَادَةُ فَتُؤَدِّيهَا إِلَى الجَوَارِحِ وَالعَمَلِ، فَتَسْتَحْكِمُ، فَتَصِيْرُ عَادَةً، فَرَدُّهَا مِن مَبَادِيهَا أَسْهَلُ مِنْ قَطْعِهَا بَعْدَ قُوَّتِهَا وَتَمَامِهَا.

فَإِذَا دَفَعْتَ الخَاطِرَ الوَارِدَ عَلَيْكَ؛ انْدَفَعَ عَنْك مَا بَعْدَهُ، وَإِنْ قَبِلْتَهُ صَارَ فِكْراً جَوَّالاً؛ فَاسْتَخْدَمَ الإِرَادَةَ فَتَسَاعَدَتْ هِي وَالفِكْرُ عَلَى اسْتِخْدَامِ الجَوَارِحِ، فَإِنْ تَعَذَّرَ اسْتِخْدَامُهَا رَجَعَا إِلَى القَلْبِ بِالتَّمَنِّي وَالشَّهْوَةِ وَتُوَجِّهِهِ إِلَى جِهَةِ المرَاد.

وَمَن المعْلُوْمِ أَنَّ إِصْلاَحَ الخَوَاطِرِ أَسْهَلُ مِنْ إِصْلاحِ الأَفْكَارِ، وَإِصْلاَحَ الأَفْكَارِ أَسْهَلُ مِنْ إِصْلاحِ الإِرَادَاتِ، وَإِصْلاَحَ الإِرَادَاتِ أَسْهَلُ مِنْ تَدَارُكِ فَسَادِ العَمَلِ، وَتَدَارُكَهُ أَسْهَلُ مِنْ قَطْعِ العَوَائِدِ.

فَأَنْفَعُ الدَّوَاءِ : أَنْ تَشْغَلَ نَفْسَكَ فِي مَا يَعْنِيْكَ دُوْنَ مَا لَا يَعْنِيْك، فَالفِكْرُ فِيمَا لا يَعْنِي بَابُ كُلِّ شَرٍّ، وَمَنْ فَكَّرَ فِيْمَا لا يَعْنِيهِ فَاتَهُ مَا يَعْنِيهِ، وَاشْتَغلَ عَنْ أَنْفعِ الأَشْياءِ لَهُ بِمَا لا مَنْفَعةَ لَهُ فِيْهِ، فَالفِكْرُ وَالخَواطِرُ وَالإِرَادَةُ وَالهِمَّةُ أَحَقُّ شَيءٍ بِإِصْلاحِهِ مِنْ نَفْسِكَ، فَإِنَّ هَذِهِ خَاصَّتُكَ وَحَقِيقَتُكَ الَّتِي لا تَبْتَعِدُ بِهَا أَوْ تَقربُ مِنْ إِلَـٰهِكَ ومَعْبُودِكَ الَّذِي لا سَعادَةَ لَك إِلَّا فِي قُرْبِهِ وَرِضَاهُ عَنْكَ، وَكُلُّ الشَّقَاءِ فِي بُعْدِكَ عَنْهُ وَسَخَطِهِ عَلَيْكَ.

وَمَنْ كَانَ في خَواطِرِهِ وَمجالاتِ فِكْرِهِ دَنِيَّاً خَسِيْسَاً لم يَكُنْ في سَائِرِ أَمْرِهِ إلَّا كَذَلِكَ.

وَإيَّاكَ أَنْ تُمكِّنَ الشَّيْطَانَ مِنْ بَيْتِ أَفْكَارِكَ وَإيرَادتِكَ؛ فَإِنَّهُ يُفْسِدُهَا عَلَيْكَ فَسَاداً يَصْعُبُ تَدَارُكَهُ، وَيُلْقِي إِلَيْكَ أَنْوَاعَ الوَسَاوِسِ وَالأَفْكَارِ المُضِرَّةِ، ويَحُولُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ الفِكْرِ فِيْما يَنْفَعُكَ، وَأَنْتَ الَّذِي أَعَنْتَهُ عَلَى نَفْسِكَ بِتَمْكِيْنِه مِنْ قَلْبِكَ وخَوَاطِرِك؛ فَمَلَكَهَا عَلَيْك.

وَبِالجُمْلَةِ، فَالقَلبُ لا يَخْلُو قَطُّ مِنَ الفِكْرِ، إمَّا في وَاجِبِ آخِرَتِهِ وَمَصالِحِهَا، وَإمَّا في مَصَالِحِ دُنْياهُ وَمَعاشِهِ، وَإمَّا في الوَسَاوِسِ والأَمَانيِّ البَاطِلَةِ وَالمقَدَّرَاتِ المفْرُوضَةِ.

فَالنَّفسُ مَثَلُها كَمثَلِ رَحىً تَدُورُ بِمَا يُلْقَى فِيْها، فَإِنْ أَلْقَيتَ فِيْها حَبَّاً دَارتْ بِهِ، وَإِنْ أَلْقَيتَ فِيْها زُجَاجاً وحَصاً وَبَعَراً دَارَتْ بِهِ، واللهُ سُبحَانَهُ هُو قَيِّمُ تِلكَ الرَّحى وَمَالِكُها ومُصَرِّفُها.

وَبالجُمْلَةِ، فَقَيِّمُ الرَّحى إذَا تَخَلَّى عَنْها وَعَنْ إصْلاحِهَا وَإِلْقَاءِ النَّافِعِ فِيْها وَجَدَ العَدُوُّ السَّبِيلَ إلى إفْسَادِهَا وإِدَارَتِها بِمَا مَعَهُ.

وَأَصْلُ صَلاحِ هَذِهِ الرَّحَى بِالاشْتِغَالِ بِمَا يَعْنِيك، وَفَسادُها كُلُّه في الاشْتِغَالِ بما لا يَعْنِيكَ.(١)

وَقَرِيبٌ مِنْ هَذا النَّوْعِ مِنَ المسِّ، مَا يُسَمَّى **بِالمسِّ الكَاذِبِ**، وَهُوَ تَمْثِيلٌ؛ لِحُصُولِ مَطْلُوبٍ، أَوْ تَحْقِيقِ مَصْلَحَةٍ، أَوِ لِتَسْوِيغِ سُوءِ فِعَالٍ، أَوْ لِلَفْتِ الأَنْظَارِ إلَيْهِ !! وهَذا ثَابِتٌ مَوجُودٌ، وَللَّهِ في خَلْقِهِ شُؤونٌ، وَلَكِنْ بِحَمْدِ اللهِ يَعْرِفُ كَذِبَهُ الرَّاقِي الحَاذِقُ.

---

(١) «الفوائد» (٢٦٩-٢٧٢) باختصار.

❑ أَدِلَّتُهُ :

فَإِذَا عَرَفْتَ مَعْنَى المرَضِ، وَعَرَفْتَ أَنْوَاعَهُ، حَرِيٌّ بِكَ أَنْ تَعْرِفَ أَدِلَّةَ مَا ذَكَرْتُه لَكَ؛ لِتَكُوْنَ عَلَى بَصِيْرَةٍ مِنَ العِلْمِ، مُسْتَحْضِراً لِأَدِلَّةِ المسَائلِ الشَّرْعِيَّةِ.

اعْلَمْ عَلَّمَنِي الله وإيَّاكَ أَنَّ هَذَا المرَضَ لَهُ أَدِلَّة قُرْآنِيَّةٌ، وَأَحَادِيْثُ نَبوِيَّةٌ، وَحِجَجٌ عَقْلِيَّةٌ، وَعَلَى هَذَا جَمَاهِيْرُ أَهْلِ العِلْمِ وَالمحَقِّقُونَ الكِبَارُ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ، ونَقَلْتُ لَكَ طَائِفَةً مِنْ كَلامِهِم تُبَيِّنُ المقْصُودَ، وَلَو ذَهَبْنَا في تَتَبُّعِ أَقْوَالِهِم لَطَالَ المقَامُ كَثِيْراً، وَلَكِنْ حَسْبُ كُلِّ مَنْ رَامَ الحَقِيقَةَ أَنْ يَقْنَعَ بِمَا ذَكَرَهُ كِبَارُ العِلَماءِ المحَقِّقِيْنَ مُعوِّلِينَ عَلى الكِتَابِ والسُّنَّةِ وَفَهْمِ سَلَفِ الأُمَّةِ، وَدَعْ عَنْكَ الأَقوالَ وَالآرَاءَ الشَّاذَّةَ في المسْأَلَةِ، فَإِنَّ الشَّاذَّ لا حُكْمَ لَهُ.

أوَّلاً : أدِلَّةُ الكِتَابِ المُبِينِ :

١-قَالَ الحَقُّ جَلَّ في عُلاهُ : ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾ (البقرة: ٢٧٥).

هَذِه الآيةُ هِيَ الحُجَّةُ في المسْأَلَةِ، وَأَقْوَالُ عُلَماءِ التَّفْسِيرِ المُحقِّقِينَ شَاهِدَةٌ في إِثْبَاتِ الأَمْرِ وَتَقْرِيْرِهِ، وَسَأَعْرِضُ عَلَيْكَ جُمْلَةً مِنْها؛ لِتَكُونَ في دِيْنِكَ عَلَى بَصِيْرَةٍ وَهُدَى :

١-قال شَيخُ المفسِّرينَ ابنُ جَرِيرِ الطَّبَرِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «لاَ يَقُومُونَ فِي الآخِرَةِ مِنْ قُبُورِهِم إلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ المسِّ؛ يَعْنِي بِذَلِكَ : يَتَخَبَّلُهُ الشَّيْطَانُ فِي الدُّنْيَا، وَهُوَ الَّذِي يَتَخَنَّقُهُ فَيَصْرَعُهُ مِنَ المسِّ، يَعْنِي مِنَ الجُنُونِ»[1]

---

(١) «جامع البيان» (٥ / ٣٨)

وَقَالَ : «وَمَعْنَى قَوْلِهِ : ﴿يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾: يَتَخَبَّلُهُ مِنْ مَسِّهِ إِيَّاهُ، يُقَالُ مِنْهُ : قَدْ مُسَّ الرَّجُلُ وأُلِسَ وأُلِقَ، فَهُوَ مَمْسُوسٌ وَمَأْلُوقٌ، كُلُّ ذَلِكَ إِذَا أَلَمَّ بِهِ اللَّمَمُ؛ فَجُنَّ»[1]

- وَقَالَ ابنُ حَزْمٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَمَّا الصَّرْعَ فَإِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ قالَ ك : ﴿ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾فَذَكَرَ عَزَّوَجَلَّ تَأْثِيرَ الشَّيطَانِ في المصْرُوعِ، فإنَّما هُو بالمُماسَّةِ، فَلا يَجُوزُ لأَحَدٍ أَنْ يَزِيدَ عَلى ذَلِكَ شَيْئاً، وَمَنْ زَادَ عَلى هَذَا شَيْئاً فَقَدْ قَفَا مَا لا عِلْمَ لَهُ بِهِ، وَهَذا حَرامٌ لا يَحِلُّ قالَ عَزَّوَجَلَّ : ﴿وَلَا نَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ (الإسراء: ٣٦)، وهَذِهِ الأُمُورُ لا يُمكِنُ أَنْ تُعرَفَ البَتَّةَ إِلَّا بخَبَرٍ صَحِيحٍ عَنْهُ ﷺ، وَلا خَبرَ عَنْهُ؛ بِغَيْرِ مَا ذَكَرْنَا، وَباللَّهِ تَعالى التَّوفِيقُ.

فَصَحَّ أَنَّ الشَّيطَانَ يَمَسُّ الإنسَانَ الَّذِي يُسَلِّطُهُ الله عَلَيْهِ مَسّاً كَما جَاءَ في القُرآنِ، يُثِيرُ بِهِ مِنْ طَبَائعِهِ السَّوداءِ وَالأَبْخِرَةِ المتَصاعِدَةِ إلى الدِّمَاغِ كَما يُخْبِرُ بِهِ عَنْ نَفْسِهِ كُلُّ مَصرُوعٍ بِلا خِلافٍ مِنْهُم، فَيُحْدِثُ الله عَزَّوَجَلَّ لَهُ الصَّرْعَ وَالتَّخَبُّطَ حِينَئِذٍ كَما نُشاهِدُهُ، وهَذا هُو نَصُّ القُرآنِ وَمَا تُوجِبُهُ المُشَاهَدَةُ وَمَا زَادَ عَلى هَذا فَخُرَافَاتٌ مِنْ تَوْلِيدِ العَزَّامِينَ والكَذَّابِينَ، وَباللهِ تَعالى نَتَأَيَّدُ»[2]

_ وَقالَ القُرْطُبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «في هَذِهِ الآيَةِ دَلِيلٌ عَلى فَسَادِ إِنْكَارِ مَنْ أَنكَرَ الصَّرْعَ مِنْ جِهَةِ الجِنِّ، وزَعَمَ أَنَّهُ مِنْ فِعْلِ الطَّبَائعِ، وأَنَّ الشَّيطانَ لا يَسْلُكُ في الإِنْسَانِ ولا يَكُونُ مِنْهُ مَسٌّ»[3]

---

(١) «جامع البيان» (٥ / ٤١)

(٢) «الفِصَل في المِلَل» (٥ / ١١٣) في فصل الكلام عن الجن ووسوسته وصرعه، **وفيه كيفيه تأثير الشيطان على الإنسان.**

(٣) «الجامع لأحكام القرآن» (٤ / ٣٩١) وانظر أيضاً : «فتح القدير» للشوكاني (١ / ٤٤٥)

_ وقالَ ابنُ جُزَيّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «أجمعَ المُفسِّرُونَ أنَّ المعْنَى : لا يَقُومُونَ مِنْ قُبُورِهِم في البَعْثِ إلَّا كَالمجْنُونِ، وَيَتَخبَّطُهُ : يَتَفَعَّلُهُ مِنْ قَولِكَ : خَبَطَ يَخْبِطُ، وَالمسُّ الجُنُونُ»[1]

_ وقَالَ ابنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ : «أي : لا يَقُومُونَ مِنْ قُبورِهم يَومَ القِيامَةِ إلَّا كما يَقُومُ المصرُوعُ حَالَ صَرَعِهِ وتَخَبُّطِ الشَّيطَانِ لَهُ؛ وذَلِكَ أنَّهُ يَقُومُ قِياماً مُنكَراً»[2]

_ وقالَ الخَازِنُ رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَـٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾: أي: يَصْرَعُهُ ، وَأَصْلُ الخَبْطِ: الضَّرْبُ وَالوَطْءُ؛ وَهُو ضَرْبٌ عَلى غَيرِ اسْتِوَاءٍ، وَتَخَبَّطَهُ الشَّيطَانُ : إذَا مَسَّهُ بِخَبَلٍ وَجُنُونٍ ﴿مِنَ ٱلْمَسِّ﴾: يَعْنِي مِنَ الجُنونِ، يُقالُ : مُسَّ الرَّجلُ، فَهُو مَمْسُوسٌ: إذَا كَانَ بِهِ جُنُونٌ.

وَمَعْنى الآيةِ : أنَّ آكلَ الرِّبا يُبْعثُ يَومَ القِيامَةِ مِثْلَ المصْرُوعِ الَّذِي لا يَستَطِيعُ الحَرَكَةَ الصَّحِيحَةَ»[3]

فَتأمَّلْ قَولَهُ : «الَّذِي لا يَستَطِيعُ الحَرَكَةَ الصَّحِيحَةَ» فَإنَّها تُشِيرُ إلى عِلَّةٍ حَقِيْقِيَّةٍ لا وَهْمِيَّةٍ؛ فَتنبَّه.

_ وَعَقَدَ ابنُ عَادَل رَحِمَهُ اللَّهُ فَصْلاً في المسْأَلةِ أَطَالَ في تَقْرِيْرِهِ فَقالَ : «فَصلٌ في قُدْرَةِ الجِنِّ عَلى النُّفُوذِ خِلالَ البَشَرِ، المشهُورُ أنَّ الجِنَّ لَهُمْ قُدْرةٌ عَلى النُّفوذِ في بَواطِنِ البَشَرِ، وَأنكَرَ أكثَرُ المُعتَزِلَةِ ذَلِكَ».[4]

---

(١) «التسهيل لعلوم التنزيل»(١/ ١٣٢)

(٢) «تفسير القرآن العظيم» (١/ ٧٠٨)

(٣) «لباب التأويل» (١ / ٢٩٧)

(٤) «اللُّباب في علوم الكتاب» (١/ ١١٥) وساق أدلة المثبتين و النَّافين .

ـ وقالَ ابنُ عاشُورٍ رَحِمَهُ اللهُ: «وَالتَّخَبُّطُ مُطَاوِعُ خَبطَهُ: إذَا ضَرَبَهُ ضَرْباً شَدِيداً؛ فَاضْطَرَبَ لَهُ، أَيْ: تَحَرَّكَ تَحَرُّكاً شَدِيداً، وَلَمَّا كَانَ مِنْ لَازِمِ هَذَا التَّحَرُّكِ عَدَمُ الاتِّسَاقِ، أَطْلَقَ التَّخَبُّطَ عَلَى اضْطِرَابِ الإنْسَانِ مِنْ غَيْرِ اتِّسَاقٍ.

ثُمَّ إِنَّهُم يَعْمِدُونَ إِلَى فِعْلِ المطَاوَعَةِ فَيَجْعَلُونَهُ مُتَعَدِّياً إِلَى مَفْعُولٍ إِذَا أَرَادُوا الاخْتِصَارَ، فَعِوَضاً عَنْ أَنْ يَقُولُوا: خَبطَهُ فَتَخَبَّطَ. يَقُولُونَ: تَخَبَّطَهُ، كَمَا قَالُوا: اضْطَرَّهُ إِلَى كَذَا.

فَتَخَبُّطُ الشَّيْطَانِ المرْءَ جَعْلُهُ إِيَّاهُ مُتَخَبِّطاً، أَيْ: مُتَحَرِّكاً عَلَى غَيْرِ اتِّسَاقٍ، وَالَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ هُوَ المجْنُونُ الَّذِي أَصَابَهُ الصَّرْعُ، فَيَضْطَرِبُ بِهِ اضْطِرَابَاتٍ، وَيَسْقُطُ عَلَى الأَرْضِ إِذَا أَرَادَ القِيَامَ، فَلَمَّا شُبِّهَتِ الهَيْئَةُ بِالهَيْئَةِ جِيءَ فِي لَفْظِ الهَيْئَةِ المشَبَّهِ بِهَا بِالأَلفَاظِ الموْضُوعَةِ لِلدَّلَالَةِ عَلَيْهَا فِي كَلَامِهِم، وَإِلَّا لَمَا فُهِمَتِ الهَيْئَةُ المشَبَّهُ بِهَا، وَقَدْ عُرِفَ ذَلِكَ عِنْدَهُم.

وَهُوَ إِذَا أُطْلِقَ مُعَرَّفاً بِدُونِ عَهْدِ مَسٍّ مَعْرُوفٍ؛ دَلَّ عِنْدَهُم عَلَى مَسِّ الجِنِّ، فَيَقُولُونَ: رَجُلٌ مَمْسُوسٌ، أَيْ: مَجْنُونٌ، وَإِنَّمَا احْتِيجَ إِلَى زِيَادَةِ قَوْلِهِ: ﴿مِنَ ٱلْمَسِّ﴾ لِيَظْهَرَ المرَادُ مِنْ تَخَبُّطِ الشَّيْطَانِ فَلَا يُظَنُّ أَنَّهُ تَخَبُّطٌ مَجَازِيٌّ بِمَعْنَى الوَسْوَسَةِ»[1]

ـ وَنَقل الشَّيْخُ جَمَالُ الدِّينِ القَاسِمِيُّ رَحِمَهُ اللهُ، عَنِ النَّاصِرِ فِي «الانْتِصَارِ» فِي سِيَاقِ رَدِّهِ عَلَى قَولِ الزَّمَخْشَرِيِّ غَفَرَ اللهُ لَهُ، وَمَنْ قَالَ بِقَوْلِهِ[2] فِي نَفْيِهِ لِذَلِكَ: «مَعْنَى قَولِ «الكَشَّافِ»: مِنْ زَعَمَاتِ العَرَبِ، أي: كَذَبَاتِهِم وَزَخَارِفِهِم الَّتِي لا حَقِيقَةَ لَهَا.

---

(١) «التَّحرير والتنوير» (٣/ ٨٢).

(٢) يعني: كالمعتزلة، وأفراخهم العقلانيين.

وهَذَا القَولُ عَلى الحَقِيقَةِ مِنْ تَخَبُّطِ الشَّيطانِ بالقَدَرِيَّةِ[1]، مِنْ زَعَماتِهِم المَرْدُودَةِ بِقَواطِعِ الشَّرْعِ. ثُمَّ سَاقَ مَا وَرَدَ فِي ذَلِكَ مِنَ الأَحادِيثِ وَالآثَارِ، وَقالَ بَعدَهُ : وَاعتِقَادُ السَّلفِ وَأَهلِ السُّنَّةِ أنَّ هَذِهِ أُمُورٌ عَلى حَقَائِقِهَا وَاقِعَةٌ كما أَخبرَ الشَّرْعُ عَنْهَا، وإِنَّما القَدَرِيَّةُ خُصَماءُ العَلانِيَّةِ، فلا جَرْمَ أَنَّهُم يُنكِرُونَ كَثِيراً مِمَّا يَزْعُمُونَهُ مُخالِفاً لِقَواعِدِهِم، مِنْ ذَلِكَ : السِّحْرُ، وَخَبْطَةُ الشَّيطانِ، وَمُعظَمُ أَحْوالِ الجِنِّ، وَإِنِ اعْتَرفُوا بِشَيءٍ مِنْ ذَلِكَ، فَعَلى غَيرِ الوَجْهِ الَّذِي يَعتَرِفُ بِهِ أَهلُ السُّنةِ، وَيُنْبِئُ عَنْهُ ظَاهِرُ الشَّرْعِ فِي خَبْطٍ طَوِيلٍ لَهُم»[2]

٢-وقَالَ الحَقُّ جَلَّ فِي عُلاهُ : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ (الأعراف: ٢٠١)

يَقولُ ابنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ : «يُخبِرُ تَعَالىٰ عَنِ المتَّقِينَ مِنْ عِبادِهِ الَّذِينَ أَطاعُوهُ فِيما أَمرَ، وتَركُوا مَا عَنْهُ زَجرَ، أَنَّهُم ﴿إِذَا مَسَّهُمْ﴾ أَي : أَصَابَهُم، ﴿طَٰٓئِفٌ﴾ : مِنْهُم مَنْ فَسَّرَ ذَلِك بالغَضَبِ، ومِنْهُم مَنْ فَسَّرَهُ بِمَسِّ الشَّيطَانِ بالصَّرْعِ ونَحْوِه، ومِنْهُم مَنْ فَسَّرَهُ بِالهَمِّ بِالذَّنْبِ، ومِنْهُم مَنْ فَسَّرَهُ بِإِصَابةِ الذَّنْبِ.

وَقَولُه : ﴿تَذَكَّرُواْ﴾ أَي : عِقَابَ اللهِ وَجَزِيلَ ثَوابِهِ، وَوَعْدِهِ وَوَعِيْدِهِ؛ فَتَابُوا وَأَنَابُوا، واسْتَعَاذُوا بِاللَّهِ وَرَجَعُوا إِلَيْهِ مِنْ قَرِيبٍ، ﴿تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ أَي : قَدِ اسْتَقَامُوا وصَحُوا مِمَّا كَانُوا فِيْهِ»[3]

---

(١) كالبيضاوي في «أنوار التنزيل» (١/ ١٦٢)، وأبي السّعود في «إرشاد العقل السليم» (١/ ٤١١) غفر الله لهم، وغيرهم ممن تأثروا كثيراً بنفثات المعتزلة في عصرنا الحاضر .

(٢) «محاسن التأويل» (٢/ ٢٢٠) وانظر ما عقده البقاعي رَحِمَهُ اللَّهُ في مصنفه الفذّ «نظم الدرر في تناسب الآيات والسور» عند هذه الآية فقد أطال كثيراً.

(٣)«تفسير القرآن العظيم» (٣ / ٥٣٤) وانظر بتوسُّع معنى الطائف من الشيطان عند ابن جرير رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسيره «جامع البيان» (١٠/ ٦٤٦) .

٣-مُفْرَدَةُ ﴿جِنَّةٌ﴾ وَدَلالَتُهَا :

وَرَدَتْ هَذِه المفْرَدَةُ في كِتَابِ الله تَعَالى خَمسَ مَرَّاتٍ، وَهِيَ تُفِيدُ في جميْعِها مَعْنىً كُلِّياً وَاحِداً لا يَنْصَرِفُ لِغَيْرِهِ، وَهُو التَّخَبُّطُ والجُنُونُ، فَتَأَمَّلْ مَعِي في قَوْلِهِ تَعَالى : ﴿يَتَفَكَّرُوا۟ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ (الأعراف: ١٨٤)

وَقَوْلِهِ تَعَالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ (المؤمنون: ٢٥)

وَقَوْلِهِ تَعَالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ ۚ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ﴾ (المؤمنون: ٧٠)

وَقَوْلِهِ تَعَالى: ﴿أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ ۗ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ فِى ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلْبَعِيدِ﴾ (سبأ: ٨)

وَقَوْلِهِ تَعَالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ (سبأ: ٤٦)

يَقُولُ ابنُ عَاشُور رَحِمَهُ اللهُ : وَالتَّنْوِينُ فِي ﴿جِنَّةٌ﴾ لِلنَّوْعِيَّةِ، أَيْ : هُوَ مُتَلبِّسٌ بِشَيْءٍ مِنَ الجُنُونِ، وَهَذَا اقْتِصَادٌ مِنهُم فِي حَالِهِ، حَيْثُ احْتَرَزُوا مِنْ أَنْ يُورِّطُوا أَنْفُسَهَمْ فِي وَصْفِهِ بِالخَبَالِ مَعَ أَنَّ المشَاهَدَ مِنْ حَالِهِ يُنَافِي ذَلِكَ، فَأَوْهَمُوا قَوْمَهُم أَنَّ بِهِ جُنُوناً خَفِيفاً لا تَبْدُو آثَارُهُ وَاضِحَةً.

وَفَرَّعُوا عَلَى ذَلِكَ الحُكْمِ أَمْراً لِقَوْمِهِم بِانْتِظَارِ مَا يَنْكَشِفُ عَنْهُ أَمْرُهُ بَعْدَ زَمَانٍ : إِمَّا شِفَاءٌ مِنَ الجِنَّةِ فَيَرْجِعُ إِلَى الرُّشْدِ، أَوِ ازْدِيَادُ الجُنُونِ بِهِ؛ فَيَتَّضِحُ أَمْرُهُ فَتَعْلَمُوا أَنْ لَا اعْتِدَادَ بِكَلامِهِ»[1]

وَقَالَ أَيْضاً : «قَوْلُهُ : ﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌ﴾: هُوَ الاِسْتِفْهَامُ الرَّابِعُ، أَيْ: أَلَعَلَّهُمُ ادَّعَوْا أَنَّ رَسُولَهُمُ الَّذِي يَعْرِفُونَهُ قَدْ أُصِيبَ بِجُنُونٍ فَانْقَلَبَ صِدْقُهُ كَذِباً.

---

(١) «التحرير والتنوير» (١٨ / ٤٠)

وَالجِنَّةُ: الجُنُونُ، وَهُوَ الخَلَلُ العَقْلِيُّ الَّذِي يُصِيبُ الإِنْسَانَ، كَانُوا يَعْتَقِدُونَ أَنَّهُ مِنْ مَسِّ الجِنِّ.

وَالجِنَّةُ يُطْلَقُ عَلَى الجِنِّ وَهُوَ المخْلُوقَاتُ المسْتَتِرَةُ عَنْ أَبْصَارِنَا كَمَا فِي قَوْلِهِ: ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾، وَيُطْلَقُ الجِنَّةُ عَلَى الدَّاءِ اللَّاحِقِ مِنْ إِصَابَةِ الجِنِّ وَصَاحِبُهُ مَجْنُونٌ، وَهُوَ المرَادُ هُنَا بِدَلِيلِ بَاءِ الملاَبَسَةِ»[1]

وهَذِهِ مَسأَلَةٌ مِنَ الوُضُوحِ بِمَكانٍ فَلا حَاجَةَ لمزِيْدٍ مِنْ تَوضِيحِ الوَاضِحَاتِ.

ثَانِياً : أَدِلَّةُ السُّنَّةِ الجلِيَّةِ :

يَحْسُنُ بِي بِدَايَةً أَنْ أَدْعُوكَ أَيُّها القَارِئُ الكَرِيمُ إلى قِرَاءَةِ بَابِ صِفَةِ إِبْلِيسَ وَجُنُودِهِ فِي كُتُبِ السُّنَّةِ، وَلاسِيَّمَا مِنَ «الجَامِعِ الصَّحِيحِ» لِلإِمَامِ البُخَارِيِّ رَحِمَهُ اللهُ؛ لِتَقْرَأَ بِنَفْسِكَ مَا صَحَّ عَنْ نَبِيِّكَ ﷺ فِيمَا بَلَّغَ بِهِ أُمَّتَهُ عَنْ إِبْلِيسَ وَجُنُودِهِ، فَتَعْرِفَ حَالَهُم، وَطَبِيعَتَهُم، وَمَا خَلَقَهُم اللهُ عَلَيْهِ، وَمَا وَهَبَهُم مِنَ القُدُراتِ الَّتِي لَمْ تُعْطَ لِغَيرِهِم، وَمَا كَانَ مِنْهُم مِنْ أَذَى حِسِّيٍّ وَمَعْنَوِيٍّ؛ فِتْنَةً وَبَلاءً وامْتِحَاناً، وَأَسُوقُ لَكَ طَائِفَةً مِنْ هَذِهِ الأَحَادِيثِ المقْبُولَةِ الَّتِي نَعْتَمِدُ عَلَيْهَا فِي المسْأَلَةِ؛ لِتَكُونَ عَلى بَصِيرَةٍ مِنْ ذَلِكَ، فَمِنْهَا :

١-عَنْ عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ قَالَ : قَالَ لِي ابْنُ عَبَّاسٍ : أَلَا أُرِيكَ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ؟ قُلْتُ : بَلَى.

قَالَ: هَذِهِ المرْأَةُ السَّوْدَاءُ أَتَتِ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَتْ : إِنِّي أُصْرَعُ، وَإِنِّي أَتَكَشَّفُ؛ فَادْعُ اللهَ لِي.

قَالَ : «إِنْ شِئْتِ صَبَرْتِ وَلَكِ الجَنَّةُ، وَإِنْ شِئْتِ دَعَوْتُ اللهَ أَنْ يُعَافِيَكِ ؟»

فَقَالَتْ : أَصْبِرُ، فَقَالَتْ : إِنِّي أَتَكَشَّفُ فَادْعُ اللهَ لِي أَنْ لَا أَتَكَشَّفَ؛ فَدَعَا لَهَا.[2]

---

(١)«التحرير والتنوير» (١٨ / ٨٩)

(٢)أخرجه البخاري (٥٦٥٢)، و مسلم (٢٥٧٦) .

فَانْظُرْ رَعَاكَ المولَى : دَلَّ الحَدِيثُ أنَّ المرْأَةَ مُصَابَةٌ بِدَاءِ الصَّرْعِ، فَإِنْ قُلْتَ : وَمَا الصَّرْعُ، وَأَيُّ شَيءٍ يَدُلُّ عَلَيْهِ ؟

فَدُونَكَ هَذا البَيَانَ الشَّافي مِنَ الحَافِظِ ابنِ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللهُ:

الصَّرْعُ : «عِلَّةٌ تَمْنَعُ الأَعْضَاءَ الرَّئِيسَةَ عَنِ انْفِعَالِهَا مَنْعاً غَيْرَ تَامٍّ ، وَسَبَبُهُ رِيحٌ غَلِيظَةٌ تَنْحَبِسُ في مَنَافِذِ الدِّمَاغِ.

أَوْ : بُخَارٌ رَدِيءٌ يَرْتَفِعُ إِلَيْهِ مِنْ بَعْضِ الأَعْضَاءِ ، وَقَدْ يَتْبَعُهُ تَشَنُّجٌ في الأَعْضَاءِ فَلاَ يَبْقَى الشَّخْصُ مَعَهُ مُنْتَصِباً بَلْ يَسْقُطُ وَيَقْذِفُ بِالزَّبَدِ لِغِلَظِ الرُّطُوبَة.

وَقَدْ يَكُونُ الصَّرْعُ مِنَ الجِنِّ، وَلَا يَقَع إِلَّا مِنَ النُّفُوسِ الخَبِيثَةِ مِنْهُم، إِمَّا لِاسْتِحْسَانِ بَعْض الصُّوَرِ الإنْسِيَّةِ، وَإِمَّا لِإِيقَاعِ الأَذِيَّةِ بِهِ.

وَالأَوَّلُ هُوَ الَّذِي يُثْبِتُهُ جَمِيعُ الأَطِبَّاءِ وَيَذْكُرُونَ عِلاَجَهُ.

وَالثَّانِي يَجْحَدُهُ كَثِيرٌ مِنْهُم، وَبَعْضُهُم يُثْبِتُهُ وَلَا يَعْرِفُ لَهُ عِلاَجاً إِلَّا بِمُقَاوَمَةِ الأَرْوَاحِ الخَيِّرَةِ العُلْوِيَّةِ لِتَنْدَفِعَ آثَارُ الأَرْوَاحِ الشِّرِّيرَةِ السُّفْلِيَّةِ وَتَبْطُلُ أَفْعَالُهَا.

وَمِمَّنْ نَصَّ عَلَى ذَلِكَ : أَبُقْرَاط، فَقَالَ لَمَّا ذَكَرَ عِلاَجَ المصْرُوعِ : هَذَا إِنَّمَا يَنْفَع في الَّذِي سَبَبُهُ أَخْلاَطٌ ، وَأَمَّا الَّذِي يَكُونُ مِنَ الأَرْوَاحِ فَلاَ، **وَقَدْ يُؤْخَذُ مِنَ الطُّرُقِ الَّتِي أَوْرَدْتُها أَنَّ الَّذِي كَانَ بِأُمِّ زُفَرَ كَانَ مِنْ صَرْعِ الجِنِّ لَا مِنْ صَرْعِ الخَلْطِ** »[1]

وَنقلَ هَذَا القَوْلَ وَزَادَ عَلَيْهِ الإِمَامُ العَيْنِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فَقَال : «وَأَنْكَرَ طَائِفَةٌ مِنَ المعْتَزِلَةِ؛ كَالجبَّائِيِّ، وَأَبِي بَكْرٍ الرَّازِيِّ، وَمُحَمَّدِ بنِ زَكَرِيَّا الطَّبِيبِ، وَآخَرُونَ دُخُولَ الجِنِّ في بَدَنِ المصْرُوعِ، وَأَحَالُوا وُجُودَ رُوحَيْنِ في جَسَدٍ مَعْ إِقْرَارِهِم بِوُجُودِ الجِنِّ، وَهَذا خَطَأٌ»

وَقَالَ ابنُ عَبدِ البَرِّ رَحِمَهُ اللهُ في تَرْجَمَةِ أُمِّ زُفَرَ: «الَّتِي كَانَ بِهَا مَسٌّ مِنَ الجِنِّ»[2]

---

(١) «فتح الباري» (١٠ / ١١٤- ١١٥).

(٢) «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» ترجمة (٣٥١٨)

٢- عَنْ صَفِيَّةَ بِنْتِ حُيَيٍّ قَالَتْ : كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مُعْتَكِفاً، فَأَتَيْتُهُ أَزُورُهُ لَيْلاً، فَحَدَّثْتُهُ ثُمَّ قُمْتُ فَانْقَلَبْتُ، فَقَامَ مَعِي لِيَقْلِبَنِي ـ وَكَانَ مَسْكَنُهَا فِي دَارِ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ ـ فَمَرَّ رَجُلاَنِ مِنَ الأَنْصَارِ، فَلَمَّا رَأَيَا النَّبِيَّ ﷺ أَسْرَعَا.

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «عَلَى رِسْلِكُمَا، إِنَّهَا صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ».

فَقَالَا : سُبْحَانَ اللهِ يَا رَسُولَ اللهِ! قَالَ : «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ الإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِ، وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا سُوءاً ـ أَوْ قَالَ ـ : شَيْئاً». [(١)]

قَالَ القَاضِي رَحِمَهُ اللهُ : فِي قَوْلِهِ : «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ الإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِ »: «قِيلَ : هُوَ عَلَى ظَاهِرِهِ، فَإِنَّ اللهَ جَعَلَ لَهُ قُوَّةً وَقُدْرَةً عَلَى الجَرْيِ فِى بَاطِنِ الإِنْسَانِ مَجَارِى دَمِهِ.

وَقِيلَ : هُوَ عَلَى الاسْتِعَارَةِ؛ لِكَثْرَةِ إِغْوَائِهِ وَوَسْوَسَتِهِ، فَكَأَنَّهُ لاَيُفَارِقُ الإِنْسَانَ كَمَا لاَيُفَارِقُهُ دَمُهُ»

وَزَادَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فَقَالَ : «وَقِيلَ : يُلْقِى وَسْوَسَتَهُ فِى مَسَامٍ لَطِيفَةٍ مِنَ البَدَنِ، فَتَصِلُ الوَسْوَسَةُ إِلَى القَلْبِ. وَاللهُ أَعْلَمُ » [(٢)]

٣- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : «مَا مِنْ مَوْلُودٍ يُولَدُ إِلَّا وَالشَّيْطَانُ يَمَسُّهُ حِينَ يُولَدُ؛ فَيَسْتَهِلُّ صَارِخاً مِنْ مَسِّ الشَّيْطَانِ إِيَّاهُ إِلَّا مَرْيَمَ وَابْنَهَا، ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ : وَاقْرَؤُوا إِنْ شِئْتُمْ : ﴿وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ (آل عمران: ٣٦) » [(٣)]

(١) أخرجه البخاري (٣٢٨١) .

(٢) «إكمال المعلم شرح صحيح مسلم» (٧/ ٦٥) ونقله كلٌّ من النّووي في «شرح مسلم» (١٤/ ١٥٧) وابن حجر في «الفتح» (٤/ ٢٨٠) والعينيُّ في «العمدة» (١١/ ١٥٢) والسُّيوطي في «الديباج» (٥/ ١٩٣) .

(٣) أخرجه البخاري (٤٥٤٨).

وَفي رِوَايَةِ مُسْلِمٍ[1]: «صِيَاحُ المَوْلُودِ حِيْنَ يَقَعُ نَزْغَةٌ مِنَ الشَّيْطَانِ»
قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «أَيْ : حِيْنَ يَسْقُطُ مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ، وَمَعْنَى نَزْغَةٌ : نَخْسَةٌ وَطَعْنَةٌ، وَمِنْهُ قَولُهم نَزَغَهُ بِكَلِمَةٍ سُوْءٍ، أي : رَمَاهُ بِهَا »[2]

٤-عَنْ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي العَاصِ قَالَ: لَمَّا اسْتَعْمَلَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى الطَّائِفِ جَعَلَ يَعْرِضُ لِي شَيْءٌ فِي صَلاَتِي، حَتَّى مَا أَدْرِي مَا أُصَلِّي، فَلَمَّا رَأَيْتُ ذَلِكَ رَحَلْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ:«ابْنُ أَبِي العَاصِ ؟»

قُلْتُ: نَعَم يَا رَسُولَ اللهِ.

قَالَ : «مَا جَاءَ بِكَ ؟»

قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ، عَرَضَ لِي شَيْءٌ فِي صَلَوَاتِي حَتَّى مَا أَدْرِي مَا أُصَلِّي.

قَالَ : «ذَاكَ الشَّيْطَانُ، ادْنُهْ» فَدَنَوْتُ مِنْهُ، فَجَلَسْتُ عَلَى صُدُورِ قَدَمَيَّ، قَالَ : فَضَرَبَ صَدْرِي بِيَدِهِ، وَتَفَلَ فِي فَمِي، وَقَالَ: «اخْرُجْ عَدُوَّ اللهِ» فَفَعَلَ ذَلِكَ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ قَالَ : «الْحَقْ بِعَمَلِكَ».

قَالَ، فَقَالَ عُثْمَانُ : فَلَعَمْرِي مَا أَحْسِبُهُ خَالَطَنِي بَعْدُ.[3]

يَقُولُ الشَّيخُ العَلَّامَةُ الألبانيُّ رَحِمَهُ اللهُ : «وَفي الحَدِيثِ دَلالَةٌ صَرِيحَةٌ عَلى أَنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ يَتَلَبَّسُ الإنْسَانَ وَ يَدْخُلُ فِيْهِ وَ لَوْ كَانَ مُؤمِناً صَالِحاً، وَ فِي ذَلِكَ أَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ»[4]

---

(١) في «الصحيح» (٢٣٦٧)

(٢)«شرح مسلم» (١٥/ ١٢٠)

(٣)أخرجه ابن ماجه (٣٢٨١)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (١٥٣٢) وغيرهما، وإسناده قوي صحيح .
وله سياق أخر عند مسلم (٢٢٠٣) فانظره .

(٤)«السلسلة الصحيحة» (٦/ ٢٠٠٢) في شرح حديث (٢٩١٨) وفيه تفصيلٌ طويل وردٌّ على بعض من أنكر المسَّ، فانظره .

٥-عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «إِذَا تَثَاءَبَ أَحَدُكُم؛ فَلْيُمْسِكْ بِيَدِهِ عَلَى فِيهِ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَدْخُلُ مَعَ التَّثَاؤُبِ »(١)

قَالَ الحَافِظُ رَحِمَهُ اللهُ : «وَأَمَّا قَوْلُهُ فِي رِوَايَةِ مُسْلِمٍ : «فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَدْخُلُ» فَيُحتَمَلُ أَنْ يُرادَ بِهِ الدُّخُولُ حَقِيقَةً، وَهُوَ وَإِنْ كَانَ يَجْرِي مِنَ الإِنْسانِ مَجرَى الدَّمِ، لَكِنَّهُ لا يَتمكَّنُ مِنْهُ مَا دَامَ ذَاكِراً اللهَ تَعَالى، وَالمُتَثَائِبُ فِي تِلْكَ الحَالَةِ غَيرُ ذَاكِرٍ؛ فَيَتمكَّنُ الشَّيطَانُ مِنَ الدُّخُولِ فِيْهِ حَقِيقَةً.

وَيَحتَمِلُ أَنْ يَكُونَ أَطْلَقَ الدُّخُولَ وَأَرَادَ التَّمَكُّنَ مِنْهُ؛ لأَنَّ مِنْ شَأْنِ مَنْ دَخَلَ فِي شَيْءٍ أَنْ يَكُونَ مُتَمكِّناً مِنْهُ »(٢)

وقَالَ العَيْنيُّ رَحِمَهُ اللهُ : «وَلِذَلِكَ قَالُوا : لَمْ يَتَثاءَبْ نَبِيٌّ قَطُّ، وَهَذا صَحِيحٌ؛ لأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : «التَّثَاؤُبُ مِنَ الشَّيْطَانِ»؛ فَافْهَمْ هَذا»(٣)

٦- عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «كُلُّ بَنِي آدَمَ يَطْعُنُ الشَّيْطَانُ فِي جَنْبَيْهِ بِإِصْبَعِهِ حِينَ يُولَدُ غَيْرَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، ذَهَبَ يَطْعُنُ فَطَعَنَ فِي الحِجَابِ»(٤)

وَزَادَ البَيْهَقِيُّ : قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : رَأَيْتُ هَذِهِ الصَّرْخَةَ الَّتِى يَصْرُخُهَا الصَّبِيُّ حِينَ تَلِدُهُ أُمُّهُ، فَإِنَّهَا مِنْهَا. (٥)

فَانظُرْ حَفِظَكَ اللهُ فِي هَذِهِ النُّصُوصِ النَّبوِيَّةِ الصَّحِيحَةِ - وَهِيَ غَيْضٌ مِنْ فَيْضٍ - كَيْفَ تُفِيدُ بِكُلِّ وُضُوحٍ أَثَرَ الشَّيطَانِ وَتَسَلُّطِهِ عَلَيْهِ بِأَذَىً حِسِّيٍّ زَائِدٍ عَنِ الوَسْوسَةِ، وَهَذا هُوَ المشْهُورُ عَنِ المحَقِّقِينَ مِنْ أَهْلِ العِلْمِ الكِبَارِ عَلى اخْتِلافِ

---

(١)أخرجه مسلم (٢٩٩٥)

(٢)«فتح الباري» (١٠ / ٦١٢).

(٣)«عمدة القاري» (٢٣ / ٥٩)

(٤)أخرجه البخاري (٣٢٨٦) .

(٥)«السنن الكبرى» (٦ / ٢٥٧)

مَذَاهِبِهِم، وَكَيْ أَزِيدَ اطْمِئنَانَ قَلْبِكَ مِنَ المَسْأَلَةِ أَسُوقُ لَكَ طَرَفاً مِنْ أَقْوالِهِم؛ لَعَلَّ الله أنْ يَفْتَحَ بِهَا عَلى كُلِّ مَنْ يُنْكِرُ ذَلِكَ، فَهَا هِيَ بَيْنَ عَيْنَيْكَ وَفي مُتناوَلِ يَدَيْكَ :

١- قَالَ شَيْخُ الإسْلام ابنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللهُ : «دُخُولُ الجِنِّيِّ في بَدَنِ الإنْسَانِ ثَابِتٌ بِاتِّفَاقِ أَئِمَّةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ، قَالَ الله تَعَالَى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ﴾ (البقرة: ٢٧٥)

وَفِي «الصَّحِيحِ» عَنِ النَّبِيِّ ﷺ:«إنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي منَ ابْنِ آدمَ مَجْرَى الدَّمِ ».

وَقَالَ عَبْدُ الله بْنُ الإمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ : قُلْت لِأَبِي : إنَّ أَقْوَاماً يَقُولُونَ : إنَّ الجِنِّيَّ لَا يَدْخُلُ في بَدَنِ المَصْرُوعِ ؟

فَقَالَ : يَا بُنَيَّ يَكْذِبُونَ هَذَا يَتَكَلَّمُ عَلَى لِسَانِهِ.

وَهَذَا الَّذِي قَالَهُ أَمْرٌ مَشْهُورٌ فَإِنَّهُ يَصْرَعُ الرَّجُلَ فَيَتَكَلَّمُ بِلِسَانٍ لَا يُعْرَفُ مَعْنَاهُ، وَيُضْرَبُ عَلَى بَدَنِهِ ضَرْباً عَظِيماً لَوْ ضُرِبَ بِهِ جَمَلٌ لَأَثَّرَ بِهِ أَثراً عَظِيماً، وَالمَصْرُوعُ مَعَ هَذَا لَا يُحِسُّ بِالضَّرْبِ وَلَا بِالكَلَامِ الَّذِي يَقُولُهُ، وَقَدْ يَجُرُّ المَصْرُوعَ، وَغَيْرَ المَصْرُوعِ وَيَجُرُّ البِسَاطَ الَّذِي يَجْلِسُ عَلَيْهِ، وَيُحَوِّلُ آلاتٍ، وَيَنْقُلُ مِنْ مَكَانٍ إلَى مَكَانٍ وَيُجْرِي غَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الأُمُورِ مَنْ شَاهَدَهَا أَفَادَتْهُ عِلْماً ضَرُورِيّاً بِأَنَّ النَّاطِقَ عَلَى لِسَانِ الإنْسِيِّ، وَالمُحَرِّكَ لِهَذِهِ الأَجْسَامِ جِنْسٌ آخَرُ غَيْرُ الإنْسَانِ.

وَلَيْسَ فِي أَئِمَّةِ المُسْلِمِينَ مَنْ يُنْكِرُ دُخُولَ الجِنِّيِّ فِي بَدَنِ المَصْرُوعِ وَغَيْرِهِ، وَمَنْ أَنْكَرَ ذَلِكَ وَادَّعَى أَنَّ الشَّرْعَ يُكَذِّبُ ذَلِكَ فَقَدْ كَذَبَ عَلَى الشَّرْعِ وَلَيْسَ فِي الأَدِلَّةِ الشَّرْعِيَّةِ مَا يَنْفِي ذَلِكَ.»[1]

٢- وَقَالَ العَلَّامَةُ الأَلُوسِيّ رَحِمَهُ اللهُ في قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ﴾: الجُنونُ الحَاصِلُ بِالمسِّ قَدْ يَقَعُ

---

(١) «المجموع» (٢٤/ ٢٧٦-٢٧٧)

أَحيَانَاً وَلَهُ عِنْدَ أَهْلِهِ الحَاذِقِيْنَ أَمَارَاتٌ يَعْرِفُونَهُ بِهَا، وَقَدْ يَدْخُلُ فِي بَعْضِ الأَجسَادِ عَلى بَعْضِ الكَيْفِيَّاتِ؛ فَيحدُثُ الجُنُونُ عَلى أَتمِّ وَجْهٍ، وَرُبَّما اسْتَوْلى ذَلِكَ عَلى الحَواسِّ وَعَطَّلَها، واسْتَقلَّتْ تِلْكَ الرُّوحُ الخَبِيْثَةُ بالتَّصرُّفِ؛ فَتَتكَلَّمُ وَتَبْطِشُ وَتَسْعَى بِآلاتِ ذَلِكَ الشَّخْصِ الَّذِي قَامَتْ بِهِ مِنْ غَيْرِ شُعُورٍ لِلشَّخْصِ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ أَصْلاً، وَهَذا كَالمُشَاهَدِ المحسُوسِ الَّذِي يَكَادُ يُعَدُّ مُنْكِرُهُ مُكَابِرَاً مُنْكِراً لِلمُشَاهَدَاتِ.

وقَالَ المعْتَزِلَةُ وَالقَفَّالُ مِنَ الشَّافِعيَّةِ : إنَّ كَوْنَ الصَّرْعِ وَالجُنُونِ مِنَ الشَّيْطَانِ بِاطِلٌ؛ لأَنَّهُ لا يَقْدِرُ عَلى ذَلِكَ كَما قَالَ تعالىَ عَنْهُ : ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ﴾ (إبراهيم: ٢٢)

وَمَا هُنَا وَارِدٌ عَلى مَا يَزْعَمُهُ العَربُ وَيَعْتَقِدُونَهُ مِنْ أنَّ الشَّيْطَانَ يَخْبِطُ الإنْسَانَ، فَيُصْرَعُ، وَأنَّ الجِنِّيَّ يَمَسُّهُ؛ فَيَنْخَلِطَ عَقْلُهُ، وَلَيْسَ لِذَلِكَ حَقِيقَةٌ»

ثُمَّ عقَّبَ الآلُوسيُّ عَلى هَذَا القَوْلَ فَقَالَ: «وَلَيْسَ بِشَيءٍ، بَلْ هُوَ مِنْ تَخبُّطِ الشَّيْطَانِ بِقَائلِهِ، وَمِنْ زَعَماتِهِ المرْدُودَةِ بِقَواطِعِ الشَّرْعِ؛ فَقَدْ وَرَدَ : «مَا مِنْ مَوْلُودٍ يُولَدُ إلَّا يَمسُّهُ الشَّيطانُ؛ فَيستَهِلُّ صَارِخاً» وَفى بَعْضِ الطُّرقِ: «إلَّا طَعنَ الشَّيطَانُ فِي خَاصِرَتِهِ، وَمِنْ ذَلِكَ يَستَهِلُّ صَارِخَاً إلَّا مَرْيمَ وَابْنَها لِقَولِ أُمِّها : ﴿وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ (آل عمران: ٣٦).

وَقَوْلِهِ ﷺ : «كُفُّوا صِبْيَانَكُم أَوَّلَ العِشَاءِ؛ فَإنَّهُ وَقْتَ انْتِشَارِ الشَّياطِينِ».

وَاعْتِقَادُ السَّلفِ وَأَهلُ السُّنَّةِ أنَّ مَا دَلَّتْ عَلَيْهِ أُمُورٌ حَقِيْقِيَّةٌ وَاقِعَةٌ كَما أَخْبَرَ الشَّرْعُ عَنْها، والْتِزَامُ تَأْوِيْلِهَا كُلِّها يَسْتَلْزِمُ خَبْطاً طَوِيلاً لا يَمِيلُ إلَيْهِ إلَّا المعْتَزِلَةُ وَمَنْ حَذَا حَذْوَهُم، وَبِذَلِكَ وَنَحْوِهِ خَرَجُوا عَنْ قَواعِدِ الشَّرْعِ القَوِيمِ؛ فَاحْذَرْهُم.

وَالآيَةُ الَّتِي ذَكَرُوهَا في مَعْرَضِ الاسْتِدْلالِ عَلى مُدَّعَاهُم لا تَدُلُّ عَلَيْهِ؛ إذِ السُّلْطانُ المنْفِيُّ فِيْها إنَّما هُو القَهْرُ وَالالْجَاءُ إلى مُتَابَعتِهِ، لا التَّعرّضَ لِلإيذَاءِ وَالتَّصَدِّي لِمَا يَحصُلُ بِسَبَبِهِ الهَلاكُ.

وَمَنْ تَتَبَّعَ الأَخْبَارَ النَّبوِيَّةَ وَجَدَ الكَثِيرَ مِنْها نَاطِقَاً بِجَوازِ وُقُوعِ ذَلِكَ مِنَ الشَّيْطَانِ، بَلْ بوُقُوعِهِ بِالفِعْلِ، وَخَبَرُ: «الطَّاعُونُ مِنْ وَخْزِ أَعدَائِكُم الجنِّ» صَرِيحٌ في ذَلِكَ»[١]

٣- يَقُولُ الشَّيْخُ سَعِيْدُ حَوَّى رَحِمَهُ اللهُ: «قَدْ يُصَابُ الإنْسَانُ بِسَبَبِهِم - أَيْ: الجِنِّ - بِنَوْعٍ منَ الأَمْرَاضِ؛ كَالصَّرْعِ، وَالجُنُونِ، وَالتَّشَنُّجِ، وَقَدْ يَصِلُونَ إِلَى بَعْضِ النَّاسِ بِنَوْعٍ منَ الأَذَى.

وَمنَ الظَّوَاهِرِ المشْهُورَةِ: أَنَّهُم قَدْ يَتَلبَّسُونَ أَجْسَامَ بَعْضِ النَّاسِ وَيَنْطِقُونَ عَلَى ألسِنَتِهِم، وَلَعَلَّ بَعْضَ مَظَاهِرِ تَحْضِيرِ الأَرْوَاحِ[٢] تَكُونُ مِنْ ذَلِكَ، وَقَدْ سَخَّرَ اللهُ

---

(١) «روح المعاني» (٣/ ٤٩) وما بعدها مختصراً.

(٢) ومسألة تحضير الأرواح أكذوبةٌ لاحقيقة لها وهي دجل وشعبذة واستعانة بالجن، وقد أبان عن حقيقتها وخدعها الدكتور محمد محمد حسين في كتابه «الروحية الحديثة حقيقتها وأهدافها» وقد كتبه بعد أن عاش في وهمها رَدْحاً من الزمن، فسطَّر هذا الكتاب تحذيراً وكشفاً لتلبيسها الضَّال على أبناء المسلمين. وانظر: «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» للشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ (٣/ ٣٠٩-٣١٦).

لطيفة في حكاية تحضير الأرواح مما حدَّثني به شيخنا العلامة شعيب الأرنؤوط حفظه الله يقول:

جاءني رجلٌ ذات يوم، يُخبرني أنَّ ثمّة رجل في محلّتهم يزعم تحضير الأرواح، وأنه قادرٌ على جَلْب أي رُوحٍ تُريدها، وأخبره أنّه من أهل الصَّلاح!

فقلت له: هذا غير صحيح، وسأذهب معك لأُثبت لك كذب هذا الرجل.

فلمّا ذهبنا للرجل، وقد دخلنا المكان المهيّأ لذلك الجلب والتحضير! فإذا هم في غرفة خافتٌ لَوْنُها على إضاءة حمراء، والأدخنة تتصاعد من كل جانب، فأمّا ضعيف النَّفس فسَرَعان ما يسقط في أيدي هؤلاء، وهكذا يمكرون، فجاء الرجل المحضِّر وقال: ما المطلوب؟

فقلت له: أنتَ تستطيع تحضير الأرواح؟ فقال له: نعم.

عَزَّوَجَلَّ عالم الجنِّ لِسُلَيْمَانَ؛ فَكَانَ ذَلِكَ خُصُوصِيَّةً لَهُ، وَهُم لا يَعْلَمُونَ شَيْئاً عَنِ المسْتَقْبَلِ، لَكِنْ قَدْ يَعْرِفُونَ بِوَاسِطَةِ بَعْضِهِم بَعْضاً مَا جَرَى وَمَا يَجْرِي؛ فَلا عَجَبَ أَنْ يَسْتَطِيعَ بَعْض مَنْ لَهُم صِلَةٌ بِالجِنِّ إنْ يكْتَشِفَ سَرِقَةً أَوْ يَعْرِفَ مَا جَرَى في أَمْكِنَةٍ بَعِيْدَةٍ؛ فَلَيْسَ ذَلِك مِنْ عِلْمِ الغَيْبِ»[1].

❑- أَعْرَاضُهُ :

مَا يَتَعلَّقُ بِالأَعْرَاضِ كُنْتُ قَدْ أَوْضَحْتُ سَابِقاً : أَنَّها مُتَفَاوِتَةٌ مُتَبَايِنَةٌ كَثِيراً، وَالدَّلالَةُ عَلَيهَا دَلالَةٌ اجتِهَادِيَّةٌ؛ فَقَد يَرَى رَاقٍ مَا لَمْ يَرَهُ غَيرُهُ مِنَ الرُّقَاةِ، كَمَا هُوَ الحَالُ عِندَ الأَطِبَّاءِ عَلَى التَّمَامِ.

وَضَابِطُ هَذِهِ الأَعرَاضِ الَّتِي تُفِيدُ الرَّاقِي في الوُصُولِ إلَىٰ المرَضِ، هُوَ:

١ ـ العَرَضُ الدَّائِمُ، أَو شِبهُهُ، وَلَو كَانَ عَلَى فَتَرَاتٍ مُتَبَاينَةٍ يَسِيرَةٍ.

=

فقلت : ممتاز، أريد أنْ تحضر لي روح شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ، عندي بعض أسئلة شائكة في كلامه استغلقت عليَّ، وأريد أن أستفسر عنها ليُفْهِمني .

فقال الرجل : على عيني .

وجعلتُ أقرأ آية الكرسي وأُكرِّرها في نفسي .

وصار ذاك الرجل المحضِّر يذهب ويأتي، حتى تصبَّب منه العرق ثم أقبل عليَّ بعد وقت طال عن العادة في التحضير، وقال : شيخ الإسلام مُتعب اليوم ولا يستطيع أن يحضر .

ثم قلت له : إذا كان متعب اليوم، فلا بأس، ولكن اسأله كيف أولاده وكم عددهم ؟

فقال الرجل : هم بخير وعدد هم كذا وكذا !!

فانقلبتُ على هذا الرجل الأفَّاق أُنكِر عليه وأكشف كذبه وأذكِّره بالله .

فلما خرجنا قال صاحبي : ماذا فعلتَ بالرجل حتى عسُر عليه الأمر ؟

فقلت : لم أفعل شيء، ولكن أنتَ دخلت وتركتَ عقلك على الباب، وأنا دخلتُ بعقلي، فافهم .

(١) «الأساس» (٢/ ٧٥٢) قسم العقائد .

٢ ـ العَرَضُ الَّذِي لا يُعرَفُ لَهُ سَبَبٌ في ظُهُورِهِ، وَيَخرُجُ عَنِ المأْلُوفِ، ولَيْسَ ثَمَّةَ تفسِيرٌ صَحِيحٌ يُتَّفَقُ عَليهِ طِبِّيّاً، وَلا تَنفَعُ مَعَهُ الأَدوِيَةُ وَالعَقَاقِيرُ غَالِباً، وَالنَّادِرُ لا حُكمَ لَهُ.

غيرَ أَنَّ لِمَرَضِ المسِّ أَعْرَاضاً مُختَلِفَةً، فَتارةً تكُونُ أَعْرَاضاً في اليَقَظَةِ لا سِيَّما في وَقْتِ الرُّقْيَةِ الشَّرْعِيَّةِ، وَتَارَةً تَكُونُ أَعْرَاضاً في المنَامِ، وَلِكُلِّ حَالَةٍ حُكْمُها الخَاصُّ بِهَا، وَيَعْرِفُ ذَلِكَ الرَّاقِي الحَاذِقُ.

وَمِنْ أَعْرَاضِهِ المسْتَمِرَّةِ: كَثْرَةُ تَخَبُّطِهِ وَصَرْعِهِ منَ الجَانِّ، وَكَثْرَةُ الشَّكْوَى وَالآلامِ الَّتِي لا تُطَاقُ؛ مِنْ صُدَاعٍ، وَخَوْفٍ، وَحُبٍّ لِلعُزْلَةِ، وَكَرَاهِيَةٍ لِلأَهْلِ وَلِلنَّاسِ، وَالأَرَقِ، وَالقَلَقِ، والتَّخْوِيفِ في المنَامِ؛ بِالكَوَابِيْسِ وَالحَيَوَانَاتِ الَّتِي تُطَارِدُهُ دَائِماً، وَإِشْعَارِهِ أَنَّ جَمِيعَ مَنْ حَوْلَهُ يَكْرَهُونَهُ، وَ يُرِيدُونَ مَضَرَّتَهُ، ومَا شَابَهَ ذَلِكَ مِنَ التَّغَيُّرِ المَلْحُوظِ والانْقِلابِ السَّيْئِ في حَيَاتِهِ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَكُونُ أَيْضاً أَثْنَاءَ الرُّقْيَةِ عَلَيْهِ.

فَإِنْ كَانَ مُصَاباً بِمَسٍّ شَيْطَانِيٍّ لا قَدَّرَ اللهُ؛ فَعَلَيْهِ بِالآيَاتِ الَّتِي وَرَدَ فِيْهَا صِفَةُ النَّارِ، وَالعَذَابِ، وَالتَّذْكِيرِ بِاليَوْمِ الآخِرِ، ومَآلِ الظَّالمِينَ، والمعْتَدِينِ؛ فَإِنَّهَا تَحْرِقُهُ؛ لأَنَّهُ اعْتَدَى وَظَلَم، وَمِنْ أَعْظَمِ الآيَاتِ فِيْهَا سُوْرَةُ البَقَرَةِ، لَاسِيَّما آيَةُ الكُرْسِيِّ، وَأَوَائِلُ الآيَاتِ مِنْ سُوْرَةِ الصَّافَّاتِ، وآيَاتُ التَّوْحِيدِ والتَّهْلِيلِ؛ فَإِنَّ لَهَا تَأْثِيرَاً عَجِيْباً كَمَا ذَكَرَهُ أَهْلُ الشَّأْنِ مِنْ أَهْلِ العِلْمِ والاخْتِصَاصِ، وَعَلَيْهِ أَنْ يَقْرَأَ بَعْضَ الآيَاتِ الَّتِي يُسْتَنْبَطُ مِنْهَا مَنْفَعَةٌ إِذَا نَاسَبَتِ الحَالَ وَالمقَامَ، تَأْكِيْداً لَهَا وَاسْتِشْعَاراً بِرَفْعِ الضُّرِّ وَالأَذَى، وَأَنَّ حُكْمَ الله هُوَ الغَالِبُ؛ كَآيَاتِ النَّصْرِ، وَآيَاتِ السَّكِيْنَةِ، وَالشِّفَاءِ.

وَيَنبَغِي أَنْ يُكْثِرَ منَ الدُّعَاءِ الوَارِدِ في السُّنَّةِ، وَبَعْضِ الأَدْعِيَةِ المأثُوْرَةِ[1] لَعَلَّ الله أَنْ يَفْتَحَ عَلَيْهِ في رُقْيَتِهِ؛ فَيَنْتَفِعَ وَيَنْفَعَ بِهَا. وَهَذِهِ «الأَدْعِيَةُ وَالتَّعَوُّذَاتُ بِمَنْزِلَةِ السِّلاحِ، وَالسِّلاحُ بِضَارِبِهِ، لا بِحَدِّهِ فَقَطْ، فَمَتَى كَانَ السِّلاحُ سِلاحاً تَامّاً لا آفَةَ بِهِ، وَالسَّاعِدُ سَاعِدٌ قَوِيٌّ، وَالمانِعُ مَفْقُوْدٌ؛ حَصَلَتْ بِهِ النِّكَايَةُ في العَدُوِّ، وَمَتَى تَخَلَّفَ وَاحِدٌ مِنْ هَذِهِ الثَّلاثَةِ، تَخَلَّفَ التَّأْثِيْرُ، فَإِنْ كَانَ الدُّعَاءُ في نَفْسِهِ غَيْرَ صَالِحٍ، أَوْ الدَّاعِي لَمْ يَجْمَعْ بَيْنَ قَلْبِهِ وَلِسَانِهِ، أَوْ كَانَ ثَمَّ مَانِعٌ منَ الإجَابَةِ، لَمْ يَحْصُلِ الأَثَرُ»[1]

وَخِتَاماً.. فَأَقُولُ لِمَنْ لَمْ يَقْنَعْ بِإِثْبَاتِ هَذَا المرَضِ، مَا الَّذِي فَرَّقَ بَيْنَ سُلطَانِ العَيْنِ وَالحَسَدِ وَسُلطَانِ المسِّ ؟

هَلْ عَلِمْتَ كُنْهَ تَأْثِيرِ العَيْنِ وَالحَسَدِ فَأَثْبَتَّهُما وَلَمْ تَصِلْ إلى السِّحْرِ والمسِّ فَنَفَيتَهُما ؟

---

(١) ومن أنفع العلاجات الانطراح بين يدي الله تعالىٰ والتذلل له، وكثرة الدعاء في أوقات الإجابة، يقول ابن قيم الجوزية رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه «الداء والدواء» (٩-١٠) : «وكذلك الدعاء، فإنه من أقوى الأسباب في دفع المكروه وحصول المطلوب، وقد يتخلف عنه أثره، إما لضعفٍ في نفسه، بأن يكون دعاءً لا يحبه الله؛ لما فيه من العدوان، وإما لضعف القلب وعدم إقباله على الله وجمعيَّته عليه وقت الدعاء فيكون بمنزلة القوس الرخو جداً، فإن السهم يخرج منه خروجاً ضعيفاً، وإما لحصول المانع من الإجابة؛ من أكل الحرام، والظلم، ورين الذنوب على القلوب، واستيلاء الغفلة والشهوة واللهو وغلبتها عليها» إلى أن قال رحمه الله : «والدعاءُ من أنفع الأدوية، وهو عدو البلاء، يدافعه ويُعالجه، ويمنع نزوله ويرفعه، أو يُخفِّفه إذا نزل، وهو سلاح المؤمن» ثم ذكر أوقات الإجابة فقال (١٤) : «وإذا جمع مع الدعاء حضور القلب وجمعيّته بكُلّيَّته على المطلوب، وصادف وقتاً من أوقات الإجابة الستة وهي : الثلث الأخير من الليل، وعند الأذان، وبين الأذان والإقامة، وأدبار الصلوات المكتوبة، وعند صعود الإمام يوم الجمعة على المنبر حتى تقضى الصلاة من ذلك اليوم، وآخر ساعة بعد العصر» ثم قال بعد أن ذكر آداب الدعاء من الثناء على الله والصلاة على نبيه ورفع اليد والتوبة والاستغفار والصدقة قال: «فإن هذا الدعاء لا يكاد يرد، ولا سيما إنْ صادف الأدعية التي أخبر عنها النبي ﷺ أنها مظنة الإجابة، أو أنها مظنة للاسم الأعظم».

فالقلوب الصادقة والأدعية الصالحة، هي العسكر الذي لا يُغلب . انظر : «مجموع الفتاوى» (٢٨/ ٦٤٤)

(١) «الداء والدواء» (٢١)

مَالَكُم كَيْفَ تَحكُمُونَ ؟

إنَّ المسلِمَ العَاقِلَ البَصِيرَ يَنبُغِي عَلَيْهِ تُجاهَ مَسائلِ الغَيْبِ إنْ جَاءتْ بِأَدِلَّةٍ شَرْعِيَّةٍ صَحِيْحَةٍ أَنْ يُؤمِنَ بِهَا وَيُسَلِّمَ، مَعَ البَحْثِ في فَهْمِهَا وَمَعْرِفتِهَا، فَإِنْ قَصُرَ فَهْمُهُ، سَأَلَ وَتَعَلَّمَ، وَإِنْ لَمْ يَفْهَمْ فيَكِلَ عِلْمَ مَا لَمْ يَعْلَمْهُ إلى الله تَعَالى، وَحَسْبُه أَنْ يَقُولَ :

﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ (النور: ٥١)

وَقَدْ أَفَدْتُكَ بِحُكْمِ اللهِ وَرَسُولِهِ بِما ذَكَرْتُ لَكَ مِنَ الآيَاتِ والسُّنَّةِ النَّبوِيَّةِ الصَّحِيْحَةِ، فَحَسْبُكَ أَنْ يَكُونَ حَالُكَ كَما أَخْبَرنا الله في كِتَابِهِ :

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴾ (الأحزاب: ٣٦)

وَقَدْ نَصَحْتُكَ، ولا إخَالُكَ إلَّا عَاقِلاً، وَاللهُ أَعْلَمُ.[1]

---

(١) تنبيه : تكلَّم في هذه المسألة كثيرون، وأُنتِجَت برامج تلفزيونية كثيرة ولقاءات حولها من أهل علم وأهل جهل، ومما يندى له الجبين أنْ تجد عند كلا الطائفتين تشنُّج في الآراء، وتعصُّب قام على حساب الذات لا على المسألة العلمية، ومن هنا جاء الخلل وضاع فهم ومعرفة هذه المسألة على حساب النصرة للذوات، والله المستعان .

وغاية أمر هذه المسألة : هو ما ذكرته لك، فإنْ كنتَ ممن رَضِي ما سُقته لك من أدلة شرعية ونقلت لك قول أكابر العلماء المحقِّقين، فبها ونِعْمَتْ والصَّواب فعلتَ، وإنْ كنتَ لم ترَ فيها ما يقنع؛ فأنصحك بإعادة التأمل، ومن تأمَّل أدرك، وإلَّا فإما أنْ تَتَّهِم عقلك وتُكثر النَّظر وتسأل ما غاب عنك، ومن علم حُجَّة على من لم يعلم، وإلَّا فقل خيراً أو اصمت، وأشير هنا إلى بعض من تناول هذه المسألة بمنهج قاصر أو خاطئ، ولم يسلك سبيل أهل العلم الأصيل في بحث المسائل الشرعية، ولذا وجب التنبيه على هذا القصور والخلل فيها حتى لا يغترَّ مسلم بها :

١ - **بحث : العلاقة بين الإنسان والجان من منظور قرآني** : نُشر في مجلة «اسلامية المعرفة»! وهو بحث منهجه قاصرٌ لم يَقُم على أسسٍ علمية، فلم يتناول السنة النبوية في بحثه وجعلها في معزل عنها ـ وإن ذكر أنه سيفرد لها بحثاً خاصاً ـ فليس بشيء هذا؛ إذ أدلة الكتاب والسنة وحيٌ لا يُفصل بينهما، وإذا كان هذا حال البحث، من عدم المنهجية العلمية، فقد خرج بنتائج غير سديدة وقاصرة لقصوره في البحث .

وَهُنَا لَفتَةٌ مُهِمَّةٌ جِداً، يَحسُنُ بِالمسلِمِ أَن يَفطَنَ لَهَا؛ أَلا وَهِيَ أَن يَجمَعَ بَينَ مَا جَاءَ في نُصُوصِ الوَحيِ مِنَ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ الصَّحِيحَةِ، وَبَينَ المنهَجِيَّةِ الصَّحِيحَةِ، وَالطَّرِيقَةِ السَّلِيمَةِ، وَالاستِخدَامِ الحَسَنِ في العِلاجَاتِ؛ حَتَّى تَكُونَ العَاقِبَةُ نَاجِعَةً بِحَولِ الله تَعَالَىٰ، بَينَمَا لَو قَصَّرَ المرءُ أَو اجتَهَدَ؛ فَأَخطَأَ في الطَّرِيقَةِ فَلَرُبَّمَا جَرَّت عَلَيهِ عَوَاقِبَ وَخِيمَةً مِن سُوءِ الاستِخدَامِ، أَو رُبَّمَا طَعَنَ في مِصدَاقِيَّةِ النَّصِّ مِنَ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالعِيَاذُ بِالله، وَهَذِهِ مِثلُهَا مِثلُ العِلاجَاتِ وَالأَدوِيَةِ الطِّبِّيَةِ؛ فَلَو أَخطَأَ المرِيضُ في تَنَاوُلِهَا؛ لَرُبَّمَا أَضَرَّت بِهِ أَكثَرَ مِمَّا سَتَنفَعُهُ، وَلَكِن بِمَشُورَةِ أَهلِ الاختِصَاصِ يِأَمَنُ مِنَ الغَوَائِلِ وَالعَوَاقِبِ السَّيِّئَةِ، وَذَا لا يُنكِرُهُ عَاقِلٌ؛ فَتَأَمَّل.

فَإِذَا قَرَأتَ الرُّقيَةَ عَلَى المرِيضِ؛ فَسَتَحصُلُ لَهُ حَالَةٌ مِن ثَلاثِ حَالاتٍ [1] :

الحَالَةُ الأُولَى: أَن يَنصَرِعَ المرِيضُ مُبَاشَرَةً؛ فَيَصرُخَ الجَانُّ وَيَتَكَلَّمَ عَلَى لِسَانِهِ، وَحِينَهَا تُخَاطِبُهُ (بِلا تَوَسُّعٍ) عَلَى حَسَبِ حَالَةِ المصرُوعِ بِمَا يَظهَرُ لَدَيكَ، أَو عَرَفتَ عَنهُ.

=

٢- كتاب : «**الأسطورة العلاقة التي هوت علاقة الإنسان بالجان**» زعم صاحبه بدراسة المسألة تفصيلاً ووقف عند أدلتها دليلاً دليلاً ! غير أنَّه انتصر لمشرب العقلانيين، فأبرقَ وأرعد، وهاج فأرغى وأزبد، وقام له وقعد، وقد قرأته لأستفيد، فرأيته قد سلك طريقاً في المسألة معوجَّاً، وخبط خبط عشواء، فنسب للرُّقاة عامة أقوالاً ساذجة وأفكاراً مأفونة، ثم جاء ليلحق في كتابه أخبار الصحف والمجلات الهابطة، ليدلِّل تراجع البعض حين زلَّ وضلَّ في المسألة صحة اعتقاده ومذهبه فيها، وما هكذا العلم والمسائل الشرعية تُبحث؟ ويله !

ولْيَعْلم أنَّ الرقاة الرَّبانيين ليس لهم في كتابه فتيل ولا قطمير؛ فمنهجهم مُعتمدٌ على الكتاب والسنة وطريقتهم مُثْلَى، فالفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ظاهر وواضح، ومن زعم الدراسة كان الأولى به الإنصاف بدلاً من الإجحاف .

(١) هذا التقسيم مما عُرف بالاستقراء والتجربة عند الرقاة، وقد يظهر لراقٍ ما لا يظهر لآخر، ونكرانها مكابرة وتكذيب للمحسوس والعيان الموجود .

فَإِنْ كَانَتِ الحَالَةُ سِحْراً؛ تَأْمُرُهُ بِأَن يَستفرِغَ السِّحرَ إنْ كَانَ دَاخِلِيّاً، وَإن كَانَ خَارِجياً[1] تَأْمُرُهُ بِأَن يُخبِرَكَ بِمَكَانِهِ، وَلَهُم فِي ذَلِكَ مُرَاوغَاتٌ، وَكَذِبٌ كَثِيرٌ، وَخِدَاعٌ؛ فَكُن مِنهم عَلَى حَذَرٍ تَامٍّ؛ فَإِذَا عَرفتَ مَكَانَهُ؛ فَأَخرِجْهُ وَأَتلِفْهُ بِحَذَرٍ مُستَعِيناً بِاللَّهِ تَعَالىٰ، وَبَعدَ ذَلِكَ تَأْمُرُ العَارِضَ - الجَانَّ المُتَلَبِّسَ - بِالخُرُوجِ طَاعَةً للهِ تَعَالىٰ، وَتُخبِرُهُ بِأَنَّ هَذَا لا يَحِلُّ لَهُ، وَ أَنَّهُ ظُلْمٌ وحَرَامٌ، وَتُكَرِّرُ الرُّقيَةَ عَليهِ حَتَّى تَتيَقَّنَ مِنْ شِفَائِهِ.

وَإنْ ظَهَرَ لَكَ مِن حَالِ المصرُوعِ بِرُقيَتِكَ أَنَّ بِهِ عَيناً؛ فَقَد تَكُونَ العَينُ مَصحُوبَةً بِعَارِضٍ مِنَ الجِنِّ؛ فَهُنَا تَأْمُرُهُ أَن يَستَفرِغَهَا، ثُمَّ مُرْهُ بِالخُرُوجِ، وَستَزُولُ بِحَولِ اللهِ تَعَالىٰ بِالرُّقيَةِ[2] وَإن سَلِمَت مِن ذَلِكَ العَارِضِ؛ فَمَعَ الرُّقيَةِ يُذهِبُها الله تَعَالىٰ بِحَولِهِ وَقُدرَتِهِ.

وَإنْ كَانتِ الحَالَةُ مَسّاً «تَلَبُّساً»؛ فَيُعَامَلُ مُعَامَلَةَ الصَّائِلِ المُعتَدِي، وَيُشَدَّدُ عَليهِ حَتَّى يُخرِجَهُ الله تَعَالىٰ.

الحَالَةُ الثَّانِيَةُ : أَن لا يُصرَعَ المرِيضُ، وَيَكُونُ هُنَاكَ حُضُورٌ عَلَى جَسَدِهِ مِنَ الجَانِّ. وَالحُضُورُ نَوعَانِ :

١ـ حُضُورٌ كُلِّيٌّ، وَهُنَا يَفقِدُ المرِيضُ وَعيَهُ، وَرُبَّمَا أَسمَعَهُ الجَانُّ، أَو أَرَاهُ بَعضَ مَا يَدُورُ حَوله لِغَايَاتٍ يُرِيدُهَا.

---

(١) والمراد بالداخلي، أي : داخل الجسد من مأكول أو مشروب أو مشموم كائنٍ في الدماغ أو العروق. وقد يأخذ وقتاً في خروجه وهذا يعود لكثرته ومدة زمنه في جسد المسحور. والخارجي : خارج الجسد سواءً كان مدفوناً أو مربوطاً بشجرة أو مقروناً بحيوان وما أشبه ذلك.

(٢) ولخروج العين صور كثيرة : فمنها ما يستقر في البطن وتزول بالاستفراغ، وهو الغالب، ومنها ما يذهب بخروج بقع على اليدين وكأنها حرق أو كدمات تتقشر بعد حين، وربما ظهرت على المكان المحسود عليه فبدا بحرارة شديدة مع حمرة قوية وبعدها يزول . وربما صرفها الله من غير سبب ظاهر ويشعر المصاب بالعافية. والله أعلم .

٢ـ وَحُضُورٌ جُزئِيٌّ؛ وَبِدُونِ فَقدِ الوَعيِّ، لَكِن يَظهَرُ عَلَى يَدَهِ، أَو في صَدرِهِ، أَو عَلَى لِسَانِهِ، وَفي هَذِهِ الحَالَةِ؛ الغَالِبُ عَليهِ أَنْ لا يَتَكَلَّمُ الجَانُّ، وَلَكِن تَظهَرُ عَلامَاتُ الاقتِرَانِ وَاضِحَةً جِداً؛ كَالصُّرَاخِ، وَالاهتِزَازِ بِقُوَّةٍ، وَالبُكَاءِ بِلا سَبَبٍ، وخُرُوجِ الدَّمْع مِنْ غَيرِ بُكَاءٍ، وَالضَّحِكِ بِسُخرِيَةٍ وَتَهَكُّمٍ، وَتَقَلُّبِ العَينَينِ وَاحمِرارِهِمَا في وَقتِ الرُّقيَةِ، أَو طَرفِهِمَا طَرفاً شَدِيداً، وَانتِفَاخِ البَطنِ، وَآلام قَاسِيَةٍ في المِعدَةِ، أَو خُرُوجِ أَصوَاتٍ، وَغَيرِهَا، وَالعَلامَاتُ لا يَجمَعُهَا ضَابِطٌ؛ فَلِكُلِّ جَانٍّ حُضُورٌ خَاصٌّ بِهِ، وَعَلامَاتٌ تَخُصُّهُ، وَقَد تَتَشَابَهُ في مَا بَينِهَا، وَقَد يَظهَرُ لِرَاقٍ مَا لا يَظهَرُ لآخِرَ، ولله في خَلقِهِ شُؤُونٌ.

وَفي هَذِهِ الحَالَة تُكَرِّرُ الرُّقيَةَ عَليهِ، وَتُحَاوِلُ أَن تُخِيفَ الجَانَّ، وَتَشُدَّ بَطشَكَ، وَوَطأَتَكَ عَلَيه ـ بِحَذَرٍ ـ وَتَسأَلُ اللهَ أَن يَنصُرَكَ عَليهِ؛ فَقَد يَنصَاعُ، وَيَتَكَلَّمُ ويُقهَرُ؛ فَتَأمُرُهُ كَمَا فَعَلتَ في الحَالَةِ الأُولَى.

أَو يَبقَى عَلَى حَالَهِ وَلا يَتَكَلَّمُ مَعَ ظُهُورِ العَلامَاتِ وَالقَرَائِنِ؛ فَحِينَهَا تَأمُرُ المرِيضَ بِسَمَاعِ سُورَةِ البَقَرَةِ، وَقِرَاءَتِهَا كُلَّ يَومٍ، وَبِقِرَاءَةِ الرُّقيَةِ الشَّرعِيَّةِ، وَسَمَاعِهَا لِمُدَّةِ أسبُوعٍ، وَتُعَاوِدُهُ الكَرَّةَ مَرَّةً أُخرَى، وَبِحَولِ الله تَعَالَىٰ يَنقَادُ، ويُؤمَرُ فِيهِ بِحُكمِ الله تَعَالَىٰ، وَقَد تَطُولُ الفَترَةُ في بَعضِ الأَحَايِينِ، وَتَكُونُ العَلامَاتُ وَالأَعرَاضُ غَيرَ ظَاهِرَةٍ، لَكِنَّ قَرَائِنَ وُجُودِ الاقتِرَانِ «التَّلَبُّسِ» كَثِيرَةٌ؛ فَلِهَذَا يُنصَحُ بِمُوَاصَلَةِ الرُّقيَةِ، وَالاستِمرَارِ، أَو تَغيِيرِ الرَّاقِي وَسَيَكشِفُ اللهُ أَمرَهُ، وَبِحَولِ اللهِ سَيُرفَعُ الضُّرُّ عَنْهُ، وَيُفَرَّجُ هَمُّهُ، وَيُنَفَّسُ كَربُهُ؛ فَلْيَثِق باللهِ العَلِيِّ الكَرِيمِ.

الحَالَةُ الثَّالِثَةُ : أَن لا يَشعُرَ المقرُوءُ عَليهِ بِشَيءٍ البَتَّةَ، مَعَ تِكرَارِ القِرَاءَةِ عَليهِ، وَالتَّأَنِّي في دِرَاسَةِ حَالَتِهِ؛ فَهَذَا في الغَالِبِ وَالعِلمُ عِندَ الله؛ أَنَّهُ سَلِيمٌ مُعَافَى؛ فَإِن

كَانَ بِهِ بَأسٌ، أَو عِلَّةٌ؛ فلا يَمنَعُ الْبَتَّةَ مِن مُرَاجَعَةِ الطَّبِيبِ الثِّقَةِ النَّاصِحِ؛ فَقَد يَكُونُ شِفَاؤُهُ ـ بَعدَ الله ـ بِمَا عِندَهُم، وَإِن شَاءَ الجَمعَ؛ فلا تَعَارُضَ وَالحَمدُ لله؛ فَالقُرآنُ شِفَاءٌ مِن كُلِّ الأَدوَاءِ بَدَنِيَّةً، أَو رُوحِيَّةً، والله أَعلَمُ.

بَرنَامَجُ اليَومِ المفتُوحِ :

إنْ كَانَ عِندَ الرَّاقِي وَالمرِيضِ قُوَّةَ تَحمُّلٍ وَصَبرٍ، شَرَعا في الرُّقيَةِ يوماً كَامِلاً مُتَوَاصِلاً، إنْ عَلِمَا مِن أَنفُسِهِمَا طَاقَةً في ذَلِكَ؛ فَيَشرَعُ الرَّاقِي في الأَدعِيَةِ، وَالتَّحصِينَاتِ الصَّحِيحَةِ، وَيَستَفتِحُ بِقِرَاءَةِ سُورَةِ البَقَرَةِ كَامِلَةً، وَمِن ثَمَّ، يُكمِلُ بِآيَاتِ الرُّقيَةِ الشَّرعِيَّةِ وَيَختِمُ بِهَا، وَيُكثِرُ وَيُكَرِّرُ مَا يَحتَاجُ لِتَكرَارِهِ؛ كَالفَاتِحَةِ، وَآيَةِ الكُرْسِيِّ، وَحَسَبِ مَا يُنَاسِبُ العِلَّةَ وَالمرَضَ.

وَالمرِيضُ يَكُونُ قَد هَيَّأَ نَفسَهُ، وَأَنهَى وِرْدَهُ، وَتِلاوَتَهُ، وَاتَّبَعَ بَعض نَصَائِحِ الرَّاقِي الَّتِي تُسَاعِدُهُ في عِلاجِهِ، وَتَعَاوَنَ مَعَ الرَّاقِي بِشَكلٍ طَيِّبٍ وَفَعَّالٍ؛ فَهَذَا قَوِيُّ التَّأثِيرِ، كَبِيرُ الفَائِدَةِ لِمَن أَحسَنَ النِّيَّةَ، وَصَدَقَ العَزِيمَةَ، وَقَوَّى تَوَكُّله عَلَى رَبِّهِ، وَلَيس الخَبَرُ كَالمُعَايَنَةِ، وَالمُوَفَّقُ مَن وَفَّقَهُ رَبُّهُ لِكُلِّ خَيرٍ، وَأَعَانَهُ عَليهِ.[1].

يقول أَحَدُ الحُكَمَاءِ في أَهَمِّيَةِ تَعَاوُنِ المَرِيضِ مَعَ طَبِيبِهِ : «انظُر؛ أَنَا وَأَنتَ، وَالمرَضُ ثَلاثَةٌ؛ فَإِذَا عَاوَنتَنِي، وَوَقَفتَ بِجَانِبِي؛ فَنَصبحُ اثنَينِ، وَالمرَضُ وَحدَهُ؛

---

(١) وبالجملة فكثرة قراءة القرآن نافعة في العلاج جداً، ومن لطيف ذلك ما حدَّثني به شيخُنا العلامة الدكتور عمر الأشقر حفظه الله؛ أنَّ الشيخ بدر المتولي عبد الباسط رَحِمَهُ اللهُ عميد كلية الشريعة بالأزهر، وخبير الموسوعة الفقهية الكويتية، طَلَبه رجلٌ أن يَرقيه و كان يُلِحُّ عليه، ولا وقت عند الشيخ، وبعد زمن خرجا سوياً إلى بيت الله الحرام، يقول الشيخ: «فتذكرت طلبه وإلحاحه بالرقية؛ فأجلسته بجواري في بيت الله الحرام، وشرعت في وِردِي، وقرأتُ عليه كثيراً من القرآن، ويدي على جسده؛ فما اشتكى بعد ذلك أبداً» .

فنَتَغَلَّبُ عليهِ وَنَقهرُهُ، أَمَّا إذاً وَقفتَ مَعَ المرَضِ؛ فَعِندَئِذٍ تُصبِحَانِ اثنَينِ، وَأَكُونَ وَحدِي، وتَتَغَلَّبَانِ عَلَيَّ، وَلا أَستَطِيعُ شِفَاءَكَ »[1].

تَنبيهٌ مُهِمٌّ :

وَأُحِبُّ أَن أُنبِّهَ إِلَىٰ مَسأَلَةٍ كَثِيرَةِ الوُقُوعِ، وَقَلَّ مَنْ يَتَنَبَّه لَهَا؛ ذَلِكُم أَنَ بَعضَ النَّاسِ يَلجَأُ لِبَعضِ أَهلِ العِلْمِ، وَلَيسُوا هُم مِنْ أَهلِ الاختِصَاصِ في بَابِ الرُّقيَةِ؛ فَيَشرَعُونَ في الرُّقيَةِ عَلَى المرِيضِ في بِضْعِ دَقَائِقَ مَعدُودَةٍ ! وَلا مَزِيدَ ! وَرُبَّمَا لا يَظهَرُ عَلَى المرِيضِ شَيءٌ مِنَ العَلامَاتِ وَالقَرَائِنِ؛ فَتَجِدُهُم يُخَاطِرُونَ، وَيُلقُونَ كَلِمَتَهُم مُدَوِّيَةً، وَكَيفَ مَا جَاءَت ؟ ! فَيُشَخِّصُونَ مِن خِلالِ قِرَاءَتِهِم اليَسِيرَةِ؛ بِأَنَّ المرِيضَ لَيسَ بِهِ بَأسٌ ! وَرُبَّمَا قَالُوا : هَذَا وَهْمٌ كَاذِبٌ ! وَرُبَّمَا أَضَرُّوا المرِيضَ، وَمَنَعُوهُ مِنَ الذَّهَابِ لِلرُّقيَةِ ! وَمَا خَفيَ كَانَ أَعظَمُ ؟! فَيَا سُبحَانَ الله! أَغَفِلَ هَذَا صَاحَبُ الدَّقَائِقِ المعدُودَةِ عَن مَكْرِ الشَّيَاطِينِ، وَخِدَاعِهِم، وَتَلبِيسِهِم، أَم تَغَافَلَ، وَأَحَبَّ الرَّاحَةَ، وَعَدَمَ إثقَالِ النَّاسِ عَليهِ؛ فَجَعَلَ هَذَا بَاباً لِلخُرُوجِ مِنَ المأزَقِ الَّذِي وَقَع فِيهِ ؟ - أَو قُل مَا بَدَا لَكَ - مِن أَن يَقُولَ مَا هُوَ حَقٌّ، أَو أَن يَقُولَ: «لا أَدرِي»[2] فَكَم مِنَ

(١) «أقوال في الطب والحكمة من التراث الإسلامي»، د. عبد الجبار دية، مجلة آفاق، السنة الثالثة- العدد (٨) ص (١١٨) .

(٢) يقول الشيخ العلامة عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومن أعظم ما يجب على المُعَلِّمين : أن يقولوا لِمَا لا يعلمونه : «الله أعلم» وليس هذا بناقصٍ لأقدارهم، بل هذا مما يزيد قَدرهم، ويُستَدل به على كمال دينهم، وتحرِّيهم الصواب . وفي توقُّفِه عمَّا لا يعلم فوائد كثيرة :

منها : أنَّ هذا هو الواجب عليه .

ومنها : أنه إذا توقَّف وقال : الله أعلم؛ فما أسرع ما يأتيه عِلم ذلك من مراجعته، أو مراجعة غيره؛ فإنَّ المتعلم إذا رأى مُعلِّمه قد توقَّف؛ جدَّ واجتهد في تحصيل علمها، وإتحاف المعلم بها؛ فما أحسن هذا الأثر!

ومنها : إذا توقف فيما لا يعلم؛ كان دليلاً على ثقته، وأمانته، وإتقانه فيما يجزم به من المسائل، كما أنَّ من عُرف منه الإقدام على الكلام فيما لا يعلم؛ كان ذلك داعياً للرَّيب في كل ما يتكلم به، حتى في الأمور الواضحة .

الحَالاتِ الَّتِي كَانَ حَالُهَا مَا ذُكِرَ، وَبَعدَ مُوَاصَلَةِ الرُّقيَةِ عَلَيهَا؛ تَبَيَّنَ خِلافُ مَا قِيلَ لِلمَرِيضِ، وَشَاهَدَ ذَلِكَ هُوَ بِنفسِهِ.

فَيَنبَغِي الحَذَرُ مِن هَذَا التَّلبِيسِ، لا سِيَّمَا مِنْ بَعْضِ مَنْ رُزِقَ عِلْماً، وَأَنْ يَترُكُوا زِمَامَ الأُمُورِ لأَهلِ الاختِصَاصِ، وَلا يُنَازِعُوا الأَمرَ أَهلَه، وَذَلِكَ فَضلُ اللهِ يُؤتِيهِ مَن يَشَاءُ.

❑ ❑ ❑

=

ومنها : أنَّ المعلم إذا رأى منه المتعلمون التوقف فيما لا يعلم؛ كان ذلك تعليماً لهم، وإرشاداً لهذه الطريقة الحسنة، والاقتداء بالأقوال والأعمال أبلغ من الاقتداء بالأقوال». «الفتاوى السعدية» (٦٢٨-٦٢٩)

ورحم الله العلامة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي؛ فقد كان كثيراً ما يمتثل قول القائل :

إذا ما قَتلْتَ الشَّيءَ عِلْماً فقُل بِهِ ... ولا تقلِ الشَّيءَ الذي أنتَ جَاهِلُه

فمَنْ كان يَهوى أن يُرَى مُتصدِّراً ... ويَكره «لا أدرِي» أُصِيبَت مَقاتلُه

«العَذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير» (١ / ٥٣) . وانظر : «فيض القدير» للمناوي (٤ / ٣٨٧)
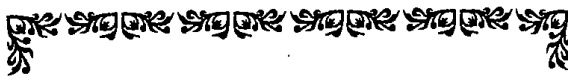
المَبحَثُ الثَّانِي
صِفَةُ المُعَالِجِ وَ المُعَالَجِ

تمهيد:

مِمَّا هُوَ معلُومٌ أَنَّهُ ما مِنْ صَنعَةٍ إِلَّا ولَهَا أخلاقِيَّاتُها، وَآدابُها، وَسُبُلُ إتقانِها؛ فَالعِبرَةُ لَيسَت في ذَاتِ العَمَلِ، وَإِنَّمَا في حُسنِهِ وَإِتقَانِهِ، وَإِلَّا فَمَا الحَاجَةُ إِلَىٰ كَثرَةِ العَمَلِ إذَا لَم يَكُن مُتقَناً صَحِيحاً ؟ وَقَد غَدَا الإتقَانُ اليومَ عَزِيزاً، وَقَلِيلٌ مَن يُرَاعِي هَذِهِ السِّمَةَ الإيمَانِيَّةَ، وَالصِّفَةَ الرَّبَّانِيَّةَ : ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ (النمل : ٨٨).

فَهُوَ مَطلَبٌ شَرعِيٌّ، أَمَرَ اللهُ تَعَالَىٰ بِهِ؛ فَقال عَزَّ مِن قَائِلٍ : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ﴾ (النحل : ٩٠)

قال الآلُوسِيُّ رَحِمَهُ اللهُ : «يُرَادُ بِالإحسَانِ : الإحسَانُ المتَعَدِّي بِـ«إلَىٰ» لا المُتَعَدِّي بِنَفسِهِ؛ فَإِنَّهُ يُقَالُ : أَحسَنَهُ، وَأَحسَنَ إِلَيهِ؛ أَي : الإحسَانُ إِلَىٰ النَّاسِ، وَالتَّفَضُّلُ عَلَيهِم»[1].

وَقال سُبحَانَهُ : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ (البقرة : ١٩٥)

وَقَدْ حَثَّ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الإحسَانِ؛ فَقَال : «إِنَّ اللهَ كَتَبَ الإحسَانَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ»[2].

فَيَنبَغِي عَلَى المرءِ أَن يَكُونَ مُحسِناً في سَائِرِ أَعمَالِهِ؛ فَمَنْ أَحسَنَ؛ فَقَدَ أَحسَنَ لِنَفسِهِ، وَمَن أَسَاءَ؛ فَإِنَّمَا يُسِيءُ لِنَفسِهِ، قال تَعالَىٰ : ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ﴾ (الإسراء : ٧).

---

(١) «روح المعاني» (١٤ / ٢١٧).

(٢) حرف من حديث شدَّاد بن أوس رضي الله عنه، أخرجه مسلم (١٩٥٥).

فَيا أَيُّها العَاقِلُ: الإحسَانُ، وَالإتقَانُ، وَطِيبُ العَمَلِ؛ هُوَ المُرَادُ مِنكَ في صَنعَتِكَ، وَاللّهُ لا يَقبلُ مِنكَ إلَّا كُلَّ طَيِّبٍ، وَمَن كَانَ هَذَا حَالُهُ أَثَابَهُ الله تَعَالىٰ عَلَىٰ ذَلِكَ؛ فَلِلَّهِ كَمْ يَذكُرُ رَبُّنَا عَزَّوَجَلَّ في كِتَابِهِ: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ (الكهف: ٣٠).

وَقَوْلِهِ سُبحَانَهُ: ﴿لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (التوبة: ١٢١).

وَقال جَلَّ ذِكرُهُ: ﴿وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ (النجم: ٣١).

وَقال المُصْطَفَى ﷺ: «إنَّ الله طَيِّبٌ، لا يَقبَلُ إلَّا طَيِّباً»[1].

يَقولُ ابنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ اللهُ: «لا يُقبَلُ مِنَ الأَعمَالِ إلَّا مَا كَانَ طَيِّباً طَاهِراً مِنَ المُفسِدَاتِ كُلِّهَا؛ فَإِنَّ الطَّيِّبَ تُوصَفُ بِهِ الأَعمَالُ، وَالأَقوالُ، وَالاعتِقَادَاتُ؛ فَكُلُّ هَذِهِ تَنقَسِمُ إلَىٰ طَيِّبٍ، وَخَبِيثٍ»[2].

وَالآيَاتُ في إحسَانِ العَمَلِ وَإتقَانِهِ كَثِيرَةٌ، وَلَعَلَّ في مَا قُيِّدَ مِنهَا كِفَايَةً.

فَيَا رَعَاكَ اللهُ وَوَفَّقَكَ: إنَّ مِنْ أَشرَفِ الصِّنَاعَاتِ وَأَطيَبِهَا؛ صَنعَةُ الطَّبِيبِ، سَوَاءٌ أَكَانَ طِبَّ أَبدَانٍ، أَم طِبَّ أَروَاحٍ؛ فَيَحسُنُ بِالمعَالِجِ وَهُوَ يَقُومُ بِعَمَلِهِ أَن يُتقِنَهُ تَمَامَ الإتقَانِ، وَأَن يَتخَلَّقَ بِأَخلاقِيَّاتِ صَنْعَتِهِ؛ حَتَّى تَعُودَ عَليهِ بِالنَّفعِ وَالفَائِدَةِ الَّتِي مِن أَجلِهَا نَالَ صَنعَتَهُ، وَحِينَهَا يُقصَدُ مِن آفَاقِ الأَرضِ؛ لِجَودَةِ عَمَلِهِ، وَحُسنِ أَدَائِهِ.

وَهَكَذَا الرَّاقِي في رُقيَتِهِ، يَنبَغِي أَن يَكُونَ مُتقِناً في رُقيَتِهِ، فلا يُشِيبُهَا بِتُرَّهَاتٍ غَيرِ سَوِيَّةٍ تَصرِفُهُ عن حُسنِ أَدَائِهَا وَإتقَانِهَا، وَسَأُجمِلُ لَهُ هَذِهِ الصِّفَاتِ بِإيجَازٍ غَيرِ مُخِلٍّ؛ إذ المَقَامُ لا يَتَّسِعُ؛ فَحَسبِي هُنَا أَن أُشِيرَ إلَىٰ أَهَمِّ مَا يَنبَغِي عَليهِ أَن يَتَّصِفَ بِهِ الرَّاقِي التَّقِيُّ الوَرِعُ المُحنَّكُ؛ حَتَّى يَكُونَ مُتقِناً، وَمُحسِناً، طَيِّباً في عَمَلِهِ «فَينبَغِي أَن يَكُونَ قَوِيَّ الإيمَانِ بِاللّهِ مُعتَمِداً عَليهِ، وَاثِقاً بِتَأثِيرِ الذِّكرِ، وَقِرَاءَةِ القُرآنِ، وَكُلَّمَا

(١) أخرجه مسلم (١٠١٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) «جامع العلوم والحكم» (١٨٤) بتصرف.

قَوِيَ إيمانُهُ وَتوكُّلُهُ قَوِيَ تأثِيرُهُ؛ فَرُبَّمَا كَانَ أَقوَى مِنَ الجِنِّيِّ؛ فَأَخرجَهُ، وَرُبَّمَا كَانَ الجِنِّيُّ أَقوَى مِنهُ؛ فَلا يَخرُجُ، وَرُبَّمَا كَانَ المُخرِجُ لِلجِنِّيِّ ضَعِيفاً؛ فتقصِدُ الجِنُّ إيذَاءَهُ؛ فَعَليهِ بِكَثرَةِ الدُّعَاءِ وَالاستِعَانَةِ عَلَيهِم باللهِ، وَقِرَاءَةِ القُرآنِ »[1].

فَالرَّاقِي مَحَلُّ قُدوَةٍ، وَدَاعِيَةٌ إِلَىٰ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، وَلا يَلِيقُ بِهِ إِلَّا سَمْتُ أَهلِ العِلمِ وَالصَّلاحِ، وَيَجدُرُ بِهِ أَن يَكُونَ مِقدَاماً فِي التَّضحِيَةِ، وَبَذلِ النَّفسِ، مُسَارِعاً فِي تَفرِيجِ الكُرُوبِ عن المسلِمِينَ وَالمسلِمَاتِ، بَاذِلاً جُهدَهُ وَوَقتَهُ لَهُم، مُحتَسِباً ذَلِكَ عِندَ اللهِ سُبحَانَهُ؛ فَإِنَّ الأَجرَ عَلَى قَضَاءِ حَوائِجِ الخَلقِ ثَمِينٌ، وَالمغنَمُ كَبِيرٌ، وَبِهِ يَشعُرُ المرءُ أَنَّهُ قَد أَدَّى رِسَالَةً فِي الحَيَاةِ، نَفَعَ بِهَا الإِسلامَ وَالمسلِمِينَ.

وَمِن أَعظَمِ الأَجرِ فِي ذَلِكَ، مَا رَوَاهُ مُسلِمٌ رَحِمَهُ اللهُ فِي «صَحِيحِهِ»، عن أَبِي هُرَيرَةَ رضي الله عنه عن النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، قال : «مَن نَفَّسَ عن مُؤمِنٍ كُربةً مِن كُرَبِ الدُّنيا؛ نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُربةً مِن كُرَبِ يومِ القِيَامَةِ»[2].

وَرَوَى الطَّبَرِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «تَفسِيرِهِ»: عنِ الضَّحَّاكِ، قال : سَأَلَ رَجُلٌ الضَّحَّاكَ عنْ قَولِهِ : ﴿إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ (يوسف: ٣٦): مَا كَانَ إِحسَانُهُ ؟

قال : كَانَ إِذَا مَرِضَ إِنسَانٌ فِي السِّجنِ قَامَ عَلَيهِ، وَإِذَا احتَاجَ جَمَعَ لَهُ، وَإِذَا ضَاقَ عَلَيهِ المكَانُ أَوسَعَ لَهُ.[3]

وَذَكَرَ ابنُ الجَوزِيِّ رَحِمَهُ اللهُ : «عن سُفيانَ بنِ عُيَينَةَ رَحِمَهُ اللهُ، قِيلَ لِمُحَمَّدِ بنِ المُنكَدِرِ رَحِمَهُ اللهُ : أَيُّ العَمَلِ أَحَبُّ إِلَيكَ ؟

قال : إِدخَالُ السُّرُورِ عَلَى المؤمِنِ.

---

(١) «عالم الجن والشياطين» (١٨٤) لشيخنا العلامة عمر الأشقر حفظه الله ونفع به.

وأملى عليَّ نكتة بديعة ونبراساً وضّاءً لمن سلك طريق الرقية فقال رفع الله قدره : **«هذا لمن كان في دينه قوة وصلابة، أمّا إن كان ضعيفاً أو خشي الفتنة في دينه فلا؛ فالنجاة يوم القيامة خير له من علاجه للناس»**

(٢) في «الصحيح» (٢٦٩٩).

(٣) «جامع البيان» (١٢ / ٢١٦) و «تفسير الضَّحاك» (١/ ٤٥٩)

قِيلَ : فَمَا بَقِيَ مِن لَذَّتِكَ ؟

قال : الإفضَالُ عَلَى الإخوَانِ »[1].

وَقال شَيخُ الإسلامِ ابنُ تَيمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ : «السَّعَادَةُ في مُعَامَلَةِ الخَلقِ؛ أَن تُعَامِلَهُم لله؛ فَتَرجُوَ اللهَ فِيْهِم، وَلا تَرجُوَهُم في الله، وَتَخَافَهُ فيهِم، وَلا تَخَافَهُم في الله، وَتُحسِنَ إلَيهِم؛ رَجَاءَ ثَوَابِ الله لا لِمُكَافَأَتِهِم»[2]

وَمِن رَوَائِعِ وَدُرَرِ الأَدِيبِ سَيدِ قُطبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ،قَوْلُه: «عِندَمَا نَعِيشُ لِذَوَاتِنَا فَحَسْبُ، تَبدُو لَنَا الحَيَاةُ قَصِيرَةً ضَئِيلَةً، تَبدَأُ مِن حَيثُ بَدَأنَا نَعِي، وَتَنتَهِي بِانتِهَاءِ عُمُرِنَا المحدُودِ، أَمَّا عِندَمَا نَعِيشُ لِغَيرِنَا؛ أَي: عِندَمَا نَعِيشُ لِفِكرَةٍ؛ فَإِنَّ الحَيَاةَ تَبدُو طَوِيلَةً عَمِيقَةً، تَبدَأُ مِن حَيثُ بَدَأَتِ الإنسَانِيَّةُ، وَتَمتَدُّ بَعدَ مُفَارَقَتِنَا لِوَجهِ هَذِهِ الأَرضِ!

إِنَّنَا نَربَحُ أَضعَافَ عُمُرِنَا الفَردِيِّ في هَذِهِ الحَالَةِ، نَربَحُهَا حَقِيقَةً لا وَهْمَاً؛ فَتَصَوُّرُ الحَيَاةِ عَلَى هَذَا النَّحوِ، يُضَاعِفُ شُعُورَنَا بِأَيَّامِنَا، وَسَاعَاتِنَا، وَلَحَظَاتِنَا؛ فَلَيسَتِ الحَيَاةُ بِعَدَدِ السِّنِينَ، وَلَكِنَّهَا بِعِدَادِ المشَاعِرِ، وَمَا يُسَمِّيهِ «الوَاقِعِيُّونَ» في هَذِهِ الحَالَةِ «وَهْمَاً» هُوَ في الوَاقِعِ «حَقِيقَةٌ»، أَصَحُّ مِن كُلِّ حَقَائِقِهِم؛ لأَنَّ الحَيَاةَ لَيسَت شَيئَاً آخَرَ غَيرَ شُعُورِ الإنسَانِ بِالحَيَاةِ، جَرِّد أَيَّ إنسَانٍ مِنَ الشُّعُورِ بِحَيَاتِهِ؛ تُجَرِّدهُ مِنَ الحَيَاةِ ذَاتِهَا في مَعنَاهَا الحَقِيقِيِّ ! وَمَتَى أَحَسَّ الإنسَانُ شُعُوراً مُضَاعَفاً بِحَيَاتِهِ؛ فَقَد عَاشَ حَيَاةً مُضَاعَفَةً فِعلاً، يَبدُو لِي أَنَّ المسأَلَةَ مِنَ البَدَاهَةِ بِحَيثُ لا تَحتَاجُ إِلَىٰ جِدَالٍ !

---

(١) «صفة الصفوة» (٢/ ١٤٣) . والإفضال، أي: الإحسان. «مختار الصحاح» (٢١٢ : مادة : فضل) .

(٢) «مجموع الفتاوى» (١ / ٥١) فصل السعادة في معاملة الخلق . وهو أكثر من رائع .

وقال الرافعي رَحِمَهُ اللَّهُ : «**إنَّ السعادة الإنسانية الصحيحة، في العطاء دون الأخذ، وإنَّ الزائفة هي الأخذ دون العطاء، وذلك آخر ما انتهت إليه فلسفة الأخلاق**» . عن «الأسباب المفيدة في اكتساب الأخلاق الحميدة» د. محمد الحمد (٣١)

إِنَّنَا نَعِيشُ لأَنفُسِنَا حَيَاةً مُضَاعَفَةً؛ حِينَمَا نَعِيشُ لِلآخَرِينَ، وَبِقَدرِ مَا نُضَاعِفُ إِحسَاسَنَا بِالآخَرِينَ، نُضَاعِفُ إِحسَاسَنَا بِحَيَاتِنَا، وَنُضَاعِفُ هَذِهِ الحَيَاةَ ذَاتَهَا فِي النِّهَايَةِ»[١]

فَيَا للهِ مَا أَروَعَ هَذِهِ النُّكتَةَ الصَّالِحَةَ، وَمَا أَحلَى شَفَافِيَّةَ هَذِهِ الرُّوحِ الزَّكِيَّةِ، الَّتِي تَفَوَّهَت بِهَاتِهِ الكَلِمَاتِ الرَّنَّانَةِ، وَالَّتِي يَحِقُّ لَهَا أَن تُكتَبَ بِمَاءِ العُيُونِ؛ لِتَكُونَ مَنَارَةً يَهتَدِي بِهَا العَامِلُونَ.

فَكُن يَا صَاحِ عَوناً لِغَيرِكَ؛ يَكُن غَيرُكَ عَوناً لَكَ، وَلا تَنتَظِر طَلَبَ المعُونَةِ مِنكَ، بَل بَادِر، وَسَارِع فِي ذَلِكَ؛ فَقَد أَثنَى اللهُ سُبحَانَهُ عَلَى المسَارِعِينَ فِي الخَيرَاتِ؛ فَقَال نَادِباً إِلَىٰ ذَلِكَ : ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ (آل عمران : ١٣٣)

وَأَثنَى عَلَى زَكَرِيَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ وَزَوجِهِ، وَعَلَّلَ استِجَابَةَ دُعَائِهِ؛ بِأَنَّهُمَا مِنَ المُسَارِعِينَ فِي الخَيرَاتِ؛ وَالمواظِبِينَ عَلَيهَا فَقَال:﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ (الأنبياء : ٩٠).[٢]

يَقُولُ الشَّيخُ العَلَّامَةُ السَّعدِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي قوله : ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾: «أَي: يُبَادِرُونَ إِلَيهَا، وَيَفعَلُونَهَا فِي أَوقَاتِهَا الفَاضِلَةِ، وَيُكمِلُونَهَا عَلَى الوَجهِ اللَّائِقِ الَّذِي يَنبَغِي، وَلا يَترُكُونَ فَضِيلَةً يَقدِرُونَ عَلَيهَا، إِلَّا انتَهَزُوا الفُرصَةَ فِيهَا »[٣]

وَقَال أَيضاً: «أَي: فِي مَيدَانِ التَّسَارُعِ فِي أَفعَالِ الخَيرِ، هَمُّهُم مَا يُقَرِّبُهُم إِلَىٰ اللهِ، وَإِرَادَتُهُم مَصرُوفَةٌ فِيمَا يُنجِي مِن عَذَابِهِ؛ فَكُلُّ خَيرٍ سَمِعُوا بِهِ، أَو

---

(١) «أفراح الروح» (١١) وانظر فيه : «أفراح الروح بإسعاد الآخرين» (٢٧) .

(٢) وهذا من إفادة الفعل المضارع «يُسارِعُون»؛ لِدَلالة تَجدُّدِ الفعل واستمراريته؛ فلا تنقطع المسارعة عندهم حتى الممات، وهكذا فليكن المؤمن في طاعة مستمرَّة .

(٣) «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان» (١٤٣ / ط: اللويحق)

سَنَحَت لَهُم الفُرصَةُ إلَيهِ، انتَهزُوهُ، وَبَادَرُوهُ، قَد نَظَرُوا إلَىٰ أَولِيَاءِ اللهِ وَأَصفيَائِهِ؛ أَمَامَهُم، وَيَمنَةً، وَيَسرَةً، يُسَارِعُونَ في كُلِّ خَيرٍ، وَيُنَافِسُونَ في الزُّلفَى عِندَ رَبِّهِم؛ فَنَافَسُوهُم»[1].

فَيَا أَيُّهَا الفَاضِلُ: قَد يُلجَأُ لَكَ بَعدَ اللهِ تَعَالَىٰ في وَقتٍ مُتَأَخِّرٍ مِنَ اللَّيلِ؛ فَلا تَتَذَمَّر، وَلا تَتَضَجَّر، بَل سَارِع لِتَفرِيجِ الكُربَةِ، وَتَنفيسِ المِحنَةِ، وَاحتَسِب ذَلِكَ عِندَ الرَّحمَنِ، وَاقبَلَها بِصَدرٍ رَحبٍ وَنَفسٍ زَكِيَّةٍ مُطمَئِنَّةٍ، وَاعذُر أَهلَ المَرِيضِ؛ فَكَربُهُم كَبِيرٌ، وَمُصِيبَتُهُم عَظِيمَةٌ، وَصَاحِبُ الحَاجَةِ مَلهُوفٌ لا يُحسِنُ التَّدبِيرَ؛ فَالصَّبرَ الجَمِيلَ!

فَإِنَّ للهِ أَقوَاماً يَختَصُّهُم بِالنِّعَمِ؛ لِنَفعِ العِبَادِ، يُقِرُّهُم فِيها مَا بَذَلُوهَا؛ فَإِذَا مَنَعُوهَا نَزَعَهَا عَنهُم؛ فَحَوَّلَهَا إلَىٰ غَيرِهِم[2]، وَمَتَى فَعَلتَ ذَلِكَ؛ فَأَبشِر بِرِضَا الرَّحمَنِ، وَبَعدَهُ حُسنُ الجِنَانِ.

فَإِذَا أَحسَنْتَ يَا صَاحِ إلَىٰ أَحَدٍ؛ فَكَأَنَّمَا نَقَشتَ في قَلبِهِ مَحَبَّةً لا تَمحُوهَا إلَّا الإسَاءَةُ، وَكَرِيمُ الخُلُقِ وَالشَّمَائِلِ لا يُعقِبُ إحسَانَهُ إسَاءَةً، وَالمُوَفَّقُ مَن وَفَّقَهُ رَبُّهُ.

إنَّ الحَـوَائِجَ رُبَّـمَا أَزرَى بِهَا ... عِندَ الَّذِي قُضِيت لَهُ تَأجِيلُهَا

فَإِذَا قَضَيتَ لِصَاحِبٍ لَكَ حَاجَةً ... فَاعْلَم بِأَنَّ تَمَامَهَا تَعجِيلُهَا[3]

وَقالَ آخَرُ:

وَإِذَا تَشَاجَرَ في فُؤَادِكَ مَرَّةً ... أَمـرَانِ فَاعْمِدْ لِلأَعَـفِّ الأَجمَلِ

وَإِذَا هَمَمتَ بِأَمرِ سُوءٍ فَاتَّئِدْ ... وَإِذَا هَمَمتَ بِأَمرِ خَـيرٍ فَاعْجَلِ[4]

---

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (٥٥٤)

(٢) وقال جعفر بن محمد رَحِمَهُ اللهُ: «إنَّ الله خلق خلقاً برحمته لرحمته، وهم الذين يقضون الحوائج للناس؛ فمن استطاع منكم أن يكون منهم فليكن». انظر: «العِقْد الفريد» لابن عبد ربه (١/ ٢٥٣)

(٣) «معالم في طريق طلب العلم» للشيخ عبد العزيز السدحان نفع الله به (١٦٢).

(٤) «روضة العقلاء ونزهة الفضلاء» لابن حبان البستي (٣١)

وَيَنبَغِي لِلرَّاقِي المُوَفَّقِ وَالحَاذِقِ : أَن يَنظُرَ إِلَىٰ إحسَانِ النَّاسِ ابتِدَاءً؛ بِأَن فَتَحُوا لَهُ بَابَ خَيرٍ وَأَجرٍ، بِطَلَبِهِم الرُّقيَةَ مِنهُ؛ فَيَنتَفِعَ بِهَذَا عِندَ رَبِّ العَالَمِينَ؛ فَلَو لَمْ يَقبَلُوا رُقيَتَهُ، أَنَّى لَهُ الأَجرُ ؟ وَهُوَ بَعدَ ذَلِكَ مُحسِنٌ، وَصَاحِبُ فَضلٍ عَليهِم، وَإِيَّاكَ وَالمَنَّ، ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ﴾ (النحل : ٥٣)

وَلِذَلِكَ قَالَ مَنْ قَالَ : أَحْيِ مَعرُوفَكَ بِإِمَاتَةِ ذِكْرِهِ، وَعَظِّمْهُ بِالتَّصغِيرِ لَهُ. وَهَذَا مَلحَظٌ دَقِيقٌ؛ فَتَأَمَّل.

قال بَعضُ الحُكَمَاءِ : «لِلمَعرُوفِ خِصَالٌ ثَلاثٌ : تَعجِيلُهُ، وَسَترُهُ، وَتَيسِيرُهُ؛ فَمَن أَخَلَّ بِوَاحِدَةٍ مِنهَا؛ فَقَد بَخَسَ المعرُوفَ حَقَّهُ، وَسَقَطَ عَنْهُ الشُّكرُ» (١)

وَمِنَ الجَدِيرِ بِالذِّكرِ؛ أَنَّ الرُّقيَةَ الشَّرعِيَّةَ يَرقِيهَا كُلُّ مُسلِمٍ وَمُسلِمَةٍ، وَلَيسَت حِكْراً عَلَى أَحَدٍ، وَهَذِهِ الصِّفَاتُ يَحسُنُ لِمَن أَرَادَ التَّصَدُّرَ لِلرُّقيَةِ التَّحَلِّي بِهَا.

فَهَا هِيَ صِفَاتُ المُعَالِج أَمَامَ عَينَيكَ، وَفِي مُتَنَاوَلِ يَدَيكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ؛ فَالْزَمهَا؛ لَعَلَّ اللهَ أَن يَكتُبَنِي وَإِيَّاكَ مِنَ الفَالِحِينَ المُحسِنِينَ فِي الدُّنيَا وَالآخِرَةِ، إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيمٌ، وَهُوَ الهَادِي إِلَىٰ سَوَاءِ السَّبِيلِ.

❑ ❑ ❑

---

(١) «العقد الفريد» لابن عبد ربه (١ / ٢٥١)

المطلبُ الأوّلُ

صِفَةُ الرَّاقِي المُعَالِجِ

أوَّلاً : الإخلاصُ للهِ عَزَّوَجَلَّ في كلِّ عملٍ :

وَالأَصلُ في ذَلِكَ مِنَ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ (البينة : ٥).

وَقال سُبحَانَهُ : ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ﴾ (الزمر : ٣).

وَقال سُبحَانَهُ : ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾ (الكهف : ١١٠).

وَقال سُبحَانَهُ في ذَمِّ مُريدِ الدُّنيَا : ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيۡهِمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فِيهَا وَهُمۡ فِيهَا لَا يُبۡخَسُونَ ۝١٥ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيۡسَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ (هود : ١٥ـ١٦)

وعَنْ عُمَرَ بنَ الخَطَّابِ رضي الله عنه قال : سَمِعتُ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول : «إِنَّما الأَعمَالُ بِالنِّيَّاتِ ـ وَفي رِوَايَةٍ : بِالنِّيَّةِ ـ وَإِنَّما لِكُلِّ امرِئٍ مَا نَوى، فَمَن كَانَت هِجرَتُهُ إِلَىٰ الله وَرَسُولِهِ؛ فَهِجرَتُهُ إِلَىٰ الله وَرَسُولِهِ، وَمَن كَانت هِجرَتُهُ إِلَىٰ دُنيَا يُصِيبُهَا، أَو امرَأَةٍ يَتزَوَّجُهَا؛ فَهِجرَتُهُ إِلَىٰ مَا هَاجَرَ إِلَيهِ»[1].

وَعن سَعدِ بنِ أَبِي وَقَّاصٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم جاءَ يَعُودُهُ لِوَجَعٍ اشتَدَّ عليهِ؛ فَقال لَهُ: «إِنَّكَ لَن تُخَلَّفَ؛ فتعمَلَ عَمَلاً تبتَغِي بِهِ وَجهَ الله إِلَّا ازدَدتَ بِهِ دَرَجَةً وَرِفعَةً»[2].

وَعَنْ أَبِي هُرَيرَةَ رضي الله عنه قالَ: قالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللهَ لا يَنظُرُ إِلَىٰ صُوَرِكُم وَأَموَالِكُم، وَلَكِن يَنظُرُ إِلَىٰ قُلُوبِكُم وَأَعمَالِكُم»[3]، وَالأَحَادِيثُ في ذَلِكَ كَثِيرَةٌ.

---

(١) أخرجه البخاري (١)، ومسلم (١٩٠٧).

(٢) أخرجه البخاري (٦٣٧٣).

(٣) أخرجه مسلم (٢٥٦٤).

فَالإخْلاصُ خُلُقٌ عَظِيمٌ، وَكَنزٌ رَفيعٌ، وَلا يُوَفَّقُ لَهُ كُلُّ أَحَدٍ بَعدَ حُسْنِ المُعتَقَد، بَل هُوَ مِن أَشَدِّ الأَخلاقِ عَلَى العَارِفينَ مُعَالجَةً لَهُ، وَلَكَم اجتَهَدَ السَّلَفُ رِضوَانُ الله عَليهِم في إخلاصِ نِيَّاتِهِم، وَمَا هَذَا إلَّا لأَنَّ صَلاحَ الأَعمَالِ مَوقُوفٌ عَلَى الإخْلاصِ؛ فَهُوَ عَزِيزٌ، وَاللَّهُ المستَعَانُ.

فَتَأَمَّل أَيُّهَا الرَّاقِي - بُورِكَ فيكَ - أَلا تُحِبُّ أَنْ يَكمُلَ عَمَلُكَ بِشِفَاءِ مَن تَرقِيهِ وَتُحسِنُ إلَيهِ ؟

أَلا تَتَطَلَّعُ إلَىٰ أَن تَرى العَافِيَةَ في النَّاسِ ؟

أَلا تَسعَدُ حِينَ تَكُونُ سَبَباً في شِفَاءِ مَرِيضٍ، أَو رَفعِ كَربٍ، أَو قَضَاءِ حَاجَةٍ ؟

تَاللَّهِ إنَّ مِن أَعظَمِ السُّبُلِ إلَىٰ ذَلِكَ؛ إخلاصُكَ في رُقيَتِكَ؛ فَلتَكُن دَعوَةً لِتَصحِيحِ النِّيَّةِ، وَإخلاصِهَا لله تَعَالَىٰ.

وَيَا للهِ العَجَبُ ! كَم رَأَينَا أَقوَاماً يَعمَلُونَ، غَيرَ أَنَّنَا لَم نَرَ أَثَراً صَالِحاً لِعَمَلِهِم؟! وَالكَثِيرُ مِنهُم لَم يُوَفَّق فيمَا قَصَدَ إلَيهِ؛ فَظَلَّ في شَاطِئِهِ، أَو قُل خَاضَ مِنهُ ضَحضَاحاً، وَلَم يَستَطِع أَن يَصِلَ إلَىٰ الغَمرِ؛ فَنَكَصَ عَلَى عَقِبَيهِ، خَاسِراً لَيسَ لَهُ في الآخِرَةِ مِن نَصِيبٍ، وَلَيسَ لِهَذَا الأَمرِ مِن سَبَبٍ - وَاللَّهُ أَعلَمُ - إلَّا أَنَّ الإخلاصَ لَم يَكُن رَائِدَهُ.

يقول ابنُ قَيِّمِ الجَوزِيَّةِ رَحِمَهُ اللهُ : «وَقَد جَرَت عَادَةُ اللهِ الَّتِي لا تُبَدَّلُ وَسُنَّتُهُ الَّتِي لا تُحَوَّلُ؛ أَن يُلبِسَ المُخلِصَ مِنَ المَهَابَةِ، وَالنُّورِ، وَالمحَبَّةِ في قُلُوبِ الخَلقِ، وَإقبَالِ قُلُوبِهِم إلَيهِ، مَا هُوَ بِحَسَبِ إخلاصِهِ، وَنِيَّتِهِ، وَمُعَامَلَتِهِ لِرَبِّهِ، وَيُلبِسَ المُرَائِيَ اللَّابِسَ ثَوبَي الزُّورِ مِنَ الْمَقْتِ، وَالْمَهَانَةِ، وَالبَغضَةِ مَا هُوَ اللَّائِقُ بِهِ؛ فَالمُخلِصُ لَهُ الْمَهَابَةُ وَالمحَبَّةُ، وَلِلآخِرِ الْمَقتُ وَالبَغضَاءُ»[1].

---

(١) «إعلام الموقعين» (٦/١٠٦).

فَإِيَّاكَ إِيَّاكَ وَالعَمَلَ مِن غَيرِ إخلاصٍ؛ فإنَّكَ إنْ كَتَمتَ مَا تُضمِرُهُ حِيناً مِنَ الدَّهرِ؛ فَلابُدَّ أَن يَنكَشِفَ عَوَارُكَ، وَيَفتَضِحَ أَمرُكَ، وَحِينَئِذٍ يَنفِرُ مِنكَ مَن كَانَ لَكَ مُعِيناً، وَيُهمِلُكَ مَن شَجَّعَكَ، وَحَبَّذَ عَمَلَكَ.

فَلتَكُن أَخِي الرَّاقِي مُخلِصاً للهِ في رُقيَتِكَ وَإحسَانِكَ لِلنَّاسِ، وَاحتَسِب ذَلِكَ عِندَ الرَّحمَنِ؛ لِتَنَالَ الجَزَاءَ في الجِنَانِ، وَتَسعَدَ بِرِضَا الدَّيَّانِ، وَأُحَذِّرُكَ أَن تَبِيعَ الوِجدَانَ بِالأَصفَرِ الرَّنَّانِ[1]؛ فَذَاكَ دَأبُ مَن تَعرِفُ ؟!

---

(١) مسألة أخذ المال والجُعل على الرقية مِمَّا قد التبس على كثير ممن خاض هذا الباب العظيم؛ ذلك أن البعض جعل من هذا الباب ـ باب الرقية وقضاء حوائج الناس وتفريج كروبهم ـ حبلاً موصلاً للغنى الفاحش ؟!! وقد كان لهم، والبعضُ ممن اقتصر على النَّزر اليسير والذي أراه أنه شَابَ رقيته بهذا النزر الذي لا يُسمِن ولا يُغنِي من جوع ! ولكن الذي ذهب إليه مُقيِّد هذه الكلمات فيما ظهر له - والعِلم عند الله - بعد تَأَنٍّ في دراسة الأحاديث، ولَـمِّ أطراف المسألة؛ أنَّ خلاصة ما خلصتُ إليه هو ـ وتفصيلُهُ في رسالة «فقه الرقية» بحول الله تَعَالَىٰ ـ في مرتبتين :

فَالأَصلُ في الأجر على قراءة القرآن؛ عدم الجواز؛ لعموم الأحاديث في النَّهي الشديد عن ذلك، وهذا في التعليم، وفيه تفصيل يعود ـ استِحسَاناً ـ أَنَّه لِـحَبْسٍ وقته، لا للتعليم .

ثُمَّ الناس بعد ذلك على مرتبتين :

الأولى : الجواز؛ لإذن النبي ﷺ حين قال : «أحقُّ ما أخذتم عليه أجراً كتاب الله» ولكن بشرطٍ وقَيدٍ مهم؛ وهو العافية والبُرء والشفاء، وهذا الذي لَم يَفْقه كثيرٌ من الناس؛ ومن تأمَّل الروايات التي وردت يجد في جميعها حصول الشفاء والعافية، مثل ما ورد فيها بقوله : «فقام وما به من قَلَبه» و «فكأنما نَشِطَ من عِقَال» وغيرها، وهذا الذي فَهِمَهُ كثيرٌ من السلف وأهل الحديث، وترجموا عليه في كتبهم من قولهم : «باب جواز أخذ الأجر على قراءة القرآن» وإنما مرادهم من ذلك حصول الشفاء والعافية، ومما يدلُّ على هذا ما قاله ابن عبد البر رَحِمَهُ اللهُ في «التمهيد» (٦/ ٢٤١) : «وفيه إباحة النُّشرة، وإباحة عملها، وقد قال الزُّهري في ذلك: إنَّ هذا من العلم، وإذا كانت مباحة؛ فجائزٌ أخذ البَدَل عليها، وهذا إنما يكون إذا صحَّ الانتفاع بها؛ فَكُلُّ ما لا يُنتَفع به بيقينٍ؛ فأكلُ المال عليه باطلٌ محرمٌ» .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ في «مجموع الفتاوى» (١٨/ ١٢٧) : «وما يَرْوُوه : «أحقُّ ما أخذتم عليه أجرة كتاب الله» نعم ثبَت ذلك أنه قال : «أحقُّ ما أخذتم عليه أجراً كتاب الله» لكنَّه في حديث الرقية، وكان الجُعْلُ ـ أي : المكافأة ـ على عافية مريض القوم، لا على التلاوة» .

وقال أيضاً (١٩/ ٥٩) : «وأَذِنَ لهم في أخذ الجُعل على شفاء اللديغ بالرقية» .

وقال تلميذه ابن القيِّم رَحِمَهُ اللهُ في «إعلام الموقعين» (٢/ ٥) حين بيَّن العمل الذي يُقصَد به المال، ذكر

وَأُعِيذُكَ أَخِي فِي اللهِ أَن لا تَكُونَ مِنَ المُخلِصِينَ [1].

=

ثلاثة أنواع فقال : «والجُعْل كان على الشفاء، لا على القراءة» وانظر : «الفروسية» (٣٢٥)، وبهذا يَتبيَّن خطر أخذ المال بغير حقٍّ !! بل إن هناك نكتةً دقيقةً، وفَهماً عميقاً لبعض الروايات؛ أنَّ هذا الأجر ما كان إلَّا بالمقابل؛ لأنهم منعوهم حق الضيافة؛ فقابلوهم بطلب الأجر .

و رضي الله عن ابن قَيِّم الجوزيَّة حين قال : «أنفعُ الناسِ لكَ: رَجلٌ مكنَّك من نفسهِ، حتى تزرع فيه خيراً، أو تصنع إليه معروفاً، فإنَّه نِعمَ العونُ لكَ على منفعتكَ وكمالكَ، فانتفاعُكَ بهِ في الحقيقة مثلُ انتفاعهِ بكَ أو أكثرَ. وأضَرُّ الناسِ عليكَ: مَن مكَّنَ نفسهَ مِنكَ حتى تعصي الله فيه؛ فإنَّهُ عونٌ لكَ على مضرتك ونقصكَ» «الفوائد» (٤٠٧)

يقول الكحال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الأحكام النبوية» (٨٨) : «**وفيه جواز الـمُعاوضة على ترك المعروف، وإن كان ضد ذلك أحسن، لقوله: «استضفناكم فلم تضيفونا» فمنعوهم معروفهم في الرقية إلَّا بأجر مكافأة لهم**» .

وقال ابنُ مَلَك في «مبارق الأزهار» (١/ ١٩٤) : «**والأولَى أن يُحمَل على أنَّ حقَّ الضيف كان واجباً على ذلك القوم، بدليل ما رُوِيَ على أنَّ الراقي قال لهم عند سؤالهم الرقية: أنتم لم تُضيِّفُونا؛ فما أنا براقٍ لكم حتى تجعلوا لي جُعلاً؛ فجاز أخذ ماالهم بسبب**» اهـ . وهو اختيار العلامة الوالد الشيخ محمد شقرة حفظه الله وأطال في عمره كما ذكر في تقدمته للكتاب، غير أن هذا لا يُسعِفُهُ، وتردُّه الروايات الأخر؛ والتي فيها الرقية وأخذ الأجرة عليها من غير حقِّ الضيافة، وهو ظاهرٌ جَلي .

وأما كثير من الرُّقاة اليوم ـ ومثلهم **الأطباء النفسانيين** ـ؛ الذين أصابهم الهَوَس في أخذ المال على جهلٍ بعلم الرقية، ومن غير حقٍّ في الأغلب، وقديماً قالوا : «**الجاهلُ يطلب المال، والعالِمُ يطلب الكمال**» . وإلى الله المشتكى

الثانية : أن يتورَّع الراقي عن هذا المال والجُعل بعد حصول الشفاء؛ لِيُبارك الله تَعَالَىٰ له في رقيته، وليفتح على يديه؛ لينفع إخوانه المسلمين، وأخواته المسلمات؛ فَيُفرِّج عنهم الهموم ويزيل الغموم - بإذن الله - وهكذا فليكن المسلم، وهذا والله ما نُدِين به، ونسأل الله أن لا يُغيِّر ما أكرمنا به ما حَيِينا أبداً .

فائدة رائعة : يقول جعفر بن يحي البرمكي : : «ما رأينا في القرَّاء مثل عيسى بن يونس؛ عرضتُ عليه مئة ألف درهم؛ فقال : لا والله، لا يتحدَّث أهلُ العلم أنِّي أكلتُ للسُّنَّة ثَمناً» اهـ . «تذكرة الحفاظ» للذهبي (١/ ٢٨٠)

قَالَ ٱبْنُ يُوسُفَ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمَا : **وليت الرُّقاة اليوم يقولون : لا والله، لا يتحدُّث أهل العلم أنَّا أكلنا بكتاب الله ثمناً، ولكن هي قِيمٌ راقية، ومُثلٌ غالية، وهِمَمٌ عالية، وهكذا فليكن الرقاة الرَّبانيُّون** .

(١) أي أن تبيع النية الصالحة الحسنة بمقابل زهيد من المال فإنه فان ! وانظر : «عِظَة الناشئين» للشيخ مصطفى الغلاييني(١٦)، ومنزلة الإخلاص في «مدارج السالكين» لابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٢/ ٨٢) وشرح حديث «إِنَّمَا الأَعمَالُ بِالنِّيَّاتِ» من «جامع العلوم والحكم» لابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ

وَلتعلَم أَخِي الرَّاقِي الموَفَّق؛ أَنَّهُ بِقَدَرِ مَا يَكُونَ عِندَكَ مِنَ الإخلاصِ، بِقَدَرِ مَا يَكُونُ لَدَيكَ عِفَّةٌ عَمَّا في أَيدِي النَّاسِ مِن مَتَاعٍ؛ فَلا تَكُن دَنِيءَ الهِمَّةِ، سَاقِطَ العَزِيمَةِ، قَلِيلَ الطُّمُوحِ، مُتَطَلِّعاً إلَيهِم بِهَوَسٍ، وَشَرَهٍ قَتَّالَ؛ فتَذِلَّ !

وَإيَّاكَ مِن تَخصِيصِ الرُّقيَةِ لِلأغنِيَاءِ، وَمَنعِهَا الفُقَرَاءَ؛ فَيَكُونُ حَالُكَ كَحَالِ المذمُومِينَ، «إنْ مَرِضَ أَحَدُ أَبنَاءِ الدُّنيَا، أَو مُلُوكِهَا؛ فَسَأَلَهُ أَنْ يَختِمَ عَليهِ؛ سَارَعَ إلَيهِ، وَسُرَّ بِذَلِكَ، وَإنْ مَرِضَ الفَقِيرُ المستُورُ؛ فَسَأَلَهُ أَنْ يَختِمَ عَليهِ؛ ثَقُلَ ذَلِكَ عَليهِ»[1]

فَإيَّاكَ يَا صَاحِبَ المعَالِي، وَاسأَلْ رَبَّكَ الأَجرَ وَالثَّوَابَ، وَلا تَركَن إلَيهِم؛ فَمَا الدُّنيَا إلَّا طَرِيقُ سَفَرٍ، وَلا تُكثِرِ المتَاعَ، وَأَعِدَّ الزَّادَ لِلِقَاءِ اللهِ، وَلا إخَالُكَ إلَّا رَابِحاً.

فَـ «العَبدُ كُلَّمَا كَانَ أَذَلَّ للهِ، وَأَعظَمَ افتِقَاراً إلَيهِ، وَخُضُوعاً لَهُ؛ كَانَ أَقرَبَ إلَيهِ، وَأَعَزَّ لَهُ، وَأَعظَمَ لِقَدْرِهِ، فَأَسعَدُ الخَلقِ؛ أَعظَمُهُم عُبُودِيَّةً للهِ.

وَأَمَّا المخلُوقُ فَكَمَا قِيلَ : احتَجْ إلَىٰ مَن شِئتَ تَكُن أَسِيرَهُ، وَاستَغنِ عَمَّن شِئتَ تَكُن نَظِيرَهُ، وَأَحسِن إلَىٰ مَن شِئت تَكُن أَمِيرَهُ.

فَأَعظَمُ مَا يَكُونُ العَبدُ قَدْراً، وَحُرمَةً عِندَ الخَلقِ؛ إذَا لَم يَحتَج إلَيهِم بِوَجهٍ مِنَ الوُجُوهِ؛ فَإنْ أَحسَنتَ إلَيهِم مَعَ الاستِغنَاءِ عَنهُم؛ كُنتَ أَعظَمَ مَا يَكُونُ عِندَهُم، وَمَتَى احتَجتَ إلَيهِم - وَلَو في شَربَةِ مَاءٍ - نَقَصَ قَدرُكَ عِندَهُم بِقَدرِ حَاجَتِكَ إلَيهِم»[2].

---

(١) «أخلاق أهل القرآن» (٦٥)

والمراد بالخَتْم : أي قراءة القرآن عليه وختمه؛ رجاء العافية، والشفاء ببركته الرُّقية الشَّرعيَّة . .

(٢) «مجموع الفتاوى» لابن تيمية (١ / ٣٩) . مختصراً، وانظر : عِظَم جزاء المُخلِص في «إعلام الموقعين» لابن القيم (٣ / ٤٣٠)

وَلَقَد سَمِعتُ مِن شَيخِنَا العَلاَّمَةِ الوالِدِ عُمَرَ الأَشقَر حَفِظَهُ اللهُ وأَسْبَغَ عَليْهِ العَافِيَةَ، مَقُولَةً رَائِعَةً؛ قال : «إنَّ في القَلبِ طِيباً، وَطِيبُهُ إخلاصُ العَمَلِ للهِ تَعَالىٰ».

فَالأَجرُ أُخَيَّ مِنَ اللهِ لا غيرَ؛ فَإنْ تَطَلَّعتَ لِمَا في أَيدِي النَّاسِ، لَنْ يَبقَى لَكَ الذِّكرُ الجَمِيلُ، وَلا الأَجرُ الجَزِيلُ، وَحِينَهَا يَزُولُ مَا حَصَّلتَ، وَيَفنَى مَا أَخَذتَ؛ وَكَأَنَّهُ مَا جَاعَ مَن جَاعَ، وَلا شَبِعَ مَن شَبِعَ، وَالعَاقِلُ مَن تَلَمَّحَ العَوَاقِبَ وَأَعمَلَ فِكرَهُ فِيها، وَتَرَقَّبَ بِشَغَفٍ مَا عِندَ الله، وَبِذَلِكَ فَليَفرَحِ المؤمِنُونَ المُخلِصُونَ.

وَأَينَ الرُّقَاةُ مِن قَولِ الإمَامِ الآجُرِّيِّ رَحِمَهُ اللهُ حِينَ قال : «ثُمَّ أَعلَمَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ خَلْقَهَ: أَنَّ مَنْ تَلا القُرآنَ، وَأَرَادَ بِهِ مُتَاجَرَةَ مولاهُ الكَرِيمِ؛ فَإِنَّهُ يُرْبِحُهُ الرِّبحَ الَّذِي لا بَعدَهُ رِبحٌ، وَيُعَرِّفُهُ بَرَكَةَ المُتَاجَرَةِ في الدُّنيَا وَالآخِرَةِ»[1].

إذَا لَم يَكُن للهِ فِعلُكَ خَالِصاً ... فَكُلُّ بِناءٍ قَد بَنَيتَ خَرَابُ

ثَانِياً : الحِرصُ عَلَى العِلْمِ الشَّرعِيِّ، وَالعَمَلُ بِهِ :

يَحسُنُ بِالرَّاقِي أَن يَكُونَ طَالِبَ عِلْمٍ، مُجتَهِداً في تَحصِيلِهِ؛ فَهُوَ مِن أَعظَمِ الأَسبَابِ الَّتِي تُقَوِّي الإيمَانَ في القَلبِ، وَتُقَرِّبُ العَبدَ مِن رَبِّهِ، «وَلَو لَم يَكُن في العِلمِ إلَّا القُربُ مِن رَبِّ العَالَمِينَ، وَالالتِحَاقُ بِعَالَمِ الملائِكَةِ، وَصُحبَةِ الملأ الأَعلَى؛ لَكَفَى بِهِ فَضلاً وَشَرَفاً؛ فَكَيفَ وَعِزُّ الدُّنيَا وَالآخِرَةِ مَنُوطٌ بِهِ، وَمَشرُوطٌ بِحُصُولِهِ»[2].

وَبِالعِلْمِ يَمِيزُ الرَّاقِي بَينَ الحَقِّ وَالبَاطِلِ، وَالنَّافِعِ وَالضَّارِ، وَبِالعِلْمِ يَستَعِينُ بِالله في اختِيَارِ الدَّوَاءِ النَّاجِعِ، لِلدَّاءِ الوَاقِعِ؛ فَمَنْ عَلِمَ كَانَ مَعهُ زِيَادَةُ فَضلٍ يَفضُلُ بِهَا عَلَى

---

(١) «أخلاق أهل القرآن» (٣٣)

(٢) «مفتاح دار السعادة» (١ / ٣٥٣).

مَن لَم يَعلَم، وَلا أَشرَفَ مِنَ العِلمِ؛ فَهُوَ الكَنزُ الدَّفينُ، وَالنُّورُ السَّاطِعُ، وَالهَيبَةُ المُتَهَلِّلَةُ فِي وُجُوهِ العُلَمَاءِ : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (الزمر: ٩).

قالَ النَّضرُ بنُ شُمَيلٍ : مَنْ أَرادَ أَن يَشرُفَ في الدُّنيَا وَالآخِرَةِ؛ فَليَتَعَلَّمِ العِلْمَ، وَكَفَى بِالمرْءِ سَعَادَةً؛ أَن يُوثَقَ بِهِ في دِينِ اللهِ، وَيَكُونَ بَينَ اللهِ وَبَينَ عِبَادِهِ [(١)].

وَقال أَبُو إِسحَاقَ الإلبِيرِيُّ رَحِمَهُ اللهُ في قَصِيدَتِهِ الماتِعَةِ :

فَلَو قَد ذُقتَ مِنْ حَلْوَاهُ طَعماً لآثَـرْتَ التَّـعَـلُّـمَ وَاجتَـهَـدتَا
وَلَم يَشغَلْكَ عَنْهُ هَوىً مُطَاعٌ وَلا دُنيَا بِزُخرُفِهَا فُتِنتَا
وَلا أَلهَاكَ عَنْهُ أَنِيقُ رَوْضٍ وَلا خِدْرٌ بِرَبرَبِهِ كَلِفتَا
فَقُوتُ الرُّوحِ أَرواحُ المعَانِي وَلَيسَ بِأَن طَعِمتَ وَلا شَرِبتَا
فَوَاظِبْهُ وَخُذ بِالجِدِّ فِيهِ فَإِنْ أَعطَاكَهُ اللهُ انتَفَعتَا[(٢)]

وَإِنِّي أَحُثُّكَ أَيُّهَا الحَاذِقُ عَلَى حِفظِ كِتَابِ الله تَعَالَىٰ، وَإِتقَانِ تِلاوَتِهِ، وَفَهمِهِ وَدَوَامِ مُدَارَسَتِهِ، وَإِقَامَةِ حُدُودِهِ وَأَوَامِرِهِ، وَاجتِنَابِ نَوَاهِيهِ وَزَوَاجِرِهِ، وَاحرِص عَلَى نَيلِ العِلْمِ بِالأُصُولِ؛ حَتَّى تُمنَحَ الوُصُولَ، وَتُرجَى لِلغَدِ المأمُولِ.

يَقُولُ الإِمَامُ ابنُ عَبدِ البَرِّ رَحِمَهُ اللهُ : «فَأَوَّلُ العِلمِ؛ حِفظُ كِتَابِ اللهِ جَلَّ وَعَزَّ وَتَفَهُّمُهُ، وَكُلُّ مَا يُعِينُ عَلَى فَهمِهِ؛ فَوَاجِبٌ طَلَبُهُ مَعَهُ»[(٣)].

(١) المصدر السابق (١/ ٥٠٤).

(٢) «قصيدة في العلم والزهد» (٢٣).

(٣) «جامع بيان العلم وفضله» (٢/ ١١٢٩).

وَقال الإمَامُ الشَّاطِبِيُّ رَحِمَهُ اللهُ:

وَإِنَّ كِتَابَ اللهِ أَوثَقُ شَافِعٍ ... وَأَغنَى غَنَاءٍ وَاهِباً مُتَفَضِّلاَ
وَخَيرُ جَلِيسٍ لاَ يُمَلُّ حَدِيثُهُ ... وَتَرداَدُهُ يَزدَادُ فِيْهِ تَجَمُّلاَ
وَحَيثُ الفَتى يَرتَاعُ فِي ظُلُمَاتِهِ ... مِنَ القَبرِ يَلقَاهُ سَناً مُتَهَلِّلاَ
هُنَالِكَ يَهْنِيْهِ مَقِيلاً وَرَوضَةً ... وَمِن أَجلِهِ فِي ذِروَةِ العِزِّ يُجتَلَى
يُنَاشِدُهُ فِي إرضَائِهِ لِحَبِيْبِهِ ... وَأَجدِرْ بِهِ سُؤلاً إِلَيهِ مُوَصَّلاَ
فَيَا أَيُّهَا القَارِي بِهِ مُتَمَسِّكاً ... مُجِلّاً لَهُ فِي كُلِّ حَالٍ مُبَجِّلاَ[1]

وَإِنِّي نَاصِحُكَ بِمَا نَصَحَ بِهِ ابنُ الجَوزِيِّ رَحِمَهُ اللهُ وَلَدَهُ، وَاصِفَاً لَهُ حَاله مَع العِلمِ؛ فَقال: «فَإِنِّي أَذكُرُ نَفسِي وَلِيَ هِمَّةٌ عَالِيَةٌ، وَأَنَا فِي المكتَبِ ابنُ سِتِّ سِنِينَ، وَأَنَا قَرِينُ الصِّبيَانِ الكِبَارِ، وَقَد رُزِقتُ عَقلاً وَافِراً فِي الصِّغَرِ، يَزِيدُ عَلَى عَقلِ الشُّيُوخِ؛ فَمَا أَذكُرُ أَنِّي لَعِبتُ فِي الطَّرِيقِ مَعَ الصِّبيَانِ قَطُّ، وَلا ضَحِكتُ ضَحِكاً خَارِجاً.

وَلَقَد كَانَ الصِّبيَانُ يَنزِلُونَ إِلَىٰ دِجلَةَ، وَيَتَفَرَّجُونَ عَلَى الجِسرِ، وَأَنَا فِي زَمَنِ الصِّغَرِ آخِذٌ جُزءاً، وَأَقعُدُ حُجزَةً مِنَ النَّاسِ إِلَىٰ جَانِبِ الرَّقَّةِ؛ فَأَتَشَاغَلُ بِالعِلمِ.

وَأَلزَمتُ نَفسِيَ الصَّبرَ؛ فَاستَمَرَرتُ، وَشَمَّرتُ، وَلازَمتُ، وَعَالَجتُ السَّهَرَ، وَلَم أَقنَع بِفَنٍّ مِنَ الفُنُونِ، بَل كُنتُ أَسمَعُ الفِقهَ، وَالوَعظَ، وَالحَدِيثَ.

وَلَقَد كُنتُ أَدُورُ عَلَى المَشَايِخِ؛ لِسَمَاعِ الحَدِيثِ؛ فَيَنقَطِعُ نَفَسِي مِنَ العَدوِ؛ لِئَلا أُسبَقَ، وَكُنتُ أُصبِحُ وَلَيسَ لِي مَأكَلٌ، وَأُمسِي وَلَيسَ لِي مَأكَلٌ، مَا أَذَلَّنِي اللهُ لِمَخلُوقٍ قَطُّ، وَلَكِنَّهُ سَاقَ رِزقِي لِصِيَانَةِ عِرضِي، وَلَو شَرَحتُ أَحوَالِي لَطَالَ الشَّرحُ»[2].

---

(١) «حِرزُ الأَماني و وَجه التَّهانِي» المعروفة بـ «الشاطبية» (٣)

(٢) «لفتة الكبد في نصيحة الولد» (١٢) بتصرف.

وعليك بما يعينك في باب فضل العلم وآدابه: ككتاب «جامع بيان العلم وفضله» لابن عبد البر،

وَقال أَيضَاً : «وَاعلَم أَنَّ العِلمَ يَرفَعُ الأَرذَالَ؛ فَقَدَ كَانَ خَلقٌ كَثِيرٌ مِنَ العُلَمَاءِ لا نَسَبَ لَهُم يُذكَرُ، وَلا صُورَةَ تُستَحسَنُ.

وَكَانَ عَطَاءُ بنُ أَبِي رَبَاحٍ، أَسوَدَ اللَّونِ، مُستَوحِشَ الخِلقَةِ، وَجَاءَ سُلَيمَانُ بنُ عَبدِ الملِكِ - وَهُوَ خَلِيفَةٌ وَمَعَهُ وَلَدُهُ - فَجَلَسُوا يَسأَلُونَهُ عن المنَاسِكِ؛ فَحَدَّثَهُم، وَهُوَ مُعرِضٌ عَنهُم بِوَجهِهِ؛ فَقَال الخَلِيفَةُ لِولَدَيهِ : قُومَا، وَلا تَنِيَا، وَلا تَكَاسَلا في طَلَبِ العِلمِ؛ فَمَا أَنسَى ذُلَّنَا بَينَ يَدَي هَذَا العَبدِ الأَسوَدِ »[(١)].

نَعَم؛ فَهَذَا مِصدَاقُ قَولِ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ : ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَـٰتٍ﴾ (المجادلة : ١١).

وَذَا أَبُو الوَفَاءِ بنُ عَقِيلٍ رَحِمَهُ اللَّهُ، يَحكِي عن نَفسِهِ أَيضَاً : «إِنِّي لأَجِدُ مِن حِرصِي عَلَى العِلمِ، وَأَنَا في عُشْرِ الثَّمَانِينَ، أَشَدَّ مِمَّا كُنتُ أَجِدُهُ وَأَنَا ابنُ عِشرِينَ سَنَةً »[(٢)].

وَقال ابنُ الجَوزِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ : «أَفضَلُ الأَشيَاءِ؛ التَّزَيُّدُ مِنَ العِلمِ؛ فَإِنَّهُ مَن اقتَصَرَ عَلَى مَا يَعلَمُهُ؛ فَظَنَّهُ كَافِياً؛ استَبَدَّ بِرَأيِهِ، وَصَارَ تَعظِيمُهُ لِنَفسِهِ مَانِعاً مِنَ الاستِفَادَةِ، وَالمُذَاكَرَةُ تُبَيِّنُ لَهُ خَطَأَهُ »[(٣)].

=

وطليعة كتاب «مفتاح دار السعادة» لابن قيم الجوزية، و«مقدمة المجموع» للإمام النووي، ومنزلة العلم من «مدارج السالكين» .

ومن كتب المعاصرين: «حلية طالب العلم» و«التعالم وأثره على الفكر والكتاب» كلاهما للعلّامة الشيخ بكر أبو زيد رَحِمَهُ اللَّهُ، وكتاب «معالم في طريق طلب العلم» للشيخ المفضال عبد العزيز السدحان و «المشوق إلى القراءة وطلب العلم» للشيخ علي العمران نفع الله به، وغيرها الكثير .

(١) «لفتة الكبد» (٢٤) .

(٢) «الذيل على طبقات الحنابلة» (١ / ١٤٦) .

(٣) «صيد الخاطر» (١٥٨) .

وَقال أَيضاً : «وَإِنِّي أُخبِرُ عَنْ حَالِي : مَا أَشبَعُ مِن مُطَالَعَةِ الكُتُبِ، وَإِذَا رَأَيتُ كِتَاباً لَم أَقرَأهُ؛ فَكَأَنِّي وَقعتُ عَلَى كَنزٍ، وَلَقَد نَظَرتُ في ثَبَتِ الكُتُبِ الموقُوفَةِ في المدرَسَةِ النِّظَامِيَّةِ؛ فَإِذَا بِهِ يَحتَوِي عَلَى نَحوِ سِتَّةِ آلافِ مُجَلَّدٍ، وَفي ثَبَتِ كُتُبِ أَبِي حَنِيفَةَ، وَكُتُبِ الحُمَيدِيِّ، وَكُتُبِ شَيخِنَا عَبدِ الوَهَّابِ بنِ نَاصِرٍ، وَكُتُبِ أَبِي مُحَمَّدٍ الخَشَّابِ، وَكَانَت أَحمَالاً، وَغَيرَ ذَلِكَ مِن كُلِّ كِتَابٍ أَقدِرُ عَليهِ، وَلَو قُلتُ : إِنِّي طَالَعتُ عِشْرِينَ أَلفَ مُجَلَّدٍ، كَانَ أَكثَرَ، وَأَنَا بَعدُ فِي الطَّلَبِ»[1].

وَقالَ أَبُو هِلالٍ العَسكَرِيُّ رَحِمَهُ اللهُ : «فَإِذَا كُنتَ أَيُّهَا الأَخُ، تَرغَبُ فِي سُمُوِّ القَدرِ، وَنَبَاهَةِ الذِّكرِ، وَارتِفَاعِ المنزِلَةِ بَينَ الخَلقِ، وَتَلتَمِسُ عِزّاً لا تُثَلِّمُهُ اللَّيَالِي وَالأَيَّامُ، وَلا تَتَحَيَّفُهُ الدُّهُورُ وَالأَعوَامُ، وَهَيبةً بِغَيرِ سُلطَانٍ، وَغِنًى بِلا مَالٍ، وَمَنعَةً بِغَيرِ سِلاحٍ، وَعَلاءً مِن غَيرِ عَشِيرَةٍ، وَأَعوَاناً بِغَيرِ أَجرٍ، وجُنداً بِلا دِيوَانٍ وَفَرضٍ؛ فَعَلَيكَ بِالعِلمِ؛ فَاطلُبهُ فِي مَظَانِّهِ، تَأتِكَ المَنَافِعُ عَفْواً، وَتَلقَ مَا يُعتَمَدُ مِنهَا صَفواً، وَاجتَهِد فِي تَحصِيلِهِ لَيَالِيَ قَلائِلَ، ثُمَّ تَذَوَّق حَلاوَةَ الكَرَامَةِ مُدَّةَ عُمُرِكِ، وَتَمَتَّع بِلَذَّةِ الشَّرَفِ فِيهِ بَقِيَّةَ أَيَّامِكَ وَاستَبقِ لِنَفسِكَ الذِّكرَ بِهِ بَعدَ وَفَاتِكَ»[2].

وَيقُولُ العَلامَةُ ابنُ قَيِّمِ الجَوزِيَّةِ رَحِمَهُ اللهُ: «وَأَمَّا عُشَّاقُ العِلمِ؛ فَأَعظَمُ شَغَفاً بِهِ وَعِشقاً لَهُ مِن كُلِّ عَاشِقٍ بِمَعشُوقِهِ، وَكَثِيرٌ مِنهُم لا يَشغُلُهُ عَنْهُ أَجمَلُ صُورَةٍ مِنَ البَشَرِ»[3].

وَأَختِمُ بِقَولٍ نَفيسٍ رَائِعٍ لِلحَارِثِ المُحَاسِبِيِّ رَحِمَهُ اللهُ إِذ يقول : «وَاصدُقْ فِي الطَّلَبِ تَرِثْ عِلمَ البَصَائِرِ، وَتَبدُ لَكَ عُيُونُ المعَارِفِ، وَتُمَيِّز بِنَفسِكَ عِلمَ مَا يَردُ

---

(١) «صيد الخاطر» (٥٥٧).

(٢) «الحث على طلب العلم والاجتهاد فيه» (٤٣).

(٣) «روضة المحبين» (٦٩).

عَلَيكَ بِخَالِصِ التَّوفيقِ؛ فَإنَّمَا السَّبقُ لِمَن عَمِلَ، وَالخَشيَةُ لِمَن عَلِمَ، وَالتَّوكُّلُ لِمَن وَثِقَ، وَالخَوفُ لِمَن أيقَنَ، وَالمزِيدُ لِمَن شَكَرَ »[١].

وَمِن أَلْطَفِ مَا قِيلَ في بَيَانِ العِلمِ :

النَّـاسُ فِي جِهَـةِ التَّمثِيلِ أَكـفَاءُ ... أَبُوهُـمُ آدَمُ وَالأُمُّ حَـوَّاءُ
نَفْسٌ كَنَفْسٍ وَأَرواحٌ مُشَاكَلَةٌ ... وَأَعْظُمٌ خُلِقَت فِيهِم وَأَعضَاءُ
فَإنْ يَكُن لَهُمُ مِن أَصلِهِم حَسَبٌ ... يُفَاخِرونَ بِهِ فَالطِّينُ وَالماءُ
مَا الفَضلُ إلَّا لأَهلِ العِلْمِ إنَّهُمُ ... عَلَى الهُدَى لِمَنِ استَهدَى أَدِلَّاءُ
وَقَدْرُ كُلِّ امرِئٍ مَا كَانَ يُحسِنُهُ ... وَلِلرِجالِ عَلَى الأَفعَالِ أَسمَاءُ
وَضِدُّ كُلِّ امرِئٍ مَا كَانَ يَجهَلُهُ ... وَالجَاهِلُونَ لأَهلِ العِلمِ أَعدَاءُ[٢]

وَقال آخَرُ :

فَإذَا طَلَبتَ العِلْمَ فَاعْلَم أَنَّهُ ... حِمْلٌ فَأَبصِر أَيَّ شَيءٍ تَحمِلُ
وَإذَا عَلِمتَ بِأَنَّـهُ مُتَـفَاضِلٌ ... فَاشغَل فُؤَادَكَ بِالَّذِي هُوَ أفضَلُ[٣]

وَإنِّي أُحَذِّرُكَ مِنَ الزَّهَادَةِ في العِلمِ، وَتَذَكَّر قَولَ أَبِي حَنِيفَةَ رَحِمَهُ اللهُ : «مَن ظَنَّ أَنَّهُ يَستَغنِي عن العِلمِ؛ فَلِيَبكِ عَلَى نَفسِهِ »[٤]

وَبعدَ هَذَا وَذَاكَ، وَقَد عَلِمتَ شَرَفَ العِلمِ وَفَضلَهُ إجمَالاً؛ فَيَنبَغِي عَلَيكَ بِالأَخَصِّ العِلمُ بِهَذَا الفَنِّ ـ عِلم الرُّقيَةِ الشَّرعِيَّةِ ـ فَتَعرِفَ أُصُولَه، وَأَحكَامَهُ، وَقَوَاعِدَ ضَبطِ مَسَائِلِهِ[٥]؛ فَتُلِمَّ بِكُلِّ مَا يَحتَاجُهُ الرَّاقِي الحَذِقُ المُوَفَّقُ في هَذَا الفَنِّ

---

(١) «رسالة المسترشدين» (١٤٨) .

(٢) «جامع بيان العلم وفضله» لابن عبد البر (١ / ٢١٨) .

(٣) «العِقد الفريد» لابن عبد ربه (٢ / ٧١) .

(٤) «تاريخ بغداد» (١٣/ ٣٥٠)

(٥) انظر كتابنا: «المدخل إلى علم الرقية الشرعية» ففيه مزيد فائدة.

مِن عُدَّتِهِ وَعَتَادِهِ، وإيَّاكَ أَن تَغفَلَ عن «لا أَدرِي» لِمَا غَابَ عَنْكَ عِلْمُهُ، وَأَشكَلَ عَلَيكَ فَهمُهُ، وَبِهَذَا يَكُونُ قَد رُجِيَ لَكَ الفَتحَ، وَالتَّوفيقَ مِنَ اللَّطِيفِ الخَبِيرِ.

ثَالِثاً : التَّقوَى وَالعِبَادَةُ :

يَنبَغِي لِلرَّاقِي المُوَفَّقِ أَن يَكُونَ صَاحِبَ عِبَادَةٍ وَتَقوَى، وَأَن يَكُونَ صَاحِبَ صَلاةٍ، وَصِيَامٍ، ونُسُك، تُعرَفُ الطَّاعَةُ في وَجهِهِ، وَسَمْتِهِ، وَهَديِهِ، وَقَولِهِ، وَفِعلِهِ، وَهَذَا أَدعَى لِلقَبُولِ، وَلِحُصُولِ الشِّفَاءِ، وَتَفرِيجِ الكُرُبَاتِ «وَإِذَا كَانَ القَلبُ مَعمُوراً بِالتَّقوَى؛ انجَلَت لَهُ الأُمُورُ وَانكَشَفَت، بِخِلافِ القَلبِ الخَرَابِ المُظلِمِ.

قال حُذَيفَةُ بنُ اليَمَانِ : «إنَّ في قَلبِ المؤمِنِ سِرَاجاً يُزهِرُ»[1].

وَتَأَمَّل نُصحَ عُمَرِ الفَارُوقِ ﷺ عِندَمَا أَوصَى سَعدَ بنَ أَبِي وَقَّاصٍ ﷺ وَهُوَ في مَسِيرِهِ إِلَىٰ حَربِ الفُرسِ؛ فَقَال : «فَإِنِّي آمُرُكَ وَمَن مَعكَ مِنَ الأَجنَادِ بِتَقوَى الله عَلَى كُلِّ حَالٍ؛ فَإِنَّ تَقوَى الله أَفضَلُ العُدَّةِ عَلَى العَدُوِّ، وَأَقوَى المَكِيدَةِ في الحَربِ»[2].

وَكَتَبَ شَيخُ الإسلامِ ابنُ تَيمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ في جَوَابِهِ لأَبِي القَاسِمِ المغرِبِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ حِينَ سَأَله الوَصِيَّةَ؛ فَقَال: «فَمَا أَعلَمُ وَصِيَّةً أَنفَعُ مِن وَصِيَّةِ الله وَرَسُولِهِ لِمَن عَقَلَهَا وَاتَّبَعَهَا.

قال تَعَالَىٰ : ﴿وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ (النساء : ١٣١).

وَوَصَّى النَّبِيُّ ﷺ مُعاذاً لَمَّا بَعَثَهُ إِلَىٰ اليَمَنِ فَقَال : «يَا مُعَاذُ؛ اتَّقِ الله حَيثُمَا كُنتَ، وَأَتبعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ».

---

(١) «مجموع الفتاوى» لابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ (٢٠ / ٤٥).

(٢) «إتمام الوفاء» للخضري (٧٢).

وَكَانَ مُعَاذٌ ﷺ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ بِمَنزِلَةٍ عَلِيَّةٍ؛ فَإِنَّهُ قَالَ لَهُ : «يَا مُعَاذُ، واللهِ إِنِّي لأُحِبُّكَ» وَكَانَ يُرْدِفُهُ وَرَاءَهُ.

وَرُوِيَ فِيْهِ : «أَنَّهُ أَعلَمُ الأُمَّةِ بِالحَلالِ وَالحَرَامِ، وَأَنَّهُ يُحشَرُ أَمَامَ العُلَمَاءِ بِرَتوَةٍ» أَي : بِخُطوَةٍ.

وَمِن فَضلِهِ أَنَّهُ بَعَثَهُ النَّبِيُّ ﷺ مُبَلِّغاً عَنْهُ، دَاعِياً، وَمُفَقِّهاً، وَمُفتِياً، وَحَاكِماً إِلَىٰ أَهلِ اليَمَنِ، وَكَانَ يُشَبِّهُهُ بِإِبرَاهِيمَ الخَلِيلِ؛، وَإِبرَاهِيمُ إِمَامُ النَّاسِ.

وَكَانَ ابنُ مَسعُودٍ ﷺ يقول : إِنَّ مُعَاذاً كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لله حَنِيفاً، وَلَم يَكُ مِنَ المُشرِكِينَ؛ تَشبِيهاً لَهُ بِإِبرَاهِيمَ. ثُمَّ إِنَّهُ ﷺ وَصَّاهُ هَذِهِ الوَصِيَّةَ؛ فَعُلِمَ أَنَّهَا جَامِعَةٌ، وَهِيَ كَذَلِكَ لِمَن عَقَلَهَا»[1]

وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ؛ فَيَنبَغِي عَلَى الرَّاقِي أَن يَعقِلَ هَذا، وَيَفطَنَ لَهُ؛ فَهُوَ وَرَبِّي جِدٌّ نَفيسٍ.

وَانظُر فِي صِفَةِ التَّقوَى، مَا نَقَله الذَّهَبِيُّ رَحِمَهُ اللهُ : «عن بَكْرٍ المُزَنِيِّ قال : لَمَّا كَانَت فِتنَةُ ابنِ الأَشعَثِ، قال طَلقُ بنُ حَبِيبٍ : اتَّقُوهَا بِالتَّقوَى.

فَقِيلَ لَهُ : صِف لَنَا التَّقوَى ؟

فَقَال : العَمَلُ بِطَاعَةِ اللهِ عَلَى نُورٍ مِنَ اللهِ؛ رَجَاءَ ثَوَابِ اللهِ، وَتَركِ مَعَاصِي اللهِ، عَلَى نُورٍ مِنَ اللهِ؛ مَخَافَةَ عَذَابِ اللهِ.

قُلتُ ـ الذَّهَبِيُّ ـ : أَبدَعَ وَأَوجَزَ؛ فَلا تَقوَى إِلَّا بِعَمَلٍ، وَلا عَمَل إِلَّا بتَرَوٍّ مِنَ العِلمِ وَالاتِّبَاعِ، وَلا يَنفَعُ ذَلِكَ إِلَّا بِالإِخلاصِ لله، لا لِيُقال : فُلانٌ تَارِكٌ

---

(١) «مجموع الفتاوى» (١٠ / ٦٥٣).

لِلمَعَاصِيَ بِنُورِ الفِقهِ؛ إذ المعَاصِي يَفتَقِرُ اجتِنَابُهَا إِلَىٰ مَعرِفَتِهَا، وَيَكُونُ التَّركُ خَوفاً مِنَ الله لا لِيُمدَحَ بِتَركِهَا؛ فَمَن دَاوَمَ عَلَى هَذِهِ الوَصِيَّةِ؛ فَقَد فَازَ »[1].

وَقال ابنُ الجَوزِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ : «وَعن عَلِيِّ ابنِ المدِينِيِّ قال : قال لِي أَحمَدُ بنُ حَنبَل : إِنِّي لأُحِبُّ أَن أَصحَبَكَ إِلَىٰ مَكَّةَ، وَمَا يَمنَعُنِي مِن ذَاكَ إِلَّا أَنِّي أَخَافُ أَن أَمَلَّكَ أَو تَمَلَّنِي، قال : فَلَمَّا وَدَّعتُهُ، قُلتُ : يَا أَبَا عَبدِ الله، تُوصِينِي بِشَيءٍ، قال : نَعم؛ أَلزِمِ التَّقوَى قَلبَكَ، وَأَلزِمِ الآخِرَةَ أَمَامَكَ »[2].

وَمِن رَوَائِعِ مَا ذَكَرَهُ ابنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ، عن الإمَامِ عُمَرَ بنِ عَبدِ العَزِيزِ رَحِمَهُ اللَّهُ قال: «عن أَبِي قُرَّةَ، قال : خَرَجَ عُمَرُ بنُ عَبدِ العَزِيزِ عَلَى بَعضِ جَنَائِزِ بَنِي مَروَانَ، فَلَمَّا صَلَّى عَلَيهَا وَفَرَغَ، قال لأَصحَابِهِ : تَوَقَّفُوا؛ فَوَقَفُوا؛ فَضَرَبَ بَطنَ فَرَسِهِ حَتَّى أَمعَنَ فِي القُبُورِ، وَتَوَارَى عن النَّاسِ؛ فَجَاءَ وَقَد احمَرَّت عَينَاهُ، وَانتَفَخَت أَودَاجُهُ، قَالُوا : يَا أَمِيرَ المؤمِنِينَ، أَبطَأتَ عَلَينَا.

قال : أَتَيتُ قُبُورَ الأَحِبَّةِ؛ قُبُورَ بَنِي آبَائِي؛ فَسَلَّمتُ عَلَيهِم، فَلَم يَرُدُّوا السَّلامَ، فَلَمَّا ذَهَبتُ أُقَفِّي؛ نَادَانِي التُّرَابُ؛ فَقَال : أَلا تَسأَلُنِي يَا عُمَرُ مَا لَقِيَتِ الأَحِبَّةُ ؟

قُلتُ : وَمَا لَقِيَتِ الأَحِبَّةُ ؟

قال : خُرِقَتِ الأَكفَانُ، وَأُكِلَتِ الأَبدَانُ، وَنُزِعَتِ المُقلَتَانِ؛ فَذَكَرَ نَحوَهُ وَزَادَ؛ فَلَمَّا ذَهَبتُ أُقَفِّي نَادَانِي : يَا عُمَرُ؛ عَلَيكَ بِأَكفَانٍ لا تَبلَى.

قُلتُ : وَمَا أَكفَانٌ لا تَبلَى ؟

قال : تَقوَى الله، وَالعَمَلُ الصَّالِحِ »[3].

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (٤ / ٦٠١) .

(٢) «صفة الصفوة» (٢ / ٣٤٠) .

(٣) «البداية والنهاية» (٩ / ٢٠٤) بتصرف، وأبو نعيم في «الحلية» (٥ / ٢٦٣) مع تغاير يسير.

وَإِذَا رُمتَ أَنْ تعرِفَ مَكَانَةَ التَّقوَى، وَأَهَمِّيَّتَهَا لِلرَّاقِي، دُونَكَ تَقوَى الأَحمَدَينِ؛ أَحمَدَ بنِ حَنبَلَ، وَأَحمَدَ ابنِ تَيمِيَّةَ رَحِمَهُمَا الله، كَيفَ تَكُونُ سَبَباً في سُرعَةِ العِلاجِ وَالعَافية.

فَذَا ابنُ حَنبَلَ رَحِمَهُ اللهُ، يَذكُرُ أَهلُ التَّارِيخِ وَالسِّيَرِ عَنْهُ، عن عَلِيِّ بنِ المُكرِيِّ المُعَبَّرَانِيِّ، قال : كُنتُ في مَسجِدِ أَحمَدَ بنِ حَنبَلَ؛ فَأَنفَذَ إِلَيهِ المتَوَكِّلُ بِصَاحِبٍ لَهُ، يُعلِمُهُ أَنَّ جَارِيَةً بِهَا صَرعٌ، وَسَأَله أَن يَدعُو الله تَعَالَىٰ لَهَا بِالعَافية؛ فَأَخرَجَ لَهُ أَحمَدُ نَعلَ خَشَبٍ، بِشِرَاكِ خُوصٍ، لِلوُضُوءِ؛ فَدَفَعَهُ إِلَىٰ صَاحِبٍ لَهُ، وَقال لَهُ : تَمضِي إِلَىٰ دَارِ أَمِيرِ المؤمِنِينَ، وَتَجلِسُ عِندَ رَأسِ الجَارِيَةِ، وَتَقُولُ لَهُ : قال لَكَ أَحمَدُ: أَيَّمَا أَحَبُّ إِلَيكَ؛ أَن تَخرُجَ مِن هَذِهِ الجَارِيَةِ، أَو تُضْرَبَ بِهَذَا النَّعلِ ؟

فَمَضَى إِلَيهِ، وَقال لَهُ مِثلَ قَولِهِ؛ فَقال المارِدُ عَلَى لِسَانِ الجَارِيَةِ : السَّمعَ وَالطَّاعَةَ، وَلَو أَمَرَنَا أَحمَدُ أَن لا نُقِيمَ بِالعِرَاقِ مَا أَقَمنا بِهِ، هُوَ أَطَاعَ الله، وَمَن أَطَاعَ الله؛ أَطَاعَهُ كُلُّ شَيءٍ، وَخَرَجَ مِنَ الجَارِيَةِ، وَزُوِّجَت.

فَلَمَّا مَاتَ أَحمَدُ عَاوَدَهَا المارِدُ؛ فَأَنفَذَ المتَوَكِّلُ إِلَىٰ المروَزِيِّ، وَعَرَّفَهُ الحَالَ؛ فَأَخَذَ المروَزِيُّ النَّعلَ وَمَضَى إِلَىٰ الجَارِيَةِ؛ فَتكَلَّمَ المارِدُ عَلَى لِسَانِهَا وَقال : لا أَخرُجُ مِن هَذِهِ وَلا أُطِيعُكَ، وَلا أَقبَلُ مِنكَ؛ أَحمَدُ بنُ حَنبَلَ أَطَاعَ الله؛ فَأُمِرنَا بِطَاعَتِهِ »[1].

وَذَا ابنُ تَيمِيَّةَ رَحِمَهُ اللهُ، يقول ابنُ الوَردِيِّ رَحِمَهُ اللهُ عَنْهُ : «وَكَم عُوفِيَ مِن «الصِّرَاعِ الجِنِّيِّ» إنسَانٌ بِمُجَرَّدِ تَهدِيدِهِ لِلجِنِّيِّ، وَجَرَت لَهُ في ذَلِكَ فُصُولٌ، وَلَم

---

(١) «المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد» (٢ / ٢٧٦) وذكرها أبو يعلى في «طبقات الحنابلة» (٢ / ١٤٧) والشِّبلي في «آكام الجان» (١٣٥) والسيوطي في «لقط المرجان» (١٠٨) وغيرهم .

يَفعَل أَكثَرَ مِن أَن يَتلُو آيَاتٍ، وَيقول : إن لَم تَنقَطِع عن هَذَا المصرُوعِ، وَإلَّا عَمِلنَا مَعَكَ حُكمَ الشَّرعِ، وَإلَّا عَمِلنَا مَعَكَ مَا يُرضِي اللهَ وَرَسُولَهُ »[1].

وَجَاءَ فِي مَرْثِيَّةِ ابنِ الوَردِيِّ رَحِمَهُ اللهُ، يَصِفُهُ مَع الجَانِّ كَيفَ هُوَ :

وَكَانَ الجِنُّ تَفرُقُ مِن سَطَاهُ ... بِوَعظٍ لِلقُلُوبِ هُوَ السِّياطُ[2]

فَهَذَانِ عَالِمَانِ، عَابِدَانِ، تَقِيَّانِ، كَانَ لَهُمَا فِي العِبَادَةِ وَالتَّقوَى قَصَبُ السَّبقِ؛ فَتَفَجَّرَت مِنهُمَا يَنَابِيعُ التَّقوَى، وَالعِبَادَةِ، وَالعِلمِ، وَالعَمَلِ؛ فَلا غَروَ أَن يَكُونَ حَالُهُمَا مِن أَرفَعِ المَنَازِلِ وَالدَّرَجَاتِ، وَيَكُونَ تَأثِيرُهُمَا وَدُعَاؤُهُمَا شِفَاءً مِن بَعضِ الأَدوَاءِ، وَالوَقَائِعُ وَالحِكَايَاتُ الصَّادِقَةُ فِي ذَلِكَ كَثِيرَةٌ، وَمَن رَامَهَا؛ فَهِيَ مَبسُوطَةٌ فِي كُتُبِ التَّرَاجُمِ وَالسِّيَرِ؛ فَلِلَّهِ دَرُّهُمَا، رَحِمَهُمَا اللهُ رَحمَةً وَاسِعَةً، وَأَلحَقَنَا بِهِمَا، إِنَّهُ سُبحَانَهُ خَيرُ مَسؤُولٍ.

وَاعلَم أَيُّهَا الرَّاقِي المُوَفَّقُ: «مَتَى مَا صَحَّتِ التَّقوَى رَأَيتَ كُلَّ خَيرٍ، وَالمُتَّقِي لا يُرَائِي الخَلْقَ، وَلا يَتَعَرَّضُ لِمَا يُؤذِي دِينَهُ، وَمَنْ حَفِظَ حُدُودَ اللهِ؛ حَفِظَهُ اللهُ.

وَاعلَم أَنَّ يُونُسَ؛ لَمَّا كَانَت ذَخِيرَتُهُ خَيراً؛ نَجَا بِهَا مِنَ الشِّدَّةِ، قال اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ (الصافات: ١٤٣-١٤٤)، وَأَمَّا فِرعَونُ لَمَّا لَم تَكُن ذَخِيرَتُهُ خَيرَاً؛ لَم يَجِد فِي شِدَّتِهِ مَخلَصاً؛ فَقِيلَ لَهُ : ﴿ ءَآلْـَٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ ﴾ (يونس: ٩١)، فَاجعَل لَكَ ذَخَائِرَ خَيرٍ مِن تَقوَى تَجِدُ تَأثِيرَهَا »[3].

---

(١) «تَتِمَّةُ المختصر في أخبار البشر» عن «الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ» لمحمد شمس وعلي العمران (٣٣٦) وهذا كتاب نفيس جداً في ترجمة هذا الحَبْر العالم الرَّباني؛ فقدَّس ربي روحه، وأسكنه أعلى عِلِّيِّين مع النَّبيِّين، والصِّدِّيقين، والشهداء، والصالحين. آمين.

(٢) المصدر السابق (٧٠٠).

(٣) «لفتة الولد» (٢٨).

وَخَيرُ مَا يَتَزَوَّدُ بِهِ المرءُ؛ تَقوَى الله، قال تَعالَىٰ: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُونِ يَـٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾ (البقرة: ١٩٧).

وَمِن أَلْطَفِ المعَانِيَ في هَذِهِ الآيَةِ، مَا ذَكَرَهُ العَلامَةُ الفَيرُوزُ آبَادِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ، يقُولُ: «يُفهَمُ مِنهَا أَنَّهُ لَو كَانَت في العَالَمِ خَصْلةٌ هِيَ أَصلَحَ لِلعَبدِ، وَأَجمَعَ لِلخَيرِ، وَأَعظَمَ لِلأجرِ، وَأَجَلَّ في العُبُودِيَّةِ، وَأَعظَمَ في القَدرِ، وَأَولَى في الحَالِ، وَأَنجَحَ في المآلِ، مِن هَذِهِ الخَصلَةِ؛ لَكَانَ الله سُبحَانَهُ أَمَرَ بِهَا عِبادَهُ، وَأَوصَى خَوَاصَّهُ بِذَلِكَ؛ لِكَمَالِ حِكمَتِهِ وَرَحمَتِهِ.

فَلَمَّا أَوصَى بِهَذِهِ الخَصلَةِ جَمِيعَ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ مِن عِبَادِهِ، وَاقتَصَرَ عَلَيهَا، عَلِمنَا أَنَّهَا الغَايَةُ التَي لا مُتَجَاوَزَ عَنهَا وَلا مُقتَصَرَ دُونَهَا، وَأَنَّهُ عَزَّوَجَلَّ قَد جَمَعَ كُلَّ مَحضِ نُصحٍ، وَدَلالَةٍ، وَإِرشَادٍ، وَسُنَّةٍ، وَتَأدِيبٍ، وَتَعلِيمٍ، وَتَهذِيبٍ في هَذِهِ الوَصِيَّةِ الوَاحِدَةِ.

وَقَولُهُ: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ (المائدة: ٢٧)، يُشعِرُ بِأَنَّ الأَمرَ كُلَّهُ رَاجِعٌ إِلَىٰ التَّقوَى»[1].

قُلتُ مَا قُلتُ؛ لِتَعلَمَ أَنَّ تَقوَى الرَّاقِي مُهِمَّةٌ جِدًّا، لا سِيَّمَا في قَبُولِ دَعوَتِهِ وَإِجَابَتِهِ، بَل أَعظَمَ مِن ذَلِكَ في حُصُولِ البَرَكَةِ، وَنُزُولِ الشِّفَاءِ عَلَى المُبتَلَى، وَمِنْ هُنَا فَطِنَ أَهلُ العِلْمِ لِهَذِهِ النُّكتَةِ العَزِيزَةِ؛ فَالرُّقيَةُ لا يَصلُحُ لَهَا مَن خَلاَ قَلبُهُ مِن تَقوَى الله، وَلَو زَعَمَ مَا زَعَمَ؛ فَنُورُ القُرآنِ لا يُوهَبُ لَهُ ! وَلا يُمنَحُ هُدَاهُ، وَرَحمَتَهُ إِلَّا لِلعَارِفِينَ بِهِ؛ أَهْلِ اللهِ وَخَاصَّتِهِ.

---

(١) «بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز» (٢/ ١١٦)

وَلَكَم قلَّبنَا النَّظَرَ في أَحوَالِ بَعضِ الرُّقَاةِ؛ فَنَجِدُ مَا يُعَكِّرُ صَفوَ المؤمِنِ، مِن بُعدٍ عن الدِّينِ، وَانسِلاخٍ مِن شَفَافيَّةِ المؤمِنِ وَنِيَّتِهِ الصَّالِحَةِ، وَلَيس هَمُّهُ سِوَى المالِ، وَالتَّفَنُّنِ في الحُصُولِ عَليهِ، وَكُلُّ هَذَا عَلَى حِسَابِ المسلِمِينَ وَالمسلِماتِ.

وَاعلَم ـ نَفَعَ الله بِكَ ـ أَنَّهُ بِقَدَرِ قُربِكَ مِنَ الله، وَعَظِيمِ تَقوَاكَ لَهُ؛ تَرَى مِن نُزُولِ الخَيرَاتِ، وَمِنَحِ النَّفَحَاتِ، مَا يَطِيبُ لِلمُسلِمِينَ وَالمسلِماتِ، وَكَذَا كَانَ الرَّعِيلُ الأَوَّلُ عَليهِم أَسبَغُ الرَّحَمَاتِ.

يقول الإِمَامُ الخَطَّابِيُّ رَحِمَهُ اللهُ عن الرُّقيَةِ: «مَا أَمَرَ بِهِ ﷺ وَأَبَاحَ استِعمَاله مِنهَا؛ هُوَ مَا يَكُونُ بِقَوارِعِ القُرآنِ، وَبِالعُوَذِ الَّتِي يَقَعُ مِنهَا ذِكرُ الله عَزَّ وَجَلَّ، وَأَسماؤُهُ عَلَى أَلسُنِ الأَبرَارِ مِنَ الخَلقِ، وَالأَخيَارِ الطَّاهِرَةِ نُفُوسُهُم؛ فَيَكُونُ ذَلِكَ سَبَباً لِلشِّفَاءِ بِإِذنِ الله، وَهُوَ الطِّبُّ الرُّوحَانِيُّ، وَعَلَى هَذَا كَانَ مُعظَمُ الأَمرِ في الزَّمَانِ المتقَدِّمِ الصَّالِحِ أَهلُهُ، وَبِهِ كَانَ يَقَعُ الاستِشفَاءُ، واستِدفَاعُ أَنوَاعِ البَلاءِ؛ فَلَمَّا عَزَّ وُجُودُ هَذَا الصِّنفِ مِن أَبرَارِ الخَلِيقَةِ، وَأَخيَارِ البَرِيَّةِ؛ فَزِعَ النَّاسُ إِلَىٰ الطِّبِّ الجسمَانِيِّ؛ حِينَ لَم يَجِدُوا لِلطِّبِّ الرُّوحَانِيِّ نُجُوعاً في العِلَلِ وَالأَسقَامِ، بِعَدَمِ المعَانِي الَّتِي كَانَ يَجمَعُهَا الرُّقَاةُ، والمُعَوِّذُونَ، وَالمُستَشفُونَ بِالدَّعَوَاتِ الصَّالِحَةِ، وَالبَرَكَاتِ الموجُودَةِ فِيهَا»[1].

وَيقول ابنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللهُ، نَقلاً عن ابنِ التِّينِ رَحِمَهُ اللهُ: «إِذَا كَانَ عَلَى لِسَانِ الأَبرَارِ مِنَ الخَلقِ حَصَلَ الشِّفَاءُ بِإِذنِ الله تَعَالَىٰ»[2].

---

(١) «أعلام الحديث شرح صحيح البخاري» للخطابي: (٢/ ١١٢٠).

(٢) «الفتح» (١٠/ ١٩٦).

وَقال شَيخُنَا عُمَرُ الأَشقَر نَفعَ اللهُ بِهِ : «فَيَنبَغِي أَنْ يَكُونَ قَوِيَّ الإِيمَانِ بِاللهِ، مُعتَمِدَاً عَليهِ، وَاثِقَاً بِتَأثِيرِ الذِّكرِ، وَقِرَاءَةِ القُرآنِ، وَكُلَّمَا قَوِيَ إِيمَانُهُ، وَتَوَكُّلُهُ قَوِيَ تَأثِيرُهُ»[1].

لِذَا؛ «فَلا بُدَّ مِنَ الاستِعَانَةِ فِي عِلاجِ الأَمرَاضِ بِالرُّقَى الشَّرعِيَّةِ بِأَعلَمِ النَّاسِ بِهَا وَأَحذَقِهِم، وَأَتقَاهم، وَأَورَعِهِم، وَأَكثَرِهِم خَشيَةً مِنَ اللهِ تَعَالىٰ»[2].

رَابِعَاً : حُسنُ الخُلُقِ :

مِمَّا يَجدُرُ بِالرَّاقِي أَنْ يتَّصِفَ بِهِ أَنْ يَكُونَ عَلَى خُلُقٍ حَسَنٍ، يَتَأَسَّى بِقُدوَتِهِ وَنَبِيِّهِ ﷺ؛ فَقَد امتَدَحَ اللهُ خُلُقَهُ؛ فَقَال : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم : ٤).

وَقالتِ الصِّدِّيقَةُ بِنتُ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللهُ عَنْها : «كَانَ خُلُقُهُ القُرآنَ»[3].

فَإِذَا حَرِصَ المرءُ عَلَى الاقتِدَاءِ وَالتَّأَسِّي بِالمُصْطَفَى ﷺ فِي كُلِّ أَمرِهِ؛ «رُزِقَ مَحَبَّةَ الرَّسُولِ ﷺ، وَاستَولَت رُوحَانِيَّتُهُ عَلَى قَلْبِهِ؛ فَجَعَله إِمَامَهُ، وَمُعَلِّمَهُ، وَأُستَاذَهُ، وَشَيْخَهُ وَقُدْوَتَهُ؛ كَمَا جَعَلَهُ اللهُ نَبِيَّهُ وَرَسُولَهُ، وَهَادِياً إِلَيهِ؛ فَيُطَالِعُ سِيرَتَهُ، وَمَبَادِئَ أَمرِهِ وَكَيفِيَّةَ نُزُولِ الوَحيِ عَليهِ، وَيَعرِفُ صِفَاتِهُ، وَأَخلاقَهُ، وَآدَابَهُ فِي حَرَكَاتِهِ، وَسُكُونِهِ، وَيَقظَتِهِ، وَمَنَامِهِ، وَعِبَادَتِهِ، وَمُعَاشَرَتِهِ لأَهلِهِ، وَأَصحَابِهِ؛ حَتَّى يَصِيرَ كَأَنَّهُ مَعَهُ مِن بَعضِ أَصحَابِهِ»[4].

---

(١) «عالم الجن والشياطين» (١٨٤) .

(٢) «ضوابط التداوي بالرقى والتمائم في الفقه الإسلامي» بحث ضمن كتاب «دراسات فقهية في قضايا طبية معاصرة» (٢ / ٥١٥) للأستاذ الدكتور محمد عثمان شبير .

(٣) انظر : «تفسير الطبري» (٢٩ / ١٨) .

(٤) «مدارج السالكين» (٣/ ٢٦٨) .

فَالأَجدَرُ بِالرَّاقِي المُوَفَّقُ؛ أَنْ يَمتَثِلَ تَعَالِيمَ الإسلامِ في حَيَاتِهِ وَسُلُوكِهِ؛ فَأَكرِم بِصَاحِبِ الخُلُقِ الحَسَنِ؛ الَّذِي يَكُونُ أَقرَبَ النَّاسِ مَجلِسَاً مِنَ المُصْطَفَى ﷺ يَومَ القِيَامَةِ.

وَالأَخلاقُ الحَسَنَةُ كَثِيرَةٌ؛ فَيَنبَغِي أَن يَتَحَلَّى بِهَا الرَّاقِي، وَكُلُّ مُسلِمٍ، وَمِن جُملَةِ الأَخلاقِ؛ الصِّدقُ، وَالتَّوَاضُعُ، وَالحِلمُ، وَالأَمَانَةُ، وَالصَّبرُ، وَالعَفوُ، وَلِينُ الجَانِبِ، وَالرِّفقُ، وَالنُّصحُ لِكُلِّ مُسلِمٍ، وَحِفظُ المَوَاعِيدِ، وَاحتِرَامُهَا، وَالصِّدقُ فِيها، وَحِفْظُ السِّرِ، لا سِيَّمَا مَعَ أَهلِ البَلاءِ، مِمَّن وَثِقُوا فيك أَيها الفَاضِلُ؛ فَإِيَّاكَ أَن تُفشِيَ لَهُم سِرّاً؛ فَيَقَعُ مِنكَ مَا لا يُحمَدُ، وَمَا لا يَنبَغِي؛ فَالمُسْتَشَارُ مُؤتَمَنٌ.

وَرَحِمَ اللهُ ابنَ قَيِّمِ الجَوزِيَّةِ حِينَ قال: «وَالطَّبِيبُ يَطَّلَعُ مِنْ أَسرَارِ النَّاسِ وَعَورَاتِهِم عَلَى مَا لا يَطَّلِعُ عليهِ غَيرُهُ؛ فَعَلَيهِ استِعمَالُ السَّتْرِ فيمَا لا يَحْسُنُ إظهَارُهُ»[١].

وَمِنْ أَعظَمِ الأَخلاقِ؛ التَّفَقُّدُ بِالدُّعَاءِ لِلمَرِيضِ في ظَهْرِ الغَيبِ؛ فَذَا وَرَبِّي لَهُ تَأثِيرٌ عَجِيبٌ، وَإِنِّي لأَعجَبُ مِنْ رَاقٍ يَغفُلُ عَنِ الدُّعَاءِ لِمَن يَقُومُ عَلَى رُقيَتِهِ!

فَلِلَّهِ كَمْ مِنْ بَلاءٍ رُدَّ بِالدُّعَاءِ؟

وَكَم مِن مُصِيبَةٍ وَمِحنَةٍ، رُفِعَت بِالدُّعَاء؟

وَكَم مِن هَمٍّ وَغَمٍّ، فَرَّجَهُ الله بِالدُّعَاءِ؟

وَكَم مِن نِعمَةٍ، وَعَافِيَةٍ، استُجلِبَت بِالدُّعَاءِ؟

فَلِلَّهِ مَا أَعظَمَ شَأنَهُ![٢]

فَاللَّهَ اللهَ، مَعَاشِرَ الرُّقَاةِ في الدُّعَاءِ، وَإِنِّي نَاصِحُكَ بِمُطَالَعَةِ كِتَابِ «الشَّمَائِلِ المُحَمَّدِيَّةِ» لِلإِمَامِ التِّرمِذِيِّ رَحِمَهُ اللهُ، وَ «الأَدَبِ المُفرَدِ» لِلإِمَامِ البُخَارِيِّ رَحِمَهُ اللهُ،

---

(١) «إعلام الموقعين» (٦/ ١٩٧) وانظر: «أدب الطبيب» لأبي إسحاق الرّهاوي، و «أخلاق الطبيب» للرازي.

(٢) انظر كتابنا في الدُّعاء وفضله وآدابه وأوقاته، والموسوم بـ «فإنيّ قريب».

وَالنَّظَرِ في كُتُبِ الأَخلاقِ، وَالتَّرَاجِمِ، وَالسِّيَرِ؛ لِتَعرِفَ كَيفَ كَانَتْ أَخلاقُ القَومِ؛ فَتَحْذُو حَذْوَهُم، وَتَمتَثِلَ طَرِيقَتَهُم؛ فَهُمُ العُلَمَاءُ العَامِلُونَ، وَالمُرَبُّونَ النَّاصِحُونَ؛ فَدُونَكَهُمُ تُفلِح.

خَامِساً : المُمَارَسَةُ وَالدُّرْبَةُ عَلَى يَدِ شَيخٍ مُتقِنٍ :

وَهَذَا شَرْطٌ مُهِمٌّ جِدّاً؛ فَالَّذِي يُرِيدُ أَن يَتَصَدَّى لِرُقيَةِ النَّاسِ وَعِلاجِهِم؛ يَحسُنُ بِهِ أَن يُتقِنَ هَذَا العِلمَ عَلَى يَدِ شَيخٍ يُعَلِّمُهُ إِيَّاهَا.

أَرَأَيتَ كَيفَ يَتَمَرَّسُ طَالِبُ الطِّبِّ طِبَّهُ عَلَى يَدِ طَبِيبِهِ وَمُعَلِّمِهِ؛ فَيُزَوِّدُهُ بِكُلِّ شَارِدَةٍ وَوَارِدَةٍ، وَيُحَذِّرُهُ مِنَ الأَخطَاءِ الَّتِي رُبَّمَا تَعرِضُ لَهُ، وَإِذَا وَقَعَتْ عَلَّمَهُ كَيفَ يَتَفَادَاها.

وَكَذَا الحَالُ في عِلْمِ الرُّقيَةِ، يَنبَغِي أَنْ يَتَتَلمَذَ عَلَى يَدِ شَيخٍ، وَأُستَاذٍ يَثِقُ في عِلْمِهِ، وَخُلُقِهِ، وَوَرَعِهِ، وَرَبَّانِيَّتِهِ، وَلِلأَسَفِ، قَلَّ أَنْ تَجِدَ اليَومَ رَاقِياً يَمنَحُ عِلمَهُ لِغَيرِهِ إِلَّا مَا نَدَرَ![1]؛ فَعَلَى مُرِيدِ عِلْمِ الرُّقيَةِ؛ قَدرَ مَا استَطَاعَ أَن يُحَصِّلَ الخِبرَةَ وَالمهَارَةَ، وَإِن قَدِرَ عَلَى المُسَاعَدَةِ عِندَ بَعضِ الرُّقَاةِ؛ فَحَسَنٌ حَتَّى يُحَصِّلَ المَلَكَةَ الَّتِي تُؤَهِّلُهُ لِلعلاجِ.

---

(١) ومما حفظنا عن شيوخنا : «من بركة العلم أن يُنسبُ إلى أهله»؛ فجزى الله شيخَنا العلَّامة أبا حمد على ما منحنا به في علم الرقية؛ فوالله ما رأيتُ أرحب صدراً، ولا أطيب نفساً منه، بل كم كان حِلْمه علينا في وقت الطلب، وحرصه كلَّ الحرص على تعليمنا، ولولا الله، ثُمَّ شيخنا ما كُنَّا بشيء، ولا جاء مِنَّا شيء في هذا الباب؛ فاللهم أسبغ عليه النِّعَمَ والآلاء والعافية، وثقِّل ميزانه يوم العرض عليك، ولله درُّ القائل حين قال :

إذَا أَفَــادَكَ إنســانٌ بِفــائِدةٍ ... مِــنَ العُلُــوم فَــأدمِنْ شُــكرَهُ أَبَـدا
وَقُــل فُــلانٌ جَــزَاهُ الله صَــالِحَةً ... أَفَادَنِيهـا وَألْــقِ الكِـبرَ والحَـسَدا

ورحم الله الشافعي حين قال : «الحُرُّ من راعى وِدَاد لحظة، أو انتمى لمن أفاده لفظة» «رسالة المسترشدين» (٢٠٤) حاشية . وانظر : «النظائر» للشيخ بكر أبو زيد رَحِمَهُ اللهُ (٢٨٤)

يَقُولُ ابنُ قَيِّمِ الجَوزِيَّةِ رَحِمَهُ اللهُ، مُبَيِّناً صِفَةَ مَن يُلازَمُ، وَيُحرَصُ عليهِ لِنَيلِ العِلْمِ وَالفَضْلِ مِنهُ : «فَإِذَا أَرَادَ العَبدُ أَنْ يَقتَدِيَ بِرَجُلٍ؛ فَليَنظُرْ هُوَ مِن أَهلِ الذِّكرِ، أَو مِنَ الغَافِلِينَ، وَهَلِ الحَاكِمُ عَليهِ الهَوَى، أَو الوَحيُ ؟

فَإِنْ كَانَ الحَاكِمُ عَليهِ هُوَ الهَوَى، وَهُوَ مِن أَهلِ الغَفلَةِ؛ كَانَ أَمرُهُ فُرُطاً؛ فَيَنبَغِي لِلرَّجُلِ أَن يَنظُرَ في شَيخِهِ، وَقُدوَتِهِ، وَمَتبُوعِهِ؛ فَإِنْ وَجَدَهُ كَذَلِكَ؛ فَليَبعُدَ مِنهُ، وَإِن وَجَدَهُ مِمَّن غَلَبَ عَليهِ ذِكرُ الله تَعَالَىٰ عَزَّ وَجَلَّ وَاتِّبَاعُ السُّنَّةِ، وَأَمرُهُ غَيرُ مَفرُوطٍ عَليهِ، بَل هُوَ حَازِمٌ في أَمرِهِ؛ فَلْيَسْتَمسِك بِغَرزِهِ، وَلا فَرقَ بَينَ الحَيِّ وَالمَيِّتِ إِلَّا بِالذِّكرِ، فَمَثَلُ الَّذِي يَذكُرُ رَبَّهُ، وَالَّذِي لا يَذكُرُ رَبَّهُ؛ كَمَثَلِ الحَيِّ وَالمَيِّتِ»[1].

فَلَيسَ كُلُّ مَنْ حَفِظَ بَعضَ الآيَاتِ، أَصبَحَ رَاقِياً، مَاهِراً، حَاذِقاً، أَو قَرَأَ بَعضَ كُتُبِ الرُّقيَةِ فَحَسْبُ؛ فَعِلمُ الرُّقيَةِ؛ عِلمٌ لَهُ تَأصِيلٌ، وَقَوَاعِدُ، وَضَوَابِطُ؛ كَأَيِّ عِلمٍ وَفَنٍّ مِنَ العُلُومِ الآخرَى[2].

فَإِذَا عَلَّمَهُ شَيخُهُ، وَبَذَلَ لَهُ مِن عِلمِهِ؛ أَحسَنَ التَّصَرُّفَ في المُلِمَّاتِ، وَعَرَفَ كَيفَ يُخرِجُ المُبتَلَى مِنَ الضَّائِقَاتِ؛ فَيُمَيِّزُ بَينَ المُنكَرِ وَالمعرُوفِ، لا سِيَّما إِذَا أَلَمَّ بِأَحوَالِ الشَّيَاطِينِ، وَمَكرِهِم؛ فَذَا المُوَفَّقُ، وَالرَّاقِي المُحَنَّكُ؛ فَلا يُغلَبُ إِن شَاءَ اللهُ تعالى.

---

(١) «الوابل الصيب» (٦٠) مختصراً.

(٢) يقول القِنَّوجي في «أبجد العلوم» (٢/ ٣٦٠) عن علم الرقية الشرعية مُعرِّفاً، هو : «عِلمٌ باحثٌ عن الطِّبِّ الذي ورد في الأحاديث النَّبوية الذي دَاوَى به المرضى» انظر : بحث أ.د محمد عثمان شبير في «ضوابط التداوي بالرقى والتمائم في الفقه الإسلامي» (٢/ ٥١٤).

وَحِكمَةُ ذَلِكَ؛ أَنَّ المُعَالِجَ إذَا تَطَبَّبَ وَلَيسَ بِذِي طِبٍّ؛ فَأَتلَفَ بِجَهلِهِ، وَمَا لَيسَ لَهُ بِهِ مَعرِفَةٌ؛ ضَمِنَ مَا أَتلَفَهُ، وَهَذَا مَحَلُّ إجمَاعٍ عِندَ العُلَمَاءِ[1]؛ فَليَتَّقِ اللهَ المُتَطَبِّبُ؛ فَلَيسَ بَعدَ الأَنفُسِ عِوَضٌ.

وَقَدِيماً قَالُوا : «الجَاهِلُ يَطلُبُ المَالَ، وَالعَالِمُ يَطلُبُ الكَمَالَ»[2]؛ لِذَا يَنبَغِي لِلرَّاقِي النَّبِيهِ المُوَفَّقِ؛ أَن يُرَاعِيَ هَذِهِ النُّكتَةَ في التَّلَقِّي وَالتَّعَلُّمِ.

يَقُولُ الحَسَنُ البَصرِيُّ رَحِمَهُ اللهُ، في قَولِهِ تَعَالَىٰ : ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ (البقرة: ٣) «إنَّ مِن أَعظَمِ النَّفَقَةِ، نَفَقَةُ العِلمِ »[3]

فَمَن نَشَرَ عِلماً نَافِعاً؛ صُبَّ في مِيزَانِ حَسَنَاتِهِ، وَبَقِيَ لَهُ اللِّسَانُ الصَّادِقُ بَعدَ مَمَاتِهِ وَالدَّالُ عَلَى الخَيرِ؛ كَفَاعِلِهِ.

وَبِالتَّعَلُّمِ عَلَى يَدِ شَيخٍ مُتقِنٍ؛ يَأمَنُ مِنْ غَوَائِلِ كَثِيرٍ مِنَ الأُمُورِ؛ كَمَن يَزعُمُ المَرَضَ، وَيُحسِنُ التَّمثِيلَ؛ لِيُسَوِّغَ خَطَأَهُ ! أَو يُرِيدُ حُصُولَ مَطلُوبٍ قَد حِيلَ بَينَهُ وبين المطلوبِ؛ فَذَا إنْ لَمْ يَكُن الرَّاقِي مُحَنَّكاً، وَصَاحِبَ فِرَاسَةٍ، وَمَعرِفَةٍ؛ يُخدَعُ، وَيُمَوَّهُ عَليهِ !

وَقَد يَكُونُ ـ العَرَضُ ـ مِمَّا هُوَ يَجرِي عَلَى طَبَائِعِ النَّفسِ وَالتَّأثِيرِ بِهَا، وَلَيسَت هِيَ مِن قَبِيلِ المَرَضِ، وَمِصدَاقُ ذَلِكَ؛ مَا ذَكَرَهُ ابنُ قُتَيبَةَ رَحِمَهُ اللهُ : «وَقَد يَنظُرُ الإنسَانُ إلَىٰ العَينِ المُحمَرَّةِ؛ فَتَدمَعُ عَينَهُ، وَرُبَّمَا احمَرَّت، وَلَيسَ ذَلِكَ إلَّا لِشَيءٍ وَصَلَ في الهَوَاءِ إلَيهَا مِنَ العَينِ العَلِيلَةِ، وَقَد يَتَثَاءَبُ الرَّجُلُ؛ فَيَتَثَاءَبُ غَيرُهُ، وَالعَرَبُ تَقُولُ: أَسرَعُ مِن عَدوَى الثُّؤَبَاءِ.

---

(١) انظر قول الخطَّابي في «زاد المعاد» (٤/ ١٣٩) حال المعالج إذا أخطأ وتعدَّى؛ فتلِف المريض.

(٢) «أقوال في الطب والحكمة من التراث الإسلامي» د. عبد الجبار دية، مجلة آفاق، الأردن، السنة الثالثة العدد (٨) ص (١١٨).

(٣) «مجموع الفتاوى» لابن تيمية (٤/ ٤٢).

وَمَا أَكثَرَ مَا يَختَدِعُ الرَّاقُونَ بِالتَّثَاؤُبِ؛ فَإِنَّهُم إِذَا رَقُوا عَلِيلاً، تَثَاءَبُوا؛ فَتَثَاءَبَ العَلِيلُ بِتَثَاؤُبِهِم، وَأَكثَرُوا وَأَكثَرَ؛ فَيُوهِمُونَ العَلِيلَ أَنَّ ذَلِكَ فِعلُ الرُّقيَةِ، وَأَنَّهُ تَحلِيلُ مِنهَا لِلعِلَّةِ »[1].

فَالرَّاقِي النَّبِيهُ يَجِبُ أَن يَكُونَ فَطِناً، وَعَلَى دِرَايَةٍ بِمَا يَعرِضُ لِلنَّاسِ؛ فَإِن خَفِيَ عَلَيهِ أَمرٌ؛ فَليَسأَل شَيخَهُ، وَمُعَلِّمَهُ؛ فَقَد يَغِيبُ عَنْهُ مَا لا يَغِيبُ عن شَيخِهِ، وَلا يَستَنكِفُ مِن ذَلِكَ، أَو يَستَحِي؛ فَذَا لا يُوَفَّقُ لِلعِلمِ وَلا يَنَالُهُ، وَقَد قال مُجَاهِدٌ رَحِمَهُ اللَّهُ : «لا يَتَعَلَّمُ العِلْمَ مُستَحيِ، وَلا مُستَكبِرٌ»[2].

وَقال ابنُ قَيِّمِ الجَوزِيَّةِ رَحِمَهُ اللَّهُ في أَهَمِّيَةِ المُشَاوَرَةِ، وَمُرَاجَعَةِ أَهلِ العِلمِ : «إِن كَانَ عِندَهُ مَن يَثِقُ بِعِلمِهِ، وَدِينِهِ؛ فَيَنبَغِي لَهُ أَن يُشَاوِرَهُ، وَلا يَستَقِلَّ بِالجَوَابِ، ذَهَاباً بِنَفسِهِ وَارتِفَاعاً بِهَا، أَن يَستَعِينَ عَلَى الفَتَاوَى بِغَيرِهِ مِن أَهلِ العِلمِ، وَهَذَا مِنَ الجَهلِ؛ فَقَد أَثنَى اللهُ سُبحَانَهُ عَلَى المُؤمِنِينَ؛ بِأَنَّ أَمرَهُم شُورَى بَينَهُم»[3]

يقول الإِمَامُ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ : «وَالنَّاسُ في العِلْمِ طَبَقَاتٌ، مَوقِعُهُم مِنَ العِلْمِ بِقَدَرِ دَرَجَاتِهِم في العِلمِ بِهِ؛ فَحَقٌّ عَلَى طَلَبَةِ العِلمِ بُلُوغُ غَايَةِ جُهدِهِم في الاستِكثَارِ مِن عِلمِهِ، وَالصَّبرُ عَلَى كُلِّ عَارِضٍ دُونَ طَلَبِهِ، وَإِخلاصُ النِّيَّةِ للهِ في استِدرَاكِ عِلمِهِ نَصاً، وَاستِنبَاطاً، وَالرَّغبَةُ إِلَىٰ اللهِ في العَونِ عَليهِ؛ فَإِنَّهُ لا يُدرَكُ خَيرٌ إِلَّا بِعَونِهِ»[4]

وَلَقَد أَحسَنَ مَن قال حِينَ قال :

إِذَا لَم يَكُن عَونٌ مِنَ اللهِ لِلفَتَى   فَأَوَّلُ مَا يَجنِي عَليهِ اجتِهَادُهُ[5]

---

(١) «تأويل مختلف الحديث» (٣٤١).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب العلم، باب الحياء في العلم (١ / ٦٠) ووصله ابن حجر في «تغليق التعليق» (٢ / ٩٣).

(٣) «إعلام الموقعين» (٦/ ١٩٦)

(٤) «أحكام القرآن» (١ / ٢١)

(٥) «معالم في طريق طلب العلم» (٥٦).

«وَلَـمَّا كَانَ النَّاسُ مُتَفَاوِتِينَ فِي استِعدَادَاتِهِم، وَأَفهَامِهِم، وَمَدَارِكِهِم، واستِيعَابِهِم؛ فَلا بُدَّ أَن يَتَفَاوَتُوا فِي تَحصِيلِهِم العِلمِيِّ لِهَذَا العِلمِ وَإِتقَانِهِم لَهُ، وَإِذَا كَانَ الأَمرُ كَذَلِكَ؛ فَلا بُدَّ مِنَ الاستِعَانَةِ فِي عِلاجِ الأَمرَاضِ بِالرُّقَى الشَّرعِيَّةِ بِأَعلَمِ النَّاسِ بِهَا، وَأَحذَقِهِم، وَأَتقَاهم، وَأَورَعِهِم، وَأَكثَرِهِم خَشيَةً مِنَ الله تَعَالَىٰ، وَهَؤُلاءِ يُفرِزُهُم المُجتَمَعُ، وَيَعرِفُهُم النَّاسُ بِسُلُوكِهِم، وَعِلمِهِم، وَلا يَحتَاجُونَ إِلَىٰ الإِعلانِ عن أَنفُسِهِم سَوَاءٌ بِالنَّشرِ فِي الصُّحُفِ، أَو بِفَتحِ مَحلاَّتٍ خَاصَّةٍ بِهِم؛ لِلقِيَامِ بِالقِرَاءَةِ عَلَى المرضَى» [1].

وَلأَهَمِّيَّةِ هَذِهِ السِّمَةِ الفَائِقَةِ، لا سِيَّمَا فِي هَذَا العَصرِ الَّذِي ظَهَرَ لَنَا فِيْهِ أَشيَاخٌ نَعرِفُ مِنهُم وَنُنكِرُ، كَانَ لِزَاماً عَلَى طَالِبِ الحَقِّ وَالرَّبَّانِيَّةِ؛ أَن يَأخُذَ عِلمَهُ مِن شَيخٍ يَثِقُ بِهِ فِي دِينِهِ، وَخُلُقِهِ، وَعِلمِهِ، وَلَحَرِيٌّ بِهِ وَالله أَنْ يُطِيلَ النَّظَرَ، وَالتَّأَمُّلَ فِي اختِيَارِ هَذَا الشَّيخِ، وَالأُستَاذِ الَّذِي سَيَتَلَقَّى عَنْهُ العِلْمَ؛ فَالعِبرَةُ لَيسَت بِتَكَثُّرِ الشُّيُوخِ، وَمُجَرَّدِ الأَخذِ عَنهُم فَقَط، لا وَأَلفُ لا، إِنَّمَا العِبرَةُ فِي الأَخذِ مِن عُلَمَاءَ يُنِيرُونَ لَكَ الفِكرَ، وَيَمنَحُونَكَ العِلْمَ الرَّبَّانِيَّ؛ الَّذِي بِهِ تَرقَى فِي مَعَارِجِ العُبُودِيَّةِ، وَتُحَلِّقُ فِي أَسمَى مَرَاتِبِ الإِيمَانِ.

فَالحَاجَةُ إِلَىٰ الشَّيخِ الرَّبانِيِّ المُتقِنِ تَكمُنُ فِي أَنَّهُ «يَجلُو أَفكَارَ النَّاشِئِينَ، وَالشَّبَابِ، وَيُوقِظُ مَشَاعِرَهُم، وَيُحيِي عُقُولَهُم، وَيُرَقِّي إِدرَاكَهُم؛ إِنَّهُ يُسَلِّحُهُم بِالحَقِّ أَمَامَ البَاطِلِ، وَبِالفَضِيلَةِ أَمَامَ الرَّذِيلَةِ، وَبِالعِلمِ؛ لِيَفتِكُوا بِالجَهلِ، إِنَّهُ يَملأُ النُّفُوسَ الخَامِدَةَ حَيَاةً، وَالعُقُولَ النَّائِمَةَ يَقَظَةً، وَالمَشَاعِرَ الضَّعِيفَةَ قُوَّةً، إِنَّهُ يُشعِلُ المِصبَاحَ المُنطَفِئَ، وَيُضِيءُ الطَّرِيقَ المُظلِمَ، وَيُنبِتُ الأَرضَ الموَاتَ، وَيُثمِرُ الشَّجَرَ العَقِيمَ» [2].

---

(١) «ضوابط التداوي بالرقى والتمائم في الفقه الإسلامي» بحث ضمن كتاب دراسات فقهية في قضايا طبية معاصرة (٢ / ٥١٥)، أ.د. محمد عثمان شبير.

(٢) «روح التربية والتعليم» للأبراشي (١٦٥) عن «أدب المتعلم في الفكر التربوي الإسلامي» لأحمد فلاته (٩٧)

وَيقول الزَّرنُوجِيُّ رَحِمَهُ اللهُ : «اختَارَ أَبُو حَنِيفَةَ رَحِمَهُ اللهُ، حَمَّادَ بنَ سُلَيمَانَ رَحِمَهُ اللهُ، بَعدَ التَّأَمُّلِ وَالتَّفَكُّرِ».

وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَهَمِّيَّةِ مَا يَجِبُ أَن يَعتَنِيَ بِهِ طَالِبُ العِلمِ مِنَ النَّظَرِ في الأَشيَاخِ، وَالأَسَاتِذَةِ، وَمُشَاوَرَةِ أَهلِ الفَضلِ، وَالصَّلاحِ في مَنَ يُأخَذُ عَنهُم، كَيفَ وَالله سُبحَانَهُ يقول : ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾ (آل عمران: ١٥٩).

قال الزَّرنُوجِيُّ رَحِمَهُ اللهُ : «وَطَلَبُ العِلْمِ مِن أَعلَى الأُمُورِ وَأَصعَبِهَا؛ فَكَانَتِ المَشُورَةُ فِيْهِ أَهَمَّ، وَأَوجَبَ».

وَيقول ابنُ جَمَاعَةَ رَحِمَهُ اللهُ، حَاثّاً عَلَى استِخَارَةِ الله تَعَالَىٰ في اختِيَارِ الشَّيخ : «إِنَّهُ يَنبَغِي لِلطَّالِبِ أَن يُقَدِّمَ النَّظَرَ، وَيَستَخِيرَ الله في مَن يَأخُذُ العِلمَ عَنْهُ، وَيَكتَسِبُ حُسنَ الأَخلاقِ، وَالآدَابِ»[1].

سَادِساً : التَّحصِينُ :

وَهَذِهِ عِدَّةُ المُحَارِبِ، وَهَذَا هُوَ زَادُهُ «ذِكرُ الله»؛ فَإِذَا لَم تَكُن مَعَهُ العُدَّةُ فَبِأَيِّ شَيءٍ يُقَاتِلُ ؟ وَفَاقِدُ الشَّيءِ لا يُعطِيهِ، بَل الَّذِي أَرَاهُ أَنَّهُ يُعَرِّضُ نَفسَهُ لِلفِتنَةِ وَالبَلاءِ، وَمَا لا طَاقَةَ لَهُ بِهِ، وَمَا هَذَا بِالعَقلِ؛ فَالعَدُوُّ ذُو جَلَدٍ، وَهِمَّتُهُ مُنقَطِعَةُ النَّظِيرِ، وَمَن لَم يُحسِن استِخدَامَ سِلاحِهِ؛ فَسُرعَانَ مَا يَنهَزِمُ في المعرَكَةِ.

يَقُولُ شَيخُ الإِسلامِ ابنُ تَيمِيَّةَ رَحِمَهُ اللهُ : «وَإِن كَانَ الجِنُّ مِنَ العَفَارِيتِ، وَهُوَ ضَعِيفٌ؛ فَقَد تُؤذِيهِ؛ فَيَنبَغِي لِمِثلِ هَذَا أَن يَحتَرِزَ بِقِرَاءَةِ العُوذِ؛ مِثلَ آيَةِ الكُرسِيِّ، وَالمُعَوِّذَاتِ، وَالصَّلاةِ، وَالدُّعَاءِ، وَنَحوِ ذَلِكَ، مِمَّا يُقَوِّي الإِيمَانَ، وَيُجَنِّبُ الذُّنُوبَ الَّتِي بِهَا يُسَلَّطُونَ عليهِ؛ فَإِنَّهُ مُجَاهِدٌ في سَبِيلِ الله، وَهَذَا مِن أَعظَمِ الجِهَادِ؛ فَليَحذَر

(١) «روح التربية والتعليم» للأبراشي (٩٩) بتصرف .

أَن يَنصُرَ العَدُوَّ عَليهِ بِذُنُوبِهِ، وَإِن كَانَ الأَمرُ فَوقَ قُدرَتِهِ؛ فَلا يُكَلِّفُ اللهُ نَفساً إِلَّا وُسعَهَا؛ فَلا يَتَعَرَّضُ مِنَ البَلاءِ لِمَا لا يُطِيقُ»[1].

وَقال شَيخُنَا العَلامَةُ عُمَرُ الأَشقَرُ أَطَالَ اللهُ في عُمُرِهِ: «وَرُبَّمَا كَانَ المُخرِجُ لِلجِنِّيِّ ضَعِيفاً؛ فَتَقصُدُ الجِنُّ إِيذَاءَهُ؛ فَعَلَيهِ بِكَثرَةِ الدُّعَاءِ، وَالاستِعَانَةِ عَليهِم بِاللهِ، وَقِرَاءَةِ القُرآنِ»[2].

وَخَيرُ حِصْنٍ يَتَحَصَّنُ بِهِ المُسلِمُ ذِكرُ اللهِ تَعَالىٰ؛ فَقَد جَاءَ في وَصِيَّةِ يَحيىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِبَنِي إِسرَائِيلَ حِينَ أَمَرَهُم بِخَمسٍ؛ فَقَال: «وَآمُرُكُم أَن تَذكُرُوا اللهَ؛ فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ؛ كَمَثَلِ رَجُلٍ خَرَجَ العَدُوُّ فِي أَثَرِهِ سِرَاعاً، حَتَّى أَتَى عَلَى حِصنٍ حَصِينٍ؛ فَأَحرَزَ نَفسَهُ مِنهُم، كَذَلِكَ العَبدُ لا يُحرِزُ نَفسَهُ مِنَ الشَّيطَانِ إِلَّا بِذِكرِ اللهِ»[3].

فَيَا للهِ مَا أَعظَمَ شَأنَ الذِّكرِ! وَمَا أَجَلَّ أَمرَهُ «فَلَو لَم يَكُن فِي الذِّكرِ إِلَّا هَذِهِ الخَصلَةُ الوَاحِدَةُ؛ لَكَانَ حَقِيقاً بِالعَبدِ أَن لا يَفتُرَ لِسَانُهُ مِن ذِكرِ اللهِ تَعَالىٰ، وَأَن لا يَزَالَ لَهِجاً بِذِكْرِهِ؛ فَإِنَّهُ لا يُحرِزُ نَفسَهُ مِن عَدُوِّهِ إِلَّا بِالذِّكرِ، وَلا يَدخُلُ عَليهِ العَدُوُّ إِلَّا مِن بَابِ الغَفلَةِ؛ فَهُوَ يَرصُدُهُ؛ فَإِذَا غَفَلَ وَثَبَ عَليهِ وَافتَرَسَهُ، وَإِذَا ذَكَرَ اللهَ تَعَالىٰ؛ انخَنَسَ عَدُوُّ اللهِ وَتَصَاغَرَ، وَانقَمَعَ»[4].

---

(١) «مجموع الفتاوي» (١٩/ ٥٣).

(٢) «عالم الجن والشياطين» (١٨٤).

(٣) أخرجه الترمذي (٢٨٦٣) وأحمد في «مسنده» (١٧٣٤٤) والحاكم في «المستدرك» (١/ ٥٨٢) وأبو يعلى في «المسند» (٣/ ١٤١) وابن حبان في «صحيحه» (١٤/ ١٢٤) من حديث الحارث الأشعري رضي الله عنه، وإسناده صحيح.

(٤) «الوابل الصيب» (٥٩).

وَمِمَّا يَنبَغِي لِلرَّاقِي النَّبِيهِ؛ أَنْ لا يُهمِلَ تَحصِينَ أَهلِهِ، وَوَلَدِهِ، مِن عَبَثِ وَأَذَى الشَّيَاطِينِ؛ فَيُعَلِّمُهُم التَّحصِينَ بِالطَّاعَةِ، وَالذِّكرِ، وَالأَورَادِ الشَّرعِيَّةِ فِي الصَّبَاحِ، وَالمسَاءِ[1].

وَيقول الشَّيخُ سَعِيدُ حَوَّى رَحِمَهُ اللهُ: «وَالتَّوَقِّي مِنَ الجِنِّ وَالشَّيَاطِينِ، يَكُونُ بِالذِّكرِ، وَالاستِعَاذَةِ، وَتِلاوَةِ القُرآنِ، وَالصَّلاةِ، وَمَن أُصِيبَ بِسَبَبٍ مِنَ الجِنِّ؛ فَبِالإمكَانِ مُعَالَجَتهُ بِتِلاوَةِ المُعَوِّذَاتِ، وَآيَةِ الكُرسِيِّ، وَقِرَاءَةِ سُورَةِ البَقَرَةِ»[2].

وَالتَّحصِينُ عَلَى نَوعَينِ:

١ـ تَحصِينُ الدَّفعِ: وَهُوَ أن يُحَصِّنَ المُسلِمُ نَفسَهُ، أَو غَيرَهُ بِالطَّاعَاتِ، وَالأَذكَارِ الشَّرعِيَّةِ، وَيَدفَعَ بِهَا عن نَفسِهِ السُّوءَ، وَالأَذَى قَبلَ أَن يَقَعَ عَلَيهِ.

وَقُوَّةُ هَذِهِ التَّحصِينَاتِ وَضَعفِهَا، تَتَصَارَعُ مَعَ السُّوءِ؛ فَأَيُّهمَا غَلَبَ وَقَعَ.

٢ـ وَتَحصِينُ الرَفعِ: وَهُوَ أَن يُحَصِّنَ المُسلِمُ نَفسَهُ، أَو غَيرَهُ بَعدَ نُزُولِ المَرَضِ، أَو الأَذَى؛ لِيَرُدَّ كَيدَ الشَّيَاطِينِ؛ فَلا يَتَفَلَّتُوا عَلَيهِ، وَبِهِ يُخَفِّفُ مِن وَطأَتِهِم عَلَيهِ.

وَبِقَدرِ قُوَّةِ التَّحصِينَاتِ، بِقَدرِ مَا تُوهُنُ العِلَّةُ، بَل رُبَّمَا كَانَ ذَلِكَ سَبَباً فَعَّالاً لِزَوَالِ العِلَّةِ.

سَابِعاً: التَّبَرُّؤُ مِن حَولِهِ وَقُوَّتِهِ، وَاعتِمَادُهُ عَلَى اللهِ وَاستِعَانَتُهُ بِهِ:

يَجِبُ عَلَى الرَّاقِي أَن يَبرَأَ مِن حَولِهِ وَقُوَّتِهِ، وَيَستَعِينَ بِالله القَوِيِّ العَزِيزِ، وَيَتَوَكَّلَ عَلَيهِ، وَهَذَا سِرُّ القُوَّةِ.

---

(١) انظر في التحصينات: «عالم الجن والشياطين» لشيخنا العلامة عمر الأشقر حفظه الله ص (١٤٣) و«الصارم البتار» ص (١١٧) وانظر كتابنا في الأدعية والأذكار الصحيحة «فإني قريب: الوِردُ النَّبوي في أذكار اليوم والليلة».

(٢) «الأساس في السُّنَّة» (٢/ ٧٥٢) قسم العقائد.

قال أَبُو العَبَّاسِ ابنُ تَيمِيَّةَ رَحِمَهُ اللهُ : «مَن سَرَّهُ أَن يَكُونَ أَقوَى النَّاسِ؛ فَليَتَوَكَّل عَلَى اللهِ»[1].

وَهَذَا عَزِيزٌ إِلَّا عَلَى مَنْ رَحِمَ اللهُ؛ فَإِسنَادُ الفَضْلِ للهِ تَعَالَىٰ وَاجِبٌ، وَمَطلَبٌ شَرعِيٌّ، وَلا يَنبَغِي نِسبَةُ مَا يَمُنُّ اللهُ بِهِ عَليهِ إِلَّا إِلَيهِ؛ فَإِن فَعَلَ؛ فَلَن يَكُونَ إِلَّا أَن يَكِله اللهُ إِلَىٰ نَفسِهِ وَالعِيَاذُ بِاللَّهِ، وَحِينَهَا : أَنَّى لَهُ التَّوفيقُ ؟!

وَعَلَيهِ؛ فَمَن تَوَكَّلَ عَلَى الله وَحدَهُ؛ فَهُوَ حَسبُهُ، فَمِنهُ يَستَمِدُّ الرَّاقِي الحَذِقُ العَونَ وَالفَلاحَ، فَلا غَالِبَ لَنَا إِلَّا الله، وَمَا مِنَّا إِلَّا الفَقرَ، وَالعَجزَ، وَالضَّعفَ؛ فَإِن لَم يُكرِمنَا رَبُّنَا فَما لَنَا مِن نِعمَةٍ، فَالفَضلُ أَوَّلاً، وَآخِرَاً لله جَلَّ في عُلاهُ، قال تَعَالَىٰ : ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾ (النحل : ٥٣).

وَفي قَولِ الله تَعَالَىٰ : ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾ (الطلاق : ٢ــ٣)

قَال أَبُو سَعِيدٍ الخُدرِيِّ رضي الله عنه : «مَن يَبرَأُ مِن حَولِهِ وَقُوَّتِهِ بِالرُّجُوعِ إِلَىٰ الله؛ يَجعَل لَهُ مَخرَجاً مِمَّا كَلَّفَهُ بِالمعُونَةِ لَهُ»[2].

وَقال أَبُو مُحَمَّدٍ سَهلُ بنُ عَبدِ الله رَحِمَهُ اللهُ : «مَن يَتَّقِ الله في دَعوَاهُ، فَلا يَدَّعِي الحَولَ وَالقُوَّةَ، وَيَتَبَرَّأُ مِن حَولِهِ وَقُوَّتِهِ، وَيَرجِع إِلَىٰ حَولِ الله وَقُوَّتِهِ؛ يَجعَلْ لَهُ مَخرَجاً، ويُرزَقُ مِن حَيثُ لا يَحتَسِب : ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾ (الطلاق:٣).

قال : لا يَصِحُّ التَّوَكُّلُ إِلَّا لِمُتَّقٍ، وَلا تَتِمُّ التَّقوَى إِلَّا لِمُتَوَكِّلٍ؛ لِقَولِهِ تَعَالَىٰ : ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ (المائدة: ٢٣)»[3].

---

(١) «مجموع الفتاوي» (١ / ٥٥).

(٢) «تفسير القرطبي» (١٨ / ١٦٠).

(٣) «حلية الأولياء» (١٠ / ١٩٢).

وَيقول ابنُ قَيِّمِ الجَوزِيَّةِ رَحِمَهُ اللهُ : «وَالمقصُودُ أَنَّ صَاحِبَ مَقَامِ التَّحقِيقِ، يَعرِفُ أَنَّ ذَلِكَ لَيسَ بِهِ، بَل بِاللَّهِ وَحدَهُ؛ فَيَبرَأُ حِينَئِذٍ مِن حَولِهِ، وَقُوَّتِهِ، وَيَعلَمُ أَنَّ ذَلِكَ بِالحَقِّ، ثُمَّ يَتَمَكَّنُ فِي ذَلِكَ المَقَامِ، وَيَرسَخُ فِيْهِ قَلبُهُ؛ فَيَصِيرُ تَحقِيقُهُ بِاللَّهِ، وَفِي اللهِ»[1].

وَقال أَبُو الفَضْلِ بنُ عَطَاءٍ رَحِمَهُ اللهُ : «عَظُمَ قَدرُ الوَلِيِّ؛ لِكَونِهِ خَرَجَ عن تَدبِيرِهِ إِلَىٰ تَدبِيرِ رَبِّهِ، وَعن انتِصَارِهِ لِنَفسِهِ إِلَىٰ انتِصَارِ اللهِ لَهُ، وَعن حَولِهِ وَقُوَّتِهِ بِصِدقِ تَوَكُّلِهِ»[2].

وَقال المَنَاوِيُّ رَحِمَهُ اللهُ : «فَمَن أَنزَلَ حَوَائِجَهُ بِاللَّهِ، وَالتَجَأَ إِلَيهِ، وَفَوَّضَ أَمرَهُ كُلَّهُ إِلَيهِ؛ كَفَاهُ، وَقَرَّبَ عَليهِ كُلَّ بَعِيدٍ، وَيَسَّرَ لَهُ كُلَّ عَسِيرٍ، وَمَن تَعَلَّقَ بِغَيرِهِ، أَو سَكَنَ إِلَىٰ عِلْمِهِ، وعَقلِهِ، وَاعتَمَدَ عَلَى حَولِهِ وَقُوَّتِهِ، وَكَله الله إِلَىٰ ذَلِكَ، وَخَذَله، وَحَرَمَهُ تَوفِيقَهُ، وَأَهمَله؛ فَلَم تُصَحَّح مَطَالِبُهُ، وَلَم تَتَيَسَّر مَآرِبُهُ، وَهَذَا مَعرُوفٌ عَلَى القَطعِ مِن نُصُوصِ الشَّرِيعَةِ، وَأَنوَاعِ التَّجَارُبِ»[3].

وَمَن لَم يُجَرِّب لَيسَ يَعرِفُ قَدرَهُ ... فَجَرِّب تَجِد تَصدِيقَ مَا ذَكَرنَاهُ[4]

يقول ابنُ قَيِّمِ الجَوزِيَّةِ رَحِمَهُ اللهُ فِي قَولِهِ تَعَالَى: «﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ وَلا رَيبَ أَنَّ هَاتَينِ الكَلِمَتَينِ مِن أَقوَى أَجزَاءِ هَذَا الدَّوَاءِ؛ فَإِنَّ فِيهِمَا مِن عُمُومِ التَّفوِيضِ، وَالتَّوَكُّلِ، وَالالتِجَاءِ، وَالاستِعَانَةِ، وَالافتِقَارِ، وَالطَّلَبِ، وَالجَمعِ بَينَ أَعلَى الغَايَاتِ، وَهِيَ عِبَادَةُ الرَّبِّ وَحدَهُ، وَأَشرَفُ الوَسَائِلِ؛ وَهِيَ الاستِعَانَةُ بِهِ عَلَى عِبَادَتِهِ مَا لَيسَ فِي غَيرِهَا»[5].

---

(١) «مدارج السالكين» (٣/ ٣٩٠) بتصرف.

(٢) «فتح الباري» (١١/ ٣٤٦).

(٣) «فيض القدير» (٦/ ١٠٧).

(٤) «منظومة الإمام الصنعاني في الحج» (٨٣) عن «معالم في طريق طلب العلم» للسدحان (٤١)

(٥) «زاد المعاد» (٤/ ١٧٩).

وَإِذَا كَانَ هَذَا حَالُ الرَّاقِي المُوَفَّقُ أَمَامَ الشَّيَاطِينِ المُعتَدِيَةِ؛ فَقُل لِي بِرَبِّكَ؛ أَتَرَى شَيطَانًا يَصمُدُ ـ بِعَونِ اللهِ وَنُصرَتِهِ ـ أَمَامَهُ ؟!

وَإِذَا أَرَادَ اللهُ نُصـرَةَ عَبـدِهِ   مَنْ ذَا يُطِيقُ لَهُ عَلَى خُذلانِ[1]

ولله دَرُّ أَحَدُ السَّلَفِ حِينَ قال كَلِمَةً تُكتَبُ بِمَاءِ العُيُونِ؛ قال رَحِمَهُ اللهُ : «جعَلَ الله لِكُلِّ عَمَلٍ جَزَاءً مِن جِنسِهِ، وَجَعَلَ جَزَاءَ التَّوَكُّلِ عَليهِ؛ نَفسَ كِفَايَتِهِ لِعَبدِهِ؛ فَقَال : ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ (الطلاق:٣).

وَلَم يَقُل : نُؤتِهِ كَذَا وَكَذَا مِنَ الأَجرِ، كَمَا قال في الأَعمَالِ، بَل جَعَلَ نَفسَهُ سُبحَانَهُ كَافِيَ عَبدِهِ المُتوكِّلِ عَليهِ، وَحَسبِهِ وَوَاقِيهِ، فَلَو تَوَكَّلَ العَبدُ عَلَى اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ، وَكَادَتهُ السَّموَاتُ وَالأَرضُ وَمَن فِيهِنَّ؛ لَجَعَلَ لَهُ مَخرَجًا، وَكَفَاهُ وَنَصَرَهُ»[2].

فَحَرِيٌّ بِالرَّاقِي المُوَفَّقِ أَن يَفطَنَ لِهَذَا، وَأَن يُحَقِّقَ في قَلبِهِ عِظَمَ التَّوَكُّلِ عَلَى اللهِ، بِكَلامِ اللهِ سُبحَانَهُ، وَأَنَّهُ كَثِيرُ البَرَكَةِ، قَوِيُّ التَّأثِيرِ، عَظِيمُ المنفَعَةِ، وَلا يَركَنُ لِنَفسِهِ إِنْ بَدَتْ لَهُ قُوَّةٌ؛ فَيَتَمَنَّى لِقَاءَ العَدُوِ؛ فَيُخشَى عَليهِ الفِتنَةَ، وَالسُّوءَ، وَالضَّرَرَ، وَالعِيَاذُ بِاللهِ»[3].

ثَامِنًا : الدَّعوَةُ إِلَى اللهِ:

يَنبَغِي لِلرَّاقِي أَنْ يَقْرِنَ في رُقيَتِهِ الدَّعوَةَ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، لِطَائِفَتَينِ :

إِحدَاهُمَا : النَّاسُ، وَذَلِكَ بِغَرسِ العَقِيدَةِ الصَّحِيحَةِ الصَّافِيَةِ في القُلُوبِ، وَيَحُثُّهُم عَلَى التَّوبَةِ، وَالإِنَابَةِ، وَالرُّجُوعِ إِلَى اللهِ، وَربطِ القُلُوبِ بِرَبِّ الخَلقِ لا بِالخَلقِ؛ فَيَأمُرَ بِالمعرُوفِ، وَيَنهَى عن المُنكَرِ، وَيَدعُو إِلَى رَدِّ المظَالِمِ، وَالتَّحذِيرِ مِن انتِهَاكِ المُحَرَّمَاتِ؛ كَتَركِ الصَّلاةِ، وَسَمَاعِ الغِنَاءِ، وَتَبَرُّجِ النِّسَاءِ، وَإِزَالَةِ الصُّوَرِ وَالتَّمَاثِيلِ؛

(١) «القصيدةُ الوَضَّاحيَّة في مدح أم المؤمنين عائشة» لابن بهيج الأندلسي، ضمن لقاء العشر الأواخر بالمسجد الحرام (٣٣/ ٤٤)

(٢) «بدائع الفوائد» (٢/ ٤٦٥).

(٣) انظر : «شرح النووي على مسلم» لحديث : «لا تتمنَّوا لقاء العدو» (١٢/ ٢٧٣) فإنه مهم.

فَلا يَصِحُّ مَعَ هَذِهِ المُحَرَّماتِ؛ طَلَبُ الرَّحَماتِ، وَنُزُولُ البَرَكَاتِ؛ فَلا بُدَّ مِنَ الدَّعوَةِ إِلَىٰ الله تَعَالَىٰ.

فَيَا للهِ مَنَ أَحسَنُ حَالاً مِنهُ، وَاللَّهُ يَقُولُ جَلَّ فِي عُلاهُ : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ (فصلت: ٣٣).

يَقُولُ العَلامَةُ ابنُ قَيِّمِ الجوزِيَّةِ رَحِمَهُ اللهُ عِندَ هَذِهِ الآيَةِ : «قال الحَسَنُ : هُوَ المُؤمِنُ أَجابَ الله في دَعوَتِهِ، وَدَعَا النَّاسَ إِلَىٰ مَا أَجابَ الله فِيهِ مِن دَعوَتِهِ، وَعَمِلَ صَالِحَاً في إِجَابَتِهِ؛ فَهَذا حَبِيبُ الله، هَذَا وَلِيُّ الله؛ فَمَقَامُ الدَّعوَةِ إِلَىٰ الله؛ أَفضَلُ مَقَامَاتِ العَبدِ»[1].

فَيَنبَغِي للرَّاقِي أَن يَكُونَ قَولُهُ دَعوَةً، وَفِعلُهُ دَعوَةً، وَسَمتُهُ دَعوَةً، بَل رُبَّمَا السَّمتُ يَكُونُ أَكثَرَ دَعوَةً مِن قَولِهِ، وَفِعلِهِ، وَهَذَا سِرٌّ عَجِيبٌ يَرَاهُ الرَّاقِي بَعدَ فَترَةٍ في مَن رَقَاهُم، وَكَم رَأَى الرُّقَاةُ تَأَثُّرَ النَّاسِ بِالسَّمتِ الحَسَنِ، وَالهَدي النَّبَوِيِّ دُونَمَا قَولٍ، أَو تَوجِيهٍ، بَلْ حِينَ يُحِبُّ المرِيضُ رَاقِيهِ المُتَفَضِّلَ عَليهِ ـ بَعدَ الله ـ وَالنَّاسُ جُبلَت عَلَى حُبِّ مَن أَحسَنَ إِلَيهَا ـ يَدعُوهُ هَذَا إِلَىٰ التَّشَبُّهِ بِهِ، وَأَكرِم بِهَذَا دَعوَةً إِلَىٰ الله سُبحَانَهُ.

وَالطَّائِفَةُ الثَّانِيَةُ: الجَانُّ المُعتَدِيُّ؛ فَلْيُسْمِعهُ إِنْ حَادَثَهُ لِضَرُورَةٍ، وَوَجَدَهَا فُرصَةً سَانِحَةً؛ لِتَذكِيرِهِ بِاللَّهِ تَعَالَىٰ؛ فَليُخبِرْهُ بِحُكْمِ الشَّرْعِ فِي ذَمِّ فِعلِهِ؛ وَيَأمُرُهُ بِالمعرُوفِ، وَيَنهَاهُ عن المنكَرِ، وَيُبَيِّنُ لَهُ سُوءَ فِعلِهِ، وَعَاقِبَتَه الوَخِيمَةَ؛ فَيَدعُوهُ بِالتَّرهِيبِ تَارَةً، وَبِالتَّرغِيبِ أُخرَى، وَيُبَيِّنُ لَهُ أَنَّ التَّائِبَ مِنَ الذَّنبِ؛ كَمَن لا ذَنبَ لَهُ، وَأَنَّهُ إِذَا تَابَ تَوبَةً صَادِقَةً؛ تَابَ الله عَليهِ، وَعَفَا عَنْهُ، وَرَحِمَهُ، وَبَدَّلَ سَيِّئَاتِهِ حَسَنَاتٍ؛ وَيُسمِعُهُ كَلامَ الله، جَلَّ في عُلاهُ : ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ

---

(١) «مفتاح دار السعادة» (١ / ٤٧٤).

﴿سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَـٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا﴾ (الفرقان: ٧٠ ــ ٧١).

وَيُخبِرُهُ بِقَولِ النَّبِيِّ ﷺ: «إِذَا أَسلَمَ العَبدُ؛ فَحَسُنَ إِسلامَهُ، يُكَفِّرُ اللهُ عَنْهُ كُلَّ سَيِّئَةٍ كَانَ زَلَفَهَا، وكَانَ بَعدَ ذَلِكَ القَصَاصُ؛ الحَسَنَةُ بِعَشرِ أَمثَالِهَا إِلَىٰ سَبعِ مِئَةِ ضِعفٍ، وَالسَّيِّئَةُ بِمِثلِهَا، إِلَّا أَن يَتَجَاوَزَ اللهُ عَنْهُ»[1].

وَإِن كَانَ مِن أَهلِ الكِتَابِ؛ قَرَأَ عَلَيهِ قَولَه تَعَالَىٰ، وَوَعَظَهُ بِهِ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ (القصص: ٥٣-٥٤)، وَغَيرِهَا.

وَيَذكُرُ لَهُ قَولَ المُصطَفَى ﷺ: «ثَلاثَةٌ لَهُم أَجرَانِ: رَجُلٌ مِن أَهلِ الكِتَابِ، آمَنَ بِنَبِيِّهِ وآمَنَ بِمُحَمَّد ﷺ»[2].

فَإِذَا كَانَ الرَّاقِي لَدَيهِ الهَمُّ الدَّعوِيُّ؛ وُفِّقَ بِحَولِ اللهِ، وَسَيَرَى مِن فَتحِ اللهِ عَلَى يَدَيهِ بِإِسلامِ كَثِيرٍ مِنَ الجَانِّ، وَبَعدَهَا انقِيَادُهُم لأَمرِ اللهِ، وَحِينَهَا يَحصُلُ الشِّفَاءُ وَالبُرءُ، وَهَذَا الَّذِي نُرِيدُ، وَتَأَمَّل حَالَ ابنَ تَيمِيَّةَ رَحِمَهُ اللهُ، فِي ذَلِكَ؛ فَقَد قِيلَ عَنْهُ:

وَكَانَ الجِنُّ تَفرُقُ مِنْ سَطَاهُ ... بِوَعظٍ لِلقُلُوبِ هُوَ السِّيَاطُ[3]

---

(١) أخرجه البخاري (٤١) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٩٧) عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

قال السيوطي في «الديباج» (١/ ١٧٧): «اختار البُلقيني؛ استمرار ذلك إلى يوم القيامة، ورجَّحهُ ابن حجر» وانظر «الفتح» (١/ ١٩) وهو اختيار شيخنا المحدِّث شعيب الأرنؤوط حفظه الله.

وسألتُ شيخنا العلامة عمر الأشقر حفظه الله؛ فرجَّح الاستمرارية كذلك. وأضاف قائلاً: «والأفضلُ لديَّ؛ أن لا يُحادِث الراقي الجانَّ، وإنما يَستمِرُّ في الرقية، إلى أن يخرج؛ لأن المُتلبِّس قد يخبر أنه مسلم، أو كتابي، ويكون كاذباً، فلا نتعرَّف إلى صدقه من كذبه، وليس لنا وسيلة في معرفة ذلك، وبالتالي الأفضل لديَّ أن لا يُلتفت إلى الجان، وإنما يستمر في الرقية حتى يخرج بأمر الله تعالى».

(٣) «الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية» (٧٠٠).

فَاللّهَ اللهَ أَيُّهَا الرُّقَاةُ في الدَّعوَةِ إِلَىٰ اللهِ، وَالاحتِسَابِ فِيها؛ فَهِيَ مِن أَعظَمِ المهَامِّ وَأَجَلِّهَا، وَهِيَ طَرِيقَةُ الأَنبِيَاءِ وَالمُرسَلِينَ، جَعَلَنِي اللهُ وَإِيَّاكُم مِنَ الدُّعَاةِ إِلَىٰ دِينِهِ، العَامِلِينَ بِشَرعِهِ، وَهَديِهِ؛ فَيَا فَوزَ الدَّاعِينَ.

تَاسِعاً : الإِلمَامُ بِأَحوَالِ الشَّيَاطِينِ، وَمَكَائِدِهِم، وَحِيَلِ مَكرِهِم :

الرَّاقِي الفَطِنُ المُحَنَّكُ؛ يَحذَرُ تَلْبِيسَاتِ الشَّيَاطِينِ وَأَلاعِيبَهُم، وَحِيَلَ مَكْرِهِم، وَمَنْ عَرَفَهَا أَمِنَ مِنْ كَيدِهِم؛ فَهُم يَتَلَوَّنُونَ بِأَلوَانٍ شَتَّى، تَختَلِطُ فِيها الأُمُورُ، وَيَدخُلَ الصَّالِحُ في الطَّالِحِ، وَيُظهِرُ الشَّيَاطِينُ النُّصحَ المزعُومَ، وَهَكَذَا يَفعَلُونَ مَعَ ضِعَافِ الرُّقَاةِ.

فَقَد دَسُّوا السُّمَّ في العَسَلِ عَلَى العُبَّادِ، وَالزُّهَّادِ، وَالعَامَّةِ، وَرُبَّمَا نِيلَ مِنَ الخَاصَّةِ، وَلَكِن حِينَ يَتَفَطَّنُ الرَّاقِي لِمَكرِهِم، وَيَعرِفُ حِيَلَهُم؛ يَقِفُ كَالطَّودِ الشَّامِخِ في وُجُوهِهِم، وَكَالإِعصَارِ تَتَهَالَكُ أَمَامَهُ كُلُّ شُبهَةٍ وَتَزْيِينٍ صُبِغَ بِالحَقِّ.

يَقُولُ الشَّيخُ سَعِيدُ حَوَّى رَحِمَهُ اللهُ : «إِنَّ فِقهَ مَداخِلِ الشَّيطَانِ عَلَى الأَنفُسِ مِن أَعظَمِ أَنوَاعِ الفِقهِ » اهـ.[1]

وَإِنَّ مِن مَدَاخِلِهِ عَلَى الإِنسَانِ؛ أَن يُزَيِّنَ لَهُ الأُمُورَ؛ فَيَكِيدهُ بِهَا «وَمِن كَيدِهِ لِلإِنسَانِ : أَنَّهُ يُورِدُهُ المَوارِدَ الَّتِي يُخَيِّلُ إِلَيهِ أَنَّ فِيها مَنفَعَتَهُ، ثُمَّ يُصدِرُهُ المَصَادِرَ الَّتِي فِيها عَطَبُهُ، وَيَتَخَلَّى عَنْهُ، وَيُسلِمُهُ، وَيَقِفُ يَشمَتُ بِهِ، وَيَضحَكُ مِنهُ؛ فَيَأمُرُهُ بِالسَّرِقَةِ، وَالزِّنَا، وَالقَتلِ، وَيَدُلُّ عَلَيهِ، وَيَفضَحُهُ، قال تَعَالَىٰ : ﴿ وَإِذۡ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلۡيَوۡمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٞ لَّكُمۡۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلۡفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكُمۡ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوۡنَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾ (الأنفال: ٤٨)

---

(١) «الأساس» (٢/ ٧٥٤) قسم العقائد.

قال حَسَّانُ :

دَلَّاهُمُ بِغُرُورٍ ثُمَّ أَسلَمَهُم إنَّ الخبيثَ لمِن وَالاهُ غَرَّارُ [(١)]

وَثَمَّةَ أَمرٌ مُهِمٌّ جِدّاً، أَلفِتُ نَظَرَكَ إِلَيهِ؛ أَلا وَهُوَ الحَذَرُ مِنَ الدُّخُولِ فِي حِوَارَاتٍ جَانِبِيَّةٍ مَعَ الشَّيَاطِينِ؛ فَقَد تَجَاوَزَ بَعضُ الرُّقَاةِ ـ هَدَاهُم اللهُ ـ فِي ذَلِكَ وَأَخَذُوا يَسأَلُونَ عَنْ كُلِّ شَيءٍ؛ فَتَارَةً عن أَسمَائِهِم، وَأَعمَارِهِم [(٢)] وَمَا يَأكُلُونَ، وَمَا يَشرَبُونَ؟!! وَكُلُّ

---

(١) «إغاثة اللهفان» (١/ ١٠٨) بتصرف .

(٢) يُغربُ كثير من الناس بل حتى بعض أهل العلم الذين يظنُّون أنّ أعمار الجن طويلةٌ، تُعَدُّ بالمئات !! وعلمي في هذه المسألة ـ والعلم عند الله ـ أن الجن أولاً يموتون وهذا بالاتفاق، وتدل عليه النصوص الشرعية، ثُمَّ إنَّ أعمارهم كأعمار بني آدم؛ لعموم أحاديث النبي ﷺ في أنها ما بين الستين والسبعين، وإن كان المراد الناسَ؛ فالجِنُّ من أمته قطعاً؛ فتدخل في عموم الأحاديث، ومن قال بتخصيص الناس؛ فَيَفتَقِرُ إلى دليلٍ، ولن يُسعِفه .

وأمَّا إبليس؛ فهو الوحيد الذي استثناه الله سبحانه، إلى يوم القيامة؛ لقوله : ﴿إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ﴾ وغيره لا دليل عليه .

قال ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «فإن قال قائل : فهل أحد مُنظَرٌ إلى ذلك اليوم سوى إبليس؛ فيقال له: إنك منهم ؟ قيل : نعم؛ من لَم يقبض الله روحه من خلقه إلى ذلك اليوم ممن تقوم عليه الساعة؛ فهم من المنظرين بآجالهم إليه، ولذلك قيل لإبليس: إنك من المنظرين، بمعنى الساعة؛ فهم من المنظرين بآجالهم إليه، ولذلك قيل لإبليس: إنك من المنظرين إنك ممن لا يميته الله إلَّا ذلك اليوم» «تفسير الطبري» (٨ / ١٣٣) .

وقال ابن الجوزي : «فإن قيل: كيف قيل له: إنك من المنظرين، وليس أحد أُنظِر سواه ؟ فالجواب: أنَّ الذين تقوم عليهم الساعة مُنظرون إلى ذلك الوقت بآجالهم؛ فهو منهم» «زاد المسير» (٣/ ١٧٥)

وقد يراد بالمنظرين الملائكة؛ فبعضهم مُنظَرٌ قطعاً .

فإن قال قائل : أورد مسلم : في «مقدمة صحيحه» (١ / ٣٧ النووي) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : «إنَّ في البحر شياطين مسجونة أوثقها سليمان يُوشك أن تخرج فتقرأ على الناس قرآناً» فهذا يدل على أنها مُعمَّرة ؟ فالجواب : أن هذا القول ليس بمرفوعٍ أوَّلاً .

وثانياً : هذا أمرٌ من الغَيب، ولا يُقبل إلَّا بدليل؛ فمن أين جاء به عبد الله رضي الله عنه ـ إن ثبت ذلك ـ وهو الـمُكثر عن بني إسرائيل؟ لا سِيَّما وعموم الأحاديث الأُخرى تُعارِضُه بعدم السجن، وفيها؛ أنَّها مُرسَلة منتشرة في إغواء بني آدم .

ذَلِكَ مِنَ الفُضُولِيَّاتِ التَّافِهَةِ، وَالَّتِي لا تَرجِعُ بِكَبِيرِ فَائِدَةٍ، وَأَرَى أَنَّ هَذَا عَبَثٌ، وَمَكرٌ خَدَّاعٌ، وِاستِخفَافٌ مِنَ الشَّيَاطِينِ بِالرَّاقِي صَاحِبِ المُحَاوَرَاتِ، وَالمُهَاتَرَاتِ، سَامَحَهُ الله، وَتَارَةً تَجِدُ بَعضَهُم يَسأَلُهُ عن أُمُورٍ هِيَ مِن عِلمِ الغَيبِ! أَو يَسأَلُهُم عَمَّن حَوله، وَهَل هُم مُصَابُونَ بِسِحرٍ، أَو عَينٍ ؟

سُبحَانَ الله ! إِيَّاكَ، إِيَّاكَ أَيُّهَا الفَاضِلُ مِن أَن تَكُونَ أُلعُوبَةً بَيَدِ الشَّيَاطِينِ، وَقَدٍ نَصَحتُكَ.

يقول شَيخُنَا العَلامَةُ أ.د. عُمَرُ الأَشقَرُ حَفِظَهُ الله : «وَالأَفضَلُ لَدَيَّ أَن لا يُحَادِثَ الرَّاقِي الجَانَّ، وَإِنَّمَا يَستَمِرُّ في الرُّقيَةِ، إِلَى أَن يَخرُجَ »[1].

وَإِنِّي نَاصِحُكَ ثَانِيَةً بِكُتُبٍ أَرَاهَا جَيِّدَةً في بَابِهَا، وَمُفِيدَةً لِطُلاَّبِهَا :

- «تَلبِيسُ إِبلِيسَ » لابنِ الجَوزِيِّ رَحِمَهُ اللهُ.

- و«إِغَاثَةُ اللَّهفَانِ في مَصَايِدِ الشَّيطَانِ » لابنِ قَيِّمِ الجَوزِيَّةِ رَحِمَهُ اللهُ.

- و«وِقَايَةُ الإنسَانِ مِنَ الجِنِّ وَالشَّيطَانِ»و«الصَّارِمُ البَتَّارُ لِلتَّصَدِّي لِلسَّحَرَةِ الأَشرَارِ» كِلاهُما لِلشَّيخِ وَحِيدِ عَبدِ السَّلامِ بَالِي حَفِظَهُ الله.

- و «عَالَمُ الجِنِّ وَالشَّيَاطِينِ» وَ«عَالَمُ السِّحْرِ وَالشَّعوَذَةِ» كِلاهُما لِشَيخِنَا العَلَّامَةُ أ.د. عُمَرالأَشقَر أَطَالَ الله في عُمُرِهِ.

وَلَعَلَّ مَا ذَكَرتُهُ لَكَ مِن أَجمَعِهَا إن شَاءَ الله، وَفِيها نَفَائِسُ عَالِيَةٌ، وَمَن يَتَحَرَّ الخَيرَ يُعطَهُ.

=

وثالثاً : إن ثبتت صحته وقبلناه؛ فيحمل على الخصوصية لا على الإطلاق والعموم.

وعلى كلٍّ؛ فالمسألة من أمور الغيب، وهي من فروع مسائل العلم، ولا عمل من ورائها، بَيْدَ أني أظن أنَّ هذا أُدخِل على الرقاة بسبب كثرة تحاورهم مع الشياطين ودخولهم فيما لا فائدة فيه، والشياطين كَذَبَة ومِن هُنا أُتِيَ من أُتِيَ، وقلَّد بعضُهم بعضاً فيمن يكتب عن أحكام الجانِّ إن كان كذلك، والله أعلم.

(١) من إملاءات شيخنا أسبغ الله عليه العافية.

عَاشِراً : التَّأَنِّي فِي التَّشخِيصِ :

وَهَذِهِ آفَةٌ عَارِمَةٌ مُنْتَشِرةٌ بَينَ بَعضِ الرُّقَاةِ اليَومَ؛ أَلا وَهِيَ سُرعَةُ التَّشخِيصِ، هَدَانَا اللهُ وَإِيَّاهُم.

إِنَّ قَضِيَّةَ التَّشخِيصِ لَيسَت بِالأَمرِ الهَيِّنِ؛ فَالرَّاقِي يَجِبُ أَن يَبتَعِدَ عن المُسَارَعَةِ في التَّشخِيصِ، وَإِلقَاءِ الكَلامِ بِدُونِ مُرَاقَبَةٍ، أَو حَذَرٍ ! فَكَم دَمَّر التَّسَاهُلُ في التَّشخِيصِ مِن بُيُوتٍ؟ وَكَم ضَيَّعَ مِن أَوقَاتٍ صُرِفَت؛ بِسَبَبِ العَجَلَةِ فِيْهِ.

فَالرَّاقِي النَّبِيهُ، صَاحِبُ أَمَانَةٍ قَد تَحَمَّلَهَا؛ فَلْيُؤَدِّ حَقَّهَا بِكُلِّ إِخلاصٍ للهِ، وَإِتقَانٍ، وَمِنَ المُفِيدِ أَن يُعلَمَ أَنَّ التَّشخِيصَ عَبرَ المُعطِيَاتِ، وَالأَسئِلَةِ مِن غَيرِ رُقيَةٍ فِي أَغلَبِ الحَالاتِ يَكُونُ بَعِيداً عن الصَّوَابِ[1]، مَهمَا كَانَت خِبرَةُ الرَّاقِي؛ فَهُوَ بِمَثَابَةِ التَّشخِيصِ الأَوَّلِيِّ، وَبِحَاجَةٍ إِلَىٰ أَن يُؤَكَّدَ بِرُقيَةٍ شَرعِيَّةٍ؛ فَرُبَّمَا تَبَيَّنَ لَهُ خَطَؤُهُ؛ فَيَعدِلُ عَنْهُ، وَيُقَرِّرُ أَمراً آخَرَ[2].

---

(١) وأعجب من بعض الرقاة هداهم الله حين يُشَخِّصُون عن بعدٍ، أو يأتي بالمضحكة المبكية ويقرأ عبر الهاتف !! بل ربما اعتمد بعضهم على بعض مواقع الإنترنت وجعل يلقي التشخيص والقول فما يراه على بعده !! مُصنِّفاً ومُقسِّماً على هواه حالات الناس . ولعَمرُ الله إنَّ هذا بُعدٌ عن الصواب، ومن العَبَث بالمسلمين والمسلمات، ويحسب أنه يُحسِن صنعاً، والله المستعان؛ فعِلمُ الرقية عِلمٌ مَصُونٌ، ينبغي على ثِقَاتِ الرُّقَاةِ أن يَصُونُوهُ من عبث بعض الذين يُسِيئُون له - جهلاً - بالأخذ على أيديهم، وَنُصحِهِم، وَتَوجِيههم .
ويشاركهم في الخطر الأطباء النفسانيون حين يخرجون للتلفاز ويستقبلون اتصالات الناس، فانظر للتشخيص ومدى التساهل فِيْهِ كيف يكون؟ وربما المعطيات غير دقيقة في الغالب، فأين التأنِّي في دراسة الحالة والمنهجية في البحث العلمي الذي يزعمونه !! وربما عابوا ذلك على أفاضل الرقاة .

(٢) وقد لا يجد الراقي بعد الرقية أي علة، وقد يكون سلبياً من هذه الأمراض، وبالتالي فتوجيهه نحو الطب أسلم فربما شفاؤه به، ولا تعارض ألبتة في الجمع بينهما أو الاقتصار على أحدهما إن علم نفعه وفائدته، والأَولَى به أن يَتَوَجَّه أولاً للطب وإلَّا فنحو كتاب الله، وأحب أن أنبه بعض الرقاة المتسارعين في التشخيص أن يتريَّثوا في ذلك؛ فليس كل من أصابه صداع فهو ممسوس، أو كل من شكا من بطنه فهو مسحور، أو احمرت عينه وشكا ضيق صدره ونفوره من عمله أنه معيون، فالأمر ليس مجرد عبث أو ظنون، لا فقد يصاب الإنسان ببعض هذه الأعراض لعارض طارئ تكون ردة فعله ما كان من هذه الأعراض، لا سيما

إنَّ التَّشخِيصَ لَيسِ مِن مَصلَحَةِ المرِيضِ أَن يَعرِفَهُ في بِدَايَةِ أَمرِهِ، بَل هُوَ مِن خُصَوصِيَّاتِ الرَّاقِي فَقَطْ، ثُمَّ مَتَى نَاسَبَ المرِيضَ يُطلِعُهُ عَليهِ، وَهَذَا عِندِي لَهُ أَسبَابٌ، مِنهَا :

أَوَّلاً : أَنَّ الرَّاقِي بَشَرٌ يُصِيبُ وَيُخطِئُ، وَلَرُبَّمَا قال : إنَّ الحَالَةَ سِحرٌ، أَو عَينٌ؛ فَيَكُونُ المرِيضُ أَتعَبَ فِكرَهُ بِالمرَضِ، وَتَأَثَّرَ نَفسِيّاً ! ثُمَّ بَعدَ فَترَةٍ مِنَ الرُّقيَةِ، يَتَبَيَّنُ أَنَّ مَرَضَهُ بِخِلافِ مَا شُخِّصَ لَهُ في البِدَايَةِ، أَو لَيسَ بِذِي عِلَّةٍ أَصلاً ! وَهُنَا كَيفَ يَكُونُ الأَمرُ ؟ وَعَلَى حِسَابِ مَن هَذَا الخَطَأُ ؟

لَكِن حِينَ يَتَرَيَّثُ الرَّاقِي في دِرَاسَةِ الحَالَةِ، وَيَجمَعُ القَرَائِنَ، وَبَعضَ الملحُوظَاتِ عن الحَالَةِ؛ في الغَالِبِ يُوَفَّقُ إِلَىٰ صِحَّةِ التَّشخِيصِ إيجَاباً، أَو سَلباً.

ثَانِياً: حِينَ يُشَخِّصُ الرَّاقِي لِلمَرِيضِ حَالَتَهُ؛ فَيقول : حَالَتُكَ سِحرٌ، أَو حَسَدٌ، أَو عَينٌ، فَمِنَ البَدَهِيِّ أَن يَبدَأَ المرِيضُ بلَحْظِ مَن حَوله مِنَ النَّاسِ، وَيَبدَأُ الشَّكُّ يُسَاوِرُهُ، وَيَشُكُّ في فُلانٍ، أَو فُلانَةٍ، وَيقول، أَو تَقُولُ : هَذَا سَحَرَنِي، وَهَذِهِ عَانَتنِي، وَالأُخرَى حَسَدَتنِي، وَيُصبِحُ المرِيضُ بَدَلاً مِن صَرفِ هَمِّهِ في العِلاجِ وَالاجتِهَادِ فِيهِ، شُغلُهُ الشَّاغِلُ أَن يَعرِفَ مَنِ الَّذِي آذَاهُ ؟ وَهَذَا بِحَدِّ ذَاتِهِ غَيرُ مُجدٍ في العِلاجِ، بَل هُوَ مَضيَعَةُ وَقتٍ عَلَى حِسَابِ المرِيضِ، وَقَد يَجُرُّهُ لإسَاءَةِ الظَّنِّ بِالنَّاسِ، وَرُبَّمَا هُم بَرَاءُ مِمَّا اتُّهِمُوا بِهِ؛ فَيُلقِي الشَّيطَانُ البَغضَاءَ، وَيَدعُو إِلَىٰ قَطِيعَةِ الأَرحَامِ، وَتَقَعُ المُنَازَعَاتُ، وَالمُقَاتَلاتُ، وَحِينَهَا تَكُونُ سُرعَةُ التَّشخِيصِ؛ أَفضَلَ الطُّرُقِ لِقَتلِ نَفسِيَّةِ المرِيضِ، وَأَذِيَّتِهِ.

= ومشكلات الناس اليوم لا تنتهي والأعباء كثيرة، فالحذر الحذر من هذا الغلو المقيت من الرقاة، صاننا الله وإياكم من الزلل وعصمنا من تخبطات الشيطان .

فَالأَجدَرُ بِالرَّاقِي رَفعُ مَعنَوِيَّاتِ المرِيضِ، وَتَقوِيَةُ نَفسِيَّتِهِ، وَتَشجِيعُهُ، وَحَثُّهُ عَلَى المُوَاصَلَةِ بَدَلاً مِن إتعَابِ نَفسِيَّتِهِ بِمَعرِفَةِ المرَضِ.

يقُولُ ابنُ قَيِّمِ الجوزِيَّةِ رَحِمَهُ اللهُ، في أَهَمِّيَّةِ انصِرَافِ هِمَّةِ المرِيضِ لِلعِلاجِ : «وَفي قَولِهِ ﷺ : «لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ» تقوِيَةٌ لِنَفسِ المرِيضِ وَالطَّبِيبِ، وَحَثٌّ عَلَى طَلَبِ ذَلِكَ الدَّوَاءِ، وَالتَّفتِيشِ عَلَيهِ؛ فَإِنَّ المرِيضَ إِذَا استَشعَرَت نَفسُهُ أَنَّ لِدَائِهِ دَوَاءً يُزِيلُهُ، تَعَلَّقَ قَلبُهُ بِرُوحِ الرَّجَاءِ، وَبَرَدَت عِندَهُ حَرَارَةُ اليَأسِ، وَانفَتَحَ لَهُ بَابُ الرَّجَاءِ، وَمَتَى قَوِيَت نَفسُهُ؛ انبَعَثَت حَرَارَتُهُ الغَرِيزِيَّةُ، وَكَانَ ذَلِكَ سَبَباً لِقُوَّةِ الأَروَاحِ الحَيَوَانِيَّةِ، وَالنَّفسَانِيَّةِ، وَالطَّبِيعِيَّةِ، وَمَتَى قَوِيَت هَذِهِ الأَروَاحُ؛ قَوِيَتِ القُوَى الَّتِي هِيَ حَامِلَةٌ لَهَا؛ فَقَهَرَتِ المرَضَ وَدَفَعَتهُ»[1].

وَيقول في وَصَايَاهُ لِلطَّبِيبِ الحَاذِقِ - وَالرَّاقِي هُنَا كَذَلِكَ - :«أَنْ يَكُونَ لَهُ خِبرَةٌ بِاعتِلالِ القُلُوبِ، وَالأَروَاحِ، وَأَدوِيَتِهَا؛ وَذَلِكَ أَصلٌ عَظِيمٌ فِي عِلاجِ الأَبدَانِ؛ فَإِنَّ انفِعَالَ البَدَنِ، وَطَبِيعَتَهُ عن القَلبِ وَالنَّفسِ أَمرٌ مَشهُودٌ، وَالطَّبِيبُ إِذَا كَانَ عَارِفاً بِأَمرَاضِ القَلبِ وَالرُّوحِ وَعِلاجِهَا، كَانَ هُوَ الطَّبِيبُ الكَامِلُ، وَالَّذِي لا خِبرَةَ لَهُ بِذَلِكَ، وَإِن كَانَ حَاذِقاً فِي عِلاجِ الطَّبِيعَةِ، وَأَحوَالِ البَدَنِ نِصفُ طَبِيبٍ.

وَكُلُّ طَبِيبٍ لا يُدَاوِي العَلِيلَ بِتَفَقُّدِ قَلبِهِ، وَصَلاحِهِ، وَتَقوِيَةِ أَروَاحِهِ وَقُوَاهُ بِالصَّدَقَةِ، وَفِعلِ الخَيرِ، وَالإِحسَانِ، وَالإِقبَالِ عَلَى اللهِ، وَالدَّارِ الآخِرَةِ؛ فَلَيسَ بِطَبِيبٍ؛ بَل مُتَطَبِّبٌ قَاصِرٌ»[2].

وَكَذَلِكَ كُلُّ رَاقٍ بِحَاجَةٍ إِلَىٰ هَذَا الملحَظِ النَّفِيسِ.

---

(١) «زاد المعاد» (٤ / ١٧).

(٢) «زاد المعاد» (٤/ ١٤٤).

ثَالِثاً : إنَّ الَّذِي يَحتَاجُ إلَىٰ مَعرِفَةِ التَّشخِيصِ؛ هُوَ الرَّاقِي؛ لِيَعرِفَ كَيفيَّةَ التَّصَرُّفِ مَعَهُ، وَالعِلاجَ النَّاجِعَ كَيفَ يَكُونُ.

يقول ابنُ قَيِّم الجوزِيَّةِ رَحِمَهُ اللهُ : «وَكَذَلِكَ الطَّبِيبُ إذَا عَلِمَ أَنَّ لِهَذَا الدَّاءِ دَوَاءً، أَمكَنَهُ طَلَبُهُ، وَالتَّفتِيشُ عَليهِ، عَلَى وَزنِ أَمرَاضِ القُلُوبِ، وَمَا جَعَلَ اللهُ لِلقَلبِ مَرَضاً إلَّا جَعَلَ لَهُ شِفَاءً بِضِدِّهِ؛ فَإن عَلِمَهُ صَاحِبُ الدَّاءِ، وَاستَعمَله، وَصَادَفَ دَاءَ قَلبِهِ، أَبرَأَهُ بِإذنِ اللهِ تَعَالَىٰ »[1].

ثُمَّ لَيسَ هُنَاكَ كَبِيرُ فَائِدَةٍ فِي مَعرِفَتِهِ لَدَى المرِيضِ ابتِدَاءً، سِوَى أَنَّهُ يُنصَحُ بِالسَّيرِ عَلَى بَرنَامَجٍ يَسِيرُ عَليهِ، يَكُونُ فِيْهِ مُسَاعِداً لِلرَّاقِي الَّذِي رُبَّما يُفَرِّغُ وَقتاً طَوِيلاً لَهُ؛ فَيَتَعَاوَنَانِ عَلَى هَذَا؛ فَيَكتُبُ اللهُ لَهُ الشِّفَاءَ بِإذنِهِ.

رَابِعاً : فِي حَالَةِ أَنَّ الرَّاقِي يَكتُمُ التَّشخِيصَ وَلا يُبدِيهِ، تَكُونُ لَهُ فُرصَةٌ لِرَفعِ هِمَّةِ المرِيضِ لِلعِلاجِ؛ فَلَو أَخبَرَهُ بِحَالَتِهِ؛ لَيَئِسَ المرِيضُ مِن حَالَتِهِ، وَأَصَابَهُ الحَزَنُ؛ مِمَّا قَد يَصرِفَهُ عن مُمَارَسَةِ حَيَاتِهِ العَمَلِيَّةِ بِشَكلٍ طَبِيعِيٍّ، وَرُبَّمَا تَمَادَى الأَمرُ إلَىٰ التَّقصِيرِ فِي العِبَادَاتِ الوَاجِبَةِ، إضافةً إلَىٰ النَّوَافِلِ وَالفَضَائِلِ.

وَحِينَهَا يَجِدُهَا الجَانُّ «المُتَلَبِّسُ» فُرصَةً؛ لِتَغذِيَةِ هَذَا التَّقصِيرِ؛ فَيُزَيِّنُ لَهُ أَنَّ مَرَضَهُ قَوِيٌّ، وَشَدِيدٌ، وَسَوفَ يَبقَى شُهُوراً، وَيَمتَدُّ أَكثَرَ مِن سَنَةٍ عَلَى هَذِهِ الحَالَةِ؛ فَيَجلِبُ عَليهِ الرُّخَصَ، وَالأَعذَارَ بِخَيلِهِ، وَرَجِلِهِ؛ حَتَّى يُوقِعَهُ وَيُشَارِكَهُ فِي المُنكَرَاتِ؛ فَيَثقُلُ عَزمُهُ عن مُوَاصَلَةِ العِلاجِ، وَالسَّيرِ فِيْهِ، وَقَد يَصرِفُهُ عن العِلاجِ كُلِّيّاً.

أَمَّا حِينَ يُخفِي الرَّاقِي التَشخِيصَ، وَيَبدَأُ مَعَ المُبتَلَى بِأُسلُوبِ التَّشوِيقِ، وَالتَّنفِيسِ عَنْهُ بِسُرعَةِ العِلاجِ، وَرَفعِ الهِمَّةِ وَالعَزِيمَةِ، وَيَحُثُّهُ بَينَ فَترَةٍ وَأُخرَى عَلَى

---

(١) «زاد المعاد» (٤ / ١٧).

رَفعِ مَعنَوِيَّاتِهِ، وَيُحَفِّزُهُ عَلَى قُربِ الشِّفَاءِ، وَيُطَيِّبُ خَاطِرَهُ بِالكَلامِ الحَسَنِ الطَّيِّبِ، وَيُشَوِّقُهُ لِحَلاوَةِ العَافيةِ؛ فَلا شَكَّ أَنَّهُ لا يَستَبطِئُ العِلاجَ، أو يَستَثقِلُهُ، بَل تَرَاهُ يُسَارِعُ فِيْهِ، وَيُجهِدُ نَفسَهُ أَضعَافَ أَضعَافَ مَا يَقدِرُ؛ طَلَباً لِلسَّلامَةِ وَالرَّاحَةِ، وَطِيبِ العَيشِ بِالعَافيةِ، مَعَ صَبرِهِ وَاحتِسَابِهِ.

كُلُّ ذَلِكَ؛ لأَنَّهُ مِن هَديِ النَّبِيِّ ﷺ في العِلاجِ؛ أَن يُطَيِّبَ النُّفُوسَ العَلِيلَةَ، وَيُقَوِّيَ القُلُوبَ المرِيضَةَ.

يَقُولُ ابنُ عَبدِ البَرِّ رَحِمَهُ اللَّهُ: في قَولِهِ: «شِفَاءً لا يُغَادِرُ سَقَماً»: «وَهَذَا يُصَحِّحُ لَكَ أَنَّ المُعَالَجَةَ؛ إِنَّما هِيَ لِتَطيبَ نَفسُ العَلِيلِ، وَيَأنَسَ بِالعَلاجِ رَجَاءَ أَن يَكُونَ الشِّفَاءُ كَالتَّسَبُّبِ لِطَلَبِ الرِّزقِ الَّذِي قَد فُرِغَ مِنهُ»[1].

وَيقُولُ ابنُ قَيِّمِ الجَوزِيَّةِ رَحِمَهُ اللَّهُ مُعَلِّقاً عَلَى حَدِيثِ: «إِذَا دَخَلتُم عَلَى المرِيضِ، فَنَفِّسُوا لَهُ في الأَجَلِ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ لا يَرُدُّ شَيئاً، وَهُوَ يُطَيِّبُ نَفسَ المرِيضِ»:

«وَفي هَذَا الحَدِيثِ نَوعٌ شَرِيفٌ جِدّاً مِن أَشرَفِ أَنوَاعِ العِلاجِ، وَهُوَ الإِرشَادُ إِلَىٰ مَا يُطَيِّبُ نَفسَ العَلِيلِ مِنَ الكَلامِ الَّذِي تَقوَى بِهِ الطَّبِيعَةُ، وَتَنتَعِشُ بِهِ القُوَّةُ، وَيَنبَعِثُ بِهِ الحَارُّ الغَرِيزِيُّ؛ فَيَتَسَاعَدُ عَلَى دَفعِ العِلَّةِ، أَو تَخفِيفِهَا، الَّذِي هُوَ غَايَةُ تَأثِيرِ الطَّبِيبِ.

وَتَفرِيحُ نَفسِ المرِيضِ، وَتَطيِيبُ قَلبِهِ، وَإِدخَالُ مَا يَسُرُّهُ عَليهِ، لَهُ تَأثِيرٌ عَجِيبٌ في شِفَاءِ عِلَّتِهِ وَخِفَّتِهَا؛ فَإِنَّ الأَروَاحَ وَالقُوَى تَقوَى بِذَلِكَ؛ فَتُسَاعِدُ الطَّبِيعَةُ عَلَى دَفعِ المُؤذِي، وَقَد شَاهَدَ النَّاسُ كَثِيراً مِنَ المرضَى تَنتَعِشُ قُوَاهُ؛ بِعِيَادَةِ مَن يُحِبُّونَهُ، وَيُعَظِّمُونَهُ، وَرُؤيَتِهِم لَهُم، وَلُطفِهِم بِهِم، وَمُكَالَمَتِهِم إِيَّاهُم»[2].

---

(١) «التمهيد» (٥/ ٢٦٥).

(٢) «زاد المعاد» (٤/ ١١٦) بتصرف.

وَيقول الدُّكتُورُ مُحَمَّدُ البَارِ وَفَّقَهُ الله، في تَعلِيقِهِ عَلَى كَلامِ الطَّبِيبِ الرَّازِي رَحِمَهُ اللهُ حِينَ قال: «وَيَنبَغِي لِلطَّبِيبِ أَن يُوهِمَ المرِيضَ الصِّحَّةَ، وَيُرَجِّيهِ بِهَا؛ لأَنَّ مَزَاجَ الجِسمِ تَابعٌ لأَخلاقِ النَّفسِ»

قال: «وَمُلاحَظَةُ الرَّازِي لِلأَطِّبَّاءِ؛ مُلاحَظَةٌ مُهِمَّةٌ جِدًّاً؛ فَإِنَّ العَامِلَ النَّفسِيَّ فِي مُقَاوَمَةِ المرَضِ عَامِلٌ مُهِمٌّ جِدًّاً، وَيَنبَغِي لِلطَّبِيبِ أَن يُرَاعِيَ هَذِهِ النُّقطَةَ»[1].

ثُمَّ اعلَم أَيُّهَا المُوَفَّقُ: أَنَّهُ مِنَ السُّهُولَةِ عِندَ أَيِّ رَاقٍ؛ أَن يُسرِعَ فِي تَشخِيصِهِ قَائِلاً: هَذِهِ الحَالَةُ سِحرٌ، أَو مَسٌّ، أَو عَينٌ، أَو حَسَدٌ، وَلَكِن أَينَ يَذهَبُ مِنَ الله ؟ بَل كَيفَ تَجَرَّأَ وَقال مَا لا يَعرِفُ، وَأَوقَعَ الحَيْرَةَ عَلَى كَثِيرٍ مِن عِبَادِ الله، وَاللَّهُ سُبحَانَهُ يقول: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ (الإسراء: ٣٦).

لا رَيبَ أَنَّ هَذِهِ أَسبَابٌ وَجِيهَةٌ جِدًّاً لِلرَّاقِي فِي السُّكُوتِ عن التَّشخِيصِ، وَالاحتِفَاظِ بِهِ فِي بِدَايَةِ دِرَاسَةِ الحَالَةِ، أَمَّا بَعدَهَا، وَقَد تَيَقَّنَ الرَّاقِي مِن مَعرِفَةِ العِلَّةِ تَمَامَاً؛ فَلا بَأسَ بِأَن يُخبِرَ المرِيضَ بِهَذَا، وَالأَفضَلُ أَنَّهُ «يَنبَغِي عَلَى الرَّاقِي أَن يُشَجِّعَ المرِيضَ عَلَى مُوَاصَلَةِ الرُّقيَةِ دُونَ تَشخِيصٍ، إِذَا مَا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّ المرِيضَ مُصَابٌ بِالعَينِ، أَو السِّحرِ، أَو المسِّ؛ حَتَّى لا يَترُكَ الرُّقيَةَ، وَيَلجَأَ إِلَىٰ الطِّبِّ النَّفسِيِّ»[2] وَهَذَا مَا أَرَاهُ مُنَاسِباً.

هَذِهِ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ، فِي صِفَاتِ الرَّاقِي المُحَنَّكِ المُوَفَّقِ؛ فَهِيَ أَصلٌ وَبَعضُهَا فَرعٌ، وَبَعضُهَا يَتَدَاخَلُ مَعَ بَعضِهَا الآخَرُ؛ فَحَاوَلتُ جُهدِي أَن يَقِفَ الرَّاقِي عَلَى أَهَمِّ هَذِهِ الصِّفَاتِ لأَهَمِّيَّتِهَا، وَالمُوَفَّقُ مَن وَفَّقَهُ رَبُّهُ، وَاللَّهُ أَعلَمُ[3].

---

(١) «هل هناك طبي نبوي» (١٩٩) مختصراً

(٢) من تعليقات شيخنا أبي حمد نفع الله به.

(٣) ويحسن بالمعالِج الموفَّق أن ينظر فيما كتبه ابن القيِّم رَحِمَهُ اللهُ، إلى ما يحتاجه الطبيب في علاجه عشرين أمراً، فانظرها إن رُمتَ فائدةً في «زاد المعاد» (٤/ ١٤٢) فهي أصول نفيسة، وحِكَمٌ رفيعة، ولله درُّه على هذا

المطلبُ الثَّاني

مَا ينبَغِي أَن يَكُونَ عَليهِ «المرِيضُ» الـمُعَالَجُ

وَأَمَّا مَا يَنبَغِي أَن يَكُونَ عَليهِ المرِيضُ الـمُعَالَجُ؛ فَيَحسُنُ بِهِ أَن يَتَوَجَّهَ إِلَىٰ الله تَعَالىٰ بِكُلِّيَّتِهِ؛ فَيَتَذَلَّلُ لَهُ وَيَخضَعُ، وَيَنطَرِحُ بَينَ يَدَيهِ، رَاجِياً رَحمَتَهُ، سَائِلاً مَغفِرَتَهُ، تَائِباً إِلَيهِ، قَائِماً عَلَى أَوَامِرِهِ، مُبتَعِداً عن زَوَاجِرِهِ، رَاضِياً بِقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ، مُطمَئِنّاً بِهِ قَلباً؛ فَمَا هُوَ إِلَّا طَالِبٌ مِن رَبِّهِ العَافِيَة، وَالشِّفَاءَ، أَفَيَحسُنُ بِهِ وَهُوَ كَذَلِكَ، مَعصِيَتُهُ وَمُخَالَفَةُ أَمرِهِ ؟! لا؛ فَالوَاجِبُ عَلَى كُلِّ مُبتَلىً أَن يَتَقَبَّلَ كَلامَ رِبِّهِ؛ بِإِيمَانٍ قَوِيٍّ، وَيَقِينٍ تَامٍّ، وَاعتِقَادِ الشِّفَاءِ بِهِ، وَأَن يُرَافِقَ ذَلِكَ، قَبُولٌ، وَرَغبَةٌ صَادِقَةٌ؛ فَهَذَا الَّذِي يَنتَفِعُ.

يَقُولُ الكَحَّالُ رَحِمَهُ اللهُ : «وَاعلَم أَنَّ الرُّقَى، وَالتَّعَاوِيذَ، وَمَا أَشبَهَ ذَلِكَ؛ إِنَّمَا تُفِيدُ إِذَا أُخِذَتْ بَالقَبُولِ، وَحُسنِ الاعتِقَادِ، وَصَادَفَتِ الإِجَابَةَ، وَفُسحَةَ الأَجَلِ.

وَبِالجُملَةِ: فَإِنَّ الرُّقَى، وَالعُوَذَ؛ إِلتِجَاءٌ إِلَىٰ الله تَعَالَىٰ؛ لِيَهِبَ العَافِيَةَ بِسَبَبِ سُؤَالِهِ؛ كَمَا يَهِبُهَا بِالسَّبَبِ الَّذِي وَضَعَهُ لَهُ بِالدَّاوءِ»[1].

وَأَمَّا مَن كَانَ حَالُهُ حَالَ الـمُجرِّبِ، الـمُتَشَكِّكِ، وَالـمُستَنكِفِ عن كِتَابِ رَبِّهِ؛ فَرَكَنَ وَوَكَلَ أَمرَهُ إِلَىٰ غَيرِهِ؛ فَقَلَّ أَنْ يَتَعَافَى أَو يَصِحَّ! لا سِيَّمَا إِذَا كَانَ مِن

=

الفهم الرائق فما أحسن السَّبر والتقسيم ! وما أروع الحِكَم والنكت الجياد ! حتى أعجز مهرة الأطباء أن يأتوا بمثلها فكيف بأحسن منها ؟ وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء؛ لذا فربما صعب فهم المراد منها؛ فشرحتها شرحاً يُبيِّن مراميها، ويُظهِر مقصودها، بما فتح الله به علينا في «نفع الأنام»، والله أعلم.

(١) «الأحكام النبوية» (٧٨).

بَعضِ الهَلكَى، وَالمحرُومِينَ مِن خَيرِ القُرآنِ، وَالَّذِي لَم يُرِد الله لَهُ الهِدَايَةَ، وَالشِّفَاءَ بِنُورِهِ[1].

وكَيفَ لا يَقبَلُ هذَا المحرُومُ الشِّفَاءَ بِهِ، وَ«القُرآنُ؛ هُوَ الشِّفاءُ التَّامُّ مِن جَمِيعِ الأَدوَاءِ القَلبِيَّةِ، وَالبَدنِيَّةِ، وَأَدواءِ الدُّنيَا وَالآخِرَةِ، وَمَا كُلُّ أَحدٍ يُؤَهَّلُ وَلا يُوَفَّقُ لِلاستِشفَاءِ بِهِ، وَإِذَا أَحسَنَ العَلِيلُ التَّدَاوِيَ بِهِ، وَوَضَعَهُ عَلَى دَائِهِ بِصِدقٍ، وَإِيمَانٍ، وَقَبُولٍ تَامٍّ، وَاعتِقَادٍ جَازِمٍ، وَاستِيفَاءِ شُرُوطِهِ؛ لَم يُقَاوِمهُ الدَّاءُ أَبَداً، وَكَيفَ تُقَاوِمُ الأَدوَاءُ كَلامَ رَبِّ الأَرضِ وَالسَّمَاءِ؛ الَّذِي لَو نَزَلَ عَلَى الجِبَالِ لَصَدَّعَهَا، أَو عَلَى الأَرضِ لَقَطَّعَهَا؛ فَمَا مِن مَرَضٍ مِن أَمرَاضِ القُلُوبِ، وَالأَبدَانِ إِلَّا وَفِي القُرآنِ سَبِيلُ الدَّلالَةِ عَلَى دَوَائِهِ، وَسَبَبِهِ، وَالحِميَةِ مِنهُ، لِمَن رَزَقَهُ فَهماً فِي كِتَابِهِ»[2].

ـ وَأَمرٌ مُهِمٌّ لأَهلِ المرِيضِ؛ يَحسُنُ بِهِم أَن يَقِفُوا مَعَ مَرِيضِهِم، وَيُعَاوِنُوهُ، وَيَعذِرُوا حَالَه، وَمَرَضَهُ، وَتَعَبَهُ؛ فَلا يُظهِرُوا التَّذَمُّرَ، أَوِ النُّفُورَ مِنهُ؛ فَذَلِكَ لَهُ تَأثِيرٌ عَجِيبٌ فِي عَافِيَتِهِ، وَشِفَائِهِ بِإِذنِ اللهِ.

يَقُولُ ابنُ قُدَامَةَ رَحِمَهُ اللهُ : «وَيُستَحَبُّ أَن يَلِيَ ـ أَي : يُرَافِقَ ـ المرِيضَ أَرفَقُ أَهلِهِ بِهِ، وَأَعلَمُهُم بِسِيَاسَتِهِ، وَأَتقَاهُم لِرَبِّهِ تَعَالَىٰ »[3].

ـ وَمِمَّا يَنبَغِي عَلَى المرِيضِ فِعلُهُ أَن يُحسِنَ إِلَىٰ النَّاسِ، وَيَتَفَقَّدَ فَقِيرَهُم بِالصَّدَقَةِ، وَالإِحسَانِ، وَسَائِرِ فِعلِ الخَيرَاتِ، وَمِصدَاقُ ذَلِكَ مِن كِتَابِ رِبِّنَا، مَا قَصَّهُ عن نَبِيِّهِ زَكَرِيَّا عَلَيهِ السَّلامُ مِنْ بَيَانِ حَالِهِ، وَزَوجِهِ، فِي المُسَارَعَةِ فِي الخَيرَاتِ، وَالطَّاعَاتِ،

---

(١) يقول شيخُنا العلامة عمر الأشقر نفع الله به : «ينبغي التَّنبيهُ إلى أنّ الرقية إن كانت من رجل مؤمن صالح؛ قد يَنتِفع بها الرجل الكافر، والعامِيّ؛ كما انتفع اللَّديغ برقية الصحابي الذي رقاه بسورة الفاتحة؛ فَبَرأ، أمَّا رقية الكافر لنفسه بالقرآن، والرقية الشرعية؛ فلا ينتفع بها إلَّا أن يشاء الله؛ إذ ليس عنده من الإيمان، واليقين الذي عند المؤمن» .اهـ من إملاءاته حفظه الله .

(٢) «زاد المعاد» (٤ / ٣٥٢) .

(٣) «المغني» (٢ / ١٦٠) .

وَالقُرُبَاتِ؛ فقال سُبحَانَهُ : ﴿ وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴾ (الأنبياء : ٨٩ــ٩٠).

وَمَن تفكَّرَ في ذَلِكَ عَلِمَ عِظَمَ نَفعِ الأَعمَالِ الصَّالِحَةِ في رَفعِ الهَمِّ، وَالغَمِّ، وَتَفرِيجِ الكُرُبَاتِ، وَمِصدَاقُ ذَلِكَ مِن سُنَّةِ نَبِيِّنَا ﷺ:

عن ابنِ عُمَرَ رَضِيَ الله عَنهُما قال : سَمِعتُ رَسُولَ الله ﷺ، يقول : «انطَلَقَ ثَلاثَةُ رَهطٍ مِمَّن كَانَ قبلَكُم، حَتَّى أَوَوا المبِيتَ إِلَىٰ غَارٍ؛ فَدَخَلُوهُ؛ فَانحَدَرَت صَخرَةٌ مِنَ الجَبَلِ؛ فَسَدَّت عَلَيهِم الغَارَ؛ فَقَالُوا : إِنَّهُ لا يُنجِيكُم مِن هَذِهِ الصَّخرَةِ، إِلَّا أَن تَدعُوا الله بِصَالِحِ أَعمَالِكُم.

فَقَال رَجُلٌ مِنهُم : اللَّهُمَّ كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيخَانِ كَبِيرَانِ، وَكُنتُ لا أَغبِقُ قبلَهُما أَهلاً، وَلا مَالاً؛ فَنَأَى بِي في طَلَبِ شَيءٍ يَوماً؛ فَلَم أُرِح عَلَيهِمَا حَتَّى نَامَا؛ فَحَلَبتُ لَهُمَا غَبُوقَهُمَا؛ فَوَجَدتُهُمَا نَائِمَينِ، وَكَرِهتُ أَن أَغبِقَ قَبلَهُمَا أَهلاً، أَو مَالاً؛ فَلَبِثتُ وَالقَدَحُ عَلَى يَدَيَّ أَنتَظِرُ استِيقَاظَهُمَا حَتَّى بَرَقَ الفَجرُ؛ فَاستَيقَظَا فَشَرِبَا غَبُوقَهُمَا.

اللَّهُمَّ إن كُنتُ فَعَلتُ ذَلِكَ ابتِغَاءَ وَجهِكَ؛ فَفَرِّج عَنَّا مَا نَحنُ فِيْهِ مِن هَذِهِ الصَّخرَةِ؛ فَانفَرَجَت شَيئاً لَا يَستَطِيعُونَ الخُرُوجَ.»

قال النَّبِيُّ ﷺ : «وَقال الآخَرُ : اللَّهُمَّ كَانَت لِي بِنتُ عَمٍّ، كَانَت أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيَّ؛ فَأَرَدتُهَا عن نَفسِهَا؛ فَامتَنَعَت مِنِّي حَتَّى أَلَمَّت بِهَا سَنَةٌ مِنَ السِّنِينَ؛ فَجَاءَتنِي؛ فَأَعطَيتُهَا عِشرِينَ وَمِئَةَ دِينَارٍ، عَلَى أَن تُخَلِّيَ بَينِي وَبَينَ نَفسِهَا؛ فَفَعَلَت حَتَّى إِذَا قَدَرتُ عَلَيهَا، قالت : لا أُحِلُّ لَكَ أَن تَفُضَّ الخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ؛ فَتَحَرَّجتُ مِنَ الوُقُوعِ عَلَيهَا؛ فَانصَرَفتُ عَنهَا، وَهِيَ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَتَرَكتُ الذَّهَبَ الَّذِي أَعطَيتُهَا.

اللَّهُمَّ إن كُنتُ فَعَلتُ ابتِغَاءَ وَجهِكَ؛ فَافرُج عَنَّا مَا نَحنُ فِيْهِ؛ فَانفَرَجَتِ الصَّخرَةُ، غَيرَ أَنَّهُم لا يَستَطِيعُونَ الخُرُوجَ مِنهَا»

قال النَّبِيُّ ﷺ: «وَقال الثَّالِثُ: اللَّهُمَّ إنِّي استَأجَرتُ أُجَرَاءَ؛ فَأَعطَيتُهُم أَجرَهُم غَيرَ رَجُلٍ وَاحِدٍ، تَرَكَ الَّذِي لَهُ وَذَهَبَ؛ فَثَمَّرتُ أَجرَهُ حَتَّى كَثُرَت مِنهُ الأَموَالُ؛ فَجَاءَنِي بَعدَ حِينٍ، فَقال: يَا عَبدَ الله، أَدِّ إِلَيَّ أَجرِي، فَقُلتُ لَهُ: كُلُّ مَا تَرَى مِن أَجرِكَ مِنَ الإِبِلِ، وَالبَقَرِ، وَالغَنَمِ، وَالرَّقِيقِ؛ فَقال: يَا عَبدَ الله، لا تَستَهزِئ بِي.

فَقُلتُ: إنِّي لا أَستَهزِئُ بِكَ؛ فَأَخَذَهُ كُلَّهُ؛ فَاستَاقَهُ فَلَم يَترُك مِنهُ شَيئاً.

اللَّهُمَّ فَإن كُنتُ فَعَلتُ ذَلِكَ ابتِغَاءَ وَجهِكَ؛ فَافرُج عَنَّا مَا نَحنُ فِيْهِ؛ فَانفَرَجَتِ الصَّخرَةُ؛ فَخَرَجُوا يَمشُونَ» (١)

يَقُولُ العَلامَةُ الشَّيخُ عَبدُ الرَّحمَنِ السَّعدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَمِنَ الأَسبَابِ الَّتِي تُزِيلُ الهَمَّ، وَالغَمَّ، وَالقَلَقَ؛ الإحسَانُ إِلَىٰ الخَلقِ بِالقَولِ وَالفِعلِ، وَأَنوَاعِ المعرُوفِ، وَكُلُّهَا خَيرٌ وَإِحسَانٌ، وَبِهَا يَدفَعُ الله عن البَرِّ، وَالفَاجِرِ، الهُمُومَ، وَالغُمُومَ بِحَسبِهَا، وَلَكِن لِلمُؤمِنِ مِنهَا أَكمَلُ الحَظِّ وَالنَّصِيبِ، وَيَتَمَيَّزُ بِأَنَّ إِحسَانَهُ صَادِرٌ عن إِخلاصٍ، وَاحتِسَابٍ لِثَوَابِهِ؛ فَيُهَوِّنُ الله عَلَيهِ بَذلَ المعرُوفِ؛ لِمَا يَرجُوهُ مِنَ الخَيرِ، وَيَدفَعُ عَنْهُ المكَارِهَ بِإخلاصِهِ، وَاحتِسَابِهِ» (٢).

وَهَذَا صَحِيحٌ، وَمُجَرَّبٌ مُشَاهَدٌ؛ فَكَم سُمِعَ عن رَفعِ البَلاءِ بِالإحسَانِ لِلخَلقِ، وَكَم فُرِّجَ عن مَرِيضٍ وَمَكرُوبٍ؛ بِسَبَبِ صَدَقَةٍ؛ دَعَا آخِذُهَا لَهُ فِيها بِخَيرٍ؛ فَفَرَّجَ اللهُ عَنْهُ الكَرْبَ، وَرَفَعَ عَنْهُ المرَضَ.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٢٧٢)

(٢) «الوسائل المفيدة للحياة السعيدة» (١٥).

أَرَأَيتَ كَيفَ يَكُونُ حَالُ الإحسَانِ سَبَباً في العَافية وَالشِّفَاءِ، بَل تَأَمَّل مَعِي قِصَّةَ المرأَةِ البَغِيِّ، الَّتِي أَسْقَتْ كَلباً؛ فَأَرضَتْ رَبّاً؛ فَغفَرَ لَها ذَنباً.

نعم ! أَحسَنَتْ لِذَاكَ الكَلبَ العَطِشِ؛ فَمَا كَانَ مِنَ الله، إلَّا أَنْ شَكَرَ فِعلَهَا، وَأَحسَنَ إلَيهَا؛ فَغفَرَ لَهَا ذَنبَهَا [1].

فَقُل لي بِرَبِّكَ، إذَا كَانَ الإحسَانُ إلَىٰ حَيوَانٍ؛ جَزَاؤُهُ المغفِرَةُ؛ فَكَيفَ بِالإحسَانِ لِلمُسلِمِينَ وَالمُسلِمَاتِ، وَتَفَقُّدِ حَوَائِجِهِم، وَرَفعِ الكُرَبِ عَنهُم، وَإنظَارِ مُعْسِرِهِم، وَقَضَاءِ الدَّينِ عَن مَدِينِهِم، وَإغَاثَةِ مَلهُوفِهِم، وَالسَّعيِ في حُصُولِ رَغَبَاتِهِم، لا رَيبَ أَنَّ الأَمرَ جِدٌّ نَافِعٍ لِلمَكرُوبِينَ.

يَقُولُ ابنُ قَيِّمِ الجَوزِيَّةِ رَحِمَهُ اللهُ : «وَمِن أَعظَمِ عِلاجَاتِ المَرَضِ؛ فِعلُ الخَيرِ، وَالإحسَانُ، وَالذِّكرُ، وَالدُّعَاءُ، وَالتَّضَرُّعُ، وَالابتِهَالُ إلَىٰ الله، وَالتَّوبَةُ، وَلِهَٰذِهِ الأُمُورِ تَأثِيرٌ في دَفعِ العِلَلِ، وَحُصُولِ الشِّفَاءِ، أَعظَمُ مِنَ الأَدوِيَةِ الطَّبِيعِيَّةِ، وَلَكِن بِحَسبِ استِعدَادِ النَّفسِ، وَقُبُولِهَا، وَعَقِيدَتِهَا في ذَلِكَ، وَنَفعِهِ» [2].

- وَمِن خَيرِ مَا يُعطَاهُ المَرِيضُ حَالَ البَلاءِ الصَّبرُ؛ فَعن أَبِي سَعِيدٍ الخُدرِيِّ رضي الله عنه قال : إنَّ رَسُولَ الله ﷺ قال : «وَمَا أُعطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيراً، وَأوسَعَ مِنَ الصَّبرِ» [3]

فَمَن نَزَلَتْ بِهِ بَلوَى، أَو مَرَضٌ، أَو كَربٌ، أَو ضِيقٌ؛ فَعَلَيهِ أَن يَستَعِينَ عَلَيهِ بِالصَّبرِ، وَيَحتَسِبَ الأَجرَ فِيْهِ؛ فَهُوَ خَيرُ مُعِينٍ، وَليَتَطَلَّع إلَىٰ حَلاوَةِ الأَجرِ وَالثَّوَابِ؛ لِتُنسِيهِ مَرَارَةَ الأَلَمِ وَالعَذَابِ؛ فاللهُ سُبحَانَهُ يقول : ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ (الزمر : ١٠).

وَاستَفِدْ مِن عَالِمٍ، كَيفَ يَنصَحُ تِلمِيذَهُ في المِحَنِ وَالمصَائِبِ؛ إذ يَقُولُ لَهُ :

---

(١) انظر : البخاري (٣٣٢١).

(٢) «زاد المعاد» (٤ / ١٤٢).

(٣) أخرجه البخاري (١٤٦٩).

«العَوارِضُ وَالمِحَنُ؛ هِيَ كَالحَرِّ وَالبَردِ؛ فَإِذَا عَلِمَ العَبدُ أَنَّهُ لابُدَّ مِنهُمَا لَم يَغضَب لِوُرُودِهِمَا، وَلَم يَغتَمَّ لِذَلِكَ، وَلَم يَحزَن»

فَإِذَا صَبَرَ العَبدُ عَلَى هَذِهِ العَوارِضِ، وَلَم يَنقَطِع بِهَا؛ رُجِيَ لَهُ أَن يَصِلَ إِلَىٰ مَقَامِ التَّحقِيقِ؛ فَيَبقَى مَعَ مَصحُوبِهِ الحَقِّ وَحدَهُ؛ فَتُهَذَّبُ نَفسُهُ، وَتَطمَئِنُّ مَعَ الله، وَتَنفَطِمُ عن عَوَائِدِ السُّوءِ، حَتَّى تَغمُرَ مَحَبَّةُ الله، قَلبَهُ، وَرُوحَهُ، وَتُعودَ جَوارِحُهُ مُتَابِعَةً لِلأَوَامِرِ؛ فَيَحُسُّ قَلبُهُ حِينَئِذٍ؛ بِأَنَّ مَعِيَّةَ الله مَعَهُ، وَتَوَلِّيهِ لَهُ؛ فَيَبقَى في حَرَكَاتِهِ وَسَكَنَاتِهِ بالله، لا بِنَفْسِهِ، وَتَرِدُ عَلَى قَلبِهِ التَّعرِيفَاتُ الإِلَهِيَّةُ »[1].

ويقُولُ الشَّيخُ عَبدُ الرَّحمَنِ السَّعدِيُّ رَحِمَهُ اللهُ : «العَاقِلُ يَعلَمُ أَنَّ حَيَاتَهُ الصَّحِيحَةَ حَيَاةُ السَّعَادَةِ وَالطُّمَأنِينَةِ، وَأَنَّهَا قَصِيرَةٌ جِدّاً؛ فَلا يَنبَغِي لَهُ أَن يُقَصِّرَهَا بِالهَمِّ، وَالاستِرسَالِ مَعَ الأَكدَارِ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ ضِدُّ الحَيَاةِ الصَّحِيحَةِ؛ فَيَشِحُّ بِحَيَاتِهِ أَن يُذهِبَ كَثِيرٌ مِنهَا نَهباً لِلهُمُومِ، وَالأَكدَارِ.

ـ وَيَنبَغِي أَيضاً : إِذَا أَصَابَهُ مَكرُوهٌ، أَو خَافَ مِنهُ، أَن يُقَارِنَ بَينَ بَقِيَّةَ النِّعَمِ الحَاصِلَةِ لَهُ؛ دِينِيَّةً، أَو دُنيَوِيَّةً، وَبَينَ مَا أَصَابَهُ مِن مَكرُوهٍ؛ فَعِندَ المُقَارَنَةِ؛ يَتَّضِحُ كَثرَةُ مَا هُوَ فِيْهِ مِنَ النِّعَمِ، وَاضمِحلالِ مَا أَصَابَهُ مِنَ المكَارِهِ »[2].

❑ ❑ ❑

---

(١) «مدارج السالكين» (٣/ ٣٨٩) . وهي من نصيحة شيخ الإسلام الإمام إلى تلميذه النجيب ابن القيم الهُمام .

(٢) «الوسائل المفيدة» (٢٦) بتصرف .

يقول الكحَّال في «الأحكام النبوية» : «إنَّ في المرض فوائد لا ينبغي للعقلاء أن يجحدوها : منها المعرفة بقدر العافية، وتمحيص الذنب، والحثّ على الصدقة، وقرع باب التوبة، وتطهير البدن من مواد العلَّة .

وقال الحسن رَحِمَهُ اللهُ: «بَدنٌ لا يَشتكي ـ لا يَمرض ـ مثلُ مال لا يُزكَّى» (١٧٨)

ولقد استخرج ابن قيم الجوزية رَحِمَهُ اللهُ قرابة المئة فائدة من المرض؛ فلله دَرُّه .

المطلبُ الثَّالِثُ

التَّحذِيرُ مِن إتيَانِ السَّحَرَةِ وَالـمُشَعوِذِينَ

اعْلَم عَلَّمَنِي اللهُ وَإيَّاكَ أَيُّها المرِيضُ ـ شَفَاكَ الله، وَرَفَعَ ضُرَّكَ، وَأَلبَسكَ ثَوبَ العَافية ـ أَنَّ مِنَ الأُصُولِ المُقَرَّرَةِ في عَقِيدَتِنَا؛ الإيمانُ بِأَنَّ الغَيبَ لا يَعلَمُهُ إلَّا الله، لا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، وَلا نَبِيٌّ مُرسَلٌ، وَلا وَلِيٌّ صَالِحٌ، يقول تَعَالىٰ: ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ﴾ (النمل: ٦٥).

فَالرُّسُلُ إنَّما يَعلَمُونَ مَا أَعلَمَهُمُ الله تَعَالىٰ: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا (٢٦) إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ﴾ (الجن: ٢٦ـ٢٧).

بَل إنَّ أَعظَمَ الخَلقِ، وَأَكرَمَ النَّاسِ عَلَى الله تَعَالىٰ؛ نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ ﷺ لا يَعلَمُ الغَيبَ، ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ (الأعراف: ١٨٨)

فَيَا مَن وُلِدتَ عَلَى التَّوحِيدِ، اعْلَم أَنَّ إتيَانَ السَّحَرَةِ، وَالكُهَّانِ، وَالعَرَّافِينَ، وَالـمُشَعوِذِينَ؛ مُحرَّمٌ، وَذَنبٌ خَطِيرٌ، وَكَبِيرَةٌ مِنَ الكَبَائِرِ.[1]

وَالكَاهِنُ: هُوَ الَّذِي يَدَّعِي مَعرِفَةَ مَا سَيَكُونُ مِن أُمُورِ المُستَقبَلِ، وَيَستَخدِمُ شَيَاطِينَ الجِنِّ؛ لاستِرَاقِ السَّمعِ مِنَ السَّماءِ؛ فَيَزعُمُ مَعرِفَةَ الأَسرَارِ.

وَالعَرَّافُ: هُوَ الَّذِي يَتَعَرَّفُ عَلَى مَا وَقَعَ في الماضِي بِأُمُورٍ يَستَدِلُّ بِهَا، وَيُخبِرُ عن المسرُوقِ وَمَكَانِ الضَّالَّةِ (الشَّيءِ الضَّائِعِ المفقُودِ) وَعَمَّا يَكُون في المُستَقبَلِ، وَقَد يُنَجِّمُ بِالنُّجُومِ، وَيَزعُمُ أَنَّ لَـهَا أَسرَاراً، وَلا يَعلَمُهَا غَيرُهُ[1].

---

(١) انظر: «الكبائر» للإمام الذهبي (٣٢) الكبيرة الثالثة: السِّحر.

تحذير من قنوات السِّحر الفضائية: هذا وإنَّ من صور الإتيان المحرم اليوم، مشاهدة قنوات السِّحر، والشَّعوذَة، والدَّجَل، والتَّنجِيم المحرَّم، وحكم متابعة هذه البرامج، أو الاتصال بها، وسؤال أهلها، أو متابعتها في المجلات والجرائد، هو في الحكم سواء كمن أتاهم، وصدَّقهم، والعياذ بالله؛ **فَلْيَتَّقِ العبدُ ربَّهُ**، ولا يفعل ما يَخسر به دينه ودنياه؛ فليس بعد خسران الدِّين عِوَضٌ.

وَكِلاهُمَا لَهُ اتِّصَالٌ بالجِنِّ يَستَنْبِئا مِنْهُم الخَبرَ والعِلْم، وأَضِفْ مَعَهَا مِئَةَ كَذْبَةٍ كَمَا أَخبرَنَا النَّبيُّ ﷺ، وَهَذا مَعرُوفٌ في زَمَنِ النُّبوَّةِ والصَّحابَةِ.

وَقالَ قَتَادَةُ : ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾ (الملك:٥)، خَلَقَ هَذِهِ النُّجُومَ لِثَلاَثٍ: جَعَلَهَا زِينَةً لِلسَّمَاءِ، وَرُجُوماً لِلشَّيَاطِينِ، وَعَلاَمَاتٍ يُهتَدَى بِهَا، فَمَن تَأَوَّلَ فيهَا بِغَيرِ ذَلِكَ أَخطَأَ وَأَضَاعَ نَصِيبَهُ وَتَكَلَّفَ مَا لاَ عِلمَ لَهُ بِهِ. [(١)]

فَيَا أَيُّهَا العَاقِلُ: هَؤُلاءِ قَد ادَّعَوا عِلمَ الغَيبِ، وَاستَخَفُّوا بِعُقُولِ النَّاسِ، وَزَعَمُوا بِأَنَّهُم أُعطُوا مَفَاتِيحَ، وَعِلْماً لا يَعلَمُهُ أَحَدٌ غَيرُهُم؛ فَاستَعَانُوا بِالشَّيَاطِينِ؛ فَاستَرَقَت شَيَاطِينُهُم السَّمعَ مِنَ السَّمَاءِ؛ فَيَصدُقُونَ مَرَّةً، وَيَكذِبُونَ مَعَهَا مِئَةَ كَذبَةٍ ! وَيَا لِسَخَافَةِ، وَخِفَّةِ عُقُولِ النَّاسِ؛ يَنظُرُونَ لِلمَرَّةِ الوَحِيدَةِ، الَّتِي صَدَقُوا فِيها فَقط ! وَيَقُولُونَ : أَلَم يَصدُق يومَ كَذَا بِكَذَا وَكَذَا ؟! وَينسُونَ، أَو يَتَنَاسَونَ مِئَةَ كَذبَةٍ ! فَمَا هَذَا بِالعَقلِ، إِنَّمَا هَذَا حُبُّ السَّيرِ خَلفَ الأَوهَامِ الكَاذِبَةِ، وَالغَرائِبِ الباطِلَةِ ؟!

فَيَا سُبحَانَ الله أَلا تَعلَم ـ شَفَاكَ الله وَرَفَعَ ضُرَّكَ ـ أَنَّ الله لَم يَجعَل شِفَاءَكَ فيمَا حَرَّمَهُ عَلَيكَ ؟

فَكَيفَ تَلجَأُ لِهَذِهِ الشِّرذِمَةِ ؟

كَيفَ تَكُونُ العَافيَةُ بِيَدِ الشَّيَاطِينِ ؟

=

و انظر : في تعريف الكاهن والعراف : «النهاية في غريب الحديث» (٤ / ٢١٤)، و «الفتح» (١٠ / ٢١٧)، و «شرح النووي على مسلم» (٥ / ٢٢)، و «مجموع فتاوي الشيخ عبد العزيز بن باز» (١ / ١٧٠)، و (٢ / ١١٨)، و (٣ / ٢٧٩)، وغيرها.

(١) أخرجه البخاري تعليقاً في كتاب : بدء الخلق، باب النجوم، وطالع لزاماً شرح ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ عليه فهو نفيس.

إنْ رُمتَ سِرَّ المسألَةِ، وَكَشْفَ حِيلَتِهِم؛ فَاسْمَعِ الصِّدِّيقَةَ بِنتَ الصِّدِّيقِ، وَهِيَ تَحكِي ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ.

عن عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْها، قالت: سَأَلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ نَاسٌ عن الكُهَّانِ؟

فَقَال: «لَيسَ بِشَيءٍ».

فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، إنَّهُم يُحَدِّثُونَا أَحيَانَاً بِشَيءٍ؛ فَيَكُونُ حَقَّاً.

فَقَال رَسُولُ اللهِ ﷺ: «تِلكَ الكَلِمَةُ مِنَ الحَقِّ؛ يَخطَفُهَا الجِنِّيُّ؛ فَيَقُرُّهَا فِي أُذُنِ وَلِيِّهِ؛ فَيَخلِطُونَ مَعَهَا مِئَةَ كَذبَةٍ»[1].

فَالأَسلَمُ لَكَ - رَفَعَ اللهُ ضُرَّكَ وَأَلبَسَكَ العَافِيَةَ - أَن لا تَركَن لِمِثْلِ هَؤُلاءِ؛ فَمَا عِندَهُم مَا يُرجَى نَفعُهُ، وَلا مَا يُرفَعُ ضُرُّهُ، بَل لَقَد حَذَّرَ النَّبِيُّ ﷺ مِن إتيَانِهِم، وَمُجَرَّدِ سُؤَالِهِم.

عن صَفيَّةَ، عن بَعضِ أَزوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قالَ: «مَنْ أَتَى عَرَّافاً؛ فَسَأَلَهُ عَنْ شَيءٍ؛ لَمْ تُقبَلْ لَهُ صَلاةٌ أَربَعِينَ لَيلَةً»[2].

فَانظُر - شَفَاكَ اللهُ وَعَافَاكَ - أَنَّ مُجَرَّدَ المجِيءِ لهُم، وَسُؤَالهُم؛ عَاقِبَتُهُ أَن لا تُقبَلَ لَكَ صَلاةٌ أَربَعِينَ لَيلَةً، كُلُّ ذَلِكَ لِلحُصُولِ عَلَى مَعلُومَةٍ سَابِقَةٍ؛ فَلا بَارَكَ اللهُ بِمَعلُومَةٍ يَكُونُ بِهَا ذَهَابُ الدِّينِ وَالإيمَانِ، نَسأَلُ اللهَ السَّلامَةَ وَالعَافِيةَ.

فَكَيفَ لَو صَدَّقَهُم فِيمَا سَأَلهُم بِهِ؟

عن أَبِي هُرَيرَةَ رضي الله عنه قالَ: قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَن أَتَى كَاهِناً أَو عَرَّافاً؛ فَصَدَّقَهُ فِيمَا يَقُولُ؛ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ» ﷺ[3].

---

(١) أخرجه البخاري (٥٧٦٢) ومسلم (٢٢٢٨) (١٢٣)

قوله: «فيقُرُّها» القرُّ: ترديد الكلام في أذن المخاطب حتى يفهمه.

(٢) أخرجه مسلم (٢٢٣٠).

(٣) أخرجه أحمد «المسند» (٩٢٥٢) والحاكم في «المستدرك» (١/ ٥٠) وقال: حديثٌ صحيحٌ على شرطهما، ووافقه الذهبي. والبيهقي في «الكبرى» (٨/ ١٣٥) وقال الحافظ في «الفتح» (١٠/ ٢١٧) «سنده جيِّد»

وَفي رِوَايَةِ ابنِ مَسعُودٍ ﷺ موقُوفاً : «أَو سَاحِراً»[1].

فَاحذَرْ يَا مَن تُرِيدُ الشِّفَاءَ وَالعَافِيةِ؛ خَطَرَ الذَّهَابِ لِهَذِهِ الشِّرذِمَةِ مِنَ السَّحَرةِ، وَالكَهَنَةِ، وَالعَرَّافِينَ، وَالمُشَعوذِينَ، مِمَّا قَد يَصِلُ بِكَ إِلَىٰ الكُفرِ وَالعِيَاذُ بِاللَّهِ.

فَإِيَّاكَ إِيَّاكَ مِنَ الذَّهَابِ إِلَيهِم؛ فَلا يَزِيدُونَكَ وَرَبِّي إِلَّا خَبَالاً وَوَبَالاً، وَلتَعلَم أَنَّ الشِّفَاءَ لا يَكُونُ عِندَ أَولِيَاءِ الشَّيطَانِ، وَكَيفَ يَكُونُ الشِّفَاءُ وَهُوَ قَائِمٌ عَلَى الشِّركِ، وَعُبُودِيَّةِ الشَّيطَانِ، وَالله سُبحَانَهُ لَمْ يَجعَلِ الشِّفَاءَ فِيمَا حَرَّمَهُ؛ فَاحفَظ هَذَا وَالزمهُ وَأَوصِ بِهِ، حَفِظَنِي رَبِّي وَإِيَّاكَ مِنَ الزَّلَلِ وَالخَطَلِ.

وَسُئِلَ شَيخُنَا العَلاَّمَةُ مُحَمَّدُ العُثَيمِين رَحِمَهُ ٱللَّهُ وَبَرَّدَ ضَجِيعَهُ عَنِ الكَهَانَةِ، وَحُكمُ إِتيَانِ الكُهَّانِ ؟

فَأَجَابَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ : الكَهَانَةُ فَعَالَةٌ، مَأخُوذَةٌ مِنَ التَّكَهُّنِ، وَهُوَ التَّخَرُّصُ وَالتِمَاسُ الحَقِيقَةِ بِأُمُورٍ لا أَسَاسَ لَهَا.

وَكَانَت فِي الجَاهِلِيَّةِ صَنعَةً لأَقوَامٍ تَتَّصِلُ بِهِم الشَّيَاطِينُ، وَتَستَرِقُ السَّمعَ مِنَ السَّمَاءِ، وَتُحَدِّثُهُم بِهِ، ثُمَّ يَأخُذُونَ الكَلِمَةَ الَّتِي نُقِلَت إِلَيهِم مِنَ السَّمَاءِ بِوَاسِطَةِ هَؤُلاءِ الشَّيَاطِينِ، وَيُضِيفُونَ إِلَيهَا مَا يُضِيفُونَ مِنَ القَولِ، ثُمَّ يُحَدِّثُونَ بِهَا النَّاسَ؛ فَإِذَا وَقَعَ الشَّيءُ مُطَابِقاً لِمَا قَالُوا؛ اغتَرَّ بِهِمُ النَّاسَ، وَاتَّخَذُوهُم مَرجِعاً فِي الحُكمِ بَينَهُم، وَفِي استِنتَاجِ مَا يَكُونُ فِي المُستَقبَلِ.

وَلِهَذَا نَقُولُ : الكَاهِنُ؛ هُوَ الَّذِي يُخبِرُ عن المُغَيَّبَاتِ فِي المُستَقبَلِ.

وَالَّذِي يَأتِي إِلَىٰ الكَاهِنِ يَنقَسِمُ إِلَىٰ ثَلاثَةِ أَقسَامٍ :

القِسمُ الأَوَّلُ : أَن يَأتِي إِلَىٰ الكَاهِنِ؛ فَيَسأَلُهُ مِن غَيرِ أَن يُصَدِّقَهُ؛ فَهَذَا مُحَرَّمٌ.

---

(١) أخرجه البزار في «المسند» (٥/ ٢٥٦) وأبو يعلي في «مسنده» (٩/ ٢٨٠) وقال ابن كثير في «تفسيره» (١/ ١٤٤) : «اسناده جيد» وكذا الحافظ في «الفتح» (١٠/ ٢١٧).

وَعُقُوبَةُ فَاعِلِهِ : أَن لا تُقبَلَ لَهُ صَلاةٌ أَربَعِينَ يومًا، كَمَا ثَبَتَ في «صَحِيحِ مُسلِمٍ» أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال : «مَن أَتَى عَرَّافًا؛ فَسأله عن شَيءٍ؛ لَم تُقبَل لَهُ صَلاةٌ أَربَعِينَ لَيلَةً».

القِسمُ الثَّانِي : أَن يَأتِيَ إِلَى الكَاهِنِ؛ فَيسأَلُهُ، وَيُصَدِّقُهُ بِمَا أَخبَرَ بِهِ؛ فَهَذَا كُفرٌ بِالله عَزَّوَجَلَّ؛ لأَنَّهُ صَدَّقَهُ في دَعوَى عِلْمِهِ الغَيبَ، وَتَصدِيقُ البَشَرِ دَعوَى عِلْمِ الغَيبِ؛ تَكذِيبٌ لِقَولِ الله تَعَالَىٰ : ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ (النمل: ٦٥).

وَلِهَذَا جَاءَ فِي الحَدِيثِ الصَّحِيحِ : «مَن أَتَى كَاهِنًا؛ فَصَدَّقَهُ فِيمَا يقول؛ فَقَد كَفَرَ بِمَا أُنزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ» ﷺ.

القِسمُ الثَّالِثُ : أَن يَأتِيَ إِلَى الكَاهِنِ؛ فَيَسأَلُهُ؛ لِيُبَيِّنَ حَالَهُ لِلنَّاسِ، وَأَنَّهَا كَهَانَةٌ، وَتَموِيهٌ، وَتَضلِيلٌ، وَهَذَا لا بَأسَ بِهِ.

وَدَلِيلُ ذَلِكَ؛ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَتَاهُ ابنُ صَيَّادٍ؛ فَأَضمَرَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ شَيئًا في نَفسِهِ؛ فَسَأَلَهُ النَّبِيُّ ﷺ مَاذَا خَبَأَ لَهُ ؟

فَقال : الدُّخُّ؛ يُرِيدُ الدُّخَانَ.

فَقال النَّبِيُّ ﷺ : «اخسَأ؛ فَلَن تَعدُوَ قَدْرَكَ» [(١)].

وَيَحسُنُ بِي وَقَد نَهَيتُكَ عَنهُم؛ أَن أُبَيِّنَ لَكَ بَعضَ صِفَاتِهِم، وَسِمَاتِهِم؛ لِتَحذَرَهُم، وَتُمَيِّزَ بَينَ مَن يَزعُمُ الصَّلاحَ، وَالاستِقَامَةَ، وَبَينَ مَن هُوَ مُتَلَطِّخٌ بِفَسَادِهِم، وَشَعوَذَتِهِم؛ فَتَعرِفَهُم، وَتَحذَرَ مِنهُم مَا استَطَعتَ لِذَلِكَ سَبِيلاً.

فَدُونَكَ هِيَ فِي «كُلِّيَّاتٍ» جَمَعتُهَا لَكَ، وَأَحسَبُ ـ وَالله أَعلَمُ ـ أَنَّهَا شَامِلَةٌ في الغَالِبِ؛ لِكَشفِهِم، وَفَضحِهِم؛ فَتَوَكَّل عَلَى الله : ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (يوسف :٦٤).

□□□

---

(١) «مجموع الفتاوى» لشيخنا محمد العثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ (٢ / ١٨٤) بتصرُّفٍ يسير.

المطلبُ الرَّابعُ
كُلِّيَّاتٌ، وَعَلامَاتٌ، وَتنبيهَاتٌ

العَلامَةُالسِّمَةُ، وَهِيَ مَا دَلَّ عَلَى الشَّيءِ، وَمَيَّزَهُ عن غَيرِهِ. وَمَعرِفَةُ عَلامَاتِ السَّحرَةِ، وَالكَهَنَةِ، وَالدَّجَالِينَ، أَمرٌ في غَايَةِ الأَهَمِّيَّةِ؛ ذَلِكُم أَنَّ هَذِهِ العَلامَاتِ؛ هِيَ مَا تُمَيِّزُ الخَيرَ مِنَ الشَّرِّ، وَهَذَا مَنهَجٌ قُرآنِيٌّ؛ إِذْ يَقُولُ الحَقُّ جَلَّ في عُلاهُ: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ (الأنعام: ٥٥).

فَكُلَّمَا جَاءَ السَّحَرَةُ بِحِيَلٍ سِحْرِيَّةٍ، وَشَعوَذَةٍ، وَدَجَلٍ؛ يُقَيِّضُ اللهُ مِن حَمَلَةِ الإِسلامِ مَن يَهتِكُ أَستَارَهُم، وَيُبَيِّنُ عَورَهُم، وَيَكشِفُ زَيفَهُم، وَيُبطِلُ حِيَلَهُم، وَبِمَعرِفَةِ هَذِهِ العَلامَاتِ لِهَذِهِ الشِّرذِمَةِ الكَافِرَةِ؛ يَأمَنُ المُسلِمُ مِن شَرِّهِم، وَإِغوَائِهِم، وَهَذِهِ بَعضُ عَلامَاتِهِم:

□ كُلُّ مَن يَأمُرُ أَمراً، أَو يَطلُبُ طَلَباً مُخَالِفاً لِلكِتَابِ وَالسُّنَّةِ؛ لِيَفعَلَهُ المَرِيضُ، أَو المَرِيضَةُ؛ فَلا يُؤتَى.

كَأَنْ يَطلُبَ ذَبحَ حَيَوَانٍ مِن غَيرِ ذِكرِ اسْمِ اللهِ عَلَيهِ، وَرُبَّمَا طَلَبَ أَنْ يَكُونَ لَونُهُ أَسوَدَ، أَو يَطلُبُ حَرقَ أَورَاقٍ كُتِبَت فِيهَا طَلاسِمُ غَيرُ مَفهُومَةٍ، وَلا مَعقُولَةٍ، لِيَتِمَّ التَّبَخُّرُ بِهَا، أَو أَنْ يُخبِرَ المَرِيضَ بِعَدَمِ استِعمَالِ المَاءِ «وُضُوءاً، أَو اغتِسَالاً» لِفَترَةٍ مُعَيَّنَةٍ مِنَ الزَّمَنِ! أَو رُبَّمَا أَمَرَهُ بِالعُزلَةِ عَنِ النَّاسِ، وَغَيرِهَا مِن طُقُوسِهِم - قَاتَلَهُمُ اللهُ - فَلا يَفعَلُ ذَلِكَ أَبَداً، وَلا يَقرَبَنَّهُم؛ فَيَهلَكَ، وَيَقَعُ فِي مَا لا تُحمَدُ عُقبَاهُ.

□ كُلُّ مَن يُعطِي المَرِيضَ، أَو المَرِيضَةَ «حِجَاباً» يَحتَوِي عَلَى رُمُوزٍ، أَو خُزَعبَلاتٍ، وَرُسُومَاتٍ، مُرَبَّعَاتٍ، وَحُرُوفٍ مُقَطَّعَةٍ، وَلَو كَانَ بَعضُهَا مِنَ القُرآنِ.

بِتَقطِيعِ حُرُوفِهِ ـ لِلتَّموِيهِ؛ لِيُعَلِّقَهُ عَلَى رَقَبَتِهِ، أَو يَضَعَهُ في جَيبِهِ، أَو في حَقِيبَتِهِ، أَو في سَيَّارَتِهِ، أَو في مَنزِلِهِ، أَو رُبَّمَا أَعطَاهُ شَيئَاً مُنكَرَاً غَيرَ مَعرُوفٍ، وَطَلَبَ مِنهُ أَن يَدفِنَهُ في مَكَانٍ مُعَيَّنٍ، وَيُخَوِّفَهُ بِعَدَمِ فَتحِهِ، وَإِلَّا حَصَلَ لَهُ شَرٌّ كَبِيرٌ، وَخَطَرٌ عَظِيمٌ.

فَهَذِهِ أُمُورٌ مُحَرَّمَةٌ، وَمِنَ العَبَثِ بِعُقُولِ النَّاسِ؛ فَلْيُتلِفهَا، وَيَحرِقهَا[١] وَلا عِبرَةَ بِهَا، وَاللَّهُ الحَافِظُ.

□ كُلُّ مَن يَطلُبُ مِنَ المرِيضِ، أَو المرِيضَةِ «اسمَهُ، وَاسمَ أُمِّهِ، أَو اسمَ زَوجِهِ» وَذَلِكَ لِيَتَعَرَّفَ عَليهِ مِن خِلالِ شَيَاطِينِهِ عن طَرِيقِ القَرِينِ، وَيَفعَلُوا مَا يُؤمَرُوا بِهِ، أَو يَطلُبُ مِنهُ أَثَرَاً؛ كَثَوبٍ، أَو غِطَاءٍ، أَو قُمَاشٍ فِيْهِ رَائِحَةُ عَرَقِهِ؛ لِيَزعُمَ أَنَّهُ سَيُقَدِّمُ لَهُ مَنفَعَةً وَعِلاجَاً ! أَو لِيُخبِرَ مَا يَدُلُّ عَلَى التَّوَافُقِ مِن عَدَمِهِ في الحَيَاةِ الزَّوجِيَّةِ، أَو التَّعَبِ وَالأَذَى مِن خِلالِ رَبطِ الأَسمَاءِ بِبَعضِهَا مَعَ الأَرقَامِ !

□ كُلُّ مَن يَقرَأُ في بِدَايَةِ رُقيَتِهِ القُرآنَ ! ثُمَّ يُتَمتِمُ بِكَلامٍ غَيرِ مَسمُوعٍ وَلا مَفهُومٍ؛ فَذَا مِن أَهلِ الشَّيطَانِ، وَرُبَّمَا زَعَمَ أَنَّ عِندَهُ خُدَّامَاً لِسُوَرِ القُرآنِ !! وَأَنَّهُم صَالِحُونَ ! وَمَا هَذَا إِلَّا لِصَلاحِهِ ؟![٢]

---

(١) أُحضِر لي مرةً حجاباً قال لي صاحبه : فُعِلَ لي لِيُصرَف عني الشرّ والسوء ! فلمّا فتحته وجدت فيه أوامرَ لأسماء شياطين لتتلبَّس به ! ومن ثَم تحميه وتقيه السوء !! وربما اشتمل بعضها على الشيء الكثير من الخطر، لذا من الأحوط أن يُقرَأ عليها الفاتحة وآية الكرسي وخواتيم سورة البقرة والمعوذات وينفث عليها ثم يحرقها، والله أعلم .

(٢) وهذه أيضاً من حِيَل القوم ! وفي ظني أنها تعود لأمرين :

الأول : للتمويه على الناس أن العلاج فقط بالقرآن وبالجان المسلم، فقد يطمئن بعض بسطاء المسلمين ممن غلب عليهم الجهل، ومن المعلوم أن المريض يتعلق بقَشَّةٍ ! وبالتالي يكون وجبة رائعة لهذا الصنف خبيث النية والطوية .

والثاني : قد يوجد هذا عند بعض الرقاة الذين أصابتهم غفلة وشبهة ولُبِّس عليهم الأمر، فينبغي أن يُحَذَّروا من هذا ويبتعدوا عنه، وينصحوا في ذلك، ثم ما الذي يدريك أنهم صالحون؟ ولك الحكم على الظاهر ولا ظاهر لك، والقوم أعجوبة في الحيل والتمويه فينبغي لك أن تكون حذراً كَيِّسَاً فَطِناً لا كِيْسَ قُطن. وقد بينتُ هذا بتفصيل في المسائل العشر والموسومة بـ«فقه الرقية الشرعية» والله أعلم .

وَهَذَا تَزيِينٌ عَلَى النَّاسِ وَغِشٌّ لَهُم، وَمَا أَكثَرَ النِّسَاءِ الوَاقِعاتِ في هَذَا الجَانِبِ؛ فَليَنتَبِهنَ ـ صَانَهُنَّ اللهُ ـ لِمِثلِ هَذِهِ الخُزَعبلاتِ، وَالتُّرَّهَاتِ.

وَيُلحَقُ بِهَا : مَا زَعَمَهُ بَعضُ المُعَالِجِينَ مِن دَعوَاهُم؛ بِأَنَّهُم اكتَشَفُوا أَنَّ لأَسمَاءِ الله خُدَّاماً، وَأَسرَاراً، لا يَعلَمُهَا غَيرُهُم؛ فَخَاضُوا بِهَرْطَقَاتِهِم، وَتَلبِيسَاتِهِم عَلَى النَّاسِ.

يَقُولُ شَيخُنَا أ.د. عُمَرُ الأَشقَرُ أَمَدَّ الله في بَقَائِهِ وَنَفَعَ بِهِ : «يَدَّعِي هَؤُلاءِ بِأَنَّ لِكُلِّ اسْمٍ مِن أَسمَاءِ الله الحُسنَى خَوَاصّاً، وَأَسرَاراً تَتَعَلَّقُ بِهِ عَلَى إِفَاضَةٍ فِيهَا وَإِيجَازٍ، وَقَد يَغلُو بَعُضُ النَّاسِ؛ فَيَتَجَاوَزُ هَذَا القَدَرَ إِلَىٰ الزَّعمِ بِأَنَّ لِكُلِّ اسمٍ خَادِماً رُوْحَانِيّاً، يَخدِمُ مَن يُوَاظِبُ عَلَى الذِّكرِ بِهِ، وَيَذكُرُ بَعضُ الَّذِينَ سَارُوا في هَذَا الاتِّجَاهِ، أَنَّهُم يَكشِفُونَ بِأَسمَاءِ الله أَسرَارَ المُغَيَّبَاتِ، وَالخَافي مِنَ المكنُونَاتِ.

وَيَزعَمُ بَعضُ هَؤُلاءِ؛ أَنَّ اسْمَ الله الأَعظَمِ، سِرٌّ مِنَ الأَسرَارِ، يُمنَحُ لِبَعضِ الأَفرَادِ؛ فَيَفتَحُونَ بِهِ المُغلَقَاتِ، وَيَخرِقُونَ بِهِ العَادَاتِ، وَيَكُونُ لَهُم بِهِ مِنَ الخَوَاصِّ مَا لَيسَ لِغَيرِهِم مِنَ النَّاسِ.

وَهَؤُلاءِ الَّذِينَ قَالُوا هَذِهِ المقالِةِ؛لَم يَأْتُوا بِنَصٍّ مِن كِتَابِ رَبِّنَا، وَلا حَدِيثٍ مِن صَحِيحِ سُنَّةِ نَبِيِّنَا، وَكُلُّ مَا اعتَمَدُوا عَلَيهِ لا تَقُومُ بِهِ حُجَّةٌ، وَلا يَنهَضُ بِهِ دَلِيلٌ، وَمَا كَانَ كَذَلِكَ؛ فَلا اعتِبَارَ لَهُ، وَحَسبُنَا في رَدِّهِ قَولُهُ ﷺ : «كُلُّ عَمَلٍ لَيسَ عَلَيهِ أَمرُنَا؛ فَهُوَ رَدٌّ» وَقَد فَتَحَتْ هَذِهِ المَقُولَةُ بَابَ الخرَافَةِ، وَدَخَلَ السَّحَرَةُ وَالمُشَعوِذُونَ مِن هَذَا البَابِ؛ فَتَرَى عُبَّادَ الشَّيطَانِ يَمكُرُونَ بِالنَّاسِ، وَيَكِيدُونَهُم بِالسِّحرِ، وَيَزعَمُونَ أَنَّهُم يُسَخِّرُونَ غَيرَهُم، وَيُؤَثِّرُونَ فيهِم، وَيَعلَمُونَ المستُورَ مِنَ الأَخبَارِ بِمَا اطَّلَعُوا عَليهِ وَعَرَفُوهُ مِن أَسمَاءِ الله الحُسنَى، وَصِفَاتِهِ العُليَا.

وَلا يَزَالُ لِهَذَا النَّوعِ مِنَ النَّاسِ وُجُودٌ فِي دِيَارِ المُسلِمِينَ، وَبَعضُ البُسَطَاءِ مِنَ النَّاسِ يَثِقُونَ بِهِم، وَيُتَابِعُونَهُم عَلَى ضَلالِهِم؛ فَعَلَى العُلَمَاءِ، وَطَلَبَةِ العِلمِ أَن يُحَذِّرُوا مِن هَذَا الصِّنفِ وَكَيدِهِ، نَصِيحَةً لله، وَرَسُولِهِ، وَالمُؤمِنِينَ»[1].

◻ كُلُّ مَن يَطلُبُ الخَلْوَةَ بِالنِّسَاءِ، أَو الكَشفَ عَنهَا؛ لِيَنظُرَ وَيُشَخِّصَ ! أَو رُبَّمَا تَبَجَّحَ وَقَال بِجوازِ ذَلِكَ لِلضَّرُورَةِ، وَقَاسَ نَفسَهُ عَلَى الطَّبِيبِ[2] ! فِي كَشفِ بَعضِ جَسَدِهَا ! فإِيَّاكَ وأَلْفُ إِيَّاكَ مِنَ التَّعَامُلِ مَعَهُ، وَفِرَّ مِنْهُ فِرَارَكَ مِنَ الأَسدِ، وَلا تَغتَرَّ بِمَظهَرِهِ إِذَا وَافَقَ مَظهَرَ أَهلِ الصَّلاحِ وَالتَّقوَى، وَخِلتُكَ عَاقِلاً.

تَتِمَّةٌ :

وَهَذِهِ جُملَةُ أُمُورٍ مُنتَشِرَةٌ، يَعتَقِدُ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ أَنَّهَا صَحِيحَةٌ، وَنَافِعَةٌ لِلحَذَرِ، وَلِكَي تَدفَعَ العَينَ، أَو السِّحرَ، أَو أَنَّهَا تَكشِفُ السُّوءَ :

◻ زَعمُهُم أَنَّ بَعضَ النَّاسِ مَكشُوفٌ لَهُ ! فَيَرَى الجَانَّ، وَيَعُدُّونَهَا مِنَ الكَرَامَاتِ ! لِيُحَذِّرَهُم بِزَعمِهِ مَا يَضُرُّهُم، وَالمِسكِينُ لا يَقدِرُ صَرفَ الضُّرِّ عن نَفسِهِ[3].

◻ قِرَاءَةُ الكَفِّ، وَالفِنجَانِ، وَمَا فِيهِمَا مِن خُزَعبَلاتِ وَتَهَاوِيلِ النِّسَاءِ، وَتَصدِيقِهِنَّ، وَبَعضُ النِّسَاءِ هَدَاهُنَّ الله، يَتَمَازَحنَ بِهَذَا، وَهَذَا تَشَبُّهٌ خَطِيرٌ بِالسَّحَرَةِ، وَالمُشَعوِذِينَ؛ فَلْيَمتَنِعنَ؛ فَإِنَّهُ حَرَامٌ.[4]

---

(١) «أسماء الله وصفاته في معتقد أهل السنة والجماعة» (٤٠ - ٤١).

(٢) الواجب على النساء أن لا يذهبن إلَّا لطبيبة؛ فإن عُدِمت، فلا بأس في الطبيب المسلم الثقة مع المَحرَم.

(٣) انظر : باب المكاشفة في «مدارج السالكين» لابن قيم الجوزية (٣ / ٢٢١) ففيها بيان نافع، و«الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة» (٢ / ١١٢٩) للتفريق بين الكشف الشرعي والكشف البدعي الصوفي الباطل.

(٤) يقول الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللهُ «قراءة الكفِّ، وقراءة الفنجان، ومعرفة الخط وما أشبه ذلك، مما يَدَّعيه الكهنة والعرَّافون والسحرة؛ **كلها من علوم الجاهلية التي حرَّمها الله ورسوله**» «مجموع الفتاوى» (٢ / ١١٨).

□ اعتِقَادُهُم أَنَّ لُبسَ النُّحَاسَ في اليَدِ؛ يَدفَعُ العَينَ، وَالحَسَدَ، أَو الصَّرْعَ [1].

□ اعتِقَادُهُم في تَعلِيقِ العَينِ الزَّرقَاءِ في البُيُوتِ، أَو السَّيَّارَاتِ؛ لِدَفعِ العَينِ، أَو المكرُوهِ.

□ كِتَابَةُ المُعَوِّذَتَينِ، أَو آيَةِ الكُرسِيِّ في وَرَقَةٍ، وَتَغلِيفُهَا، أَو حَمْلُ حِجَابِ الحِصنُ الحَصِينِ ! وَوَضعُهَا في الحَقِيبَةِ الشَّخصِيَّةِ، أَو الجَيبِ دَائِماً؛ لِدَفعِ المكرُوهِ وَالأَذَى.

□ تَعلِيقُ آيَةِ الكُرسِيِّ في سَلاسِلِ الذَّهَبِ، وَتَلبِيسُهَا للأَطفَالِ، أَو رُبَّما يَلبِسُهَا الكِبَارُ، وَالأَسلَمُ مَنعُ ذَلِكَ؛ حُرمَةً وَتَعظِيماً لِكَلامِ الله في أَن يَدخُلَ أَمَاكِنَ غَيرِ طَاهِرَةٍ.

□ وَضعُ المُصحَفِ في الغُرَفِ، وَفي السَّيَّارَةِ، لا لِلقِرَاءَةِ، وَلَكِن لِدَفعِ المكرُوهِ.

□ زَعمُ بَعضِ النَّاسِ القِيَامَ بِحَرقِ الشَّبَّةِ وَإِغمَاضُ العَينِ؛ لِتَرَى صُورَةَ العَائِنِ، أَو الحَاسِدِ؛ فَهَذَا فِيهِ تَوَهُّمٌ، وَسُوءُ ظَنٍّ بِالنَّاسِ.

□ كِتَابَةُ اسمِ العَائِنِ في وَرَقَةٍ، وَحَرقُهَا بِنِيَّةِ إِزَالَةِ العَينِ، وَهَذَا غَيرُ صَحِيحٍ، وَالصَّوَابُ؛ الأَخذُ مِنْ غُسْلِهِ، أَو وُضُوئِهِ، بِلا خَجَلٍ؛ فَهُوَ حَقٌّ شَرعِيٌّ، وَيَجِبُ إِعطَاؤُهُ لِمَن طَلَبَهُ، وَالاغتِسَالُ بِهِ، كَمَا سَبَقَ بَيَانُهُ في عِلاجِ العِينِ.

□ صَلاةُ الجَنَازَةِ عَلَى العَائِنِ، سَوَاءٌ كَانَ نَائِماً، أَو غَائِباً، وَهَذَا غَيرُ صَحِيحٍ؛ فَإِنَّهُ يَدُلُّ عَلَى خِفَّةٍ بِالعُقُولِ، وَخُرَافَاتِ عَجَائِزَ !

---

(١) قد يَلبس الحِرَفيُّون أسورة النحاس لا لاعتقادهم أنها تَضُرُّ أو تنفع؛ ولكن لوجود شحنات كهربائية زائدة في أجسادهم، وعُرف عن هذه الأسورة تفريغها للشحنات من الجسد ومَن لم يلبسها، مَن يُسلِّم عليه يشعر بالكهرباء للشحنة الكهربائية العالية وهذا معروف؛ فينبغي التفريق بين الأمرين . وانظر : في حكم لبس الأسورة لاعتقاد النفع أو الضر . «مجموع الفتاوي» للشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ (١ / ٢١١) .

□ تعليقُ حُذوَةِ الفَرَسِ، أَو حِذَاءٍ لِلأطفَالِ في السَّيَّارَاتِ، أَو فوقَ عَتبَاتِ أَبوَابِ المَنَازِلِ؛ لِصَرفِ العَينِ وَالحَسَدِ.

□ قَولُ بَعضِهِم إذَا خَشِيَ العَينَ أَو الحَسَدَ: «امْسِكِ الخَشَبَ !»؛ وَهَذَا غَيرُ صَحِيحٍ، وَالصَّوابُ مَا دَلَّت عَليهِ السُّنَّةُ، وَكَمَا عَلَّمَنَا النَّبِيُّ ﷺ أَن نَدعُوا لَهُ بِالبَرَكَةِ.

□ كِتَابَةُ قَولِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ (الفلق: ٥)

أَو قَولِهِ: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا﴾ (الكهف: ٣٩)، عَلَى لَوحَاتِ المحلاتِ، وَرُبَّمَا كَانَت بِجِوَارِهِ صُوَرٌ لِلمَلابِسِ، وَالأَحذِيَةِ، وَمَا لا يَلِيقُ بِتَعظِيمِ كَلامِ اللهِ.

أَو الكِتَابَةُ عَلَى وَاجِهَةِ البِنَايَاتِ وَالعِمَارَاتِ؛ بِقَصدِ دَفعِ العَينِ، وَهَذا كُلُّهُ لَيسَ بِصَوابٍ، وَلَم يَأتِ في شَرعِنَا مَا يَدُلُّ عَلَى هَذَا، وَلا رَيبَ أَنَّ تَعظِيمَ القُرآنِ؛ كَلامِ الله عن هَذِهِ الأُمُورِ، أَمرٌ مَحمُودٌ شَرعاً؛ فَهِي مِن شَعائِرِ الله تَعالَىٰ: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ (الحج: ٣٢)، وَاللَّهُ أَعلَمُ.

□ كِتَابَةُ كَلِمَةٍ لِيُحفَظَ مَا كُتِبتْ عَلَيْهِ، مِنْ مِثْلِ «كَبِيكَج» كَمَا يُشَاهَدُ عَلى المخْطُوطَاتِ القَدِيمَةِ، أَوْ «يَا مَحرُوس» أَوْ «حُوطَة = تَحْوِيطَة» عَلى أَقْمِشَةٍ وَنَحْوِهَا، فَهَذا كُلُّه مِنْ ضَعْفِ اليَقِينِ باللهِ وَالإِيمَانِ بِهِ والتَّوكُّلِ عَلَيْهِ، وَفِعْلُهُ مُخَالِفٌ لِلشَّرْعِ، وَيَقُودُ لِلشِّرْكِ وَالعِيَاذُ باللهِ.

تَنبِيهٌ مُهِمٌّ:

وَمِنَ الأَهَمِّيَّةِ بِمَكَانٍ، وَيَتَحَتَّمُ عَلَيَّ لِزَامَاً أَن أَذكُر كُتُباً انتَشَرَت، وَاشتَهَرَت بَينَ النَّاسِ، فِيهَا السِّحْرُ، وَالدَّجَلُ، وَالشَّعوَذَةُ، وَالخُرَافَاتُ، وَالخُزعبلاتُ [1]؛ فَكُن

---

(١) انظر: «كتب حذر منها العلماء» (١ / ٩٩).

مِنهَا على حَذَرٍ تَامٍّ؛ وَحَذِّرِ كُلَّ مُسلِمٍ وَمُسلِمَةٍ مِنهَا؛ فَكَم بِمِثلِهَا جُرَّت وَيلاتٌ، وَأُعقِبَت بَآهَاتٍ، وَإِنَّ مِن هَذِهِ الكُتُبِ :

١- كُتُبُ أَبِي مِعشَرِ الفَلَكِي (جَعفَربن مُحَمَّد بن عُمَر البَلخِي ت ٢٧٢هـ):

كُلُّهَا كُتُبُ شَعوَذَةٍ وَدَجَلٍ، وَقَد انتَشَرَتِ انتِشَارَاً وَاسِعَاً في مَصرَ، وَطُبِعَ أَشَدُّهَا خَطَرَاً وَفَسَادَاً وَدَجَلاً بِاسمِ : «بُغيَةُ الطَّالِبِ في مَعرِفَةِ الضَّمِيرِ لِلمَطلُوبِ وَالطَّالِبِ وَالمغلُوبِ وَالغَالِبِ» في مِصرَ سَنَةَ ١٨٦٣م [١].

٢- كُتُبُ عَبدِ الفَتَّاحِ الطُّوخِيِّ:

وَالنَّاشِرُ لَهَا المكتَبَةُ الثَّقَافِيَّةُ في بَيرُوتَ، وَلا تَقِلُّ خَطَرَاً عن سَابِقِيهَا، وَفِيها مِنَ الخُبثِ، وَالضَّلالِ مَا اللهُ بِهِ عَلِيمٌ، وَأَخبَثُهَا كِتَابُ : «السِّحرُ الأَحمَرُ» فَفِيه الكُفرُ الصُّرَاحُ، نَسأَلُ الله السَّلامَةَ وَالعَافِيَة. [٢]

٣- كِتَابُ «الجفر» :

يُنسَبُ كَذِباً، وَزُوراً إِلَىٰ عَلِيِّ بنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه، وَتَارَةً يُنسَبُ إِلَىٰ جَعفَرٍ الصَّادِقِ رحمه الله، وَهُوَ مَشهُورٌ في بِلادِ إِيرَانَ، وَالعِرَاقَ.

وَفيه زَعَمَ الرَّافِضَةُ الإِمَامِيَّةُ أَنَّ جعفراً رحمه الله كَتَبَ لَهُم فِيْهِ كُلَّ مَا يَحتَاجُونَ إِلَيهِ، وَكُلَّ مَا سَيَقَعُ إِلَىٰ يومِ القِيَامَةِ ! فَنِسبَةُ هَذَا الكِتَابِ إِلَىٰ عَلِيٍّ رضي الله عنه، أَو جعفرٍ رحمه الله بَاطِلَةٌ.

يقول شَيخُ الإسلامِ ابنُ تَيمِيَّةَ رحمه الله : «وَأَمَّا الكَذِبُ وَالأَسرَارُ الَّتِي يَدَّعُونَهَا عن جعفرِ الصَّادِقِ؛ فَمِن أَكبَرِ الأَشيَاءِ كَذِباً، حَتَّى يُقَالَ: مَا كُذِبَ عَلَى أَحَدٍ، مَا كُذِبَ عَلَى جَعفَرٍ رضي الله عنه.

---

(١) «كتب حذر منها العلماء» (١ / ١٠٦) .

(٢) المصدر السابق (١ / ١٠٧) .

وَمِن هَذِهِ الأُمُورِ المُضَافَةِ كِتَابُ «الجَفرِ» الَّذِي يَدَّعُونَ أَنَّهُ كَتَبَ فِيْهِ الحَوَادِثَ، وَالجَفرُ؛ وَلَدُ الماعِزِ؛ يَزعُمُونَ أَنَّهُ كَتَبَ ذَلِكَ فِي جِلدِهِ » اهـ[1].

هَذَا وَإِنَّ فِي الكِتَابِ مِنَ البَلايَا، وَالطَّوَامِّ مَا الله بِهِ عَلِيمٌ؛ فَفِيْهِ الكُفرُ الصَّرِيحُ، وَالحَلِفُ بِغَيرِ الله، وَطَلَبُ المَدَدِ مِنَ الجِنِّ وَالعَفَارِيتِ، وَاستِطلاعُ الغُيُوبِ، وَهَذَا مِمَّا يَأبَاهُ الدِّينُ الحَنِيفُ.[2]

٤- كِتَابُ «الرَّحمَةُ فِي الطِّبِّ وَالحِكمَةِ» :

وَمُؤَلِّفُهُ مَهدِي إبرَاهِيمَ الصَّبِيرِيِّ (ت٨١٥هـ) وَهُوَ مُنتَشِرٌ فِي بِلادِ مِصرَ، وَالشَّامِ. وَنِسبَتُهُ للإِمَامِ السُّيُوطِيِّ رَحِمَهُ اللهُ غَلَطٌ فَاحِشٌ.

إذ فِيْهِ مِنَ الخُزعبلاتِ، وَالجَهَالاتِ، وَالشَّعوَذَاتِ الَّتِي تَمُجُّهَا النُّفُوسُ، وَتَرفُضُهَا الفِطَرُ السَّلِيمَةِ؛ فَمِن ذَلِكَ :

مَا ذَكَرَهُ الشَّيخُ القُشَيرِيُّ رَحِمَهُ اللهُ، فِي كِتَابِهِ «السُّنَنُ والمُبتَدَعَاتُ» تَحتَ عِنوانِ (عَزِيمَةٌ لِلعَمَى) يقول : «وَقال شَيخُ الدَّجَّالِينَ، وَالعَرَّافِينَ، وَإمَامُهُم، وَقُدوَتُهُم إِلَىٰ الجَهلِ، وَالبَلَهِ، وَالغَبَاءِ، وَالجُنُونِ، صَاحِبُ كِتَابِ «الرَّحمَةِ - بَل اللَّعنَةِ - فِي الطِّبِّ وَالحِكمَةِ» قال : يُؤخَذُ دَمُ الحَائِضِ الَّتِي لَم يَمَسَّهَا رَجُلٌ، وَيُخلَطُ مَعَ المَنِيِّ، وَيُكتَحَلُ بِهِ !! فَإِنَّهُ يَقطَعُ البَيَاضَ مِنَ العَينِ) اهـ[3]

فَانظُرُوا إِلَىٰ هَذِهِ الجُنُونِيَّاتِ، وَالخُزعبلاتِ؛ فَأَيُّ رَحمَةٍ، وَأَيُّ حِكمَةٍ فِيها، وَمَا خَفِي كَانَ أَعظَمُ، نَسأَلُ الله السَّلامَةَ وَالعَافِيَة.

---

(١) «مجموع الفتاوي» (٤ / ٧٨) وانظر : «كتب حذر منها العلماء» (١ / ١٠٨) .

(٢) وهناك أيضاً «حيوان = خاروف» ينسبونه إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه، يتبرّكون به!! ليعالجهم من أمراضهم، وهكذا فليكن العلاج بالخرافة، وإلّا فلا؛ فما أفسد عقولهم ؟!

نعم، عن الرّوافض ـ أخزاهم الله ـ حدِّث ولا حرج، وقد قال الإمام أحمد رحمه الله عنهم : ما رأيتُ قوماً أحمق من الشيعة . «السُّنة» (٢/ ٥٤٩) لعبد الله بن أحمد رحمهما الله .

(٣) «كتب حذر منها العلماء» (١ / ١٢٩) .

٥ـ كِتَابُ «شَمسُ المعَارِفِ الكُبرَى» وَ «الوُسطَى» وَ «الصُّغرَى» :

وَمُؤَلِّفُ هَذِهِ الكُتُبِ الشَّيطَانِيَّةِ؛ أَحمَدُ بنُ عَلِيٍّ البُونِيُّ (ت ٦٢٢ هـ).

وَهِيَ كُتُبُ شِركٍ، وَسِحرٍ، وَشَعوَذَةٍ، وَدَجَلٍ، فِيها مُنَادَاةٌ لِلشَّيَاطِينِ وَالعَفَارِيتِ، وَكَم أَفسَدَت بُيُوتاً لِلمُسلِمِينَ، وَكَم دَمَّرَت حَيَاتَهُم لِفَترَةٍ مِنَ الزَّمَنِ.

وَأَغلَبُ أَهلِ هَذَا الزَّمَانِ، يَتَطَفَّلُونَ عَلَيهَا لِـمَا يَسمَعُونَ مِنَ التَّشوِيقِ لَهَا؛ فَمَا أَن يَجِدُوهَا، وَيَنظُرُوا فِيها، إِلَّا وَتَجِدُ الكَارِثَةَ : مِن مُنَادَاةِ الشَّيَاطِينِ، وَالمرَدَةِ، وَالعَفَارِيتِ، وَ يَؤُولَ الأَمرُ بِبَعْضِهِم الاستِغَاثَةِ بِهِم بِكَلامٍ، لا يَفهَمُ مِنهُ القَارِئُ أَنَّهَا استِغَاثَاتٌ، وَمُنَادَاةٌ، وَيَبدَأُ مُسَلسَلُ العَذَابِ، وَالوَيلاتِ مِن جَرَّاءِ التَّطَفُّلِ عَلَيهَا، وَحُبِّ الاستِطلاعِ بِمَا فِيها[1].

وَأَكثَرُ مَن يَقتَنِي هَذِهِ الكُتُبُ؛ هُم السَّحَرَةُ قَاتَلَهُمُ الله. وَهُوَ مُنتَشِرٌ في مِصرَ، وَالشَّامِ، وَإِندُونِيسيَا.

وَمِمَّا يُلحَقُ بِأُمُورِ السَّحَرَةِ، وَالشَّعوَذَةِ، وَالدَّجَلِ، وَلَيسَت هِيَ بِكُتُبٍ، وَلَكِنَّهَا عَزَائِمُ مَشهُورَةٌ مُنتَشِرَةٌ؛ ضُمِّنَت في بَعضِ كُتُبِهِم، فَمِنهَا :

٦ـ حِرزُ «أَبِي دُجَانَةَ» المَنسُوبُ لَهُ زُوْراً وبُهْتَاناً :

وَنَصُّهُ :

عَنْ مُوسَى الأَنصَارِيِّ : شَكَى أَبُو دُجَانَةَ الأَنصَارِيُّ؛ فَقال : يَا رَسُولَ الله، بَينَا أَنَا البَارِحَةَ نَائِمٌ، إِذ فَتَحتُ عَينَيَّ؛ فَإِذَا عِندَ رَأسِي شَيطَانٌ؛ فَجَعَلَ يَعلُو وَيَطُولُ؛ فَضَرَبتُ بِيَدَيَّ إِلَيهِ؛ فَإِذَا جِلدُهُ كَجِلدِ القُنفُذِ؛ فَقال رَسُولُ الله ﷺ : وَمِثلُكَ يُؤذَى يَا أَبَا دُجَانَةَ، عَامِرُكَ عِامِرُ سُوءٍ وَرَبِّ الكَعبَةِ، ادعُ لِي عَلِيَّ بنَ أَبِي

---

(١) «كتب حذر منها العلماء» (١ / ١٢٤).

طَالِبَ؛ فَدَعَاهُ، فَقال: يَا أَبَا الحَسَنِ، اكتُب لأَبِي دُجَانَةَ كِتَاباً لا شَيْءَ يُؤذِيهِ مِن بَعدِهِ؛ فَقال : وَمَا أَكتُب ؟

قال : «اكتُب، بِسمِ اللهِ الرَّحمَنِ الرَّحِيمِ، هَذَا كِتَابٌ مِن مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ العَرَبِيِّ الأُمِّيِّ التُّهَامِيِّ الأَبطَحِيِّ المكيِّ المدَنِيِّ القُرَشِيِّ الهَاشِمِيِّ صَاحِبِ التَّاجِ، وَالهِرَاوَةِ، وَالقَضِيبِ، وَالنَّاقَةِ، وَالقُرآنِ، وَالقِبلَةِ، صَاحِبِ قَولِ لا إِلَهَ إِلَّا الله، إِلَىٰ مَن طَرَقَ الدَّارَ مِنَ الزُّوَّارِ وَالعُمَّارِ إِلَّا طَارِقاً يَطرُقُ بِخَيرٍ، أَمَّا بَعدُ :

فَإِنَّ لَنَا وَلَكُم فِي الحَقِّ سَعَةً؛ فَإِن يَكُن عَاشِقاً مُولَعاً، أَو مُؤذِياً مُقتَحِماً، أَو فَاجِراً يَجهَرُ، أَو مُدَّعِياً مُحِقّاً، أَو مُبطِلاً؛ فَهَذَا كِتَابُ اللهِ يَنطِقُ عَلَينَا وَعَلَيكُم بِالحَقِّ، وَرُسُلُنَا لَدَينَا يَكتُبُونَ مَا تَمكُرُونَ.

اترُكُوا حَمَلَةَ القُرآنِ، وَانطَلِقُوا إِلَىٰ عَبَدَةِ الأَوثَانِ، إِلَىٰ مَن اتَّخَذَ مَعَ اللهِ إِلَهاً آخَرَ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ العَرشِ العَظِيمِ، يُرسَلُ عَلَيكُمَا شُوَاظٌ مِن نَارٍ، وَنُحَاسٌ فَلا تَنتَصِرَانِ، فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَت وَردَةً كَالدِّهَانِ؛ فَيَومَئِذٍ لا يُسأَلُ عن ذَنبِهِ إِنسٌ وَلا جَانٌّ.

ثُمَّ طَوَى الكِتَابَ؛ فَقال : ضَعهُ عِندَ رَأسِكَ؛ فَوَضَعَهُ؛ فَإِذَا هُم يُنَادُونَ النَّارَ، النَّارَ احرَقتَنَا بِالنَّارِ، وَالله مَا أَرَدنَاكَ، وَلا طَلَبنَا أَذَاكَ، وَلَكِنَّ زَائِراً زَارَنَا وَطَرَقَ؛ فَارفَع عَنَّا الكِتَابَ؛ فَقال : وَالَّذِي نَفسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لا أَرفَعُهُ عَنكُم حَتَّى أَستَأذِنَهُ ﷺ فَلَمَّا أَصبَحَ أَخبَرَهُ ﷺ فَقال : ارفَع عَنهُم؛ فَإِن عَادُوا بِالسَّيِّئَةِ؛ فَعُد إِلَيهِم بِالعَذَابِ، فَوَالَّذِي نَفسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، مَا دَخَلَت هَذِهِ الأَسمَاءُ دَاراً، وَلا مَوضِعاً، وَلا مَنزِلاً، إِلَّا هَرَبَ إِبلِيسُ وَجُنُودُهُ، وَذُرِّيَّتُهُ، وَالغَاوُونَ » اهـ.

وَهَذَا الحَدِيثُ بَاطِلٌ مَوضُوعٌ، حَكَمَ بِوَضعِهِ، وَبُطلانِهِ العُلَمَاءُ، لاسِيَّمَا، وَلَيسَ فِي الصَّحَابَةِ مَن اسمُهُ مُوسَى أَصلاً.

يقول الحَافِظُ البَيهَقِيُّ رَحِمَهُ اللهُ : «رُوِيَ في حِرْزِ أَبِي دُجَانَةَ حَدِيثٌ طَوِيلٌ، وَهُوَ مَوضُوعٌ، لا تَحِلُّ رِوَايَتُهُ »[1]

٧ـ العُهُودُ السُّلَيمَانِيَّةُ السَّبعَةُ :

وَيَزعُمُونَ بِأَنَّ مَن عَلَّقَهَا، لا يَقرَبُهُ، وَلا أَهلَهُ سُوْءٌ مِنَ الجَانِّ، أَو الأَروَاحِ، وَهَذَا مِمَّا لا أَصلَ لَهُ، بَلْ هِيَ كَذِبٌ عَلَىٰ نَبِيِّ الله سُلَيمَانَ؛، وَكَيفَ تُنسَبُ إِلَىٰ نَبِيٍّ مِن أَنبِيَاءِ الله، وَفِيها الكُفرُ، وَالشِّركُ، وَالعِيَاذُ باللهِ.

٨ـ الحِرزُ الفَاطِمِيُّ :

وَهَذَا مِمَّا كَذَبَتهُ الرَّافِضَةُ، أَخزَاهُمُ الله، بِزَعمِهِم أَنَّهُ يُبطِلُ السِّحرَ، وَ يَطرُدُ التَّابِعَةَ، وَيَدفَعُ كَافَّةَ شُرُورِ الإنسِ وَالجِنِّ.

ثُمَّ أَلفَاظُهُ ظَاهِرَةٌ لِمَن كَانَ عِندَهُ عَقلٌ، بِأَنَّهُ مَكذُوبٌ بَاطِلٌ. وَهَذَا مِصدَاقُ مَا قِيلَ فِيْهِم : (أَحمَقُ مِن رَافِضِيٍّ).

فَهَذِهِ بَعضُ كُتُبِ السَّحَرَةِ، وَالـمُشَعوِذِينَ، وَالدَّجَّالِينَ؛ فَمَن وَجَدَ مِنهَا شَيئاً؛ فَلْيُسَارِعْ إِلَىٰ إتلافِهَا، وَحَرقِها، وَتَحذِيرِ النَّاسِ مِنهَا.

وَلا يَجُوزُ بَيعُهَا، أَو التِّجَارَةُ بِهَا؛ فَهَذَا غِشٌّ لِلأُمَّةِ، وَليَتَّقُوا اللهَ في الـمُسلِمِينَ، وَقَى اللهُ الـمُسلِمِينَ شَرَّهَا، وَشَرَّ مَا فِيها، وَشَرَّ مَن يَتَعَامَلُ بِهَا.

□□□

(١) «دلائل النبوة» للبيهقي (٧ / ١١٨) «كتب حذر منها العلماء» (٢ / ٢٦٧) .

المطلبُ الخَامِسُ

التَّحذِيرُ مِن قَنَوَاتِ السِّحْرِ الفَضَائِيَّةِ(1)

إنَّ المُسْتَقرِئَ لِلتَّأريخ البَشَرِيِّ، وَالمُتَأَمِّلَ لِلتُّرَاثِ الإنسَانِيِّ؛ يَجِدُ أَنَّ ثَمَّةَ حَقِيقَةً مُرَّةً مُؤلِمَةً، وَهِيَ أَنَّ العُقُولَ البَشَرِيَّةَ قَد تَعَرَّضَت لِعَمَلِيَّاتِ وَأدٍ، وَاغتِيَالٍ خَطِيرَةٍ، عَبرَ حِقَبٍ طَوِيلَةٍ، يَتَوَلَّى كِبرَهَا؛ خَنَاجِرُ الوَهمِ وَالخرَافَةِ، وَأَلغَامُ الدَّجَلِ، وَالسِّحرِ، وَالشَّعوَذَةِ، وَتِلكَ لَعَمرُ الحَقِّ؛ أَعتَى طَعنَةٍ، تُسَدَّدُ فِي خَاصِرَةِ الإنسَانِ العَقلِيَّةِ، وَقِوَاهُ الفِكرِيَّةِ، وَالمعنَوِيَّةِ.

لَقَد تَفَشَّتِ الأَوبِئَةُ المُنَافيةُ لِلعَقِيدَةِ، مِن خِلالِ انتِشَارِ فَضَائِيَّاتِ الدَّجَلِ، وَالشَّعوَذَةِ، وَالخُرَافَةِ، وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ؛ فَلا بُدَّ مِنَ النَّفيرِ خِفَافاً، وَثِقَالاً؛ لِنَثلِ السِّهَامِ مِن كِنَانَةِ الحَقِّ؛ لِلرَّدِّ عَلَى السَّحرَةِ، وَالمُنَجِّمِينَ، وَالمُشَعوِذِينَ، وَنَقضِ شُبَهِهِم، وَكَشفِ فُتُونِهِم وَتَعرِيَتِهِم، وَهُوَ مِن حَقِّ الله عَلَى عِبَادِهِ، وَحَقِّ المُسلِمِينَ عَلَى عُلَمَائِهِم، فِي رَدِّ كُلِّ مُضِلٍّ وَضَلالَتِهِ؛ حَتَّى لا تَتَدَاعَى الأَهوَاءُ عَلَى المُسلِمِينَ؛ تَعثُوا فَسَاداً فِي فِطَرِهِم، وَتَقصِمُ وِحدَتَهُم، وَتَؤُولُ بِدِينِهِم، إِلَىٰ دِينٍ مُبَدَّلٍ، وَرُكَامٍ مِنَ النِّحَلِ، وَالأَهوَاءِ الفَاسِدَةِ(2).

وَحِينَهَا؛ فَلا بُدَّ أَن تَكُونَ المُحَارَبَةُ؛ انتِصَاراً لِلعَقِيدَةِ، بِالقُرآنِ، وَالسُّنَّةِ؛ فَهُمَا سِلاحُ المُسلِمِ الفَعَّالُ الَّذِي يُجَابِهُ بِهِ الشُّرُورَ، وَالآثَامَ، وَالإفسَادَ فِي الأَرضِ، لا سِيَّمَا وَالعَقِيدَةُ هِيَ أَعَزُّ مَا يَملِكُ الإنسَانُ المُسلِمُ؛ فَإِذَا طُعِنَ فِيهَا؛ فَقَد سُلِبَ مِنهُ أَعظَمُ مَا يَملِكُ.

---

(1) انظر : في التحذير من هذه القنوات «ظَاهِرةُ قَنواتِ السِّحرِ والشَّعوَذةِ الفَضَائيةِ وَالتَّحذيرُ منها» للمُؤَلِّف، وهو منشور على الانترنت، وما أثبتُّهُ هنا مُلخَّصٌ منه.

(2) انظر : «الرد على المخالف» للشيخ بكر أبو زيد رَحِمَهُ اللهُ (11)

هَذَا وَإِنَّ مِن أَبطَلِ البَاطِلِ في الآونَةِ الأَخِيرَةِ؛ ذَهَابُ بَعضِ النَّاسِ إِلَىٰ الكُهَّانِ، وَالمُنَجِّمِينَ، وَ السَّحَرَةِ، وَالعَرَّافِينَ، وَسُؤَالُهم عَبرَ القَنَوَاتِ الفَضَائِيَّةِ؛ ظَنَّاً مِنهُم أَنَّ هَذِهِ الشِّرذِمَةُ يُحَقِّقُونَ مَآرِبَهُم، أَو بَعضاً مِنهَا؛ كَتَحقِيقِ السَّعَادَةِ، وَالعِلاجِ والشِّفَاءِ، وَجَلبِ الرِّزقِ، غَيرَ مُبَالِينَ بِتَحذِيرِ الإسلامِ مِنَ السِّحرِ، وَإِتيَانِ السَّحَرَةِ، وَتَصدِيقِهِم.

وَقَد قَامَت وَسَائِلُ الإعلامِ وَالفَضَائِيَّاتُ المُنحَرِفَةُ، في التَّروِيجِ لِبِضَاعَتِهِم، عن جَهلٍ أَحيَانَاً، وعن قَصدٍ في أَغلَبِ الأَحيَانِ؛ فَتكَاً بالأُمَّةِ الإسلامِيَّةِ، وأَبنائِها؛ فَبَدَؤُوا بِالتَّلبِيسِ عَلَى ضُعَفَاءِ العُقُولِ، وَشَغلِ أَذهَانِهِم، وَأَكلِ أَموَالِهِم بِالبَاطِلِ، وَمِن ثَمَّ ظَهَرَ بَعضُ مَن يُحَاوِلُ تَغطِيَةَ هَذِهِ الأَعمَالِ، بِغِطَاءٍ شَرعِيٍّ، مِمَّن يَتَكَلَّمُونَ بِاسمِ الدِّينِ، وَبِاسمِ المَهَرَةِ مِنَ المُعَالِجِينَ ! وَوَصَلَ الأَمرُ إِلَىٰ استِضَافَةِ بَعضِ السَّحَرَةِ، وَالمُشَعوِذِينَ، عَلَى شَاشَاتِهِم الفَضَائِيَّةِ. وَإِلَىٰ الله المُشتَكَى.

وَمِن هُنَا كَانَ لِزَامَاً؛ أَنْ يَبدَأَ النَّفِيرُ في النَّكِيرِ عَلَى هَؤُلاءِ، وَأَن يُكَبِّرَ العُلَمَاءُ، وَطَلَبَةُ العِلمِ؛ التَّكبِيرَةَ الأُولَى في مُحَارَبَتِهِم، وَصَدِّ عُدوَانِهِم عن المُجتَمَعِ المُسلِمِ.

«فَالْمُرصَدُونَ لِلعِلْمِ عَلِيهِم لِلأُمَّةِ؛ حِفظُ الدِّينِ وَتَبلِيغُهُ؛ فَإِذَا لَم يُبَلِّغُوهُم عِلمَ الدِّينِ، أَو ضَيَّعُوا حِفظَهُ، كَانَ ذَلِكَ مِن أَعظَمِ الظُّلمِ لِلمُسلِمِينَ؛ وَلِهَذَا قال تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴾ (البقرة: ١٥٩)، فَإِنَّ ضَرَرَ كِتمَانِهِم؛ تَعَدَّى إِلَىٰ البَهَائِمِ وَغَيرِهَا؛ فَلَعَنَهُم اللاَّعِنُونَ حَتَّى البَهَائِمُ »(١)

---

(١) «مجموع الفتاوى» لشيخ الإسلام ابن تيمية : (٦ / ٣٤٧)

وَمِنْ لازِمِ هَذِهِ الوَظِيفَةِ الشَّرعِيَّةِ: الرَّصدُ لِتَحَرُّكِ أَيِّ شُبهَةٍ؛ حَتَّى تُنقَضَ عَلَى أَهلِ الأَهوَاءِ، وَالشِّركِ فِي حَملاتِهِم الشَّرِسَةِ، وَهَزَّاتِهِم العَنِيفَةِ؛ لِيَبقَى الإِسلامُ صَحِيحَ البِنيَةِ، عَلَى مِيرَاثِ النُّبُوَّةِ، نَقِيّاً صَافِياً، وَعَلَى المُسلِمِينَ قَصدُ السَّبِيلِ.[1]

إِنَّ مِمَّا يَزِيدُ الأَمرَ شِدَّةً؛ حِينَمَا يُصَاحِبُ الضَّلالَ وِالبِدَعَ؛ حَقٌّ يُدَسُّ فِيْهِ الشِّركُ، وَالبِدعَةُ، وَهَكَذَا يَفعَلُونَ فِي هَذِهِ القَنَواتِ الفَاجِرَةِ، حَتَّى إِذَا طَفِحَتِ الكَأسُ؛ هَبَّ مَن شَاءَ اللهُ مِن حَمَلَةِ الشَّرِيعَةِ؛ يَنزِعُونَ مِن أَنوَارِهَا بِذَنُوبٍ وَافِرَةٍ؛ يُطفِئُونَ بِهَا جَذوَةَ الشِّركِ، وَالكُفرِ؛ فَهُم مِثلُ العَافِيةِ فِي النَّاسِ لِدِينِهِم، وَأَبدَانِهِم؛ بِمَا يُقِيمُونَهُ مِن حِجَجِ اللهِ، وَبَيِّنَاتِهِ القَاهِرَةِ؛ فَتَهِبُّ بِذَلِكَ رِيحُ الإِيمَانِ، وَتَقُومُ سُوقُ الانتِصَارِ لِلكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَإِحيَاءِ مَا اندَرَسَ مِن مَعَالِمِ الإِيمَانِ، وَتَآكَلَ مِن بَيِّنَاتِ الهُدَى وَالفُرقَانِ، وَيُقَدِّرُ اللهُ مَا يَشَاءُ مِن تَرَاجُعِ الكُفرِ وَأَهلِهِ؛ فَيَبقَى أَصحَابُهُ مَقهُورِينَ مَغلُوبِينَ، يُنَكِّسُونَ رُؤُوسَهُم، وَتُكسَرُ سِهَامُهُم، وَ المَنهَجُ فِي ذَلِكَ ﴿ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ (الأنفال: ٥٧)

وَلِقَائِلٍ أَن يَقُولَ، وَمَا أَهدَافُ هَذِهِ الفِئَةِ الضَّالَّةِ ؟

فَأَمَّا أَهدَافُهُم :

١- إدخَالُ النَّاسِ فِي الكُفرِ، وَالشِّركِ وَالعِيَاذُ بِالله :

وَهَل يَرضَى إِبلِيسُ دُخُولَ النَّارِ وَحدَهُ ؟

لا بُدَّ مِن حَشدِ أَكبَرِ قَدرٍ مِن أَتبَاعِهِ، وَحِزبِهِ مَعَهُ، وَالعِيَاذُ بِاللهِ، وَهَذَا مِصدَاقُ قَولِهِ تَعَالَىٰ عَنْهُ وَعَلَى لِسَانِهِ : ﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (الحشر: ١٦)

(١) «الرد على المخالف» للعلامة بكر أبو زيد رحمه الله (١٢)

بَل لَقَد أَخَذَ العَهدَ عَلَى نَفسِهِ، وَأَقسَمَ بِعِزَّةِ اللهِ؛ أَنْ يُغوِيَ جَمِيعَ الخَلقِ؛ إِلَّا عِبَادَ اللهِ المُخلَصِينَ؛ فَقال الله عَنْهُ : ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ (ص : ٨٢ ــ ٨٣)

وَهَل هَذِهِ القَنواتُ الفَاجِرَةُ؛ إِلَّا مِن خُطُواتِهِ، وَطَرَائِقِهِ، عَصَمَنَا اللهُ وَالمُسلِمِينَ مِن شَرِّهَا.

٢- أَكلُ أَموَالِ النَّاسِ بِالبَاطِلِ:

عن عَائِشَةَ رَضِيَ الله عَنْها، قالت : كَانَ لأَبِي بَكرٍ غُلامٌ، يَأكُلُ مِن خَرَاجِهِ، فَجَاءَ يوماً بِشَيءٍ؛ فَأَكَلَ مِنهُ أَبُو بَكرٍ، فَقال لَهُ الغُلامُ : تَدرِي مِمَّ هَذَا ؟

قال : وَمَا هُوَ ؟

قال : كُنتُ تَكَهَّنتُ لإنسَانٍ في الجَاهِلِيَّةِ، وَمَا أُحسِنُ الكِهَانَةَ، إِلَّا أَنِّي خَدَعتُهُ؛ فَلَقِيَنِي؛ فَأَعطَانِي بِذَلِكَ؛ فَهَذَا الَّذِي أَكَلتَ مِنهُ.

فَأَدخَلَ أَبُو بَكرٍ يَدَهُ؛ فَقَاءَ كُلَّ شَيءٍ في بَطنِهِ.[1]

فَانظُر يَا رَعَاكَ الله، كَذِبٌ عَلَى النَّاسِ، وَاحتِيَالٌ، وَ غِشٌّ لَهُم، وَلَو في البَاطِلِ؛ وَهَذَا هُوَ حَالُ الكَهَنَةِ، وَالمُشَعوِذِينَ، يُمَوِّهُونَ عَلَى ضُعَفَاءِ النَّاسِ، وَيُحَدِّثُونَهُم بِمَهَارَاتِهِم، وَقُدرَاتِهِم الكَاذِبَةِ، ثُمَّ يَنقَلِبُوا عَلَيهِم؛ بِأَخذِ أَموَالِهِم، وَدَفعِهِم نَحوَ المهَالِكِ.

وَهَذَا يَدُلُّ بِكُلِّ وُضُوحٍ عَلَى غَايَةِ السَّحَرَة وَالمُشَعوِذِينِ مِن عَمَلِهِم؛ إِنَّما هُوَ كَسبُ المالِ.

وَدُونَكَ هَذِهِ القِصَّةَ؛ الَّتِي تُبَيِّنُ مَدَى تَحَايُلِهِم، وَتَلاعُبِهِم، وَتَغطِيَةِ سُوءِ فِعَالِهِم، وَدَجَلِهِم، تَحتَ مُسَمَّى الدِّينِ، وَلا حَولَ وَلا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٥٥٤)

ذَكَرَ ابنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: أَنَّ الحَلَّاجَ بَعَثَ رَجُلاً مِن خَاصَّةِ أَصحَابِهِ، وَأَمَرَهُ أَن يَذهَبَ بَينَ يَدَيهِ إِلَىٰ بَلَدٍ مِن بِلادِ الجَبَلِ، وَأَن يُظهِرَ لَهُم العِبَادَةَ، وَالصَّلاحَ، وَالزُّهدَ؛ فَإِذَا رَآهُم قَد أَقبَلُوا عَلَيهِ، وَأَحَبُّوهُ، وَاعتَقَدُوهُ[١]؛ أَظهَرَ لَهُم أَنَّهُ قَد عَمِيَ، ثُمَّ يُظهِرُ لَهُم بَعدَ أَيَّامٍ أَنَّهُ قَد تَكَسَّحَ؛ فَإِذَا سَعَوا فِي مُدَاوَاتِهِ، قَالَ لَهُم: إِنَّهُ لا يَنفَعُنِي شَيءٌ مِمَّا تَفعَلُونَ، ثُمَّ يُظهِرُ لَهُم بَعدَ أَيَّامٍ؛ أَنَّهُ قَد رَأَى رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي المَنَامِ، وَهُوَ يَقُولُ لَهُ: إِنَّ شِفَاءَكَ لا يَكُونُ إِلَّا عَلَى يَدَي القُطبِ[٢]، وَإِنَّهُ سَيَقدُمُ عَلَيكَ فِي اليَومِ الفُلانِيِّ، فِي الشَّهرِ الفُلانِيِّ، وَصِفَتُهُ كَذَا وَكَذَا، وَقَالَ لَهُ الحَلَّاجُ: إِنِّي سَأَقدُمُ عَلَيكَ فِي ذَلِكَ الوَقتِ.

فَذَهَب ذَلِكَ الرَّجُلُ إِلَىٰ تِلكَ البِلادِ؛ فَأَقَامَ بِهَا؛ يَتَعَبَّدُ، وَيُظهِرُ الصَّلاحَ، وَالتَّنَسُّكَ، وَيَقرَأُ القُرآنَ.

فَأَقَامَ مُدَّةً عَلَى ذَلِكَ؛ فَاعتَقَدُوهُ، وَأَحَبُّوهُ، ثُمَّ أَظهَرَ لَهُم؛ أَنَّهُ قَد عَمِيَ؛ فَمَكَثَ حِيناً عَلَى ذَلِكَ، ثُمَّ أَظهَرَ لَهُم أَنَّهُ قَد زَمِنَ[٣]؛ فَسَعَوا بِمُدَاوَاتِهِ بِكُلِّ مُمكِنٍ؛ فَلَم يُنتِج فِيهِ شَيءٌ، فَقَالَ لَهُم: هَذَا الَّذِي تَفعَلُونَهُ مَعِيَ لا يُنتِجُ بِشَيءٍ، وَأَنَا قَد رَأَيتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي المَنَامِ، وَهُوَ يَقُولُ لِي: إِنَّ عَافِيَتَكَ، وَشِفَاءَكَ، إِنَّمَا هُوَ عَلَى يَدَي القُطبِ، وإنه سَيَقدُمُ عَلَيكَ فِي اليَومِ الفُلانِيِّ، فِي الشَّهرِ الفُلانِيِّ، وَكَانُوا أَوَّلاً يَقُودُونَهُ إِلَىٰ المَسجِدِ، ثُمَّ صَارُوا يَحمِلُونَهُ، وَيُكرِمُونَهُ.

---

(١) أي: اعتقدوا فيه الوَلاية والصَّلاح، وأصبح صلاحه كعقيدةٍ عندهم من المُسلَّمات لا تقبل الجدل.

(٢) القُطب: هو من مصطلحات الصوفية البِدعيَّة الباطلة يريدون من يُلجأ إليه عند الشدائد، وعند الصوفية شروط لتحصيل هذه المرتبة تُخالف الشَّرع.
انظر: «معجم المناهي اللَّفظية» للعلامة بكر أبو زيد رَحِمَهُ اللَّهُ (مادة: غوث) (٤٠٥) و (مادة: قطب) (٤٤٣)

(٣) أي: صار مرضُه مُزمِناً، لا يُرجى بُرؤُه وعافيته.

فَأَقبَلَ الحَلاَّجُ؛ حَتَّى دَخَلَ البَلَدَ، مُختَفِياً وَعَليهِ ثِيَابُ صُوفٌ بِيضٌ؛ فَدَخَلَ المسجِدَ، وَلَزِمَ سَارِيَةً، يَتَعَبَّدُ فِيهِ لا يَلتَفِتُ إِلَىٰ أَحَدٍ؛ فَعرَفَهُ النَّاسُ بِالصِّفَاتِ الَّتِي وَصَفَ لَهُم ذَلِكَ العَلِيلُ؛ فَابتَدَرُوا إِلَيهِ يُسَلِّمُونَ عَليهِ، وَيَتَمَسَّحُونَ بِهِ[1]، ثُمَّ جَاؤُوا إِلَىٰ ذَلِكَ الزَّمِنِ؛ فَأَخبَرُوهُ بِخَبَرِهِ؛ فَقَال : صِفُوهُ لِي؛ فَوَصَفُوهُ لَهُ؛ فَقَال : هَذَا الَّذِي أَخبَرَنِي عَنْهُ رَسُولُ الله ﷺ في المنَامِ، وَأَنَّ شِفَائِي عَلَى يَدَيهِ، اذهَبُوا بِي إِلَيهِ.

فَحَمَلُوهُ حَتَّى وَضَعُوهُ بَينَ يَدَيهِ؛ فَكَلَّمَهُ؛ فَعرَفَهُ؛ فَقَال : يَا أَبَا عَبدِ الله، إِنِّي رَأَيتُ رَسُولَ الله ﷺ في المنَامِ، ثُمَّ ذَكَرَ لَهُ رُؤيَاهُ؛ فَرَفَعَ الحَلاَّجُ يَدَيهِ؛ فَدَعَا لَهُ، ثُمَّ تَفَلَ مِن رِيقِهِ في كَفَّيهِ، ثُمَّ مَسَحَ بِهِمَا عَلَى عَينَيهِ؛ فَفَتَحَهُمَا؛ كَأَن لَم يَكُن بِهِمَا دَاءٌ قَطُّ؛ فَأَبصَرَ، ثُمَّ أَخَذَ مِن رِيقِهِ؛ فَمَسَحَ عَلَى رِجلَيهِ؛ فَقَامَ مَن سَاعَتِهِ؛ فَمَشَى كَأَنهُ لَم يَكُن بِهِ شَيءٌ، وَالنَّاسُ حُضُورٌ، وَأُمَرَاءُ تِلكَ البِلادِ وَكُبَرَاؤُهُم عِندِهِ؛ فَضَجَّ النَّاسُ ضَجَّةً عَظِيمَةً، وَكَبَّرُوا الله وَسَبَّحُوهُ، وَعَظَّمُوا الحَلاَّجَ تَعظِيماً زَائِداً عَلَى مَا أَظهَرَ لَهُم مِنَ البَاطِلِ وَالزُّورِ، ثُمَّ أَقَامَ عِندَهُم مُدَّةً؛ يُكرِمُونَهُ، وَيُعَظِّمُونَهُ، وَيَوَدُّونَ لَو طَلَبَ مِنهُم مَا عَسَاهُ أَن يَطلُبَ مِن أَموَالِهِم.

فَلَمَّا أَرَادَ الخُرُوجَ عَنهُم، أَرَادُوا أَن يَجمَعُوا لَهُ مَالاً كَثِيراً؛ فَقَال : أَمَّا أَنَا فَلا حَاجَةَ لِي بِالدُّنيَا ! وَإِنَّمَا وَصَلنَا إِلَىٰ مَا وَصَلنَا إِلَيهِ بِتَركِ الدُّنيَا، وَلَعَلَّ صَاحِبَكُم هَذَا أَن يَكُونَ لَهُ إِخوَانٌ، وَأَصحَابٌ مِنَ الأَبدَالِ[2]، الَّذِينَ يُجَاهِدُونَ بِثَغرِ طُرسُوسَ، وَيَحُجُّونَ، وَيَتَصَدَّقُونَ، مُحتَاجِينَ إِلَىٰ مَا يُعِينُهُم عَلَى ذَلِكَ.

---

(١) وهكذا بالجهل؛ يَفتِكُ الشيطانُ بالنَّاس، ويُفسِد عليهم دينهم.

(٢) وهو من مصطلحات الصوفية البِدعيَّة الباطلة.

ويعنون به قومٌ صالحون لا تخلو الدنيا منهم! قالوا: وهم سبعون رجلاً فيما زعموا، أربعون منهم في الشام، وثلاثون في غيرها، وقالوا: لا يموت أحدُهم إلا قام مكانه أخرُ من سائر الناس، ولذلك سُمُّوا أبدلاً، وقيل غير ذلك. انظر: «تاج العروس» للزبيدي، مادة (بدل).

فَقال ذَلِكَ الرَّجُلُ المُتَزَامِنُ : صَدَقَ الشَّيخُ، قَد رَدَّ الله عَلَيَّ بَصَرِي، وَمَنَّ الله عَلَيَّ بِالعَافية؛ لأَجعَلَنَّ بَقِيَّةَ عُمرِي في الجِهَادِ في سَبيلِ الله، وَالحَجِّ إِلَىٰ بَيتِ الله، مَعَ إِخوَانِنَا الأَبدَالِ، وَالصَّالِحِينَ الَّذِينَ نَعرِفُهُم، ثُمَّ حَثَّهُم عَلَى إِعطَائِهِ مِنَ المالِ مَا طَابَت بِهِ أَنفُسُهُم.

ثُمَّ إِنَّ الحَلاَّجَ خَرَجَ عَنهُم، وَمَكَثَ ذَلِكَ الرَّجُلُ بَينَ أَظهُرِهِم مُدَّةً، إِلَىٰ أَن جَمَعُوا لَهُ مَالاً كَثِيراً؛ أُلُوفاً مِنَ الذَّهَبِ، وَالفِضَّةِ؛ فَلَمَّا اجتَمَعَ لَهُ مَا أَرَادَ، وَدَّعَهُم، وَخَرَجَ عَنهُم؛ فَذَهَبَ إِلَىٰ الحَلاَّجِ؛ فَاقتَسَمَا ذَلِكَ المالَ.(١)

فَانظُر أَيُّهَا العَاقِلُ، كَيفَ تَحتَالُ هَذِهِ الشِّرذِمَةُ عَلَى النَّاسِ؛ لِتَأخُذَ أَموَالَهُم، بِطُرُقٍ مُلتَوِيَةٍ، وَمُتَسَتِّرَةٍ بِغِطَاءٍ مِنَ التَّدَيُّنِ، وَالزُّهدِ، وَالعِبَادَةِ. وَالله المُستَعَانُ.

٣- بَثُّ سُمُومِ عَقَائِدِهِم، وَأَفكَارِهِم المُنحَرِفَةِ؛ وَذَلِكَ لِتَعَلُّقِ النَّاسِ بِهِم، وَاعتِبَارِهِم مُنقِذِينَ، وَمِن ثَمَّ الدُّخُولُ في مَذَاهِبِهِم الفَاسِدَةِ:

وَقَد تَبَجَّحَ أَحَدُهُم بِالتَّسوِيقِ لِعَقَائِدِ النَّجَفِ !! وَجَعَلَ يَعرِضُ شَهَادَاتِ مَرَاجِعِ الرَّافِضَةِ في تَزكِيَتِهِ !! فَلا تَستَغرِبَنَّ صَنِيعَهُم، وَمَكرَهُم، وَكَيدَهُم لأَهلِ السُّنَّةِ، وَكَذَلِكَ يَفعَلُونَ. قَاتَلَهُمُ الله، وَجَعَلَ تَدبِيرَهُم تَدمِيرَهُم.

وَأَمَّا مَصَادِرُ السِّحْرِ في بِلادِ المُسلِمِينَ :

أَوَّلاً : اليَهُودُ، وَهَذَا مَعرُوفٌ عَنهُم مِن عَهدِ نَبِيِّ الله سُلَيمَانَ؛، وَفي عَصرِ النُّبُوَّةِ المُحَمَّدِيَّةِ؛ فَقَد أَذَوا النَّبِيَّ ﷺ، وَأَرعَبُوا المُسلِمِينَ في المدِينَةِ؛ فَأَشَاعُوا أَنَّهُ لَن يُولَدَ لِلمُهَاجِرِينَ وَلَدٌ؛ فَأَخزَاهُمُ الله، وَخَيَّبَ أَمَلَهُم؛ فَوُلِدَ عَبدُ الله بنُ الزُّبَيرِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما، وَفَرِحَ المُسلِمُونَ بِهِ فَرَحاً شَدِيداً(٢)، وَاليَهُودُ لَعَنَهُمُ الله لا يَدخُلُونَ مَدِينَةً إِلَّا وَيَنشُرُونَ السِّحرَ فِيها.

---

(١) «البداية والنهاية» (١١ / ١٥٦)

(٢) انظر : البخاري (٥٤٦٩) من حديث أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما.

ثانِيَاً : الرَّافِضَةُ، وَهُم مِن أَكثَرِ الطَّوَائِفِ اعتِقَاداً بِالسِّحْرِ، وَخَيرُ دَلِيلٍ عَلَى ذَلِكَ؛ مَا هُوَ مُسَطَّرٌ في كُتُبِهِم، وَمِنَ الدَّعوَةِ إِلَىٰ تَعَلُّمِهِ، وَتَعلِيمِهِ؛ فَكِتَابُ «الجَفرِ» المَزعُومِ، وَالمَوسُومِ بِـ : «مِفتَاحُ العِلْمِ المكنُونِ وَالسِّرِّ المصُونِ» وَ «مِفتَاحُ اللَّوحِ وَالقَلَمِ» وَغَيرِهَا، إِذ فِيها أَبوَابٌ مُتَّصِلَةٌ بِرُمُوزِ الكَوَاكِبِ، وَتَحتَوِي عَلَى أَرقَامٍ، وَحُرُوفٍ، وَبَيَانٍ لِمَدلُولاتِهَا، وَأَسرَارِهَا.

بَل إِنَّ غُلاةَ الشِّيعَةِ الرَّوَافِضِ أَخزَاهُمُ الله، يَقُولُونَ : «إِنَّ الله أَطلَعَ عَلِيّاً عَلَى مَا هُوَ مُثبَتٌ في اللَّوحِ وَالقَلَمِ، وَصَارَ يَتَكَلَّمُ بِمَا شَاهَدَهُ» وَهَذَا كَذِبٌ، مِن جُملَةِ مَا كُذِبَ عَليهِ رضي الله عنه.

وَمِن كُتُبِهِم المشهُورَةِ «الإِمَامُ عَلِيٌّ مُنتَهَى الكَمَالِ البَشَرِيِّ»، يقول مُؤَلِّفُهُ : «فَلا يَجُوزُ لِمُسلِمٍ أَن يَتَعَلَّمَ التَّنجِيمَ، إِلَّا مَا يُفِيدُ، أَو يَرُدُّ بِهِ غَائِلَةَ المُنَجِّمِينَ الَّذِينَ يَدَّعُونَ سَبقَهُم، أَو أَعلَمِيَّتَهُم، أَو يَقصِدُونَ تَضلِيلَ النَّاسِ».اهـ.

وَبَعدَهَا بِصَفحَةٍ مُبَاشَرَةً، بَعدَ أَن نَسَبَ عِلمَ الغَيبِ لِعَلِيٍّ رضي الله عنه أَنَّهُ قال : «سَعِدَ البَارِحَةُ سَبعُونَ أَلفَ عَالَمٍ، وَوُلِدَ في كُلِّ عَالَمٍ سَبعُونَ أَلفَاً، وَاللَّيلَةَ يَمُوتُ مِثلُهُم»[1]

فَليَنظُرْ ذُو العَقلِ الصَّحِيحِ إِلَىٰ فَسَادِ عُقُولِهِم، وَمُعتَقَدَاتِهِم، وَليَحمَدِ الله عز وجل عَلَى نِعمَةِ الدِّينِ، وَصِحَّةِ المُعتَقَدِ، وَالفَهْمِ الصَّحِيحِ للكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَعَلَى مَنهَجِ سَلَفِنَا الصَّالِحِ رِضْوانُ الله عَليهِم.

وَمِنْ صُوَرِ نَشْرِهِم للسِّحْرِ : قَنَوَاتُ السِّحرِ، وَالشَّعوَذَةِ، وَالدَّجَلِ الفَضَائِيَّةِ، وَالَّتِي تُطِلُّ عَلَينَا اليَومَ، والقَائِمُونَ عَلَيهَا هُمُ الرَّافِضَةُ، وَسَحَرَتُهُم، وَفِيها دَعوَةٌ صَرِيحَةٌ لِلنَّجَفِ ! وَتَقدِيسِ أَئِمَّتِهَا؛ فَقَاتَلَهُمُ الله، وَرَدَّ كَيدَهُم في نُحُورِهِم.

---

(١) انظر : «الإمام علي منتهى الكمال البشري» (١٢٠) فصل : (عليٌّ وعلم النجوم) مع قصته مع الدهقان، ولا تستغرب الأمر؛ فقد بلغت وقاحتهم؛ أن وصفوا عَلِيّاً رضي الله عنه بـ «كبير المنجمين» !!

فلعنة الله على الرَّافضة؛ ما أَشدَّ كذبهم وافترائهم على صحابة رسول الله ﷺ.

ثَالِثاً : الصُّوفيةُ المُنحَرِفَةُ، لَقَد تَلَقَّت غُلاةُ الصُّوفيَّةُ السِّحرَ، وَالتَّنجِيمَ، وَأَلَّفُوا فِيْهِ تَآلِيفَ كَثِيرَةً، أَشهَرُهَا «شَمسُ المعَارِفِ» لِلبُونِيِّ، وَبَعضُ كُتُبِ ابنِ عَرَبِيٍّ الهَالِكِ، الذَي حَكَمَ العُلَماءُ عَليهِ بِضَلالِهِ، بَل بِكُفرِهِ[1]، نَسأَلُ الله السَّلامَةَ وَالعَافِية.

وَقَد تَحَدَّثَ ابنُ خُلدُونَ رَحِمَهُ اللهُ، كَلاماً مُستَفيضاً فيهِم، وَفِي عِلْمِهِم «عِلْمِ أَسرَارِ الحُرُوفِ» ! المزعُومِ، وَالَّذِي يَحتَوِي عَلَى أَبَاطِيلَ، وَضَلالاتٍ، وَمَحَاذِيرَ شَرعِيَّةٍ.

وَحَاصِلُهُ عِندَهُم؛ أَنَّ النُّفُوسَ تَتَصَرَّفُ في عَالَمِ الطَّبِيعَةِ؛ بِالأَسماءِ الحُسنَى، وَالكَلِماتِ الإِلَهِيَّةِ النَّاشِئَةِ عن الحُرُوفِ المُحِيطَةِ بالأَسرَارِ السَّارِيَةِ في الأَكوَانِ !

وَمِمَّا نَقَله ابنُ خُلدُونَ عن البُونِيِّ في هَذَا العِلمِ، قَولُهُ : «لا تَظُنَّ أَنَّ سِرَّ الحُرُوفِ مِمَّا يُتَوَصَّلُ إِلَيهِ بِالقِيَاسِ العَقلِيِّ، وَإِنَّما هُوَ بِطَرِيقِ المُشَاهَدَةِ، وَالتَّوفيقِ الإِلَهِيِّ !!

وَأَمَّا التَّصَرُّفُ في عَالَمِ الطَّبِيعَةِ بِهَذِهِ الحُرُوفِ، وَالأَسماءِ المُرَكَّبَةِ فِيها، وَتَأَثُّرُ الأَكوَانِ عن ذَلِكَ؛ فَأَمرٌ لا يُنكَرُ؛ لِثُبُوتِهِ عن كَثِيرٍ مِنهُم تَوَاتُراً !!

وَقَد يَظُنُّ أَنَّ تَصَرُّفَ هَؤُلاءِ، وَتَصَرُّفَ أَصحَابِ الطِّلَّسماتِ وَاحِدٌ، وَلَيسَ كَذَلِكَ؛ فَإِنَّ حَقِيقَةَ الطِّلَّسْمِ، وَتَأثِيرَه عَلَى مَا حَقَّقَهُ أَهلُهُ؛ أَنَّهُ قُوَىً رُوحَانِيَّةٌ مِن جَوهَرِ القَهرِ، تَفعَلُ فيما لَهُ رُكِّبَ، فِعلَ غَلَبَةٍ وَقَهرٍ؛ بِأَسرَارٍ فَلَكِيَّةٍ، وَنِسَبٍ عَدَدِيَّةٍ،

---

[1] ومن أحسن ما كُتب عن ابن عربي في بيان عقيدته وموقف علماء المسلمين منه من القرن السادس إلى القرن الثالث عشر، ما سطَّره الشيخ الفاضل د. دغش العجمي جزاه الله خيراً في رسالة حافلة نفيسة، نشرتها مكتبة أهل الأثر في الكويت، وهي جديرة بالقراءة لمعرفة حال هذا الرجل الذي أفسد عقيدة التوحيد.

وَبُخُورَاتٍ جَالِبَاتٍ لِرَوحَانِيَّةِ ذَلِكَ الطِّلَّسمِ، مَشدُودَةً فِيْهِ بِالهِمَّةِ؛ فَائِدَتُهَا رَبطُ الطَّبَائِعِ العُلوِيَّةِ، بِالطَّبَائِعِ السُّفلِيَّةِ»[1]

وَمِمَّا يُلاحَظُ وَلِلأَسَفِ؛ شِدَّةُ الإقبَالِ عَلَى هَذِهِ القَنواتِ، وَالحِرصُ كُلُّ الحِرْصِ عَلَى أَخذِ مَوعِدٍ؛ لِعَمَلِ الأَحجِبَةِ، تَصِلُ لأَسَابِيعَ ! كُلُّ ذَلِكَ سَعياً وَرَاءَ الشِّفَاءِ، وَجَلبِ الرِّزقِ، وَالنَّصِيبِ ! وَلَكِنَّهُ مِن طَرِيقٍ خَاطِئٍ، مَلِيءٍ بِالمحَاذِيرِ الشَّرعِيَّةِ؛ إِنَّهُ طَرِيقُ الدَّجَلِ، وَالخُرَافَةِ، وَالشَّعوَذَةِ، حَتَّى أَصبَحَ النَّاسُ يَنظُرُونَ إِلَيهِم، نَظرَةَ المُنقِذِ، وَالمُخَلِّصِ، وَأَصحَابِ الحُلُولِ الَّتِي لا تُخطِئُ !! وَهَذَا هُوَ عَينُ مَا هُوَ مَوجُودٌ في هَذِهِ القَنَواتِ الَّتِي تُرَوِّجُ لِلسِّحرِ، وَالشَّعوَذَةِ. وَالعِيَاذُ بِاللَّهِ.

حَتَّى غَدَا الأَمرُ؛ أَنَّ غَالِبَ المُتَّصِلِينَ سُرعَانَ مَا يَقُولُونَ لِلسَّحَرَةِ الفَجَرَةِ :

نُرِيدُ الحَلَّ !

مَا العِلاجُ ؟

سَاعِدنِي يَا شَيخُ !!

وَالعَجَبُ أَنَّ جَمِيعَ المُتَّصِلِينَ عِندَ هَذِهِ الشِّرذِمَةِ؛ مُصَابُونَ بِالأَمرَاضِ الرُّوحِيَّةِ، أَو الحِسِّيَّةِ، وَفِي تَعَاسَةٍ وَشَقَاءٍ؛ وَضِيقٍ، وَنَكَدٍ؛ لِذَا فَهُم يَقُولُونَ لِكُلِّ مُتَّصِلٍ :

أَنتَ مُتعَبٌ.

حَيَاتُكَ تَعَبٌ مِنذُ الصِّغَرِ.

وَهَلُمَّ جَرّاً مِن هَذِهِ الكَذِبَاتِ، وَالسَّخَافَاتِ، وَالهَرطَقَاتِ؛ فَيُخبِرُونَهم بِمَاضِي حَيَاتِهِم، وَقَد جَلَبُوا هَذِهِ المُعلُومَاتِ عن طَرِيقِ القَرِينِ؛ فَيَظُنُّ المُتَّصِلُ أَنَّ الَّذِي أَمَامَهُ؛ إِمَامُ زَمَانِهِ، وَمُنقِذُ البَشَرِيَّةِ مِن نَكبَتِهَا؛ فَإِذَا مَا انطَلَى عَليهِ الأَمرُ، وَصَدَّقَ

(١) «مقدمة ابن خلدون» (٣٠٧ ـ ٣٠٨)

الكَذبَةَ، وَرَاجَت عَليهِ الحِيلَةُ؛ عَلَّقُوهُ بِالمرَضِ، وَأَوهَمُوهُ بِخَطَرِهِ الكَبِيرِ، وَلَكِن سُرعَانَ مَا يَزُولُ هَذَا الخَطَرُ الكَبِيرُ، أَثنَاءَ الاتِّصَالِ ! نَعَم، إِنَّهُ الشَّيخُ (الدَّجَّالُ، المُشَعوِذُ) فُلانٌ، المُخَلِّصُ، سَيَكتُبُ لَكَ حِجَابَاً، أَو يَمنَحُكَ عِلاجَاً، وَبَعدَهَا تَكُونُ فِي أَتَمِّ سَعَادَةٍ، وَأَحسَنِ حَالٍ، وَقَد شُفِيتَ !!

فَيا وَيحَ هَذَا المُتَّصِلُ، مَنَحَهُم مَاله بِرِضَاهُ مِن خِلالِ اتِّصَالِهِ، وَاستَغفَلُوهُ بِكَلامٍ سَاذِجٍ، وَكَذِبٍ فَاجِرٍ؛ فَلَيسَ هَمُّهُم سِوَى جَمعِ المَالِ، أَمَّا شَأنُ النَّاسِ؛ فَضَرَبُوا بِهِ عُرضَ الحَائِطِ، وَلا كَرَامَةَ !!

آهٍ عَلَى أُمَّةِ الإسلامِ، قَد نَفَذَتْ فِيها سُمُومُ السَّحَرَةِ، وَفَتَكَت بِهِم سِهَامُ الدَّجَّالِينَ؛ فَعَاثُوا فِي الأَرضِ فَسَادَاً، وَإِلَىٰ اللهِ المُشتَكَى.

فَالوَاجِبُ عَلَى المُسلِمِينَ؛ صِيَانَةً لِدِينِهِم، وَحِفظَاً لِتَوحِيدِهِم مِن أَن يُخَدَش، أَو تَشُوبَهُ شَائِبَةٌ؛ أَن يَرتَدِعُوا عن الالتِفَافِ حَولَ هَذِهِ القَنَوَاتِ الكَاذِبَةِ الضَّالَّةِ، وَيَمتَنِعُوا مِنَ الذَّهَابِ، أَو السُّؤَالِ لِهَذِهِ الشِّرذِمَةِ الكَافِرَةِ الفَاجِرَةِ، وَأَن يَتَنَاصَحُوا فِيمَا بَينَهُم، وَأَن يَلجَؤُوا إِلَىٰ اللهِ العَلِيِّ القَدِيرِ فِي رَفعِ الضُّرِّ عَنهُم، وَأَن يَتَضَرَّعُوا إِلَيهِ فِي كَشفِ كُرَبِهِم، وَتَفرِيجِ هُمُومِهِم؛ إِنَّهُ سُبحَانَهُ خَيرَ مَسؤُولٍ.

❑❑❑

المبحثُ الثَّالِثُ

الصَّبرُ عَلَى البَلاءِ وَاحتِسَابُ الأَجرِ

يقُولُ اللهُ تبارَكَ وتعالىٰ : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴾ (البقرة ١٥٥ـ ١٥٧).

وَقال سُبحَانَهُ : ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (الزمر : ١٠).

وَقال عزَّ مِن قَائِلٍ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (آل عمران : ٢٠٠).

وَعن صُهَيبِ بنِ سِنَانٍ ﷺ قال : قال رَسُولُ الله ﷺ : «عَجباً لأَمر المُؤمِنِ، إنَّ أَمرَهُ كُلَّهُ لَهُ خيرٌ؛ وَلَيسَ ذَاكَ لأَحدٍ إلَّا لِلمُؤمِنِ، إن أَصابَتهُ سَرَّاءُ؛ شَكَرَ؛ فَكَانَ خيراً لَهُ، وَإن أَصَابَتهُ ضَرَّاءُ؛ صَبَرَ؛ فَكَانَ خَيراً لَهُ »[1].

وَعن عَطَاءِ بنِ أَبِي رَبَاحٍ، قال : قال لِي ابنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ الله عَنْهُما : أَلا أُرِيكَ امرَأَةً مِن أَهلِ الجَنَّةِ ؟ فَقُلتُ : بَلَى، قال : هَذِهِ المرأَةُ السَّودَاءُ، أَتَتِ النَّبِيَّ ﷺ فَقالت: إنِّي أُصرَعُ، وَإنِّي أَتَكَشَّفُ؛ فَادعُ الله لِي، قال : «إن شِئتِ صَبَرتِ؛ وَلَكِ الجَنَّةُ، وَإن شِئتِ دَعَوتُ الله أَن يُعَافِيكِ ».

فَقالت : أَصبِرُ، فَقالت : إنِّي أَتَكَشَّفُ؛ فَادعُ الله أَن لا أَتَكَشَّفَ؛ فَدَعَا لَهَا»[2].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٩٩)، وانظر : منزلة الرِّضَا في «مدارج السالكين» لابن القيم ؛ فهي عظيمة الفائدة .

(٢) أخرجه البخاري (٥٢٢٠) ومسلم (٤٦٧٣) .

وصَرْعُ هذه المرأة إنما كان من صَرع الأرواح الخبيثة، وبه قال ابن حجر في «الفتح» (١٠ / ١١٥) إذ يقول : «يُؤخَذُ من الطُّرُقِ التي أوردتها أنَّ الذي كان بأُمِّ زفر كان من صَرع الجنِّ، لا من صَرع الخَلط» وانظر : «عمدة القاري» للعيني (٢١/ ٢١٤) .

وَعن أَبِي هُرَيرَةَ ﷺ قال : قال رَسُولُ الله ﷺ : «مَا يُصِيبُ المُسلِمَ مِن نَصَبٍ، وَلا وَصَبٍ، وَلا هَمٍّ، وَلا حُزنٍ، وَلا أَذىً، وَلا غَمٍّ، حَتَّى الشَّوكَةِ يُشَاكُهَا، إلَّا كَفَّرَ الله بِهَا مِن خَطَايَاهُ»[1].

وَعن أَبِي هُرَيرَةَ ﷺ قال : قال رَسُولُ الله ﷺ: «مَن يُرِدِ الله بِهِ خَيراً؛ يُصِبْ مِنهُ»[2]

وعن أَبِي هُرَيرَةَ ﷺ قال : قال رَسُولُ الله ﷺ : «مَا يَزَالُ البَلاءُ بِالمُؤمِنِ وَالمُؤمِنَةِ فِي نَفسِهِ، وَوَلَدِهِ، وَمَالِهِ، حَتَّى يَلقَى الله وَمَا عَليهِ خَطِيئَةٌ»[3].

وَعن سَعدِ بنِ أَبِي وَقَّاصٍ ﷺ قال : قُلتُ : يَا رَسُولَ الله، أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلاءً ؟ قال : «الأَنبِيَاءُ، ثُمَّ الأَمثَلُ؛ فَالأَمثَلُ؛ فيُبتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ؛ فَإن كَانَ دِينُهُ صُلْباً، اشتَدَّ بَلاؤُهُ، وَإن كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ ابتُلِيَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ؛ فَمَا يَبرَحُ البَلاءُ بِالعَبدِ، حَتَّى يَترُكَهُ يَمشِي عَلَى الأَرضِ مَا عَليهِ خَطِيئَةٌ»[4].

وَعن عَبدِ الله بنِ مَسعُودٍ ﷺ، قال : دَخَلتُ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ : «وَهُوَ يُوعَكُ وَعْكاً شَدِيداً؛ فَمَسِسْتُهُ بِيَدِي؛ فَقُلتُ : يَا رَسُولَ الله، إنَّكَ لَتُوعَكُ وَعْكاً شَدِيداً.

فَقال رَسُولُ الله ﷺ : «أَجَل، إنِّي أُوعَكُ كَمَا يُوعَكُ رَجُلانِ مِنكُم».

فَقُلتُ : ذَلِكَ أَنَّ لَكَ أَجرَينِ؛ فَقَال رَسُولُ الله ﷺ: «أَجَل». ثُمَّ قال رَسُولُ

---

(١) أخرجه البخاري (٥٦٤٢) ومسلم (٢٥٧٣) بلفظ «المؤمن».

(٢) أخرجه البخاري (٥٦٤٥).

(٣) أخرجه الترمذي (٢٣٩٩) وقال : «حديثٌ حسنٌ صحيح» والحاكم في «مستدركه» (٤/ ٣٥٠) وقال : صحيحٌ على شرط مسلم، ولَم يُخرجاه، ووافقه الذهبي. وابن حبان في «صحيحه» (٧/ ١٨٧) وهو حُسنٌ.

(٤) أخرجه الترمذي (٢٣٩٨) وابن ماجه (٤٠١٣) وأحمد في «المسند» (١٤٩٧) والحاكم في «مستدركه» (١ / ٩٩) وقال : «حديث صحيح على شرط الشيخين وتعقَّبه الذهبي فقال : على شرط مسلم. وله شواهد كثيرة» وهو حُسنٌ.

الله ﷺ: «مَا مِن مُسلم يُصِيبُهُ أَذىً؛ مَرَضٌ فَمَا سِوَاهُ، إلَّا حَطَّ الله لَهُ سَيِّئَاتِهِ؛ كَمَا تَحُطُّ الشَّجَرَةُ وَرَقَها»[1].

هَذِهِ بَعضُ الآيَاتِ، وَالأَحَادِيثِ تُبيِّنُ حَالَ المُؤمِنِ في البَلاءِ، وَعِظَمِ مَنزِلَتِهِ إن هُوَ صَبَرَ، وَرَضِيَ، وَلَمْ يَجزَع، وَبِاللهِ، كَم هُوَ الأَجرُ المُتَرَتِّبُ عَليهِ لِمَن حَسُنَ حَالُهُ في بَلائِهِ؛ فَمَا جَزَاءُ الصَّابِرِ إلَّا أَن يُوَفَّى أَجرُهُ بِغَيرِ حِسَابٍ، لا سِيَّما، وَالمُؤمِنُ في هَذِهِ الدُّنيَا يَتَقَلَّبُ بَينَ هَمٍّ، وَغَمٍّ، وَضِيقٍ وَكَربٍ، وَسَعَةٍ وَيُسرٍ، وَكُلُّ ذَلِكَ يَحُطُّ عَنهُ الخَطَايا حَطّاً، وَمَا هَذَا إلَّا مِن رَحمَةِ الله تَعَالىٰ بِنَا، وَإلَّا لَكَانَ حَالُنَا؛ كَمَا قال إبرَاهِيمُ المغربِيُّ رَحِمَهُ اللهُ حِينَ رَفَستهُ بَغلَةٌ: «لَولا مَصَائِبُ الدُّنيَا؛ لَقَدِمنَا عَلَى الله مَفَالِيسَ»[2].

قال الحَافِظُ ابنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللهُ: «وَفي هَذِهِ الأَحَادِيثِ بِشَارَةٌ عَظِيمَةٌ لِكُلِّ مُؤمِنٍ، لِأَنَّ الآدَمِيَّ لَا يَنفَكُّ غَالِباً مِن أَلَمٍ بِسَبَبِ مَرَضٍ، أَو هَمٍّ، أَو نَحوِ ذَلِكَ مِمَّا ذُكِرَ، وَأَنَّ الأَمرَاضَ وَالأَوجَاعَ وَالآلَامَ - بَدَنِيَّةً كَانَت أَو قَلبِيَّةً - تُكَفِّرُ ذُنُوبَ مَن تَقَعُ لَهُ»[3]

وَلَكِن هَذَا إنَّمَا يَكُونُ لِمَن رَضِيَ البَلاءَ، وَاحتَسَبَهُ، لا مَن جَزِعَ مِنهُ، وَسَخِطَ فِيهِ، فَعن أَنَسِ بنِ مَالِكٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قال: «إنَّ عِظَمَ الجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ البَلاءِ، وَإنَّ الله تَعَالىٰ إذَا أَحَبَّ قَوماً ابتَلاهُم؛ فَمَن رَضِيَ؛ فَله الرِّضَا، وَمَن سَخِطَ؛ فَله السُّخْطُ»[4].

---

(١) أخرجه البخاري (٥٦٦٠).

(٢) «حلية الأولياء» (١٠/ ١٦٤) و«صفة الصفوة» (٤/ ٣٨).

(٣) «فتح الباري» (١٠/١٠٨)

(٤) أخرجه الترمذي (٢٣٩٦) وابن ماجه (٤٠٣١) وأبو يعلى في «مسنده» (٧/ ٣٤٧) وإسناده حسن.

يقول ابنُ الجَوزِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ : «مَن نَزَلَت بِهِ بَلِيَّةٌ؛ فَأَرَادَ تَمحِيقَهَا؛ فَليَتَصَوَّرهَا أَكثَرَ مِمَّا هِيَ؛ تَهُن، وَليَتَخَيَّل ثَوَابَهَا، وَليَتَوَهَّم نُزُولَ أَعظَمَ مِنهَا، يَرَ الرِّبحَ في الاقتِصَارِ عَلَيهَا، وَليَتَلَمَّح سُرعَةَ زَوَالِهَا؛ فَإِنَّهُ لَولا كُرَبُ الشِّدَّةِ، مَا رُجِيت سَاعَاتُ الرَّاحَةِ.

وَليَعلَمَ أَنَّ مُدَّةَ مَقَامِهَا عِندَهُ؛ كَمُدَّةِ مَقَامِ الضَّيفِ؛ فَليَتَفَقَّد حَوَائِجَهُ في كُلِّ لَحظَةٍ، فَيَا سُرعَةَ انقِضَاءِ مَقَامِهِ، وَيَا لَذَّةَ مَدَائِحِهِ، وَبِشرِهِ في المَحَافِلِ، وَوَصفِ المضِيفِ بِالكَرَمِ.

فَكَذَلِكَ المُؤمِنُ في الشِّدَّةِ؛ يَنبَغِي أَن يُرَاعِيَ السَّاعَاتِ، وَيَتَفَقَّدَ فِيها أَحوَالَ النَّفسِ، وَيَتَلَمَّحَ الجَوَارِحَ؛ مَخَافَةَ أَن يَبدُوَ مِنَ اللِّسَانِ كَلِمَةٌ، أَو مِنَ القَلبِ تَسَخُّطٌ؛ فَكَأَن قَد لاَحَ فَجرُ الأَجرِ؛ فَانجَابَ لَيلُ البَلاءِ، وَمُدِحَ السَّارِي بِقَطعِ الدُّجَى؛ فَمَا طَلَعَت شَمسُ الجَزَاءِ، إِلَّا وَ قَد وَصَلَ إِلَىٰ مَنزِلِ السَّلامَةِ»[1].

فَهَذَا فِقهُ البَلاءِ إِذَا نَزَلَ بِالعَبدِ، كَيفَ يُحَوِّلُ المُؤمِنُ النِّقمَةَ إِلَىٰ نِعمَةٍ؟

وَكَيفَ يَستَجلِبُ المِنَحَ مِنَ المِحَنِ!

فَهَذَا سِرٌّ عَجِيبٌ، وَمَنزِلَةٌ عَالِيَةٌ، لا يَفقَهُهَا إِلَّا أَولِيَاءُ الله، الَّذِينَ لا خَوفٌ عَلَيهِم، وَلا هُم يَحزَنونَ.

---

(١) «صيد الخاطر» (١٢٧).

قوله: (تمحيقها): إزالتها.

وقوله: (فانجاب): ذهب وانقضى.

عَسَى مَا تَرَى أَن لا يَدُومَ وَأَن تَرَى ... له فَرَجاً مِمَّا أَلَحَّ بِهِ الدَّهرُ
عَسَى فَرَجٌ يَأتِي بِهِ اللهُ إِنَّهُ ... له كُلَّ يَومٍ في خَلِيقَتِهِ أَمرُ
إِذَا لاحَ عُسرٌ فَارجُ يُسرَاً فَإِنَّهُ ... قَضَى اللهُ أَنَّ العُسرَ يَتبَعُهُ اليُسرُ[1]

وَتَأَمَّل كَلامَ ابنِ قَيِّمِ الجوزِيَّةِ حِينَ تَكَلَّمَ عَنِ الصَّبرِ، وَفَنَّنَ وَأَحكَمَ آدَابَهُ، وَرَوَّضَ مَنَازِلَه لِمَن نَزَلَت بِهِ مُصِيبَةٌ، وَكَيفَ بَيَّنَ أَسبَابَ استِدعَائِهِ، يقول رَحِمَهُ اللهُ:

«وَالصَّبرُ عَلَى البَلاءِ يَنشَأُ مِن أَسبَابٍ عِدَيدَةٍ:

أَحَدُهَا: شُهُودُ جَزَائِهَا، وَثَوابِهَا.

الثَّانِي: شُهُودُ تَكفيرِهَا لِلسَّيِّئَاتِ، وَمَحوِهَا لَهَا.

الثَّالِثُ: شُهُودُ القَدَرِ السَّابِقِ الجَارِي بِهَا، وَأَنَّهَا مُقَدَّرَةٌ فِي أُمِّ الكِتَابِ قَبلَ أَن يُخلَقَ؛ فَلا بُدَّ مِنهَا؛ فَجَزَعُهُ لا يَزِيدُهُ إِلَّا بَلاءً.

الرابع: شُهُودُهُ حَقَّ الله عَلَيهِ فِي تِلكَ البَلوَى، وَوَاجِبُهُ فِيهَا الصَّبرُ بِلا خِلافٍ بَينَ الأُمَّةِ، أَو الصَّبرُ وَالرِّضَا عَلَى أَحَدِ القَولَينِ.

فَهُوَ مَأمُورٌ بِأَدَاءِ حَقِّ الله، وَعُبُودِيَّتِهِ عَلَيهِ فِي تِلكَ البَلوَى؛ فَلا بُدَّ لَهُ مِنهُ، وَإِلَّا تَضَاعَفَت عَلَيهِ.

الخَامِسُ: شُهُودُ تَرَتُّبِهَا عَلَيهِ بِذَنبِهِ؛ كَمَا قال الله تَعَالَى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ﴾ (الشورى: ٣٠)، فَهَذَا عَامٌّ فِي كُلِّ مُصِيبَةٍ دَقِيقَةٍ، وَجَلِيلَةٍ؛ فَشُغلُهُ شُهُودُ هَذَا السَّبَبِ بِالاستِغفَارِ الَّذِي هُوَ أَعظَمُ الأَسبَابِ فِي دَفعِ تِلكَ المُصِيبَةِ.

وَقال عَلِيُّ بنُ أَبِي طَالِبٍ: مَا نَزَلَ بَلاءٌ إِلَّا بِذَنبٍ، وَلا رُفِعَ بَلاءٌ إِلَّا بِتَوبَةٍ.

---

(١) «جامع العلوم والحكم» (٣٧٤).

السَّادِسُ : أَن يَعلَمَ أَنَّ الله قَد ارتَضَاهَا لَهُ، وَاختَارَهَا، وَقَسَمَهَا، وَأَنَّ العُبُودِيَّةَ تَقتَضِي رِضَاهُ بِمَا رَضِيَ لَهُ بِهِ سَيِّدُهُ وَمَولاهُ؛ فَإن لَم يُوفِ قَدْرَ المَقَامِ حَقَّهُ؛ فَهُوَ لِضَعفِهِ؛ فَلْيَنزِل إِلَىٰ مَقَامِ الصَّبرِ عَلَيهَا؛ فَإِن نَزَلَ عَنْهُ، نَزَلَ إِلَىٰ مَقَامِ الظُّلمِ، وَتَعَدَّى الحَقَّ.

السَّابِعُ: أَن يَعلَمَ أَنَّ هَذِهِ المُصِيبَةَ هِيَ دَاءٌ نَافِعٌ، سَاقَهُ إِلَيهِ الطَّبِيبُ العَلِيمُ بِمَصلَحَتِهِ، الرَّحِيمُ بِهِ؛ فَليَصبِرِ عَلَى تَجَرُّعِهِ، وَلا يَتَقَيَّأهُ بِتَسَخُّطِهِ وَشَكوَاهُ؛ فَيَذهَبُ نَفعُهُ بَاطِلاً.

الثَّامِنُ: أَن يَعلَمَ أَنَّ فِي عُقبَى هَذَا الدَّوَاءِ مِنَ الشِّفَاءِ، وَالعَافِيةِ، وَالصِّحَةِ، وَزَوَالِ الأَلَمِ، مَا لَمْ تَحصُل بِدُونِهِ.

فَإِذَا طَالَعَت نَفسُهُ كَرَاهَةَ هَذَا الدَّاءِ، وَمَرَارَتَهِ؛ فَلْيَنظُر إِلَىٰ عَاقِبَتِهِ، وَحُسنِ تَأثِيرِهِ.

قال تَعَالَىٰ: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ٢١٦)

وَقال الله تَعَالَىٰ : ﴿فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ (النساء: ١٩).

وَفِي مِثلِ هَذَا قال القَائِلُ :

لَعَلَّ عَتبَكَ مَحمُودٌ عَوَاقِبُهُ ... وَرُبَّمَا صَحَّتِ الأَجسَامُ بِالعِلَلِ

التَّاسِعُ: أَن يَعلَمَ أَنَّ المُصِيبَةَ مَا جَاءَت لِتُهلِكَهُ، وَتَقتُلَه، وَإِنَّمَا جَاءَت لِتَمتَحِنَ صَبرَهُ وَتَبتَلِيَهِ؛ فَيَتَبَيَّنُ حِينَئِذٍ هَل يَصلُحُ لاستِخدَامِهِ، وَجَعلِهِ مِن أَولِيَائِهِ، وَحِزبِهِ أَم لا؟

فَإِن ثَبَتَ؛ اصطَفَاهُ، وَاجتَبَاهُ، وَخَلَعَ عَلَيهِ خُلَعَ الإِكرَامِ، وَأَلبَسَهُ مَلابِسَ الفَضْلِ، وَجَعَلَ أَولِيَاءَهَ، وَحِزبَهُ؛ خَدَماً لَهُ، وَعَوناً لَهُ.

وَإِنِ انقَلَبَ عَلَى وَجهِهِ، وَنَكَصَ عَلَى عَقِبَيهِ طُرِدَ، وَصُفِعَ قَفَاهُ، وَأُقصِيَ، وَتَضَاعَفَت عَليهِ المُصِيبَةُ، وَهُوَ لا يَشعُرُ فِي الحَالِ بِتَضَاعُفِهَا، وَزِيَادَتِهَا، وَلَكِن سَيَعلَمُ بَعدَ ذَلِكَ؛ بِأَنَّ المُصِيبَةَ فِي حَقِّهِ صَارَت مَصَائِبَ؛ كَمَا يَعلَمُ الصَّابِرُ أَنَّ المُصِيبَةَ فِي حَقِّهِ صَارَت نِعَماً عَدِيدَةً.

وَمَا بَينَ هَاتَينِ المَنزِلَتَينِ المُتَبَايِنَتَينِ؛ إِلَّا صَبرُ سَاعَةٍ، وَتَشجِيعُ القَلبِ فِي تِلكَ السَّاعَةِ، وَالمُصِيبَةِ لا بُدَّ أَن تُقلِعَ عن هَذَا وَهَذَا، وَلَكِن تُقلِعُ عن هَذَا بِأَنوَاعِ الكَرَامَاتِ، وَالخَيرَاتِ، وَعن الآخَرِ بِالحِرمَانِ، وَالخُذلانِ؛ لأَنَّ ذَلِكَ تَقدِيرُ العَزِيزِ العَلِيمِ، وَفَضلُ الله يُؤتِيهِ مَن يَشَاءُ، وَاللَّهُ ذُو الفَضلِ العَظِيمِ.

العَاشِرُ: أَن يَعلَمَ أَنَّ الله يُرَبِّي عَبدَهُ عَلَى السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ، وَالنِّعمَةِ وَالبَلاءِ؛ فَيستَخرِجَ مِن عُبُودِيَّتِهِ فِي جَمِيعِ الأَحوَالِ.

فَإِنَّ العَبدَ عَلَى الحَقِيقَةِ؛ مَن قَامَ بِعُبُودِيَّةِ الله عَلَى اختِلافِ الأَحوَالِ، وَأَمَّا عَبدُ السَّرَّاءِ، وَالعَافِيَةِ؛ الَّذِي يَعبُدُ الله عَلَى حَرفٍ؛ فَإِن أَصَابَهُ خَيرٌ؛ اطمَأَنَّ بِهِ، وَإِن أَصَابَتهُ فِتنَةٌ؛ انقَلَبَ عَلَى وَجهِهِ؛ فَلَيسَ مِن عَبِيدِهِ، الَّذِينَ اختَارَهُم لِعُبُودِيَّتِهِ.

فَلا رَيبَ أَنَّ الإِيمَانَ الَّذِي يَثبُتُ عَلَى مَحَلِّ الابتِلاءِ وَالعَافِيةِ؛ هُوَ الإِيمَانُ النَّافِعُ وَقتَ الحَاجَةِ، وَأَمَّا إِيمَانُ العَافِيةِ؛ فَلا يَكَادُ يَصحَبُ العَبدَ، وَيُبَلِّغُهُ مَنَازِلَ المُؤمِنِينَ، وَإِنَّمَا يَصحَبهُ إِيمَانٌ يَثبُتُ عَلَى البَلاءِ، وَالعَافِيةِ.

فَالابتِلاءِ كِيرُ العَبدِ، وَمَحَكُّ إِيمَانِهِ؛ فَإِمَّا أَن يُخرِجَ تِبراً أَحمَرَ، وَإِمَّا أَن يُخرِجَ زَغَلاً مَحضاً، وَإِمَّا أَن يَخرُجَ فِيْهِ مَادَّتَانِ : ذَهَبِيَّةٌ، وَنُحَاسِيَّةٌ؛ فَلا يَزَالُ بِهِ البَلاءُ، حَتَّى يُخرِجَ المَادَّةَ النُّحَاسِيَّةَ مِن ذَهَبِهِ، وَيَبقَى ذَهَباً خَالِصاً.

فَلَو عَلِمَ العَبدُ أَنَّ نِعمَةَ الله عَليهِ فِي البَلاءِ، لَيسَت بِدُونِ نِعمَةِ الله عَليهِ فِي العَافِيةِ؛ لَشَغَلَ قَلبَهُ بِشُكرِهِ، وَلِسَانَهُ بِذِكرِهِ : «اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكرِكَ، وَشُكرِكَ،

وَحُسنِ عِبَادَتِكِ»، وَكَيفَ لا يَشكُرُ مَن قَيَّضَ لَهُ مَا يَستَخرِجُ خُبثَهُ، وَنُحَاسَهُ، وَصَيَّرَهُ تِبراً خَالِصاً، يَصلُحُ لِمُجَاوَرَتِهِ، وَالنَّظَرِ إِلَيهِ فِي دَارِهِ.

فَهَذِهِ الأَسبَابُ وَنَحوُهَا؛ تُثمِرُ الصَّبرَ عَلَى البَلاءِ؛ فَإِن قَوِيَت؛ أَثمَرَتِ الرِّضَا، وَالشُّكرَ؛ فَنَسأَلُ الله أَن يَستُرَنَا بِعَافِيَتِهِ، وَلا يَفضَحنَا بِابتِلائِهِ بِمَنِّهِ، وَكَرَمِهِ»[1].

لابُدَّ لِلمَرءِ مِن ضِيقٍ وَمِن سَعَةٍ ... وَمِن سُرُورٍ يُوَافِيه وَمِن حُزنِ
وَاللَّهُ يَطلُبُ مِنهُ شُكرَ نِعمَتِهِ ... مَا دَامَ فِيها وَيَبغِي الصَّبرَ فِي المِحَنِ
فَمَا عَلَى شِدَّةٍ يَبقَي الزَّمَانُ يَكُن ... وَلا عَلَى نِعمَةٍ تَبقَي عَلَى الزَّمَنِ[2]

وَيقول الشَّيخُ العَلامَةُ عَبدُ الرَّحمَنِ السَّعدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَالمُؤمِنُ إِذَا ابتُلِيَ بِمَرَضٍ، أَو فَقرٍ، أَو نَحوِهِ مِنَ الأَعرَاضِ الَّتِي كُلُّ أَحَدٍ عُرضَةٌ لَهَا؛ فَإِنَّهُ بِإِيمَانِهِ، وَبِمَا عِندَهُ مِنَ القَنَاعَةِ، وَالرِّضَا بِمَا قَسَمَ الله لَهُ؛ تَجِدُهُ قَرِيرَ العَينِ، لا يَتَطَلَّبُ بِقَلبِهِ أَمراً لَم يَقدِر عَلَيهِ، يَنظُرُ إِلَىٰ مَن هُوَ دُونَهُ، وَلا يَنظُرُ إِلَىٰ مَن هُوَ فَوقَهُ، وَرُبَّمَا زَادَت بَهجَتُهُ، وَسُرُورُهُ، وَرَاحَتُهُ عَلَى مَن هُوَ مُتَحَصِّلٌ عَلَى جَمِيعِ المطَالِبِ الدُّنيَوِيَّةِ؛ كَمَا تَجِدُ هَذَا الَّذِي لَيسَ عِندَهُ عَمَلٌ بِمُقتَضَى الإِيمَانِ؛ إِذَا ابتُلِيَ بِشَيءٍ مِنَ الفَقرِ، أَو فَقدَ بَعضَ المطَالِبِ الدُّنيَوِيَّةِ؛ تَجِدهُ فِي غَايَةِ التَّعَاسَةِ وَالشَّقَاءِ»[3].

فَهَذِهِ أَحوَالُ الدُّنيَا، وَاللَّهُ سُبحَانَهُ لا يُرِيدُهَا لَنَا، وَلَو كَانَت لَنَا بَاقِيَةً؛ لَمَا ذَاقَ مُسلِمٌ فِيهَا تَعَباً، وَلا نَصَباً، وَلَكِنْ مِنْ حِكَمِ هَذَا البَلاءِ؛ أَنْ نَنفُرَ عَنهَا، وَعَنْ أَوجَاعِهَا، وَأَمرَاضِهَا، وَمَصَائِبِهَا؛ فَلا نَركَنُ إِلَيهَا، بَلْ نَشتَاقُ لِلدَّارِ الآخِرَةِ، وَمَا

(١) «طريق الهجرتين» (٤١٥).
(٢) «اصبر واحتسب» للشيخ عبد الملك القاسم (٤٦)
(٣) «الوسائل المفيدة للحياة السعيدة» (١٣).

فِيْها مِنَ النَّعِيمِ وَالجَزَاءِ؛ فَتِلكَ الحَيَاةُ البَاقِيَةُ، وَيَا للهِ مَا أَرْوَعَهَا! إذْ فِيْها مَا لا عَينٌ رَأَتْ، وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلا خَطَرَ عَلَى قَلبِ بَشَرٍ؛ إنَّهَا حَيَاةٌ، وَأَيُّ حَيَاةٍ[1].

يَجرِي القَضَاءُ وَفيه الخَيرُ نَافِلَةً ... لِـمُؤمِنٍ وَاثِقٍ بِاللهِ لا لاهِي
إنْ جَاءَهُ فَرَحٌ أَو نَابَهُ تَرَحٌ ... في الحَالَتَينِ يَقُولُ الحَمدُ للهِ[2]

فَيَا أَيُّهَا العَاقِلُ المُبتَلَى:

تَأَمَّل حَالَ أَكرَمِ الخَلقِ عَلَى اللهِ؛ أَنبِيَائِهُ عَلَيهِم السَّلامَ، وَصَفوَتِهِ مِن خَلقِهِ، هَل طَابَ لَهُم عَيشٌ؟

هَل هَنَأَت لَهُم فِي الدُّنيَا حَيَاةٌ؟

هَل دَامَ لَهُم نَعِيمٌ؟

أَينَ أَنتَ مِنهُم؟

وَمَن أَنتَ مَعَهُم؟

هَذَا الخَلِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ابتُلِيَ في وَلَدِهِ إِسمَاعِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ فَامتَثَلَ، وَصَبَرَ طَاعَةً للهِ؛ فَجَاءَ النِّدَاءُ، وَالفَرَجُ: ﴿وَفَدَيْنَهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ (الصافات: ١٠٧)

---

(١) قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ: «من تلمَّح أحوال الدنيا؛ عَلِم أن مراد الحق سبحانه اجتنابها؛ فمن مال إلى مباحها؛ لِيلتذَّ؛ وجد مع كل فرحة تَرحة، وإلى كل جانب راحة تعباً، وآخر كلِّ لذة نقصاً يزيد عليها، وما رفع شيء من الدنيا إلَّا وَوُضِع.

أحب الرسول ﷺ عائشة؛ فجاء حديث الإفك، ومال إلى زينب؛ فجاء: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا﴾، ثم يكفي أنه إذا حصَّل محبوبه؛ فعَينُ العقل ترى فِراقه؛ فيتنغَّصُ عنده وجوده، كما قال الشاعر:

أشـــدُّ الغـــمِّ عنـــدي في سرورٍ ... تَـــيقَّنَ عنـــه صـــاحبُه انتقـــالا

فيعلم العاقل أن مراد الحق بهذا التَّكدِير؛ التنفيرُ عن الدنيا؛ فيبقى أخذ البُلغَة منها ضرورة، وترك الشواغل؛ فيجتمع الهمُّ في خدمة الحقِّ، ومن عدل عن ذلك ندم على الفوات». «صيد الخاطر» (٦١٠).

(٢) «بَردُ الأكباد عند فَقد الأولاد» (٩).

وَابتُلِيَ بِرَميِهِ فِي النَّارِ؛ فَجَاءَ الأَمرُ : ﴿قُلْنَا يَـٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ۝ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَـٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ﴾ (الأنبياء : ٦٩ــ٧٠).

وَذَا يَعقُوبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ابتُلِيَ بِأُمُورٍ عَظِيمَةٍ؛ فَقْدِ وَلَدِهِ، وَحَبِيبِهِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَمَا أَن لَبِثَ حَتَّى فَقَدَ أَخَاهُ؛ فَبَكَى، وَذَهَبَ بَصَرُهُ؛ حُزنًا عَلَيهِمَا؛ فَصَبَرَ، وَاحتَسَبَ، وَلَم يَجزَع، وَرَدَّدَ : ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ (يوسف : ١٨)

وَشَكَى حَالَه إِلَىٰ مَولاهُ : ﴿إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ (يوسف : ٨٦).

فَجَاءَتِ البُشرَى : ﴿فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا ۖ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (يوسف : ٩٦).

وَيُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ابتُلِيَ بِابتِلاءَاتٍ عِدَّةٍ: حَسَدٌ مِنْ إِخوَتِهِ، وَبَيعُهُ رَقِيقًا، وَمُحَاوَلَةُ إِغوَائِهِ وَقَد عَصَمَهُ اللهُ، ثُمَّ السِّجنُ !

وَبَعدَ الصَّبرِ كَانَتِ العَاقِبَةُ الحَسَنَةُ : ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ (يوسف : ١٠١).

وَيُونُسُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَصَدَ البَحرَ، وَغَرِقَ؛ فَالتَقَمَهُ الحُوتُ، وَلَبِثَ فِي بَطنِهِ : ﴿فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَـٰتِ أَن لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَـٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ فجاءتِ النَّجاة : ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ (الأنبياء : ٨٧ــ٨٨)[1]

وَزَكَرِيَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ مُنِعَ الوَلَدُ؛ فَلَهَجَ بِالدُّعَاءِ : ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ (الأنبياء: ٨٩) وَشَمَّرَ عن سَاعِدِ الجِدِّ لِلطَّاعَاتِ، وَالقُرُبَاتِ، وَالمُسَارَعَةِ

---

(١) ومن لطيف رسم قوله تعالى : ﴿نُـۨجِى﴾ أن جُعِلت نون صغيرة في وسط نون ممتدة، فكأنَّ الصغيرة قارب في بحر لُـجِّيٍّ مُمتدٍ، يحفظ الله به عباده المؤمنين من الكَرْب والبلاء .

أَوْ لك أنْ تتأمَّل أيضاً : كأنَّ النون الصغيرة تَرْمِز لنبيِّ الله يونس عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ والكبيرة للحوت، وهو في بطنه حيث من أسماء الحوت : «النون»؛ فتأمَّل .

في الخَيرَاتِ؛ فَمُنِحَ الفَرَجَ : ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ (الأنبياء : ٩٠)

وَأَيُّوبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ابتُلِيَ في جَسَدِهِ ثَمانِي عَشرَةَ سَنَةً، وَمَسَّهُ الضُّرُّ؛ فَأَكثَرَ مِن قَولِهِ: ﴿أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ (الأنبياء: ٨٣)، فَصَبَرَ، وَاحتَسَبَ : ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ﴾ (الأنبياء : ٨٤).

بَل أَعظَمُ مِن ذَلِكَ، يَحيَى؛ ابتُلِيَ ببَلاءٍ شَدِيدٍ، فَكِيدَ بِهِ فَقُتِلَ، وَيَاللَّهِ نَبِيُّ اللهِ يُقتَلُ؟ أَكُلُّ هَذَا بَلاءٌ؟

أَمَّا أَكرَمُ الخَلقِ قَاطِبَةً؛ مُحَمَّدُ بنُ عَبدِ الله، خَاتَمُ الأَنبِيَاءِ وَالمُرسَلِينَ ﷺ، كَانَ لَهُ أَعظَمُ الشَّأنِ مَعَ البَلاءِ.

ابتُلِيَ بِطَردِهِ مِن مَوطِنِهِ، وَابتُلِيَ بِوَفَاةِ وَلَدِهِ إبرَاهِيمَ، وَابتُلِيَ بِأَعظَمِ مَا يُبتَلَى بِهِ الرَّجُلُ؛ في عِرضِهِ؛ فَجَاءَت حَادِثَةُ الإفكِ، وَتَلَتهَا قِصَّةُ زَينَبَ، وَحَصَلَ مَا حَصَلَ يَومَ بَدرٍ، وَيَومَ أُحُدٍ، وَيَومَ حُنَينٍ؛ فَهَل كَلَّ، أَو مَلَّ، أَو يَئِسَ، أَو سَخِطَ ؟

لا، بِأَبِي وَأُمِّي صَلَواتُ رَبِّي وَسَلامُهُ عَلَيهِ، بَل لَقَد تَعَرَّضَ لِلسِّحْرِ مِن بَنِي يَهُودَ؛ فَشَفَاهُ الله مِنهُ[1].

---

(١) نقل الحافظ ابن حجر في «الفتح» (١٠ / ٢٢٦) عن المازري : مُفَنِّداً زعم من أنكره فقال: «أنكر بعض المبتدعة هذا الحديث، وزعموا أنه يحطُّ منصب النبوة، ويُشكِّك فيها، قالوا : وكل ما أدَّى إلى ذلك فهو باطل .

وزعموا أنَّ تجويز هذا يُعدِمُ الثقة بما شَرَعَه من الشرائع؛ إذ يحتمل على هذا أن يُخَيَّل إليه أنه يرى جبريل وليس هو ثَمَّ، وأنه يُوحَى إليه بشيء ولَم يُوحَ إليه بشيء.

قال المازري : وهذا كلُّه مَردودٌ؛ لأنَّ الدليل قد قام على صِدق النبي ﷺ فيما يبلغه عن الله تَعَالَىٰ، وعلى عِصمته في التبليغ، والمعجزات شاهداتٌ بتصديقه؛ فتجويز ما قام الدليل على خلافه باطل .

وأما ما يتعلق ببعض أمور الدنيا التي لَم يُبعث لأجلها، ولا كانت الرسالة من أجلها؛ فهو في ذلك عُرضة لما يعترض البشر، بعيد أن يخيل إليه في أمر من أمور الدنيا ما لا حقيقة له، مع عصمته عن مثل

لَقَد كَانَت حَيَاتُهُ ﷺ أَعظَمَ مَدرَسَةٍ لِتَعلِيمِ الصَّبرِ عَلَى البَلاءِ، وَاحتِسَابِهِ فِي الشِّدَّةِ وَالرَّخَاءِ، فِي الحَربِ، وَفِي السِّلمِ، وَفِي كُلِّ شُؤُونِ الحَيَاةِ؛ فَأَمرُ المُؤمِنُ كُلُّهُ لَهُ خَيرٌ، وَمَا يَعقِلُ هَذَا إِلَّا أُولُو الأَلبَابِ[1].

يا فَارِجَ الهَمِّ عن نُوحٍ وَأُسرَتِهِ ... وصَاحِبِ الحُوتِ مَولَى كُلِّ مَكرُوبِ

وفَالِقَ البَحرِ عن مُوسَى وَشِيعَتِهِ ... ومُذهِبَ الحُزنِ عن أصحَابِ يعقُوبِ

وجَاعِلاً نَارَ إبرَاهِيمَ بَارِدَةً ... وَرَافِعَ السُّقمِ عن أَوصَالِ أيُّوبِ

إنَّ الأَطِبَّاءَ لا يُغنُونَ عن نَصَبِي ... أَنتَ الطَّبِيبُ طَبِيبٌ غَيرُ مَغلُوبِ[2]

عن أَنَسِ بنِ مَالِكٍ ﷺ قال: قال رَسُولُ الله ﷺ: «يُؤتَى بِأَنعَمِ أهلِ الدُّنيَا مِن أهلِ النَّارِ يَومَ القِيَامَةِ؛ فَيُصبَغُ فِي النَّارِ صَبغَةً، ثُمَّ يُقَالُ:

يَا ابنَ آدَمَ هَل رَأَيتَ خَيراً قَطُّ؟

هَل مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟

فَيقول: لا، والله يا رَبِّ.

=

ذلك في أمور الدين» اهـ.

وانظر مزيداً فائقاً ما سطره العلامة الفقيه المحدِّث الحَجْوي الفاسي في كتابه النفيس «الدفاع عن الصحيحين» (١٠٣) وردّه على من أنكر الحديث، والعلامة الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره: «أضواء البيان» (٤/ ٣٥٤) في بحثه عن السِّحر في سورة «طه» وما قيده شيخنا العلامة أ.د عمر الأشقر نفع الله به في كتابه: «عالم السحر والشعوذة» (١٧٧) فهو جد نفيس.

(١) القارئ في سِيَرِ أنبياء الله، يجد من الإسرائيليات الشيء الكثير! ما بين تهويل، وتنفير، وعجائب، وغرائب، لا سِيَّما في بعض ابتلاءاتهم عليهم السلام؛ فيذكرون أموراً ليس لها زِمَامٌ، ولا خِطامٌ، بل هي مما تَمُجُّهُ النفوس، لا سِيَّما في قصة أيوب؛ من عَبَث الدُّود في جسده! وغيرها، مما تأباه عصمة الأنبياء، والذي ينبغي بالمؤمن أن يصدِّق به هو ما جاء في القرآن والسنة في تعرضهم للبلاء وكشفه عنهم، من غير خوض في التفاصيل الدقيقة إذ هي نقل عن إسرائيليات لم يأت الخبر الصحيح فيها، وإن ذكره أهل التاريخ والسير؛ فأسانيدها باطلة. فتنبَّه.

(٢) «الأحكام النبوية» (١٨٨).

ويُؤتَى بَأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْسَاً في الدُّنيَا مِنْ أَهْلِ الجنَّةِ؛ فَيُصْبَغُ صَبغَةً في الجنَّةِ، فيُقَالُ لَه: يَا ابنَ آدَمَ هَل رَأيتَ بُؤسَاً قَطُّ ؟

هَل مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ ؟

فَيقول : لا، واللهِ يا رَبِّ، ما مَرَّ بِي بُؤسٌ قَطُّ، ولا رَأيتُ شِدَّةً قَطُّ »[1].

وَبَعدَ هَذَا وَذَاكَ؛ فَمَن دَقَّ نَظَرُهُ، وَحَسُنَ فِكرُهُ، وَجَادَ تَأَمُّلُهُ؛ عَلِمَ أَنَّ هَذِهِ المصَائِبُ كَثُرَت أَو قَلَّت؛ فَمَا هِيَ إِلَّا مِن بَابِ : ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴾ (الشورى : ٣٠)

أَو : ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ﴾ (العنكبوت : ٢).

قال بَعضُ العَارِفينَ: «ارْضَ عَنِ الله في جَمِيعِ مَا يَفعَلُهُ بِكَ؛ فَإِنَّهُ مَا مَنَعَكَ إِلَّا لِيُعطِيَكَ، وَلا ابتَلاكَ إِلَّا لِيُعَافِيَكَ، وَلا أَمرَضَكَ إِلَّا لِيُشفيَكَ، وَلا أَمَاتَكَ إِلَّا لِيُحيِيَكَ؛ فَإِيَّاكَ أَن تُفَارِقَ الرِّضَا عَنْهُ طَرفَةَ عَينٍ؛ فَتسقُطَ مِن عَينِهِ »[2].

وَمِن قِصَصِ أَهلِ البَلاءِ في ذَلِكَ مِمَّا فِيْهِ عِبرَةٌ، وَأَيُّ عِبرَةٍ :

يقول ابنُ الجَوزِيِّ رَحِمَهُ اللهُ : «حَكِيمٌ مِنَ الحُكَمَاءِ قال : مَرَرتُ بِعَرِيشِ مِصرَ، وَأَنَا أُرِيدُ الرِّبَاطَ؛ فَإِذَا أَنَا بِرَجُلٍ في مَظَلَّةٍ قَد ذَهَبَت عَينَاهُ، وَيَدَاهُ، وَ رِجلاهُ، وَبِهِ أَنوَاعُ البَلاءِ، وَ هُوَ يقول : الحَمدُ لله حَمدَاً يُوَافي مَحَامِدَ خَلقِكَ، بِمَا أَنعَمتَ عَلَيَّ، وَفَضَّلتَنِي عَلَى كَثِيرٍ مِمَّن خَلقتَ تَفضِيلاً.

فَقُلتُ : لأَنظُرَنَّ أَشَيءٌ عُلِّمَهُ، أَم أُلهِمَهُ اللهُ إِلهَامَاً.

فَقُلتُ : عَلَى أَيِّ نِعمَةٍ مِن نِعَمِهِ تَحمَدُهُ، أَم عَلَى أَيِّ فَضِيلَةٍ تَشكُرُهُ ؟

فَوَاللهِ مَا أَرَى شَيئَاً مِنَ البَلاءِ إِلَّا وَهُوَ بِكَ.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٨٠٧).

(٢) «مدارج السالكين» (٢/ ٢١٦)

فَقال : أَلا تَرَى مَا قَد صَنَعَ بِي ؟

فَوَاللَّهِ لَو أَرسَلَ السَّماءَ عَلَيَّ نَاراً؛ فَأَحرَقتنِي، وَأَمَرَ الجبَالَ؛ فَدَكدَكَتنِي، وَأَمَرَ البِحَارَ؛ فَغَرَّقَتنِي، مَا ازدَدتُ لَهُ إِلَّا حَمداً وَشُكراً ! وَإِنَّ لِي إِلَيكَ حَاجَةً؛ بُنَيَّةٌ لِي كَانَت تَخدِمُنِي، وَتَتَعَاهَدُنِي عِندَ إِفطَارِي، انظُر هَل تُحِسُّ بِهَا ؟

فَقُلتُ : وَاللهِ إِنِّي لأَرجُو أَن يَكُونَ لِي فِي قَضَاءِ حَاجَةِ هَذَا العَبدِ قُربَةٌ إِلَىٰ اللهِ عَزَّوَجَلَّ؛ فَخَرَجتُ أَطلُبُهَا بَينَ تِلكَ الرِّمَالِ؛ فَإِذَا السَّبُعُ قَد أَكَلَهَا.

فَقُلتُ : إِنَّا للهِ وَ إِنَّا إِلَيهِ رَاجِعُونَ، مِن أَينَ آتِي هَذَا العَبدِ الصَّالِحِ؛ فَأُخبِرُهُ بِمَوتِ ابنَتِهِ ؟ فَأَتَيتُهُ؛ فَقُلتُ لَهُ : أَنتَ أَعظَمُ عِندَ اللهِ مَنزِلَةً، أَمْ أَيُّوبُ عَلَيهِ السَّلَامُ ؟ ابتَلاهُ اللهُ فِي مَالِهِ، وَوَلَدِهِ، وَأَهلِهِ، وَبَدَنِهِ، حَتَّى صَارَ غَرَضاً لِلنَّاسِ.

فَقال : لا، بَل أَيُّوبُ.

قُلتُ : فَإِنَّ ابنَتَكَ الَّتِي أَمَرتَنِي أَن أَطلُبَهَا؛ أَصَبتُهَا وَإِذَا السَّبُعُ قَد أَكَلَهَا.

فَقال : الحَمدُ للهِ الَّذِي لَم يُخرِجنِي مِنَ الدُّنيَا، وَفِي قَلبِي مِنهَا شَيءٌ؛ فَشَهِقَ شَهقَةً؛ فَمَاتَ.

فَقُلتُ : إِنَّا للهِ وَ إِنَّا إِلَيهِ رَاجِعُونَ، مَن يُعِينُنِي عَلَى غَسلِهِ، وَدَفنِهِ؛ فَإِذَا أَنَا بِرَكبٍ يُرِيدُونَ الرِّبَاطَ؛ فَأَشَرتُ إِلَيهِم؛ فَأَقبَلُوا إِلَيَّ، فَأَخبَرتُهُم بِالَّذِي كَانَ مِن أَمرِهِ، فَغَسَّلنَاهُ، وَكَفَّنَّاهُ، وَدَفَنَّاهُ فِي مَظَلَّتِهِ تِلكَ، وَمَضَى القَومُ، وَبِتُّ لَيلَتِي فِي مَظَلَّتِهِ آنِساً بِهِ، حَتَّى إِذَا مَضَى مِنَ اللَّيلِ قَدرَ ثُلُثِهِ، إِذَا أَنَا بِهِ فِي رَوضَةٍ خَضرَاءَ، وَإِذَا عَلَيهِ حُلَّتَانِ خَضرَاوَانِ، وَهُوَ قَائِمٌ يَتلُو القُرآنَ.

فَقُلتُ : أَلَستَ صَاحِبِي بِالأَمسِ ؟

فَقال : بَلَى.

فَقُلتُ : فَمَا صَيَّرَكَ إِلَىٰ مَا أَرَى ؟

قال : وَرَدتُ مِنَ الصَّابِرِينَ عَلَى دَرَجَةٍ، لَمْ يَنَالُوهَا إِلَّا بِالصَّبرِ عِندَ البَلاءِ، وَالشُّكرِ عِندَ الرَّخَاءِ »[1].

وَمَا أَجمَلَ مَا قالهُ عَلِيُّ بنُ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه :

وَكَمْ للهِ مِن لُطفٍ خَفيٍّ   يَدِقُّ خَفَاهُ عن فَهمِ الذَّكِيِّ
وَكَم يُسرٍ أَتَى مِن بَعدِ عُسرٍ   فَفَرَّجَ كُرْبَةَ القَلبِ الشَجِيِّ
وَكَم أَمرٍ تُسَاءُ بِهِ صَباحاً   وَتَأتِيكَ المَسَرَّةُ بالعَشِيِّ
إِذَا ضَاقَت بِكَ الأَحوَالُ يَومَاً   فَثِق بِالوَاحِدِ الفَردِ العَلِيِّ
وَلا تَجزَع إِذَا مَا نَابَ خَطبٌ   فَكَم للهِ مِن لُطفٍ خَفيٍّ[2]

فَيَنبَغِي لِلعَبدِ أَن يَحتَسِبَ الأَجرَ في بَلائِهِ، وَأَن يَصبِرَ؛ فَالفَرَجُ قَرِيبٌ، وَاليُسرُ غَالِبٌ لِلعُسرِ، وَلَكِن شَيئاً مِنَ الصَّبرِ يَتبَعُهُ الظَّفَرُ، وَليُطَالِع قِصَصَ أَهلِ البَلاءِ، وَكَيفَ فَرَّجَ الله عَنهُم الهَمَّ، وَالغَمَّ؛ فَفِيها تَسلِيَةٌ لَهُ، وَأَيُّ تَسلِيَةٍ.

❑ ❑ ❑

(١) «صفة الصفوة» (٤ / ٣٢٦) وجاء عند ابن حبان في «الثقات» (٥ / ٤) أن هذا الرجل هو أبو قلابة صاحب ابن عباس رضي الله عنهما، وذكرها الرمليُّ في «تسلية الكئيب بفقد الحبيب» (٧٧)
(٢) «ديوان علي بن أبي طالب رضي الله عنه» (١٦٠)

الفصل الثاني

مَتنُ الرُّقيةِ الشَّرعِيَّةِ

تمهيد : مَنْهجُ اختيَارِ الآياتِ

المبْحَثُ الأَوَّلُ : الأَدعِيةُ الشَّرعِيَّةُ الصَّحِيحَةُ مِنَ السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ

المبحَثُ الثَّاني : الرُّقيةُ الشَّرعِيَّةُ العَامَّةُ

المبحَثُ الثَّالِثُ : أَدْعِيةُ عَامَّةٌ

المبحَثُ الرَّابِعُ: رُقْيةُ المَرِيضِ

تمهيد:
مَنهجُ اختِيَارِ الآيَاتِ

إنَّ انتقَاءَ الآيَاتِ في هَذِهِ الرُّقيَةِ الشَّرعِيَّةِ، في الأَغلبِ لَيسَ مُعتَمَداً عَلَى نَصٍّ صَحِيحٍ، والَّذِي صَحَّ الحَدِيثُ في فَضلِهَا مَعدُودٌ وَقَلِيلٌ[1]، والَّذِي لَم يَصِحَّ مِنهَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ استَأنَستُ في انتِقَائِهَا مِمَّا كَانَ بِعضُ العُلَمَاءِ الرَّبَانِيِّينَ يَقرَؤُونَ بِهَا عَلَى مَن بِهِ عِلَّةٌ، أَو يَكتُبُونَهَا لَهم وَيَستَشفُونَ بِهَا؛ وَقَدْ صَحَّ نَفْعُها وَصَدَقَ خَبرُها في الوَاقِعِ وَالمُشَاهَدَاتِ والمُجرَّبَاتِ.

فَالقُرآنُ فِيهِ الشِّفَاءُ، وَلَكِنَّ بَعضَ الآيَاتِ يَكُونُ انتِقَاؤُهَا لِنِيَّةٍ يُرِيدُهَا الرَّاقِي تُنَاسِبُ مَعنَى، أَو تُفِيدُ عِلَّةً، وَفِيها لَمحَةٌ دَالَّةٌ[2] يُبصِرُها العَالِمُ المحَقِّقُ الَّذِي دَقَّ فَهمُهُ، وَثقُبَ فِكرُه، وَحَسُنَ تَأَمُّلُهُ في كِتَابِ رَبِّهِ، وَفتَحَ اللهُ عَليهِ، شَرِيطَةَ أَنْ لا

---

(١) قال ابن قيم الجوزية رَحِمَهُ اللهُ في «المنار المنيف» (١١٤) بعد أن ذكر فضل سورة البقرة، وآل عمران، والكهف، والملك، والزَّلزلة، والكافرون، والإخلاص، والمعوِّذات، قال: «ثم سائر الأحاديث بعدُ، كقوله: من قرأ سورة كذا؛ أعطي ثواب كذا؛ فموضوعةٌ على رسول الله ﷺ، وقد اعترف بوضعها واضعُها؛ وقال: قصدتُ أن أُشغِل الناس بالقرآن عن غيره!

وقال بعض جهلاء الوضَّاعين في هذا النوع: نحن نكذب لرسول الله ﷺ ولا نكذب عليه!! ولم يعلم هذا الجاهل أنه من قال عليه ما لَم يَقُل؛ فقد كذب عليه، واستحق الوعيد الشديد» اهـ.

وقد تساهل أيضاً بعض أهل العلم؛ فأدخلوا بعض الأحاديث الضعيفة، وجمَّعوا لها طرقاً لا تقوى لأن تكون شاهداً، وظنَّ بعض من كتب في الفضائل أن يُدخِل ما جاء في إخبار فعل النبي ﷺ لها، وليس فيها فضل لمن فعلها؛ فله كذا؛ فعَدَّها من الفضائل! كمثل قراءته الطور في المغرب!! وقراءة السجدة، والإنسان في فجر الجمعة! ولَم يُفَرِّق بين السُّنَّة ـ والأجر فيها للامتثال ـ وبين الفضائل والأجر؛ لوُرُودِ الترغيب فيها؛ لفَضلِها. فتأمَّل.

(٢) ومن نفائس الأديب سيِّد قطب رَحِمَهُ اللهُ: «إن هذا القرآن لا يعطي سِرَّه إلَّا للذين يخوضون به المعركة، ويجاهدون به جهاداً كبيراً». «أعلام الدعوة والحركة الإسلامية» (٦٧١) عبد الله العقيل.

تُصادِمَ نُصوصَ الكِتَابِ والسُّنةِ، وأَنْ لا تَكُونَ خَارِجَةً عَنِ الفَهْمِ الصَّحِيحِ في التَّدَبُّرِ والاسْتِنْبَاطِ عَنْ فَهْمِ سَلَفِنا الصَّالِحِ رِضْوَانُ الله عَلَيْهِم.

وهذا بِخِلاَفِ مَن شَطَحَ وَزَعَمَ أَنهَّا مِنَ الأَسَرَارِ الرَّبَّانِيَّةِ، وَهِيَ بِذَاتِهَا تُخَالِفُ كِتَابَ الله، وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ ﷺ (١) وَمَا فِعْلُ أَهلِ العِلْمِ رَحِمَهُم اللهُ في بَابِ خَوَاصِّ القُرآنِ (٢) إلَّا مِن هَذَا القَبِيلِ؛ إِذَ يقصِدُون بِهِ؛ أَنَّ في خَواصِّ بَعضِ الآيَاتِ؛ تَأثِيراً يَكُونُ سَبَبَاً لِلشِّفَاءِ، وَلإبطَالِ السِّحرِ، وَالنَّجَاةِ مِنَ العَدُوِّ، وَرَفعِ الضَّرَرِ، أَو لِدَفعِ مَكرُوهٍ قَد يَقَعُ.

وَعُمدَتهُم في انتِقَاءِ هَذِهِ الخَوَاصِّ؛ مَا تَوَصَّلَ إِلَيهِ العُلَمَاءُ مِن تجَارِبِهِم الشَّخصِيَّةِ؛ لأَنَّهُم يَعتَقِدُونَ البَرَكَةَ، وَالنَّفعَ في القُرآنِ، وَهَذَا لا يَنفَعُ إِلَّا مَن اعتَقَدَ اعتِقَادَهُم.

قال الحَافِظُ ابنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللهُ في صِفَةِ الاغتِسَالِ مِنَ العَينِ: «وَقال ابنُ القَيِّم: هَذِهِ الكَيفيَّةُ لا يَنتَفِعُ بِهَا مَن أَنكَرَهَا، وَلا مَن سَخِرَ مِنهَا، وَلا مَن شَكَّ فيهَا أَو فَعَلَهَا مُجَرِّباً غَيرَ مُعتَقِدٍ» (٣)

---

(١) كما أغرب بعض الرقاة وأبعد النُّجعَة، فزعم أن لديه خُدَّاماً لسور القرآن !! وجِنّاً صالحين ؟!! تفرَّد هو بهم عن غيره، وسُخِّروا له؛ لصلاحه وتقواه ؟!! وربما كان غير مُصَلٍّ، وأثر المعصية في وجهه، وربما شارباً للدخان ؟

فكيف يكون لهذا خُدَّامٌ ؟ وعلى ماذا يُخدم ؟ ولم يثبت عن النبي ﷺ ولا عن أحد من صحابته، أنه كان له خُدَّامٌ؛ فما الخُدَّام؛ إلَّا شياطين الجنِّ تزيدهم رهقاً، ورِجساً، ووبالاً، نعوذ بالله من الخذلان؛ فهذا كله من العبث والضحك على عقول الناس، وللأسف كثير من سُذَّج الناس يُصدِّقون مثل هذه الأمور . وقد سبق الحديث عمن زعم بأسرارٍ لأسماء الله الحسنى، انظر ما سبق ص (٢٥٣) .

(٢) وهناك رسالة علمية نالت درجة الدكتوراه، بعنوان «خواص القرآن» دراسة نظرية تطبيقية، للدكتور تركي الهويمل وفقه الله، وهي جديرة بالمطالعة والاهتمام، ففيها قواعد وضوابط مهمة جداً، خاصة وأن هذا الباب فيه شوائب شابته؛ فحريٌّ بالرَّاقي المُوفَّق أن يحرص دَوماً على صفاء عِلْمه من كل ما يَشُوبه، وأن يكون وقّافاً عند نصوص الشريعة الغَرّاء، وحينها أَنعِم به من راقٍ .

(٣) «الفتح» (١٠/ ٢٠٥)

ثُمَّ إنَّ هَذَا الفَهمَ في كِتَابِ رَبِّنَا سُبحَانَهُ ـ فيمَا يَظهَرُ لِي وَالعِلمُ عِندَ اللهِ ـ يَدُلُّ عليهِ قَولُ عَلِيٍّ ﷺ حِينَ سَأَله أَبُو جُحيفَةَ؛ إذ قال: قُلتُ لِعَلِيٍّ: هَل عِندَكُم كِتَابٌ؟

قال: لا، إلَّا كِتَابُ الله، أَو فَهمٌ أُعطِيَهُ رَجُلٌ مُسلِمٌ [1].

وَسَبَبُ هَذَا السُّؤَالِ مِن أَبِي جُحَيفَةَ لِعَلِيٍّ؛ مَا ذَكَرَهُ المُبَارَكفُورِيُّ رَحِمَهُ اللهُ إذ يَقُولُ: «لأَنَّهُ كَانَ يَرَى مِنهُ عِلماً، وَتَحقِيقاً لا يَجِدُهُ في زَمَانِهِ عِندَ غَيرِهِ؛ فَحَلَفَ أَنَّهُ لَيسَ شَيءٌ مِن ذَلِكَ سِوَى القُرآنِ، وَأَنَّه عَليهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ لَم يَخُصَّ بِالتَّبلِيغِ وَالإرشَادِ قَوماً دُونَ قَومٍ، وَإنَّمَا وَقَعَ التَّفَاوُتُ مِن قِبَلِ الفَهمِ، وَاستِعدَادِ الاستِنبَاطِ؛ فَمَن رُزِقَ فَهماً، وَإدرَاكاً، وَوُفِّقَ لِلتَّأَمُّلِ في آيَاتِهِ، وَالتَّدَبُّرِ في مَعَانِيهِ؛ فُتِحَ عَليهِ أَبوَابُ العُلُومِ» [2].

وَيقول العَلامَةُ المُفَسِّرُ الشِّنقِيطِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «يُفهَمُ مِنهُ؛ أَنَّ مَن أَعطَاهُ اللهُ فَهماً في كِتَابِ اللهِ، يُخَصُّ بِخَصَائِصَ مِنَ العُلُومِ لَم يُخَصَّ بِهَا غَيرُهُ، وَمَا ذَلِكَ إلَّا أَنَّ القُرآنَ جَمَعَ كُلَّ شَيءٍ، مِنهُ مَا يَطَّلِعُ عَليهِ كُلُّ النَّاسِ، وَمِنهُ مَا يَطَّلِعُ عَليهِ الرَّاسِخُونَ في العِلمِ، وَمِنهُ مَا يَعلَمُهُ النَّبِيُّ، وَمِنهُ مَا لا يَعلَمُهُ إلَّا اللهُ جَلَّ وَعَلا» [3].

وَلَعَلَّ فِعلَ الصَّحَابِي الَّذِي رَقَى اللَّدِيغَ، حِينَ اجتَهَدَ، وَاستَنبَطَ، أَدَّاهُ استِنبَاطُهُ إلَىٰ أَن يَنتَقِي الفَاتِحَةَ، وَلَم يَزِدْ عَلَيهَا، وَلِذَا قال الحَافِظُ رَحِمَهُ اللهُ مُعَلِّقاً: «فيه الاجتِهَادُ عِندَ فَقدِ النَّصِّ» [4].

---

(١) أخرجه البخاري (١١١) وانظر: «الفتح» (١ / ٢٠٤) للفائدة.

(٢) «تحفة الأحوذي» (٤ / ٥٥٦). وأين كذب الرافضة المزعوم على عليٍّ ﷺ وما يدَّعونه بأنَّ النبي ﷺ قد خصَّ عَليّاً بخصائص العلوم دون سواه! فهذا يبطل كذبهم، ولا أكذب من رافضيٍّ.

(٣) «العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير» (١ / ١٩٣).

(٤) «الفتح» (٤ / ٤٥٧).

وَقال الكَحَّالُ رَحِمَهُ اللهُ : قَولُهُ ﷺ : «وَمَا يُدرِيكَ أَنَّهَا رُقيَةٌ» : «دَلِيلٌ أَنَّ القُرآنَ وَإِنْ كَانَ كُلُّهُ مَرجُوَّ البَرَكَةِ، فِيْهِ مَا يَختَصُّ بِالرُّقيَةِ دَونَ جَمِيعِهِ »[١].

وَقال النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللهُ : «قَولُهُ ﷺ : «وَمَا يُدرِيكَ أَنَّهَا رُقيَةٌ» : فِيْهِ التصريحُ بأَنَّها رُقيَةٌ فَيُسْتَحبُّ أنْ يُقرَأَ بِهَا عَلى اللَّدِيغِ وَالمرِيْضِ وسَائرِ أَصْحَابِ الأَسْقَامِ والعَاهَاتِ»[٢]

وَ يَقُولُ شَيخُنَا العَلامَةُ أ.د. عُمَرُ الأَشقَر حَفِظَهُ الله: «وَإِنَّمَا قَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ «وَمَا يُدرِيكَ أَنَّهَا رُقيَةٌ »؛ لِصِحَّةِ فِعْلِهِ، وَحُسنِ صَنِيعِهِ فِي الانتِقَاءِ »[٣].

وَهُنَا يَأتِي الفَهمُ الجيِّدُ، وَالاستِنبَاطُ الحَكِيمُ، وَالفِرَاسَةُ اللَّامِعَةُ، وَحِينَهَا يَكُونُ التَّوفيقُ بِتَوفيقِ الله سُبحَانَهُ وَتَعَالىٰ.

يقُولُ ابنُ قَيِّمِ الجوزِيَّةِ رَحِمَهُ اللهُ فِي نُكتَةٍ بَدِيعَةٍ لَهُ : «فَهُنَا أُمُورٌ ثَلاثَةٌ؛ مُوَافَقَةُ الدَّوَاءِ لِلدَّاءِ، وَبَذلُ الطَّبِيبِ لَهُ، وَقَبُولُ طَبِيعَةِ العَلِيلِ؛ فَمَتَى تَخَلَّفَ وَاحِدٌ مِنهَا، لَم يحصُلِ الشِّفَاءُ، وَإِذَا اجتَمَعَت حَصَلَ الشِّفَاءُ وَلا بُدَّ بِإِذنِ الله سُبحَانَهُ وَتَعَالىٰ.

وَمَن عَرَفَ هَذَا كَمَا يَنبَغِي؛ تَبيَّنَ لَهُ أَسرَارُ الرُّقَى، وَميَّزَ بَينَ النَّافِعِ مِنهَا، وَغَيرِهِ، وَرَقَى الدَّاءَ بِمَا يُنَاسِبُهُ مِنَ الرُّقَى، وَتَبَيَّنَ لَهُ أَنَّ الرُّقيَةَ بِرَاقِيهَا وقَبُولِ المحَلِّ؛ كَمَا أَنَّ السَّيفَ بِضَارِبِهِ مَعَ قَبُولِ المحَلِّ لِلقَطعِ، وَهَذِهِ إِشَارَةٌ مُطلِعَةٌ عَلَى مَا وَرَاءَها؛ لِمَن دَقَّ نَظَرُهُ، وحَسُنَ تَأَمُّلُهُ، والله أَعلَم »[٤]

---

(١) «الأحكام النبوية» لعلاء الدين الكحَّال (٨٦).

(٢) «شرح صحيح مسلم» للنووي (١٤/ ١١٨).

(٣) من إملاءاته حفظه الله أثناء قراءتي عليه.

(٤) «مدارج السالكين» (١ / ٥٧).

وَلِلَّهِ دَرُّ الإِمَامِ الشَّافِعِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَى أَقوَالِهِ النَيِّرَةِ، إِذْ يَقُولُ : «جَمِيعُ مَا تَقُولُهُ الأُمَّةُ؛ شَرحٌ لِلسُّنَّةِ، وَجَمِيعُ السُّنَّةِ شَرحٌ لِلقُرآنِ». وَ «جَمِيعُ مَا حَكَمَ بِهِ النَّبِيُّ؛ فَهُوَ مِمَّا فَهِمَهُ مِنَ القُرآنِ »[1].

وَقال ابنُ بَرَّجَانِ رَحِمَهُ اللَّهُ : «مَا قال النَّبِيُّ مِن شَيءٍ؛ فَهُوَ في القُرآنِ بِهِ، أَو فِيْهِ أَصلُهُ، قَرُبَ أَو بَعُدَ، فَهِمَهُ مَن فَهِمَهُ، وَعَمِهَ عَنْهُ مَن عَمِهَ، وَكَذَا كُلُّ مَا حَكَمَ بِهِ، أَو قَضَى، وَإِنَّمَا يُدرِكُ الطَّالِبُ مِن ذَلِكَ بِقَدرِ اجتِهَادِهِ، وَبَذلِ وُسعِهِ، وَمِقدَارِ فَهمِهِ»[2].

وَمِن مَلِيحِ مَا وَقَفتُ عَليهِ، مِمَّا يُؤَيِّدُ هَذا المعنَى؛ قَولُ عَلِيِّ بنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه إِذْ يَقُولُ: «القُرآنُ حَمَّالٌ ذُو وُجُوهٍ »[3].

أَي : أَنَّهُ يَحتَمِلُ عِدَّةَ مَعَانٍ، يَسمَحُ بِهِ اللَّفظُ، وَيَحتَمِلُ القَولُ بِهِ، وَهَذا يَعُودُ إِلَىٰ الفَهْمِ، وَحُسْنِ الاستِنبَاطِ.

يقول ابنُ الأَثِيرِ رَحِمَهُ اللَّهُ : «ذُو وُجُوهٍ » أَي : ذُو مَعَانٍ مُختَلِفَةٍ[4].

وَرُوِيَ عَنِ الإِمَامِ أَحمَدَ رَحِمَهُ اللَّهُ، حِينَ سُئِلَ عَنِ الفُتيَا؛ فَقال : «يَنبَغِي لِلرَّجُلِ إِذَا حَمَلَ نَفسَهُ عَلَى الفُتيَا؛ أَن يَكُونَ عَالِماً بِوُجُوهِ القُرآنِ»[5]

وَمِن هُنَا؛ اجتَهَدَ الرُّقَاةُ في اختِيَارِ بَعضِ الآيَاتِ المنَاسِبَةِ، وَالَّتِي فِيهَا حِكمَةٌ، وَفَائِدَةٌ؛ رَجَاءَ أَن يَنفَعَ الله بِهَا، وَ يُنزِلَ سَكِينَتَهُ، وَعَافِيَتَهُ عَلَى مَن بِهِ بَأسٌ، أَو

---

(١) «الإتقان في علوم القرآن» للسيوطي (٢/ ٣٣٠).

(٢) المرجع السابق (٢ / ٣٣٢) وفيه «وقال غيره : ما من شيءٍ إلَّا يمكن استخراجه من القرآن لمن فهّمه الله، حتى إنَّ بعضهم استنبط عُمر النبي ثلاثاً وستين سنة من قوله في سورة المنافقين : ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا﴾ (المنافقون: ١١)، فإنها رأس ثلاث وستين سورة، وعقّبها بالتغابن ليُظهر التَّغابن في فَقْده» اهـ، وهذه لطيفةٌ تَناسُبِيَّة.

(٣) أورده السيوطي في «الإتقان» (١/ ٤١٠) وفي «مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنَّة» (٥٩) وذكره الشوكاني في «فتح القدير» (١/ ١٧).

(٤) «النهاية في غريب الحديث» (١/ ٤٤٤) و «اللسان» (١١/ ١٧٤) مادة : «حمل».

(٥) «إعلام الموقعين» (٦ / ١١٤)

مَرَضٌ، وَكِتَابُ اللهِ مَلِيءٌ بِالعِبَرِ، وَالحِكَمِ، وَالفَوَائِدِ العَدِيدَةِ؛ فَمَن ذَا الَّذِي يَشبَعُ مِنهُ ؟ وَمِن نَفَائِسِ الاستِنبَاطَاتِ، وَالفِكَرِ، وَالرَّوَائِعِ الَّتِي حَوَتهُ ؟

فَيَا للهِ مَا أَروَعَ كَلامَ رَبِّنَا ! وَمَا أَعلَى شَأنَهُ؛ فَمَا أَعظَمَكَ يَا الله !

وَعن أَبِي العَالِيَةِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ، في قَولِهِ : ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾ (النساء: ٨٣)، قال : نَعَم، مَا كَانَ مِمَّا استَأثَرَ الله بِعِلمِهِ، وَلَم يُطلِع عَليهِ أَحَداً مِن خَلقِهِ؛ فَذَلِكَ الَّذِي يُقَالُ فيهِ: «الله أَعلَمُ».

وَقَد استَنبَطَ عَلِيٌّ رضي الله عنه مُدَّةَ أَقَلِّ الحَملِ؛ وَهُوَ سِتَّةُ أَشهُرٍ، مِن قَولِهِ تَعَالَىٰ : ﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾ (الأحقاف: ١٥) وقوله تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ (البقرة: ٢٣٣)؛ فَإِذَا فَصَلنَا الحَولَينِ مِن ثَلاثِينَ، بَقِيَت سِتَّةُ أَشهُرٍ، وَمِثلُهُ كَثِيرٌ»[1].

بَل جَاءَ في بَعضِ الرِّوَايَاتِ؛ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَنتَقِي بَعضَ الآيَاتِ؛ لِمُنَاسَبَةِ حَالٍ تُوَافِقُ مَا انتَقَاهُ. عن أَسمَاءِ بِنتِ أَبِي بَكرٍ، قالت : لَمَّا نَزَلَت سُورَةُ ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ (المسد: ١)، أَقبَلَتِ العَورَاءُ أُمُّ جَمِيلٍ بِنتُ حَربٍ، وَلَهَا وَلوَلَةٌ، وَفي يَدِهَا فِهرٌ - أَي : حَجرٌ - وَهِيَ تَقُولُ : مُذَمَّماً أَبِينَا[2]، وَدِينَهُ قَلَينَا، وَأَمرَهُ عَصَينَا.

وَالنَّبِيُّ ﷺ جَالِسٌ في المسجِدِ، وَمَعَهُ أَبُو بَكرٍ رضي الله عنه؛ فَلَمَّا رَآهَا أَبُو بَكرٍ، قال: يَا رَسُولَ الله، لَقَد أَقبَلَت، وَأَنَا أَخَافُ أَن تَرَاكَ.

قال رَسُولُ الله ﷺ : إِنَّهَا لَن تَرَانِي وَقَرَأَ قُرآناً؛ فَاعتَصَمَ بِهِ، كَمَا قال، وَقَرَأَ : ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾ (الإسراء: ٤٥).

فَوَقَفَت عَلَى أَبِي بَكرٍ رضي الله عنه، وَلَم تَرَ رَسُولَ الله ﷺ.

---

(١) «تفسير القرطبي» (٥ / ٢٦٢).

(٢) وتعني بقولها (مُذَمَّماً) النَّبيَّ ﷺ؛ فهو محمد، وتريد أنْ تَذمَّه فتقول: (مُذمَّماً) وقد صرف الله المذمَّة عن نبيِّه؛ فقد قال ﷺ : «ألا تعجبون كيف يصرف الله عنى شَتْم قريش ولعنهم يشتمون مُذَمَّماً ويلعنون مذمماً، وأنا محمد» أخرجه البخاري (٣٥٣٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

فَقالت : يَا أَبَا بَكرٍ، إنِّي أُخبِرتُ أَنَّ صَاحِبكَ هَجَانِي.

فَقَال : لا، وَرَبِّ هَذَا البيتِ مَا هَجَاكِ.

قال : فَوَلَّت، وَهِيَ تَقُولُ : قَد عَلِمَت قُرَيشٌ أَنِّي ابنَةُ سَيِّدِهَا »[1].

وَالشَّوَاهِدُ عَلَى هَذَا كَثِيرَةٌ مِنَ السِّيرَةِ، وِكُلُّهَا تَدُلُّ عَلَى انتِقَاءِ النَّبِيِّ ﷺ مَا يُنَاسِبُ الحَالَ وَالمقَامَ، وَقَد جَاءَ عن السَّلَفِ رَحِمَهُمُ الله في حُسنِ تَأَمُّلِهِم، وَانتِقَائِهِم الشَّيءَ العَجِيبَ.

فَقَدَ حَكَى ابنُ قَيِّم الجَوزِيَّةِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، عن الإِمَامِ أَحمَدَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، بِقَولِهِ : قَالَ المروزِيُّ: بَلَغَ أَبَا عَبدِ الله أَنِّي حُمِمتُ؛ فَكَتَبَ لِي مِنَ الحُمَّى رُقعَةً فِيهَا :

«بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ، بِسمِ الله، وَبِالله، مُحَمَّدٌ رَسُولَ الله، ﴿ قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ۝٦٩ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَخۡسَرِينَ ﴾ (الأنبياء: ٦٩ - ٧٠)، اللَّهُمَّ رَبَّ جِبرَائِيلَ، وَمِيكَائِيلَ، وَإِسرَافِيلَ، اشفِ صَاحِبَ هَذَا الكِتَابِ بِحَولِكَ، وَقُوَّتِكَ، وَجَبَرُوتِكَ، إِلَهَ الحَقِّ. آمِينَ »[2].

وَنَقَلَ عن شَيخِ الإسلامِ ابنِ تَيمِيَّةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ : أَنَّ لَهُ شَأناً في عِلاجِ الرُّعَافِ؛ فَقَال : «كَانَ شَيخُ الإسلامِ ابنُ تَيمِيَّةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، يَكتُبُ عَلَى جَبهَتِهِ - أَي : المرِيضِ - ﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ﴾ (هود: ٤٤)، وَسَمِعتُهُ يقول : كَتَبتُهَا لِغَيرِ وَاحِدٍ فَبَرَأَ »[3].

---

(١) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٣٩٣) وقال: صحيح الإسناد لم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وقال: صحيح، وأبو يعلى (١/ ٥٣)، وعنه ابن حبان في «صحيحه» (١٤/ ٤٤٠) عن ابن عباس مختصراً، وهو صحيح بشواهده.

(٢) «زاد المعاد» (٤ / ٣٥٤).

(٣) المصدر السابق (٤ / ٣٥٦).

وَكَذَا انتِقَاؤُهُ لآيَاتِ السَّكِينَةِ، وَلِغَيرِهَا، وَالوَقَائِعُ في مِثلِ هَذِهِ الأَسرَارِ الرَّبَّانِيَّةِ، وَالحِكَمِ العَلِيَّةِ، مَا لا يَخطُرُ عَلَى بَالٍ.

بَل إنَّ هَذَا يَدخُلُ في بَابِ مُوَافَقَةِ الآيَةِ لِلحَالِ؛ كَمَن ظُلِمَ، وَاعتُدِيَ عليهِ؛ لِيُرفَعَ الظُّلمُ عَنْهُ، وَيُنصَرَ نَصراً مُؤَزَّراً؛ كَقَولِهِ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ۝٣٨ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ﴾ (الحج: ٣٨-٣٩).

وَلا رَيبَ أَنَّ المُبتَلَى بِكَيدٍ مِنَ الشَّيَاطِينِ، مَظلُومٌ، وَتَجِبُ النُّصرَةُ لَهُ بِكُلِّ مَا يُطَاقُ، لا سِيَّمَا وَهِيَ تَأنِيسٌ لِقَلبِهِ وَنَفْسِهِ، وَهَل ثَمَّةَ عِلاجٌ أَنفَعُ مِن بَثِّ الأَمَلِ في نَفسِ المُبتَلَى، وَتَقوِيَةِ عَزِيمَتِهِ كَهَذَا ؟

فَكَيفَ لَو كَانَ مِن أَفضَلِ الأَعمَالِ.

يقول شَيخُ الإسلامِ ابنُ تَيمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ، حِينَ سُئِلَ عن عِظَمِ آيَةِ الكُرسِيِّ؛ في قُوَّةِ دَفعِهَا لِلشَّيَاطِينِ عن بَنِي آدَمَ، وَمَشرُوعِيَّتِهَا في ذَلِكَ؛ فَقَالَ: «هَذَا مِن أَفضَلِ الأَعمَالِ، وَهُوَ مِن أَعمَالِ الأَنبِيَاءِ، والصَّالِحِينَ؛ فَإِنَّهُ مَا زَالَ الأَنبِيَاءُ، والصَّالِحُونَ يَدفَعُونَ الشَّيَاطِينَ عن بَنِي آدَمَ؛ بِمَا أَمَرَ اللهُ بِهِ ورَسُولُهُ» (١).

وَهَذَا حَتماً يَدخُلُ في عُمُومِ الآيَةِ، وَالقَاعِدَةُ: العِبرَةُ بِعُمُومِ اللَّفظِ، لا بِخُصُوصِ السَّبَبِ. وَلَعَلَّ في مَا ذُكِرَ كَفَايَةٌ؛ لِمَن رَامَ الحَقَّ؛ لِيَطمَئِنَّ بِهِ قَلباً.

يَقُولُ ابنُ قَيِّمِ الجَوزِيَّةِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَمِنَ المَعلُومِ أَنَّ بَعضَ الكَلامِ لَهُ خَوَاصُّ وَمَنَافِعُ مُجَرَّبَةٌ، فَمَا الظَّنُّ بِكَلامِ رَبِّ العَالَمِينَ ؟ الَّذِي فَضْلُهُ عَلَى كُلِّ كَلامٍ كَفَضلِ اللهِ عَلَى خَلقِهِ الَّذِي هُوَ الشِّفَاءُ الهَادِي، وَالرَّحمَةُ العَامَّةُ الَّذِي لَو أُنزِلَ عَلَى جَبَلٍ لَتَصَدَّعَ مِن عَظمَتِهِ وَجَلالَتِهِ.

---

(١) «مجموع الفتاوى» (١٩ / ٥٦).

قال تَعَالىٰ : ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ »[1].

وَيقُولُ الشِّبلِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ : «وَفي التَّطبُبِ وَالاستِشفَاءِ بِكِتَابِ الله عَزَّوَجَلَّ غِنىً تَامٌّ، وَمَقنَعٌ عَامٌّ، وَهُوَ النُّورُ، وَالشِّفَاءُ لِمَا في الصُّدُورِ، وَالوِقَاءُ الدَّافِعُ لِكُلِّ مَحذُورٍ، وَالرَّحمَةُ لِلمُؤمِنِينَ؛ مِنَ الأَحيَاءِ، وَأَهلِ القُبُورِ، وَفَّقَنَا الله لإدرَاكِ مَعَانِيهِ، وَأَوقَفَنَا عِندَ أَوَامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ، وَمَن تَدَبَّرَ مِن آيَاتِ الكِتَابِ، مِن ذَوِي الأَلبَابِ؛ وَقَفَ عَلَى الدَّوَاءِ الشَّافي لِكُلِّ دَاءٍ مُوَافٍ، سِوَى الموتِ الَّذِي هُوَ غَايَةُ كُلِّ حَيٍّ؛ فَإِنَّ الله تَعَالىٰ يقول : ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾(الأنعام: ٣٨)[2]، وَخَوَاصُّ الآيَاتِ، وَالأَذكَارِ، لا يُنكِرُهَا إِلَّا مَن عَقِيدَتُهُ وَاهِيَةٌ، وَلَكِن لا يَعقِلُهَا إِلَّا العَالِمُونَ؛ لأَنَّهَا تَذكِرَةٌ، وَتَعِيهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ، وَالله الهَادِي لِلحَقِّ »[3].

وَقال الكَحَّالُ رَحِمَهُ اللَّهُ : «وَاعلَم أَنَّ بَعضَ الكَلامِ لَهُ خَوَاصٌّ، وَمَنَافِعُ بِإِذنِ الله تَعَالىٰ، شَهِدَتِ العُلَمَاءُ بِصِحَّتِهِ في كُتُبِهِم؛ فَمَا ظَنُّكَ بِكَلامِ الله عَزَّوَجَلَّ الَّذِي كُلُّ الخَيرَاتِ مِنهُ؛ أَصلُهَا وَيَنبُوعُهَا، وَإِليهِ عَودُهَا وَمَرجِعُهَا.

---

(١) «زاد المعاد» (٤ / ١٦٢).

(٢) الاستدلال بالآية في هذا الموضع غير سديد، واختيار مرجوح؛ إذ المراد بالكتاب في قوله تَعَالىٰ ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾: **اللوح المحفوظ لا القرآن**، وعلى هذا اختيار كبار المُحَقِّقين من أهل العلم، وسياق الآية ظاهر في فَصْل المسألة .

وانظر : «تفسير ابن جرير الطبري» (١١ / ٣٤٤)، و «تفسير القرطبي» (٦ / ٤٢٠)، والبغوي في «معالم التنزيل» (٢ / ٩٥)، وشيخ الإسلام ابن تيمية في «بغية المرتاد» (٣٢٧)، وقال : **على أصحِّ القولين؛ لدلالة السِّياق عليه**، وفي «درء التعارض» (٩ / ٣٩) وكذا تلميذه ابن قيم الجوزية في «شفاء الغليل» (٤٠) ذكر القولين ثم رجَّح اللوح المحفوظ قال : «وكان هذا القول أظهر في الآية، والسياق يدل عليه» والشوكاني في «فتح القدير» (١ / ١١٤)، والشنقيطي في «العَذْب النَّمير من مجالس الشنقيطي في التفسير» (١ / ١٩١)، واختاره شيخُنا الدكتور صلاح الخالدي في كتابه الماتع : «تصويبات في فهم بعض الآيات» (١٦٥)، والله أعلم.

(٣) «آكام المرجان» (١٠٢) أفاده شيخنا أبو حمد نفع الله به .

وَقَد جَعَلَ الله سُبحَانَهُ وَتَعَالىٰ في كُلِّ سَورَةٍ وَآيَةٍ مِنهُ مَنَافِعَ وَخَوَاصَّ لَم يَكُن في غَيرِهَا، وَذَلِكَ مَعرُوفٌ عِندَ العُلَمَاءِ، مَشهُورٌ بَينَ الفُضَلاءِ، لَا يُنكِرُهُ إلَّا الجَاهِلُونَ»[1].

وَقَالَ ابنُ عَاشُورٍ رَحِمَهُ اللهُ في قَولِهِ تَعَالى : «﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ (الإسراء : ٨٢).

وَفِي الآيَةِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ في القُرْآنِ آيَاتٍ يُشْتَفَى بِهَا مِنَ الأَدْوَاءِ وَالآلَامِ وَرَدَ تَعْيِينُهَا في الأَخبَارِ الصَّحِيحَةِ فَشَمِلَتْهَا الآيَةُ بِطَرِيقَةِ اسْتِعْمَالِ المُشْتَرَكِ في مَعْنَيَيْهِ، وَالأَخْبَارُ الصَّحِيحَةُ في قِرَاءَةِ آيَاتٍ مُعَيَّنَةٍ للاسْتِشْفَاءِ مِنْ أَدْوَاءٍ مَوْصُوفَةٍ كَثِيرَةٌ»[2]

وَبَعدَ هَذَا وَذَاكَ؛ فَإِنَّ كِتَابَ رَبِّنَا قَد حَوَى عِلْماً لَا يَعلَمُهُ إلَّا الله سُبحَانَهُ وَتَعَالىٰ، وَلَكِنَّ الهِمَمَ تَقَاصَرَت عَنِ النَّيلِ وَالاستِزَادَةِ مِنْ مَنْهَلِ أَحكَامِهِ وَفَوائِدِهِ، كَيفَ لا وَالحَقُّ سُبحَانَهُ يقول : ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ (النحل : ٨٩).

فَكِتَابُ رَبِّنَا مُلِئَ عِلْماً، وَحِكَماً، وَنَفَائِسَ عَالِيَةً، وَجَوَاهِرَ غَالِيَةً، وَرَحِمَ الله ابنَ عَاشُورٍ حِينَ قال : «وَإِنَّكَ لَتَمُرُّ بِالآيَةِ الوَاحِدَةِ؛ فَتَتَأَمَّلُهَا وَتَتَدَبَّرُهَا؛ فَتنهَالُ عَليكَ مَعَانٍ كَثِيرَةٌ، يَسمَحُ بِهَا التَّركِيبُ عَلَى اختِلافِ الاعتِبَارَاتِ في أَسَالِيبِ الاستِعمَالِ العَرَبِي، وَقَد تَتَكَاثَرُ عَليكَ؛ فَلا تَكُ مِن كَثرتِهَا في حَصرٍ، وَلا تَجعَلِ الحَملَ عَلَى بَعضِهَا، مُنَافِياً لِلحَملِ عَلَى البَعضِ الآخَرِ، إن كَانَ التَّركِيبُ سَمحاً بِذَلِكَ»[3].

---

(١) «الأحكام النبوية» (٨٦ - ٨٧) .

(٢) «التحرير والتنوير» (١٥ / ١٩٠)

(٣) «التحرير والتنوير» لابن عاشور (١ / ٩٧) المقدمة التاسعة ففيها زيادة تفصيل .

وبعدُ؛ فَالقُرآنُ كَالجوهَرةِ؛ كُلَّمَا قلَّبتَ فِيْهِ النَّظَرَ، تبيَّنَ لَكَ لَوناً رَائِقاً، وَجوهَراً فَائِقاً، وَللَّهِ دَرُّ الرَّاغِبِ الأَصفَهَانِي رَحِمَهُ اللهُ إذ يَقُول: «القُرآنُ وإنْ كَانَ لا يَخلُو النَّاظِرُ فِيْهِ مِنْ نُورٍ مَا يُرِيهِ، وَنَفعِ مَا يُولِيهِ؛ فَإِنَّهُ:

كَالبَدرِ مِن حَيثُ التَفتَّ رأيتَهُ ... يُهدِي إلَىٰ عَينَيكَ نُوراً ثَاقِبَا

كَالشَّمسِ فِي كَبِدِ السَّماءِ وَضَوْؤُهَا ... يَغشَى البِلادَ مَشَارِقاً ومَغَارِبَا

لَكِن مَحَاسِنُ أَنوارِهِ لا يَثقَفُهَا إلَّا البَصَائِرُ الجَلِيَّةُ، وأَطَايِبُ ثَمَرِهِ لا يَقطِفُهَا إلَّا الأَيدِي الزَّكِيَّةُ، وَمَنَافِعُ شِفَائِهِ لَا يَنَالُهَا إِلَّا النُّفُوسُ النَّقِيَّةُ، كَمَا صَرَّحَ تَعَالَىٰ بِهِ فِي وَصفِ سَامِعِيهِ: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾ (فصلت: ٤٤) »[(١)].

أَلا فَليَهنَأ المُسلِمُونَ بِكِتَابِ رَبِّهِم، وَليَرجِعُوا لَهُ؛ فَيَهنَؤُوا، وَقَد أَخبَرَهُم رَبُّهُم أَنَّ فِيْهِ الهُدَى، وَالرَّحمَةَ، وَالبُشرَى، فَيَا وَيحَهُم! كَيفَ تَتَقَاصَرُ هِمَمُهُم عن كُنُوزِهِ وَلآلِئِهِ، وَتَقعُدُ عَزَائِمُهُم عن النَّيلِ مِن جَوَاهِرِهِ وَدُرَرِهِ وَيَاقُوتِهِ، وَاللهِ إِنَّ المغبُونَ كُلَّ الغَبنِ مَن قَعَدَ عَنْهُ، وَلَم يَنهَض بِهِ شَرَفاً، وَعِلْماً، وَفَهْماً، وَتَدَبُّراً، وَلَكِن لا يَعقِلُهَا إِلَّا العَالِمُونَ.

فَنسأَلُ اللهَ رَبَّنَا أَن يَرزُقَنَا فَهْماً فِي كِتَابِهِ، وَعَمَلاً بِمَا فِيْهِ عَلَى مِنهَاجِ النُّبُوَّةِ المُحَمَّدِيَّةِ، وَالسَّلَفِ الصَّالِحِ رُضوانُ اللهِ عَلَيهِم، إِنَّهُ سُبحَانَهُ خَيرَ مَسؤُولٍ.

---

(١) «المفردات» (٥٤) مختصراً.

نِعْمَ السَّمِيرُ كِتَابُ اللهِ إنَّ لَهُ   حَلاَوَةً هِيَ أَحْلَى مِنْ جَنَى الضَّرَبِ
بِهِ فُنُونُ المعَانِي قَدْ جُمِعْنَ فَمَا   يَفُتْنَ مِنْ عَجَبٍ إلَّا إلَى عَجَبِ
أَمْرٌ وَنَـهْيٌ وَأَمْـثَالٌ وَمَوْعِـظَةٌ   وَحِكْمَةٌ أُودِعَتْ فِي أَفْصَحِ الكُتُبِ
لَطَائِفٌ يَجْتَلِيهَا كُلُّ ذِي بَصَرٍ   وَرَوْضَةٌ يَجْتَنِيهَا كُلُّ ذِي أَدَبِ[1]

❑ ❑ ❑

(١) «البحر المحيط» لأبي حيان الأندلسي (١/ ١٠٢).
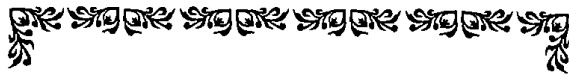
المبحثُ الأوَّلُ

الرُّقيةُ الشَّرْعِيَّةُ العامَّةُ

الأدعِيةُ الشَّرعِيَّةُ الصَّحِيحَةُ مِنَ السُّنَّةِ النَّبوِيَّةِ

١ - «لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ العَظِيمُ الحَلِيمُ، لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ رَبُّ العَرشِ العَظِيمُ، لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ رَبُّ السَّمَواتِ وَرَبُّ الأَرضِ، وَرَبُّ العَرشِ الكَرِيمِ»[١].

٢ - «بِاسْمِ اللهِ الَّذِي لا يَضُرُّ مَعَ اسمِهِ شَيءٌ فِي الأَرضِ وَلا فِي السَّماءِ وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ» «ثَلاثاً»[٢].

٣ - «بِاسْمِ اللهِ - ثَلاثاً - أَعُوذُ بِعِزَّةِ اللهِ وَقُدرَتِهِ مِن شَرِّ مَا أَجِدُ وأُحَاذِرُ» «سَبعاً»[٣].

٤ - «أَعُوذُ بِكَلِماتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ»[٤].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٣٤٦) ومسلم (٢٧٣٠) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.
فائدة: يُشرع بعد هذا الدعاء للمكروب الدعاء والتضرُّع إلى الله تعالىٰ في شكواه ومصابه.

(٢) أخرجه أبو داود (٥٠٨٨)، والترمذي (٣٣٨٨)، وابن ماجه (٣٨٦٩) من حديث عثمان ﷺ، وإسناده حسن

(٣) أخرجه مسلم (٢٢٠٢)، دون قوله: «بعزة»، والترمذي (٢٠٨٠) بزيادة «وسلطانه» عن عثمان بن أبي العاص ﷺ.

(٤) أخرجه مسلم (٢٧٠٨) من حديث خولة بنت حكيم رضي الله عنها.
قوله: «التَّامَّات» قيل: مَعناهُ الكاملات التي لا يدخل فيها نقصٌ ولا عيبٌ، وقيل: النَّافعة الشَّافية، وقيل: القُرآن.
ومعنى التَّمام: أنها تنفع الـمُتَعوِّذ بها، وتحفَظُه من الآفات وتكفيه. **ويظهر لي أنها شاملة للجميع.**
قال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ: **وهذا خبرٌ صحيح، وقولٌ صادقٌ، عَلِمنا صِدقه دليلاً وتجربةً؛ فإنِّي منذ سمعت هذا الخبر عملتُ به؛ فلم يضرَّني شيءٌ إلى أن تركته، لدغتني عقربٌ بالمَهدِيَّة ليلاً؛ فتفكَّرتُ في نفسي؛ فإذا بي قد نسيتُ أن أتعوَّذ بتلك الكلمات.** وانظر «الـمُفْهِم لما أشكل من تلخيص مسلم» (٧/ ٣٦)

٥- «أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِن غَضَبِهِ، وَعِقَابِهِ، وَشَرِّ عِبَادِهِ، وَمِن هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ، وَأَن يَحْضُرُونِ»[1].

٦- «أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّةِ، مِن كُلِّ شَيطَانٍ وَهَامَّةٍ، وَمِن كُلِّ عَينٍ لامَّةٍ»[2].

٧- «أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ الَّتِي لا يُجَاوِزُهُنَّ بَرٌّ، وَلا فَاجِرٌ، مِن شَرِّ مَا خَلَقَ وَبَرَأَ، وَذَرَأَ، وَمِن شَرِّ مَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ، وَمِن شَرِّ مَا يَعرُجُ فِيها، وَمِن شَرِّ مَا ذَرَأَ فِي الأَرضِ، وَمِن شَرِّ مَا يَخرُجُ مِنهَا، وَمِن شَرِّ فِتَنِ اللَّيلِ وَالنَّهَارِ، وَمِن شَرِّ كُلِّ طَارِقٍ، إِلَّا طَارِقاً يَطرُقُ بِخَيرٍ يَا رَحمَنُ»[3].

٨- «حَسبِيَ اللهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، عَلَيهِ تَوَكَّلتُ وَهُوَ رَبُّ العَرشِ العَظِيمِ» «سَبعاً»[4]

٩- «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسأَلُكَ العَافِيَةَ فِي الدُّنيَا وَالآخِرَةِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسأَلُكَ العَفوَ وَالعَافِيَةَ فِي دِينِي، ودُنيَايَ، وَأَهلِي، وَمَالِي، اللَّهُمَّ استُر عَورَتِي، وَآمِن رَوعَتِي،

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٥٢٨)، وأبو داود (٣٨٩٣)، وأحمد في «مسنده» (٦٦٩٦) عن عبد الله بن عمرو العاص رضي الله عنهما، وهو حديث حسن. وانظر: «التمهيد» (٢٤/ ١٠٩).
قوله: «وأن يحضرونِ» أي: يحضرون عندي؛ فيصيبوني من وسوسة، أو أذى.

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٧١) عن ابن عباس رضي الله عنهما.
وانظر: «تفسير القرطبي» (٩/ ٢٢٦). و«شرح مشكل الآثار» (٧/ ٣٢٥)
قوله: «هامّة»: تشمل كل الهوامّ، وما فيها من أذى. و«لامّة»: تَلُمُّ بكلِّ سوء في نظرتها.

(٣) أخرجه النسائي في «الكبرى» (٦/ ٢٣٩)، وأحمد في «المسند» (١٥٤٦٠)، ومالك في «الموطأ» (٢/ ٩٥٠ برقم ١٧٠٥)، وابن أبي شيبة في «المصنَّف» (٥/ ٥١)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٩٥٦) من حديث عبد الرحمن بن خنبش ﷺ، وانظر: «السلسلة الصحيحة» (٢٧٣٨) و«تنوير الحوالك» (١/ ٢٣٤)

(٤) أخرجه أبو داود (٥٠٨١) موقوفاً على أبي الدرداء ﷺ، وإسناده حسن، ورفعَه غيرُه، وزيادة: «صادقاً أو كاذباً» قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ عنها: «زيادة غريبة، وهذا منكر» وانظر: «تفسير ابن كثير» (٢/ ٤٠٦) بتصرف، وانظر «زاد المعاد» (٢/ ٣٧٦) في الحاشية.

اللَّهُمَّ احفَظنِي مِن بَينِ يَدَيَّ، وَمِن خَلفي، وَعَن يَمِينِي، وَعَن شِمَالِي، وَمِن فَوقِي، وَأَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَن أُغتَالَ مِن تَحتِي »[1].

١٠ - «اللَّهُمَّ إِنِّي عَبدُكَ، وَابنُ عَبدِكَ، وَابنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكمُكَ، عَدلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسأَلُكَ بِكُلِّ اسمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيتَ بِهِ نَفسَكَ، أَو أَنزَلتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَو عَلَّمتَهُ أَحَداً مِن خَلقِكَ، أَوِ استَأثَرتَ بِهِ فِي عِلمِ الغَيبِ عِندَكَ، أَن تَجعَلَ القُرآنَ رَبِيعَ قَلبِي، وَنُورَ صَدرِي، وَجِلاءَ حُزنِي، وَذَهَابَ هَمِّي»[2].

---

(١) أخرجه أبو داود (٥٠٧٤)، والنسائي (٥٥٢٩)، وابن ماجه (٣٨٧١)، وأحمد في «المسند» (٤٧٨٥)، والحاكم في «المستدرك» (١ / ٦٩٨) وقال : «صحيح الإسناد ولم يخرجاه» وقال الذهبي : «صحيح» . من حديث ابن عمر رضي الله عنهما .
قوله : «أُغتَالَ مِن تَحتِي» أي: الخسف .

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» (٣٧١٢)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٦٩٠)، وابن حبان في «الصحيح» (٣/ ٢٥٣)، وأبو يعلى في «المسند» (٩/ ١٩٩) . قال الحاكم : «حديث صحيح على شرط مسلم إن سَلِم من إرسال عبد الرحمن بن عبد الله عن أبيه؛ فإنه مختلفٌ في سماعه عن أبيه» .
فتعقَّبَهُ شيخنا العلامة المحدِّث شعيب الأرنؤوط حفظه الله فقال : «قلتُ : هو سالمٌ منه؛ فقد ثبت سماعه بشهادة غيرِ واحدٍ من الأئمة مثل سفيان الثوري، وابن معين، والبخاري، وأبي حاتم» إلى آخر ما ذكر حفظه الله؛ فالحديث صحيحٌ صحَّحهُ شيخنا في تحقيق «صحيح ابن حبان» (٣/ ٢٥٣) . وانظر : «تلخيص الحبير» (٤/ ١٧٥)، وابن القيم «جلاء الأفهام» (١٥٢)، فقال : «إسناده صحيح» عن ابن مسعود ﷺ .
و تفصيل ترجيح ثبوته ودفع طعون من ضعَّفه على ما قرره محقِّقا «المسند» بسطتُه في شرح كتابي «فإني قريب» في الأذكار .والله أعلم .
فائدة نفيسة : قال الإمام ابنُ قَيِّم الجوزيَّةِ رَحِمَهُ اللَّهُ : ولكن هَاهُنا أمرٌ ينبغي التَّفَطُّنُ له، وهو أنَّ الأذكار والآيات والأدعية التي يُستَشفى بها، وَيُرقى بها، هي في نفسها نافعةٌ شافيةٌ، ولكن تَستَدعِي قَبولَ المَحَلِّ، وقُوَّةَ هِمَّةِ الفاعلِ، وتأثيره، فمتى تخلَّف الشفاءُ، كان لضعف تأثير الفاعل، أو لعدم قَبول المَحَلِّ المُنفَعل، أو لمانعٍ قَويٍّ فيه يمنعُ أن ينجعَ فِيهِ الدواءُ، كما يكون ذلك في الأَدوية والأدواء الحِسيَّة، فإنَّ عدم تأثيرها قد يكون لعدم قبول الطبيعة لذلك الدَّواء، وقد يكون لمانعٍ قَوِيٍّ يمنع من اقتضائِهِ أَثَرَهُ، فإنَّ الطبيعة إذا أخذت الدَّواءَ بِقَبولٍ تَامٍّ، كان انتفاع البدن به بِحَسَبِ ذلك القَبول، وكذلك القَلبُ إذا أخذ الرُّقى والتَّعاوِيذ بِقَبولٍ تَامٍّ، وكان للرَّاقي نَفسٌ فَعَّالةٌ، وهِمَّة مُؤثِّرةٌ، أَثَّر في إزالَةِ الدَّاءِ» «الداء والدواء» (٨)
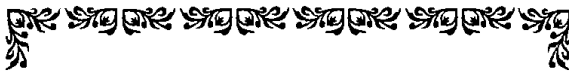
المبحثُ الثَّاني

آياتُ الرُّقيةِ الشَّرعِيَّةِ مِنَ القُرآنِ الكَريمِ

١. ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ (الفاتحة: ١ـ٧) (١).

٢. ﴿ الم ﴿١﴾ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (البقرة: ١ـ٥) (٢).

---

(١) جاء في فضل سورة الفاتحة أحاديث كثيرة، منها : عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بينما جبريل قاعد عند النبي ﷺ سمع نقيضاً من فوقه فرفع رأسه فقال : هذا بابٌ من السماء فُتِح اليوم لم يُفتَح قطُّ إلّا اليوم، فنزل منه مَلَك فقال : هذا ملكٌ نزل إلى الأرض لم ينزل قطُّ إلّا اليوم، وقال : أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك، فاتحة الكتاب، وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ بحرف منهما إلّا أعطيته» أخرجه مسلم (٨٠٦) .

وأخرج البخاري (٥٧٣٦)، عن أبي سعيد الخدري ﷺ : أن ناساً من أصحاب النبي ﷺ أتوا على حي من أحياء العرب فلم يقروهم فبينما هم كذلك إذ لدغ سيد أولئك فقالوا: هل معكم من دواء أو راق؟ فقالوا : إنكم لم تقرونا ولا نفعل حتى تجعلوا لنا جعلاً، فجعلوا لهم قطيعاً من الشاء، فجعل يقرأ بأم القرآن ويجمع بُزاقه ويتفل، فبرأ فأتوا بالشاء، فقالوا : لا نأخذه حتى نسأل النبي ﷺ فسألوه فضحك وقال: «وما أدراك أنها رقية، خذوها واضربوا لي بسهم» . وغيرها كثير .

(٢) فضل سورة البقرة عظيم جداً، ففي فضلها جملة أحاديث كثيرة، منها حديث أبي أُمامَة الباهلي ﷺ قال: سمعت النبي ﷺ يقول : «اقرؤوا سورة البقرة، فإنّ أخذها بركة، وتركها حسرة، ولاتستطيعها البَطَلَة» قال معاوية : بلغني أنّ البَطلةَ السَّحرةُ. أخرجه مسلم (٨٠٤) .

وسورة البقرة قاصمةُ ظهرٍ للسَّحرة والشياطين، ويجدر بالرَّاقي المُوفَّق أن يقرأها كاملة في رقيته ولا يقتصر على بعض آياتها؛ فوالله لها أثرٌ عجيب جداً، والسَّحرةُ وشياطينُهم لا يُطِيقُونَ قُوَّتَها .

٣. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿١٦٢﴾ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ (البقرة: ١٦١ـ١٦٧).

٤. ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ (البقرة: ٢٥٥) [(١)].

---

(١) فضل آية الكرسي ورد قُبيل النوم، كما في قصة أبي هريرة مع الشيطان في حفظ الصدقة، ودُبر كل صلاة أيضاً، فعن أُبَيِّ بن كعب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أبا المنذر أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟» قال: قلت الله ورسوله أعلم. قال: «يا أبا المنذر أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم ؟» قال: قلت: «الله لا إله إلَّا هو الحي القيوم» قال: «فضرب في صدري وقال: والله لِيَهنِكَ العلم أبا المنذر» أخرجه مسلم (٨١٠).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ الله: «فقد جرَّب المُجرِّبون الذين لا يُحصَون كثرة أنَّ لها من التأثير في دفع الشياطين وإبطال أحوالهم ما لا ينضبط من كثرته وقوته؛ فإنَّ لها تأثيراً عظيماً في دفع الشيطان عن نفس الإنسان وعن المصروع وعن مَن تعينه الشياطين، و إذا قرئت عليهم بصدق دَفعت الشياطين وبَطلت الأمور التي يُخيِّلها الشيطان ويبطل ما عند إخوان الشياطين من مكاشفة شيطانية وتصرُّف شيطاني» اهـ مختصراً «المجموع» (١٩ / ٥٥)

وقال ابن كثير (١ / ١٤٩): «وكذلك قراءة آية الكرسي فإنها مطردة للشيطان».

٥. ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ (البقرة: ٢٨٥ــ٢٨٦)[١].

٦. ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١٨ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ وَمَا ٱخۡتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴾ (آل عمران: ١٨ــ١٩).

٧. ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٦ تُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۖ وَتُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَتُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّۖ وَتَرۡزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴾ (آل عمران: ٢٦ــ ٢٧).

٨. ﴿ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٥٥ هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾ (يونس: ٥٥ــ٥٦).

٩. ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيۡفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوۡ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنٗا ثُمَّ جَعَلۡنَا ٱلشَّمۡسَ عَلَيۡهِ دَلِيلٗا ٤٥ ثُمَّ قَبَضۡنَٰهُ إِلَيۡنَا قَبۡضٗا يَسِيرٗا ﴾ (الفرقان: ٤٥-٤٦)[٢]

=

وقال ابن قيم الجوزية في «زاد المعاد» (٤ / ٦٩) عن شيخه ابن تيمية: «**وكان يعالج بآية الكرسي وكان يأمر بكثرة قراءتها، المصروع ومن يعالجه بها**».

(١) ورد فيها ما أخرجه البخاري (٥٠١٠) عن ابن مسعود ﷺ قال النبي ﷺ: «من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه» ومعنى كفتاه: قيل فيها أقوالٌ كثيرة، فقيل: كفتاه قيام الليل تلك الليلة، وقيل: كفتاه شر الإنس والجن، وقيل: كفتاه من الآفات. ويحتمل الجميع.

وقال ابن قيم الجوزية في «الوابل الصيب» (١٣٢): «**الصحيح أن معناها: كفتاه من شر ما يؤذيه**» وانظر: «فتح الباري» لابن حجر (٩/ ٥٦) و«شرح النووي على مسلم» (٢/ ١٥٢).

(٢) قد جرَّبتُ قراءة هذه الآيات الثلاث السابقة كثيراً، في مثل حالات الشَّلَل، والإعاقة؛ والغيبوبة

١٠ـ ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴾ (البقرة: ١٥٥ــ ١٥٧).

١١ـ ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ (آل عمران: ١٧٣ــ ١٧٥)[1].

١٢ـ ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ (النساء: ٧٦).

١٣ـ ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧﴾ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ

=

وأمراض السرطان فوجدتُ أثراً عظيماً، وذلك الفضل من الله، وفي كتابي «قصص ذات عبرة» بيان أثرها في شفاء الشَّلَل. والله أعلم.

(١) قال القرطبي (٤/ ٢٨٢): «قوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ أي: كافينا الله، وحسبُ مأخوذٌ من الإحساب وهو الكفاية، وروى البخاري: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال في قوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ قالها إبراهيم الخليل؛ حين ألقي في النار، وقالها محمد ﷺ حين قال لهم الناس إن الناس: قد جمعوا لكم.

قال علماؤنا: لـمَّا فَوَّضوا أمورهم إليه واعتمدوا بقلوبهم عليه أعطاهم من الجزاء أربعة معان: النِّعمة، والفضل، وصرف السوء، واتباع الرضا؛ فرضَّاهم عنه ورضي عنهم» بتصرف.

ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴿١١﴾ إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ (الأنفال: ٧ـ١٤).

١٤ـ ﴿ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ (إبراهيم: ١٢) (١).

١٥ـ ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ (المؤمنون: ١١٥ـ١١٨).

١٦ـ ﴿ وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ﴿١﴾ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا ﴿٢﴾ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا ﴿٣﴾ إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ ﴿٤﴾ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ ﴿٥﴾ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُحُورًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴾ (الصافات: ١ـ١٠) (٢).

---

(١) قال ابن قيم الجوزية في «طريق الهجرتين» (٣٨٨): «فإن كون العبد على الحق يقتضي تحقيق مقام التوكل على الله والاكتفاء به والإيواء إلى ركنه الشديد، فإن الله هو الحق وهو وليّ الحق وناصره ومُؤيِّده وكافي من قام به، فما لصاحب الحق أن لا يتوكل عليه وكيف يخاف وهو على الحق كما قالت الرسل لقومهم: ﴿ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ﴾ فعجبوا من تركهم التوكل على الله وقد هداهم وأخبروا أن ذلك لا يكون أبداً، وهذا دليل على أن الهداية والتوكل متلازمان، فصاحب الحق لعلمه بالحق ولثقته بأن الله ولي الحق وناصره مضطر إلى توكله على الله لا يجد بُدّاً من توكله» وانظر: منزلة التوكل في «مدارج السالكين» (٢/ ١١٢).

(٢) انظر «الوابل الصيب» (١١٧) لابن قيم الجوزية، وما كان في حكاية أبي القاسم وحرقه للشياطين في بيته بهذه السورة مع الدعاء. ويُصدِّق هذا ما في الواقع، فكَمْ لِطليعة هذه السورة من قوة تأثير على الشياطين وكم هي شديدة البأس عليهم لا سيَّما من قلب عامر بذكر الله.

وقال أيضاً (١٦٤) في دفع الشيطان: «ومن أعظم ما يندفع به شرُّه قراءة المعوذِّتين وأول الصافات وآخر الحشر». وهذا مشهور نَفْعُه من أقوال وعمل السلف الصالح وتُصدِّقه التجارب المستفيضة.

١٧ - ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَـٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَـٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَـٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ (الأحقاف: ٢٩ــ٣٢).

١٨ - ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴿٢﴾ وَأَنَّهُۥ تَعَـٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَـٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾ وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا۟ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا ﴿٧﴾ وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَـٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَـٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا﴾ (الجن: ١ــ٩).

١٩ - ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَـٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ ۖ لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ١٠٢ــ١٠٣)[1].

---

(١) هذه الآية وما بعدها من آيات السحر متى ما قرأت على السحر مع الفاتحة وآية الكرسي والمعوذات ونفث عليه بطل بحول الله وقوته، وإن من أنجع الطرق لحلِّ السحر استخراجه وإتلافه مع قراءة هذه الآيات فإن لها تأثيراً عجيباً في إبطاله، وإذا كانت الرقية ضعيفة تأخر الشفاء منه بحسب الضعف والقوة، وهذا يعود للمُعَالِج والـمُعَالَج. وفي هذه الآيات ذكر ابن كثير (٢/ ٤٢٨) عن ابن أبي حاتم بسنده عن ابن أبي سُليم قال: «بلغني أن هذه الآيات شفاء من السحر بإذن الله تعالى» وانظر في «زاد المعاد» (٤/ ١٢٤) هديه ﷺ في علاج السحر.

٢٠- ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾ (الأعراف: ١١٧-١٢٢)

٢١- ﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ﴾ (الأعراف: ١٣٧).

٢٢- ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِى بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ (يونس: ٧٩-٨٢).

٢٣- ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ (الإسراء: ٨١).

٢٤- ﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟ ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ﴾ (طه: ٦٥-٧٠).

٢٥- ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ (الأنبياء: ١٨).

٢٦- ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ (الفرقان: ٢٣).

٢٧- ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ فِى شَكٍّ مُّرِيبٍۭ﴾ (سبأ: ٥٤).

٢٨- ﴿قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ﴾ (البقرة: ٦٩).[1]

---

(١) هذه الآية والتي تليها في بيان الحسد والاستعاذة منه، ومما يدعو للنظر والتأمل أن كثيراً ما يكون في القرآن بين السحر والحسد علاقة ومناسبة لا سيما مع اليهود قتلة الأنبياء لعنهم الله، فالساحر يخدمه شيطان، والحاسد يخدمه شيطان في الجملة، يقول ابن قيم الجوزية في «بدائع الفوائد» (٢/ ٤٥٩) : «والشيطان يقارن الساحر

٢٩ـ ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (البقرة: ١٠٩).

٣٠ـ ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴾ (النساء: ٥٤).

٣١ـ ﴿ وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِن بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنكُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (يوسف: ٦٧ـ٦٨)[(١)].

٣٢ـ ﴿ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِن تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴾ (الكهف: ٣٩)[(٢)].

٣٣ـ ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ (طه: ١٣١).

=

والحاسد ويحادثها ويصاحبها ولكن الحاسد تعينه الشياطين بلا استدعاء منه للشيطان، لأنَّ الحاسد شبيه بإبليس وهو في الحقيقة من أتباعه لأنه يطلب ما يحبه الشيطان من فساد الناس وزوال نعم الله عنهم، كما أنَّ إبليس حسد آدم لشرفه وفضله وأبى أن يسجد له حسداً؛ فالحاسد من جند إبليس، وأما الساحر فهو يطلب من الشيطان أن يُعينه ويستعينه وربما يعبده من دون الله تعالىٰ حتى يقضي له حاجته» .

(١) قال الإمام القرطبي عن هذه الآية في بيان أنها أصل في الحذر من العين : «إذا كان هذا معنى الآية فيكون فيها دليل على التحرُّز من العين؛ فتكون حق» «الجامع لأحكام القرآن» (٩ / ٢٢٦) .

(٢) يظن بعض الناس إنه إذا أراد أن يردَّ عينه عما يعجبه قال : «بسم الله ما شاء الله» أو «اللهم صلِّ على محمد» وهذه فيما أعلم لم تَرِد في الشرع، والذي أعتقده أنه أولى وأنفع ـ والعلم عند الله ـ أن يقتصر على ما جاء في الكتاب والسنة من الدعاء بالبركة كأن يقول : «ما شاء الله لا قوة إلَّا بالله» كما في هذه الآية، ويدعو له بالبركة «اللهم بارك له فيما رزقته أو رزقتها» وتبارك الله أحسن الخالقين لقوله ﷺ: «ألا بَرَّكت» وانظر : «تفسير القرطبي» (٩ / ٢٢٧) وهذا نصٌّ لا يُعدَل عنه لِيُقاسَ بغيره مع وجودِ النَّصِّ .

٣٤. ﴿ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴾ (الصافات: ٨٨ـ ٩٠).

٣٥. ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ (فصلت: ٣٣)(١).

٣٦. ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴾ (الملك: ١ـ ٤).

٣٧. ﴿ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ﴾ (القلم: ٥١)(٢).

٣٨. ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴾ (الرعد: ٢٨ـ ٢٩)

---

(١) يقول شيخنا أبو حمد وفقه الله ونفع به: «وهذه الآية لها تأثير عجيب على الدعاة إلى الله تعالى إذا حسدوا على دعوتهم» اهـ.

وهذا مما يثني جهدهم وعزيمتهم عن الدعوة إلى الله تعالى والمواصلة عليها، والعجب ممن يقع حسده على أهل العلم، والأعجب من ذلك حسد بعض أهل العلم بعضهم بعضاً، فهذا مذموم، ولا يرجع إلَّا على صاحبه. ولكم سمعتُ من شيخنا العلامة عبد الله الجبرين رحمه الله قول أبي الأسود:

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيه   فالقوم أعداء له وخصوم
كضرائر الحسناء قُلْن لوجهها   حَسداً وبغياً: إنَّه لذميم

فالحسد مرضٌ قلبي خبيث، لا يخرج إلَّا من خبيث النفس، مريض القلب، دنيء الهمة، ساقط العزيمة، فنعوذ بالله من الخذلان.

(٢) قال ابن كثير: «ليزلقونك: لينفذونك بأبصارهم، أي: يعينونك بأبصارهم بمعنى يحسدونك لبغضهم إياك لولا وقاية الله لك وحمايته إياك منهم، وفي هذه الآية دليل على أن العين إصابتها وتأثيرها حق بأمر الله عز وجل كما وردت بذلك الأحاديث المروية من طرق متعددة كثيرة» «تفسير القرآن العظيم» (٤/ ٤١٠).

وقال البغوي: «قال الحسن: دواء العين أن يقرأ الإنسان هذه الآية» «معالم التنزيل» (٤/ ٣٨٥).

وقال ابن جزي الكلبي: «ويذكر مما ينفع من العين قوله تعالى: ﴿ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ ﴾» «القوانين الفقهية» (٦٦٢)

٣٩ . ﴿ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴾ (الأنبياء: ٦٩-٧٠).

٤٠ . ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِي رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٦﴾ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴾ (الأنبياء: ٨٣-٩٠)[1].

٤١ . ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾ (الحج: ٣٨-٣٩)

٤٢ . ﴿ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴾ (الأحزاب: ٢٥).

---

(١) يقول ابن قيم الجوزية في «إغاثة اللهفان» (٢/ ١٣٤) في سياق كلامه عن فضل التهليل والتوحيد وحال أعدائه وأوليائه معها قال: «وأما أولياؤه فهي مفزعهم في شدائد الدنيا والآخرة ولهذا كانت دعوات المكروب: «لا إله إلّا الله العظيم الحليم لا إله إلّا الله رب العرش العظيم لا إله إلّا الله رب السموات ورب الأرض رب العرش الكريم» ودعوة ذي النون التي ما دعا بها مكروب **إلّا فرّج الله كربه «لا إله إلّا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين»**، وعن سعد بن أبي وقاص ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «دعوة ذى النون، فإنه لم يدع بها رجلٌ مسلم في شيءٍ قط إلّا استجاب الله له» أخرجه الترمذي (٣٥٠٥) والحاكم في «مستدركه» (١/ ٦٨٤) وقال «صحيح الإسناد ولم يخرجاه» وقال الذهبي:«صحيح». **وانظر: فضل التهليل والتسبيح في إزالة الهموم والغموم. «نُكتُ القرآن»** للقصّاب الكرجي (٢/ ٣١١).

٤٣. ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ (البقرة : ٢٤٨)[1].

٤٤. ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ (التوبة : ٢٦).

٤٥. ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (التوبة : ٤٠).

٤٦. ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ (الفتح : ٤).

٤٧. ﴿ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ (الفتح : ١٨).

٤٨. ﴿ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾ (الفتح:٢٦).

---

(١) هذه الآية والتي تليها هي الآيات التي وردت فيها كلمة «السكينة» ذكر ابن قيم الجوزية عن شيخه ابن تيمية رحمهما الله في عظم منفعتها فقال : «وكان شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ إذا اشتدَّت عليه الأمور قرأ آيات السكينة، وسمعتُه يقول في واقعة عظيمة جرت له في مرضه تعجز العقول عن حملها من محاربة أرواح شيطانية، ظهرت له إذ ذاك في حال ضعف القوة قال : فلما اشتد عليَّ الأمر قلتُ لأقاربي ومن حولي : اقرؤوا آيات السكينة قال : ثم أقلع عني ذلك الحال وجلست وما بي قَلَبَة» وقد جربتُ أنا أيضاً قراءة هذه الآيات عند اضطراب القلب مما يَرِدُ عليه؛ فرأيت لها تأثيراً عظيماً في سكونه وطمأنينته» «المدارج» (٢ / ٥٠٢) و«إعلام الموقعين» (٦ / ١٠٨) ففيه بسط لمكانة السكينة وأسبابها .

٤٩. ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ (يونس: ٥٧)[١].

٥٠. ﴿ وَأَوۡحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحۡلِ أَنِ ٱتَّخِذِي مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتٗا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعۡرِشُونَ (٦٨) ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسۡلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلٗاۚ يَخۡرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٞ مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٞ لِّلنَّاسِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (النحل: ٦٨ـ٦٩).

٥١. ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارٗا ﴾ (الإسراء: ٨٢).

٥٢. ﴿ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ﴾ (الشعراء: ٨٠).

٥٣. ﴿ وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا أَعۡجَمِيّٗا لَّقَالُواْ لَوۡلَا فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥٓۖ ءَا۬عۡجَمِيّٞ وَعَرَبِيّٞۗ قُلۡ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدٗى وَشِفَآءٞۚ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٞ وَهُوَ عَلَيۡهِمۡ عَمًىۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوۡنَ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ ﴾ (فصلت: ٤٤).

٥٤. ﴿ يسٓ (١) وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ (٢) إِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ (٣) عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ (٤) تَنزِيلَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ (٥) لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمۡ فَهُمۡ غَٰفِلُونَ (٦) لَقَدۡ حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ عَلَىٰٓ أَكۡثَرِهِمۡ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ (٧) إِنَّا جَعَلۡنَا فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ أَغۡلَٰلٗا فَهِيَ إِلَى ٱلۡأَذۡقَانِ فَهُم مُّقۡمَحُونَ (٨) وَجَعَلۡنَا مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ سَدّٗا وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ سَدّٗا فَأَغۡشَيۡنَٰهُمۡ فَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ ﴾ (يس: ١ـ٩)[٢].

---

(١) ذكر الزَّرْكشِي في كتابه «البرهان في علوم القرآن» (١/ ٤٣٥) عن قصة أبي القاسم القُشيري ورؤيته للنبي ﷺ في المنام وإخباره بقراءة آيات الشفاء الست، وبهذا يُستأنس، وهي هذه الآية والتي تليها.
وذكرها أيضاً الآلوسي في تفسيره «روح المعاني» (١٥/ ١٤٥) وذكرها أيضاً (٢٩/ ١٤٦) حين تكلم عن الرقية وآياتها فقال، ومنه: «آيات الشفاء». وقراءتها مجربة في النفع بإذن الله تعالى.

(٢) يقول القرطبي في «تفسيره» (١٠/ ٢٣٤) بعد أن نقل كلاماً لأُبيِّ بن كعب ؓ أن النبي ﷺ كان يستتر من المشركين بثلاث آيات، قال: «قلتُ: ويُزاد إلى هذه الآية أول سورة يس إلى قوله: ﴿فَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ﴾ فإن في السيرة في هجرة النبي ﷺ ومقام علي ؓ في فراشه قال: وخرج رسول الله ﷺ فأخذ حَفنةً من تراب في يده وأخذ الله ﷻ على أبصارهم عنه؛ فلا يرونه؛ فجعل ينثر ذلك التراب على رؤوسهم وهو يتلو هذه الآيات من «يسٓ»: ﴿يسٓ (١) وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ (٢) إِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ (٣) عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ (٤) تَنزِيلَ

٥٥. ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ (الحشر: ٢١ـ٢٤) (١).

٥٦. ﴿ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴾ (طه: ٢٥ – ٢٨)

٥٧. ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ﴾ (الشرح: ١ـ٨).

٥٨. ﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (هود: ٤٤) (٢).

=

ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ حتى فرغ رسول الله ﷺ من هذه الآيات ولَم يَبْقَ منهم رجل إلّا وقد وضع على رأسه تراباً، ثم انصرف إلى حيث أراد أنْ يذهب.

قلتُ ـ القرطبي ـ : ولقد اتفق لي ببلادنا الأندلس بحصن منثور من أعمال قرطبة مثل هذا، وذلك أني هربتُ أمام العدو وانحزتُ إلى ناحية عنه؛ فلم ألبث أن خرج في طلبي فارسان، وأنا في فضاءٍ من الأرض قاعدٌ ليس يسترني عنهما شيءٌ، وأنا أقرأ أول سورة «يسٓ» وغير ذلك من القرآن، فعبَرَا عليَّ ثم رَجَعَا من حيث جَاءَا، وأحدُهما يقول للآخر: هذا دِيْبَلُه يَعنُونَ شيطاناً، وأعمى الله عَزَّوَجَلَّ أبصارهم فلم يَروني، والحمد لله حمداً كثيرا على ذلك» اهـ.

(١) قال ابن قيم الجوزية في «الوابل الصيب» (١٦٤) في فصل الأذكار التي تطرد الشياطين: «ومن أعظم ما يندفع به شره قراءة المعوذتين، وأول الصافات، وآخر الحشر».

قال ابن جزي الكلبي: في «القوانين الفقهية» (٦٦٤): «وروينا حديثاً مسلسلاً في قراءة آخر سورة الحشر مع وضع اليد على الرأس إنها شفاء من كل داء إلّا السام والسام هو الموت، وقد جرَّبناه مراراً عديدة فوجدناه حقاً» ا.هـ ولكن الحديث الذي ذكره لا يثبت، وهذا مما يستأنس به ببركة الآيات والله أعلم.

(٢) وَرَدَ عن شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه كان له مع هذه الآية شأن في علاج الرّعاف ولقد ذكر عنه

٥٩ـ ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا﴾ (طه: ١٠٥ – ١٠٧)(١)

٦٠ـ ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ ۚ بَلَٰغٌ ۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ (الأحقاف: ٣٥).

٦١ـ ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا﴾ (النازعات: ٤٦).

٦٢ـ ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ﴿٢﴾ ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ ﴿٣﴾ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ﴿٩﴾ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴿١٠﴾ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ ﴿١١﴾ وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ ﴿١٤﴾ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا﴾ (الطارق: ١–١٧).

٦٣ـ ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ (الزلزلة: ١–٨).

٦٤ـ ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ﴾ (الكافرون: ١–٦).

=

تلميذه ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ في كتابه «زد المعاد» (٤/ ٣٥٨) في علاج الرعاف: «كان شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ يكتب على جبهته ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ وسمعته يقول كتبتها لغير واحد فبرأ» اهـ.

وهي نافعة أيضاً: في حبس الدم عند النساء على خلاف العادة منهنَّ.

(١) قال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ: «وهذه الآية تدخل في باب الرُّقى؛ تُرقَى بها الثآليل، وهي التي تُسمَّى عندنا بالبراريق واحدها بروقة؛ تطلع في الجسد وخاصةً في اليد، جرَّبتُ ذلك في نفسي وفي غيري؛ فوجدته نافعاً إن شاء الله تعالى». «الجامع لأحكام القرآن» (١١ / ٢٤٦) باختصار.

وقد شاهدتُ من أثر هذه الآيات أيضاً على كثير من المرضى ممن كانت تخرج لهم هذه الثآليل والبثور والأورام، وكنت أجدُ لها أعظم الأثر والنفع، وذلك الفضل من الله.

٦٥. ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ (الإخلاص: ١ـ٤).

٦٦. ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ (الفلق: ١ـ٥)[1].

٦٧. ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ (الناس: ١ـ٦)[2].

---

(١) أخرج النسائي (٥٤٣٢) عن عقبة بن عامر ﷺ قال: قال لي النبي ﷺ: «ألا أدلك أو قال: إلَّا أخبرك بأفضل ما يتعوَّذ به المتعوذون؟» قال: بلى يا رسول الله. قال: قل أعوذ برب الفلق و قل أعوذ برب الناس» وأخرجه أحمد في «المسند» (١٥٠٢٢) وصححه الشيخ الألباني: في «صحيح الجامع» برقم (٢٥٩٣).

وقال ابن قيم الجوزية في «زاد المعاد» (٤ / ٦٩): «وكان يعالج بآية الكرسي وكان يأمر بكثرة قراءتها المصروع ومن يعالجه بها وبقراءة المعوذتين».

وقال أيضاً (٤ / ١٨١): «وفي المعوذتين الاستعاذة من كل مكروه جملة وتفصيلاً، فإن الاستعاذة من شر ما خلق تعم كل شر يستعاذ منه سواء كان في الأجسام أو الأرواح» وانظر في الرقية بها من لدغة العقرب «الأحكام النبوية» للكحَّال (٨٩)

وقال الرازي في «تفسيره» (١٦/ ١٩٥): «قوله: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ عامٌّ في كلِّ ما يُستعاذ منه، فما معنى الاستعاذة بعده من الغاسق والنفاثات والحاسد؟ الجواب: تنبيهاً على أن هذه الشرور أعظم أنواع الشرور».

وقال أيضاً: «لِمَ عرّف بعض المستعاذ منه ونكَّر بعضه؟ الجواب: عرَّف النفاثات؛ لأن كل نفَّاثة شريرة، ونكَّر غاسقاً؛ لأنه ليس كل غاسق شريراً.

وأيضاً: ليس كل حاسد شريراً، بل رُبَّ حاسد يكون محموداً وهو الحسد في الخيرات».

(٢) قال ابن جزي الكلبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «التسهيل لعلوم التنزيل» (٢/ ٥٢٩): «فإن قيل: لم قَدَّم وصفه تعالىٰ بربِّ، ثُمَّ بملك، ثُمَّ بإلَه؟

فالجواب: أن هذا الترتيب في الارتقاء إلى الأعلى، وذلك أن الربَّ قد يطلق على كثير من الناس، فيقال: فلان ربُّ الدار، وشبه ذلك، فبدأ به لاشتراك معناه، وأما المُلك فلا يوصف به إلَّا أحد من الناس، وهم الملوك، ولا شك أنهم أعلى من سائر الناس، فلذلك جاء به بعد الربِّ، وأما الإله فهو أعلى من

المبحثُ الثَّالِثُ

أَدعِيَةٌ عَامَّةٌ

١- «بِاسْمِ اللهِ يُبْرِيكَ، وَمِنْ كُلِّ دَاءٍ يَشفِيكَ، وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ، وشَرِّ كُلِّ ذِي عَينٍ »[1].

٢- «بِاسْمِ اللهِ أَرقِيكَ، مِنْ كُلِّ شَيءٍ يُؤذِيكَ، مِنْ شَرِّ كُلِّ نَفسٍ، أو عَينِ حَاسِدٍ، اللهُ يَشفيكَ، بِاسْمِ اللهِ أَرقِيكَ »[2].

٣- «اللَّهُمَّ رَبَّ النَّاس، أَذهِبِ البَاسَ، اشْفِهِ وَأَنتِ الشَّافي، لا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ، شِفَاءً لا يُغَادِرُ سَقَمًا »[3].

٤- «أَسأَلُ اللهَ العَظِيمَ، رَبَّ العَرشِ العَظِيمِ، أَنْ يَشفيكَ» «سَبعًا»[4].

٥- «اللَّهُمَّ رَحمتَكَ أَرْجُو، فَلا تَكِلْنِي إِلَىٰ نَفسِي طَرْفَةَ عَينٍ، وَأَصْلِح لِي شَأنِي كُلَّهُ، لا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ »[5].

=

المَلِك، ولذلك لا يَدَّعِي الملوك أنهم آلهة؛ فإنما الإله واحد لا شريك له ولا نظير؛ فلذلك ختم به» .

(١) أخرجه مسلم (٢١٨٥) عن عائشة رضي الله عنها.

(٢) أخرجه مسلم (٢١٨٦) عن أبي سعيد ﷺ .

(٣) أخرجه البخاري (٥٧٤٣) ومسلم (٢١٩١) عن عائشة رضي الله عنها.

فائدة : قال المباركفوري في قوله: «شِفَاءً لا يُغَادِرُ سَقَمًا» : «**وفائدة التقييد أنه قد يحصل الشفاء من ذلك المرض؛ فيخلُفه مرض آخر يتولَّد منه مثلاً، فكان يدعو بالشفاء المطلق لا بمطلق الشفاء**» «تحفة الأحوذي» (٤ / ٤١) .

(٤) أخرجه أبو داود (٣١٠٦)، والترمذي (٢٠٨٣)، وأحمد في «مسنده» (٢١٣٨)،وهو صحيح.

(٥) أخرجه أبو داود (٥٠٩٠)، وأحمد في «مسنده» (٢٠٤٣٠)، وقال الهيثمي في «المجمع» (١٠ / ١٣٧): «رواه الطبراني وإسناده حسن» عن أبي بكرة نُفَيع بن الحارث .

لطيفة : يقول الشيخ عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ اللهُ في «الوسائل المفيدة للحياة السعيدة» (٢١) بتصرف

٦- «بِاسْمِ اللهِ، تُربَةِ أَرْضِنَا، بِرِيقَةِ بَعضِنَا، يُشفَى سَقِيمُنَا، بِإِذْنِ رَبِّنَا »[١].

٧- «رَبِّيَ اللهُ الَّذِي فِي السَّمَاءِ، تَقَدَّسَ اسمُكَ، أَمرُكَ فِي السَّمَاءِ وَالأَرضِ، كَمَا رَحمَتُكَ فِي السَّمَاءِ؛ فَاجعَل رَحمَتَكَ فِي الأَرضِ، اغفِر لِي حُوبِي وَخَطَايَايَ، أَنتَ رَبُّ الطَّيِّبِينَ، أَنزِل رَحمَةً مِن رَحمَتِكَ، وَشِفَاءً مِن شِفَائِكَ عَلَى هَذَا الوَجَعِ؛ فَيَبرَأَ »[٢].

=

يسير : «ومن أنفع ما يكون في ملاحظة مستقبل الأمور، استعمال هذا الدعاء الذي كان النبي ﷺ يدعو به «اللهم رحمتك أرجو فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين، وأصلح لي شأني كله، لا إله إلَّا أنت» فإذا لَهَجَ العبدُ بهذا الدعاء الذي فِيْهِ صلاح مستقبله الديني والدنيوي بقلبٍ حاضر، ونية صادقة، مع اجتهاده فيما يحقق ذلك، حقق الله له ما دعاه ورجاه وعمل له، وانقلب همه فرحاً وسروراً» .

(١) أخرجه البخاري (٥٧٤٥) عن عائشة رضي الله عنها .

فائدة : قال الكحَّال رَحِمَهُ اللهُ : «ومعنى الحديث ـ والله أعلم ـ : أنّه يأخذ من ريق نفسه على أصبعه السَّبَّابة، ثم يضعها على التراب فيعلق بها منه شيءٌ، فيمسح بها على الجرح، ويقول هذا الكلام إلى آخره، لما فِيْهِ من بركة ذكر الله تعالىٰ، وتفويض الأمر إليه .

قال جمهور العلماء : المراد «بأرضنا» : هنا جملة الأرض، وقيل : «أرض المدينة خاصة لبركتها» الأحكام النبوية (٢١٧) والنووي في «شرح مسلم» (١٤/ ١٨٤)

وسألتُ شيخَنا العلامة الدكتور عمر الأشقر حفظه الله ونفع بعلمه فقال : بحاجة لمعرفة أين قاله النبي ﷺ فإن كان في المدينة فهو خاص بتربتها، وإلَّا فهو في عموم التراب لقوله : «وجعلت لي الأرض مسجداً وطهورا» .ويدخل فيها طهرة للمريض،والله أعلم .

(٢) هذا الدعاء وما بعده لم يرد منها شيء على الصحيح تصحُّ نسبته للنبي ﷺ وإنما ذكرتها هنا من باب الدعاء المطلق، ومن باب قول النبي ﷺ: «لا بأس بالرقى ما لم يكن فِيْهِ شرك» وشروط الرقية الشرعية تنطبق عليه والحمد لله فلا ضير .

يقول ابن قيم الجوزية رَحِمَهُ اللهُ : «وكثيراً ما نجدُ أدعيةً دعا بها قومٌ فاستُجيب لهم، ويكون قد اقترن بالدعاء ضرورةُ صاحبه وإقبالُه على الله، أو حسنةٌ تقدَّمت منه جعل الله سبحانه إجابةَ دعوته شكراً لحسنته، أو صادفت وقتَ إجابة، ونحو ذلك فأُجيبت دعوته، فيظنُّ الظانُّ أنَّ السرَّ في لفظ ذلك الدعاء؛ فيأخذُه مجرّداً عن تلك الأمور التي قارنته من ذلك الداعي . وهذا كما إذا استعمل رجلٌ دواءً نافعاً في الوقت الذي ينبغي على الوجه الذي ينبغي؛ فانتفع به؛ فظن غيرُه أنَّ استعمال هذا الدواء بمجرَّدِهِ كافٍ في حصول المطلوب؛ فإنَّه يكون بذلك غالطاً، وهذا موضعٌ يغلط فِيْهِ كثير من الناس» «الداء والدواء» (٢١) .

٨- بِاسْمِ اللهِ، اللَّهُمَّ دَاوِنِي بِدَوائِكَ، وَاشفِنِي بِشِفَائِكَ، وَأَغنِنِي بِفَضلِكَ عَمَّن سِوَاكَ.

٩- اللَّهُمَّ ذَا السُّلطَانِ العَظِيمِ، وَالمنِّ القَدِيمِ، وَلِيِّ الكَلِمَاتِ التَّامَّاتِ، وَالدَّعَوَاتِ المُستَجَابَاتِ، اصرِف عَنِّي عُيُونَ العَائِنِينَ، وَحَسَدَ الحَاسِدِينَ، وَسِحرَ السَّاحِرِينَ.

١٠- تَحَصَّنتُ بِاللَّهِ الَّذِي لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، إِلَهِي وَإِله كُلِّ شَيءٍ، وَاعتَصَمتُ بِرَبِّي وَرَبِّ كُلِّ شَيءٍ، وَتَوَكَّلتُ عَلَى الحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ، وَاستَدفَعتُ الشَّرَّ بِلا حَولَ وَلا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، حَسبِيَ اللهُ وَنِعمَ الوَكِيلُ، حَسبِيَ الرَّبُّ مِنَ العِبَادِ، حَسبِيَ الخَالِقُ مِنَ المخلُوقِ، حَسبِيَ الرَّازِقُ مِنَ المرزُوقِ، حَسبِيَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيءٍ، وَهُوَ يُجِيرُ وَلا يُجَارُ عَلَيهِ، حَسبِيَ اللهُ وَكَفَى، سَمِعَ اللهُ لِمَن دَعَا، لَيسَ وَرَاءَ اللهِ مَرْمَى، حَسْبِيَ اللهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، عَلَيهِ تَوَكَّلتُ، وَهُوَ رَبُّ العَرشِ العَظِيمِ[1].

١١- اللَّهُمَّ أَنتَ القَوِيُّ، وَلَيسَ أَحَدٌ أَقوَى مِنكَ، وَأَنتَ الرَّحِيمُ، وَلَيسَ أَحَدٌ أَرحَمُ مِنكَ؛ رَحِمتَ يَعقُوبَ؛ فَرَدَدتَ عَلَيهِ بَصَرَهُ، وَرَحِمتَ يُوسُفَ؛ فَنَجَّيتَهُ مِنَ الجُبِّ، وَرَحِمتَ أَيُّوبَ؛ فَكَشَفتَ عَنْهُ البَلاءَ.

أَمَرتَ بِالدُّعَاءِ، وَتَكَفَّلتَ بِالإِجَابَةِ، قُلتَ وَقَولُكَ الحَقُّ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (البقرة: ١٨٦).

وَأَنتَ القَائِلُ سُبحَانَكَ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ (غافر: ٦٠).

---

(١) أورده ابن القيم في «الزاد» (٤/ ١٦٩) وقال بعده: «ومن جرَّب هذه الدَّعوات والعُوَذ عرف مقدار منفعتها وشدة الحاجة إليها، وهي تمنع وصول أثر العائن، وتدفعه بعد وصوله بحسب قوة إيمان قائلها، وقوة نفسه، واستعداده، وقوة توكُّله، وثبات قلبه؛ فإنها سلاح، والسِّلاح بضاربه».

وَقُلتَ وَقَولُكَ الحَقُّ، وَوَعدُكَ حَقٌّ: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ (النمل: ٦٢).

اللَّهُمَّ يَا سَامِعَ كُلِّ نَجوَى، وَيَا مُنتَهَى كُلِّ شَكوَى، يَا عَظِيمَ المنِّ، يَا كَرِيمَ الصَّفحِ، يَا وَاسِعَ المغفِرَةِ، يَا بَاسِطَ اليَدَينِ بِالرَّحمَةِ.

اللَّهُمَّ اصْرِفْ عَنِّي عُيُونَ العَائِنِينَ، وَحَسَدَ الحَاسِدِينَ، وَسِحرَ السَّاحِرِينَ، وَمَكرَ الشَّيَاطِينَ، وَكَيدَ الكَائِدِينَ.

اللَّهُمَّ هَذَا الدُّعَاءُ، وَمِنكَ الإجَابَةُ، وَهَذَا الجَهدُ وَعَلَيكَ التُّكلانُ، وَلا حَولَ وَلا قُوَّةَ إلَّا باللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ.

سُبحَانَ رَبِّكَ رَبِّ العِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ، وَسَلامٌ عَلَى المُرسَلِينَ، وَالحَمدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحبِهِ أَجمَعِينَ [1].

□ □ □

(١) وللمسلم أن يدعو الله تعالىٰ بما يفتح عليه من الدعاء ليفرج همه وينفس مكروبه، وليس بلازم التقيُّد بهذه الأدعية شريطة أن تكون صحيحة وليس فيها تعدٍّ على مسلم. والله أعلم.
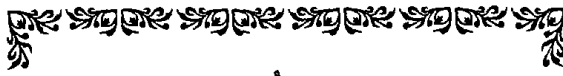
المبحَثُ الرَّابِعُ

رقية المريض[1]

١- «لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ العَظِيمُ الحَلِيمُ، لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ رَبُّ العَرشِ العَظِيمُ، لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَرَبُّ الأَرضِ، وَرَبُّ العَرشِ الكَرِيمِ»

٢- «بِاسْمِ اللهِ الَّذِي لا يَضُرُّ مَعَ اسمِهِ شَيءٌ في الأَرضِ وَلا في السَّماءِ وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ» «ثَلاثاً».

٣- «بِاسْمِ اللهِ ـ ثَلاثاً ـ أَعُوذُ بِعِزَّةِ اللهِ وَقُدرَتِهِ مِن شَرِّ مَا أَجِدُ وأُحَاذِرُ» «سَبعَاً».

٤- «أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ».

٥- «أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِن غَضَبِهِ، وَعِقَابِهِ، وَشَرِّ عِبَادِهِ، وَمِن هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ، وَأَن يَحضُرُونِ».

٦- «أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّةِ، مِن كُلِّ شَيطَانٍ وَهَامَّةٍ، وَمِن كُلِّ عَينٍ لامَّةٍ».

٧- «أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ الَّتِي لا يُجَاوِزُهُنَّ بَرٌّ، وَلا فَاجِرٌ، مِن شَرِّ مَا خَلَقَ وَبَرَأَ، وَذَرَأَ، وَمِن شَرِّ مَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ، وَمِن شَرِّ مَا يَعرُجُ فِيها، وَمِن شَرِّ مَا ذَرَأَ في الأَرضِ، وَمِن شَرِّ مَا يَخرُجُ مِنهَا، وَمِن شَرِّ فِتَنِ اللَّيلِ وَالنَّهَارِ، وَمِن شَرِّ كُلِّ طَارِقٍ، إِلَّا طَارِقاً يَطرُقُ بِخَيرٍ يَا رَحمَنُ».

٨- «حَسبِيَ اللهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، عَلَيهِ تَوَكَّلتُ وَهُوَ رَبُّ العَرشِ العَظِيمِ» «سَبعَاً»

---

(١) هذه رقية خاصةٌ لمن ابتلاه الله تعالى بالأمراض عامة، وليس لها صلة بالعين والحسد والسحر و المس.

٩- «اللَّهُمَّ إنِّي أَسأَلُكَ العَافِيَةَ في الدُّنيَا وَالآخِرَةِ، اللَّهُمَّ إنِّي أَسأَلُكَ العَفوَ وَالعَافِيَةَ في دِينِي، ودُنيَايَ، وَأَهلِي، وَمَالِي، اللَّهُمَّ استُر عَورَتِي، وَآمِن رَوعَتِي، اللَّهُمَّ احفَظنِي مِن بَينِ يَدَيَّ، وَمِن خَلفِي، وَعن يَمِينِي، وَعن شِمَالِي، وَمِن فَوقِي، وَأَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَن أُغتَالَ مِن تَحتِي»

١٠- «اللَّهُمَّ إنِّي عَبدُكَ، وَابنُ عَبدِكَ، وَابنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكمُكَ، عَدلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسأَلُكَ بِكُلِّ اسمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيتَ بِهِ نَفسَكَ، أَو أَنزَلتَهُ في كِتَابِكَ، أَو عَلَّمتَهُ أَحداً مِن خَلقِكَ، أَوِ استَأثَرتَ بِهِ في عِلمِ الغَيبِ عِندَكَ، أَن تَجعَلَ القُرآنَ رَبِيعَ قَلبِي، وَنُورَ صَدرِي، وَجِلاءَ حُزنِي، وَذَهَابَ هَمِّي»

١- ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ (١) الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ (٣) مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (٤) إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (٥) اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ (الفاتحة: ١-٧)[(١)].

٢. ﴿الم (١) ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (٢) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٣) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (٤) أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (البقرة: ١-٥)[(٢)].

٣. ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (١٦١) خَالِدِينَ فِيهَا ۖ لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ (١٦٢) وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ (١٦٣) إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (١٦٤) وَمِنَ

(١) تُكرَّر كثيراً كثيراً، مع اليقين بالله، وحُسْن الظن به.

(٢) الأحسن قراءة سورة البقرة كاملة، وإلا فلا أقل من هذه الآيات.

ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ (البقرة: ١٦١ــ١٦٧).

٤ـ ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾ (البقرة: ٢٥٥).

٥ـ ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ (البقرة: ٢٨٥ــ٢٨٦).

٦ـ ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (آل عمران: ٢٦ــ٢٧).

٧ـ ﴿ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (يونس: ٥٥ــ٥٦).

٨ـ ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴾ (الفرقان: ٤٥-٤٦)[1]

---

(١) قراءة هذه الآيات الثلاث كثيراً، نافعةٌ في حالات الشَّلَل، والإعاقة؛ والغيبوبة، وأمراض السرطان.

٩. ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾ (البقرة: ١٥٥ـ ١٥٧).

١٠. ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ (آل عمران: ١٧٣ـ ١٧٥)

١١. ﴿ وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ (إبراهيم: ١٢)

١٢. ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ ﴾ (الرعد: ٢٨ـ٢٩)[1]

١٣. ﴿ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴾ (الأنبياء: ٦٩ـ٧٠).

١٤. ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ ۖ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا ۖ إِنَّهُم مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٦﴾ وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي

---

(١) تكرر كثيراً في اضطرابات القلب، والضغط، ودرجات الحرارة، وارتداد البصر.

﴿ ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴾ (الأنبياء: ٨٣ـ٩٠).

١٥ـ ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ (البقرة: ٢٤٨) [(١)].

١٦ـ ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ (التوبة: ٢٦).

١٧ـ ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (التوبة: ٤٠).

١٨ـ ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ (الفتح: ٤).

١٩ـ ﴿ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ (الفتح: ١٨).

---

(١) هذه الآيات التي وردت فيها كلمة «السكينة» وهي نافعة جداً، وتكرارها فيه منفعة مباركة بإذن الله، وقد ذكر ابن قيم الجوزية عن شيخه ابن تيمية رحمهما الله في عظم منفعتها فقال: «وكان شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ إذا اشتدَّت عليه الأمور قرأ آيات السكينة، وسمعتُه يقول في واقعة عظيمة جرت له في مرضه تعجز العقول عن حملها من محاربة أرواح شيطانية، ظهرت له إذ ذاك في حال ضعف القوة قال: فلما اشتد عليَّ الأمر قلتُ لأقاربي ومن حولي: اقرؤوا آيات السكينة قال: ثم أقلع عني ذلك الحال وجلست وما بي قَلَبَة» وقد جربتُ أنا أيضاً قراءة هذه الآيات عند اضطراب القلب مما يَرِدُ عليه؛ فرأيت لها تأثيراً عظيماً في سكونه وطمأنينته» «المدارج» (٢ / ٥٠٢) و «إعلام الموقعين» (٦ / ١٠٨) ففيه بسط لمكانة السكينة وأسبابها.

٢٠. ﴿ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾ (الفتح: ٢٦).

٢١. ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (يونس: ٥٧)[١].

٢٢. ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (النحل: ٦٨-٦٩).

٢٣. ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ (الإسراء: ٨٢).

٢٤. ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾ (الشعراء: ٨٠).

٢٥. ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ۖ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴾ (فصلت: ٤٤).

٢٦. ﴿ يسٓ ﴿١﴾ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾ تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٥﴾ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٦﴾ لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾ إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ (يس: ١-٩)

٢٧. ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ

---

(١) وهذه «آيات الشفاء» وفي قراءتها واستشعار النفع والعافية فيها، بإذن الله تعالى تكون.

﴿ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٢٣ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ (الحشر: ٢١ــ٢٤)[1].

٢٨ـ ﴿قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ٢٥ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ٢٦ وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةً مِّن لِّسَانِي ٢٧ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي﴾ (طه: ٢٥ ــ ٢٨)

٢٩ـ ﴿أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ ١ وَوَضَعۡنَا عَنكَ وِزۡرَكَ ٢ ٱلَّذِيٓ أَنقَضَ ظَهۡرَكَ ٣ وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ ٤ فَإِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ٥ إِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ٦ فَإِذَا فَرَغۡتَ فَٱنصَبۡ ٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرۡغَب﴾ (الشرح: ١ــ٨).

٣٠ـ ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدًا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (هود: ٤٤)[2].

٣١ـ ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡجِبَالِ فَقُلۡ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسۡفًا ١٠٥ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفۡصَفًا ١٠٦ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمۡتًا﴾ (طه: ١٠٥ ــ ١٠٧)

٣٢ـ ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡۚ كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَ مَا يُوعَدُونَ لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارِۭۚ بَلَٰغٞۚ فَهَلۡ يُهۡلَكُ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ (الأحقاف: ٣٥).

٣٣ـ ﴿كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَهَا لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوۡ ضُحَىٰهَا﴾ (النازعات: ٤٦).

٣٤ـ ﴿إِذَا زُلۡزِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ زِلۡزَالَهَا ١ وَأَخۡرَجَتِ ٱلۡأَرۡضُ أَثۡقَالَهَا ٢ وَقَالَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَا لَهَا ٣ يَوۡمَئِذٖ تُحَدِّثُ أَخۡبَارَهَا ٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوۡحَىٰ لَهَا ٥ يَوۡمَئِذٖ يَصۡدُرُ ٱلنَّاسُ أَشۡتَاتٗا لِّيُرَوۡاْ أَعۡمَٰلَهُمۡ ٦ فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ﴾ (الزلزلة: ١ــ٨).

٣٥ـ ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ١ لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ٢ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ ٤ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ٥ لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ﴾ (الكافرون: ١ــ٦).

---

(١) وهذه الآيات تكرر كثيراً؛ لما فيها من أسماء الله الحسنى المباركة، ولها منفعة وخير كبير.

(٢) قراءتها نافعة في حبس انتشار أيِّ المرض، وكذا لوقف سيلان الدم.

٣٦- ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ (الإخلاص: ١-٤).

٣٧- ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ (الفلق: ١-٥)

٣٨- ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ (الناس: ١-٦)

١- «بِاسْمِ اللهِ يُبْرِيكَ، وَمِنْ كُلِّ دَاءٍ يَشفِيكَ، وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إذَا حَسَدَ، وشَرِّ كُلِّ ذِي عَينٍ».

٢- «بِاسْمِ اللهِ أَرقِيكَ، مِنْ كُلِّ شَيءٍ يُؤذِيكَ، مِنْ شَرِّ كُلِّ نَفسٍ، أو عَينِ حَاسِدٍ، اللهُ يَشفيكَ، بِاسْمِ اللهِ أَرقِيكَ»

٣- «اللَّهُمَّ رَبَّ النَّاس، أَذهِبِ البَاسَ، اشْفِهِ وَأَنتِ الشَّافي، لا شِفَاءَ إلَّا شِفَاؤُكَ، شِفَاءً لا يُغَادِرُ سَقَمًا».

٤- «أَسأَلُ اللهَ العَظِيمَ، رَبَّ العَرشِ العَظِيمِ، أَنْ يَشفيكَ» «سَبعًا»

٥- «اللَّهُمَّ رَحمَتَكَ أَرْجُو، فَلا تكِلْنِي إِلَىٰ نَفسِي طَرْفَةَ عَينٍ، وَأَصْلِح لِي شَأنِي كُلَّهُ، لا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ»

٦- «بِاسْمِ اللهِ، تُربَةِ أَرْضِنَا، بِرِيقَةِ بَعضِنَا، يُشفَى سَقِيمُنَا، بِإِذْنِ رَبِّنَا».

٧- «رَبِّيَ اللهُ الَّذِي فِي السَّمَاءِ، تَقَدَّسَ اسمُكَ، أَمرُكَ فِي السَّمَاءِ وَالأَرضِ، كَمَا رَحمَتُكَ فِي السَّمَاءِ؛ فَاجعَل رَحمَتَكَ فِي الأَرضِ، اغفِر لِي حُوبِي وَخَطَايَايَ، أنتَ رَبُّ الطَّيِّبِينَ، أَنزِل رَحمَةً مِن رَحمَتِكَ، وَشِفَاءً مِن شِفَائِكَ عَلَى هَذَا الوَجَعِ؛ فَيَبرَأَ».

٨- بِاسْمِ اللهِ، اللَّهُمَّ دَاوِنِي بِدَوائِكَ، وَاشفِنِي بِشِفَائِكَ، وَأَغنِنِي بِفَضلِكَ عَمَّن سِوَاكَ.

٩- اللَّهُمَّ ذَا السُّلطَانِ العَظِيمِ، وَالمنّ القَدِيمِ، وَلِيّ الكَلِمَاتِ التَّامَّاتِ، وَالدَّعوَاتِ المُستَجَابَاتِ، اصرِف عَنِّي عُيُونَ العَائِنِينَ، وَحَسَدَ الحَاسِدِينَ، وَسِحرَ السَّاحِرِينَ.

١٠- تَحَصَّنتُ بِاللَّهِ الَّذِي لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، إِلَهِي وَإِله كُلِّ شَيءٍ، وَاعتَصَمتُ بِرَبِّي وَرَبِّ كُلِّ شَيءٍ، وَتَوَكَّلتُ عَلَى الحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ، وَاستَدفَعتُ الشَّرَّ بِلا حَولَ وَلا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، حَسبِيَ اللهُ وَنِعمَ الوَكِيلُ، حَسبِيَ الرَّبُّ مِنَ العِبَادِ، حَسبِيَ الخَالِقُ مِنَ المخلُوقِ، حَسبِيَ الرَّازِقُ مِنَ المرزُوقِ، حَسبِيَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيءٍ، وَهُوَ يُجِيرُ وَلا يُجَارُ عَلَيهِ، حَسبِيَ اللهُ وَكَفَى، سَمِعَ اللهُ لِمَن دَعَا، لَيسَ وَرَاءَ اللهِ مَرْمَى، حَسْبِيَ اللهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، عَلَيهِ تَوَكَّلتُ، وَهُوَ رَبُّ العَرشِ العَظِيم

١١- اللَّهُمَّ أَنتَ القَوِيُّ، وَلَيسَ أَحَدٌ أَقوَى مِنكَ، وَأَنتَ الرَّحِيمُ، وَلَيسَ أَحَدٌ أَرحَمُ مِنكَ؛ رَحِمتَ يَعقُوبَ؛ فَرَدَدتَ عَلَيهِ بَصَرَهُ، وَرَحِمتَ يُوسُفَ؛ فَنَجَّيتَهُ مِنَ الجُبِّ، وَرَحِمتَ أَيُّوبَ؛ فَكَشَفتَ عَنْهُ البَلاءَ.

أَمَرتَ بِالدُّعَاءِ، وَتَكَفَّلتَ بِالإِجَابَةِ، قُلتَ وَقَولُكَ الحَقُّ : ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (البقرة : ١٨٦).

وَأَنتَ القَائِلُ سُبحَانَكَ : ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ (غافر : ٦٠).

وَقُلتَ وَقَولُكَ الحَقُّ، وَوَعدُكَ حَقٌّ : ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ (النمل : ٦٢).

اللَّهُمَّ يَا سَامِعَ كُلِّ نَجوَى، وَيَا مُنتَهَى كُلِّ شَكوَى، يَا عَظِيمَ المنِّ، يَا كَرِيمَ الصَّفحِ، يَا وَاسِعَ المغفِرَةِ، يَا بَاسِطَ اليَدَينِ بِالرَّحمَةِ.

اللَّهُمَّ اصْرِفْ عَنِّي عُيُونَ العَائِنِينَ، وَحَسَدَ الحَاسِدِينَ، وَسِحرَ السَّاحِرِينَ، وَمَكرَ الشَّيَاطِينَ، وَكَيدَ الكَائِدِينَ.

اللَّهُمَّ هَذَا الدُّعَاءُ، وَمِنكَ الإجَابَةُ، وَهَذَا الجَهدُ وَعَلَيكَ التُّكلانُ، وَلا حَولَ وَلا قُوَّةَ إلَّا باللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ.

سُبحَانَ رَبِّكَ رَبِّ العِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ، وَسَلامٌ عَلَى المُرسَلِينَ، وَالحَمدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحبِهِ أَجمَعِينَ.

❑ ❑ ❑

الخَاتِمَةُ

وَفي خَاتِمَةِ هَذِهِ الرِّسَالَةِ اللَّطِيفَةِ؛ فَهذَا مَا تَيَسَّرَ هُنَا أَن أَنتَقِيَه مِن أَصلِهَا «نَفع الأَنَامِ فيمَا جَاءَ في التَّدَاوِي وَالرُّقَى عن نَبِيِّ الإسلام» وَلَقَد رَجَوتُ أَن يَكُونَ غيرَ مُخِلٍّ، وَلا مُطَوَّلٍ؛ فَاللَّهَ أَسأَلُ وَحدَهُ؛ أَن أَكُونَ قَد وُفِّقتُ في إنجازِهَا، وَإتقَانِهَا، وَحُسنِ انتِقَائِهَا.

وأَستَغفِرُهُ سُبحَانَهُ مِن كُلِّ عَثرَةٍ وَزَلَّةٍ، وَأَبرَأُ إلَيهِ مِن كُلِّ حَولٍ وَقُوَّةٍ؛ فَلا رَجَاءَ إلَّا إلَيهِ، وَلا اتِّكَالَ إلَّا عَليهِ، وَلا طَمَعَ إلَّا فيمَا عِندَهُ، وَبِذَلِكَ فَليَفرَحِ المؤمِنُونَ.

جَعَلَنَا اللهُ وَإيَّاكُم مِمَّن يُوَفَّقُ لِفعلِ الخَيرِ وَالعَمَلِ بِهِ، وَمِمَّن يُبصِرُ رُشْدَ نَفسِهِ، إنَّهُ سُبحَانَهُ خَيرُ مَسؤُولٍ.

كَمَا أَرجُو مِنَ اللهِ العَلِيِّ القَدِيرِ، أَن يَرفَعَ الضُّرَّ عَنِ المُسلِمِينَ وَالمُسلِمَاتِ، وَأَن يُفَرِّجَ هُمُومَهُم، وَيُنَفِّسَ كُرُوبَهُم، وَيُلْبِسَهُم لِبَاسَ الصِّحَّةِ وَالعَافيةِ وَالسَّلامَةِ، وَأَن يَصرِفَ عَنهُم عُيُونَ العَائِنِينَ، وَحَسَدَ الحَاسِدِينَ، وَسِحرَ السَّاحِرِينَ، وَمَكرَ المَاكِرِينَ، وَأَن يَرُدَّ الكَيدَ وَالمكرَ عَلَى صَاحِبِهِ، وَلا يَحِيقُ المكرُ السَّيِّئُ إلَّا بِأَهلِهِ، اللَّهُمَّ آمِينَ.

وَالحَمدُ للهِ الَّذِي بِنِعمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ، وَتُفرَجُ الكُرُبَاتُ.

وصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحبِهِ أَجمَعِينَ.

الفَقِيرُ إلَى مَولاهُ

مُحَمَّدُ بنُ يُوسُفَ الجُورَانِيُّ

غَفَرَ اللهُ لَهُ وَلِأَهلِهِ وَلِمَشَايِخِهِ وَلِلمُسلِمِينَ

M_aljorany@hotmail.com

الفهرس

إهـداءٌ	٧
مُقدِّمةُ الطَّبعةِ الرَّابعَة	٩
تَقارِيظُ أهلِ العِلْم	١١
شُكْرٌ وثَنَاء	٣٦
إضَاءةٌ	٣٩
الأُرْجُوزَةُ الطِّبيَّة	٤٣
المُقدِّمةُ	٤٧
تَمهِيدٌ	٥٣
أَوَّلاً: عِظَمُ نِعْمَةِ العَافيةِ عَلَى العَبدِ ومَا فِيهَا مِنْ أَحَادِيث، وحِكَمٍ، وَفَوائِدَ	٥٣
حَالُ العِبادِ في هَذِهِ الحيَاة	٥٤
المَصَائبُ ومَقَاماتُ النَّاسِ فِيْها	٥٨
ثَانِياً : هَل سَمِعتَ بِشِفَاءٍ كَالقُرآنِ	٦٣
أَسبَابِ الشِّفَاءِ	٧١
أَوّلاً : حُسنُ الظَّنِّ بِالله تَعَالى؟	٧١
ثَانِياً : كَثـرَةُ الاستِغـفَارِ	٧١
ثَالثاً : فِعْلُ الطَّاعاتِ والقُرباتِ	٧٢
رَابِعَاً: الرُّقيَةُ الشَّرعِيَّةُ	٧٣
خَامِساً: الصَّدَقةُ	٧٦

سَادِسَاً: الدُّعاءُ	٦٨
سَابِعَاً: الأدْوِيةُ الطِّبيَّةُ	٧٩
الفصل الأول : أحكام الرُّقى؟	
المبحَثُ الأَوَّل : أَحكَامُ الرُّقيَةِ الشَّرْعِيَّةِ	٨٣
المطلبُ الأَوَّل : تَعرِيفُ الرُّقيَةِ وَأَنوَاعُها	٨٣
إطلاقَاتُها	٨٣
أَنوَاعُهَا	٨٦
مَعنَى النَّفثِ والتَّفلِ، ومَحَلُّهُ، وَفائِدَتُهُ	٨٧
المطلبُ الثَّانِي : أَهمِّيَّتُها	٩٠
المطلبُ الثَّالِثُ : حُكمُهَا	٩٣
وَقفَةٌ مَع الطِّبِّ النَّفسِيِّ	١٠٣
المطلبُ الرَّابِعُ : شُرُوطُهَا	١١٠
المطلبُ الخامِسُ : كيفيَّتُها	١١٣
أَوَّلاً: مَرَضُ السِّحرِ، وَفيه مَسَائِلُ	١١٦
ثانِياً: مَرَضُ العَينِ وَالحَسَدِ، وَفِيهِمَا مَسَائِلُ	١٤٠
ثَالِثاً : المصَابُ بِالمسِّ الشَّيْطَانِيِّ، وَفِيْهِ مَسَائِلُ	١٦١
بَرنَامَجُ اليَومِ المفتُوحِ	١٩٦
تَنبِيهٌ مُهِمٌّ	١٩٧
المبحَثُ الثَّانِي: صِفَةُ المُعَالِجِ وَ المُعَالَجِ	١٩٩

تَمهِيدٌ	١٩٩
المطلبُ الأَوَّلُ : صِفَةُ الرَّاقِي الـمُعَالِج	٢٠٦
المطلبُ الثَّانِي : مَا يَنبَغِي أَن يَكُونَ عَليهِ "المرِيضُ" الـمُعَالَجُ	٢٤٨
المطلبُ الثَّالِثُ: التَّحذِيرُ مِن إتيَانِ السَّحَرَةِ وَالـمُشَعوِذِينَ	٢٥٤
المطلبُ الرَّابِعُ: كُلِّيَاتٌ وعَلامَاتٌ وتَنْبِيهاتٌ	٢٥٩
المطلبُ الخَامِسُ : التَّحذِيرُ مِن قَنَوَاتِ السِّحرِ الفَضَائِيَّةِ	٢٧٠
المبحَثُ الثَّالِثُ :الصَّبرُ عَلَى البَلاءِ وَاحتِسَابِ الأَجرِ	٢٨١
الفصل الثاني : متن الرُّقيةُ الشَّرْعِيَّةُ	
تَمهِيدٌ : مَنهجُ اختِيَارِ الآياتِ	٢٩٩
المبحَثُ الأَوَّلُ : الأَدعِيَةُ الشَّرعِيَّةُ الصَّحِيحَةُ مِنَ السُّنَّةِ النَّبوِيَّةِ	٣١١
المبحَثُ الثَّانِي: آيَاتُ الرُّقيَةِ الشَّرعِيَّةِ مِنَ القُرآنِ الكَرِيم	٣١٤
المبحَثُ الثَّالِثُ: أَدعِـيَةٌ عَـامَّةٌ	٣٢٩
المبحَثُ الرَّابِعُ: رقيةُ المَرِيضِ	٣٣٣
الخَـاتِـمَـةُ	٣٤٣
الفهرس	٣٤٥

هذا الكتاب

مداوةٌ للنفوس والأبدان

ودافعٌ للهموم والأحزان

ودافعٌ للأمراض والابتلاءات

ومزرعة للابتسامات

فاحصد ابتسامتك لترسم على محياك

فهو خير صاحبٍ في زمن الابتلاءات

أخوكم

د. محمد بن يوسف الجوراني